

أفحوم عبد الوكيل

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

طبعة منقحة مصححة

دار إحياء التراث

محتويات الكتاب

الصفحة

٣	شيخ الاسلام احمد بن تيمية
٥	شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب

الرسالة الأولى

(٧ - ٥٧)

الصفحة

٣٤	أصل الدين ، الاسلام
٣٥	اعتزال الشرك وأهله
	الإنذار عن الشرك في عبادة
٣٦	الله - العبادة
٣٧	الفتنة - المخالف
٣٨	الإخلاص في محبة الله
	عدم التكفير إلا بعد البيان
٤١	والأصرار
٤٠	أصل التوحيد والسنة
٤١	القدر أصل من أصول الإيمان
	معنى القضاء في القرآن
	وصف الله بما وصف به
٤٢	نفسه
	علو القدر وعلو القهر وعلو
٤٣	الذات
	معنى استواء الرحمن على
٤٣	العرش
	حكم السفر إلى بلاد المشركين
٤٧	للتجارة
٤٨	الرضا بالكفر كفر
٤٩	حكم من أظهر علامات النفاق
	لا تلازم بين إطلاق النفاق
٥٠	ظاهراً وباطناً
	لا يجوز إطلاق النفاق على
٥٠	المسلم بالهوى
	عنه ان السعادة - فساد
٥١	العبادة بالشرك

الصفحة

٧	العبادة - أنواع التوحيد
	أنواع الشرك : أكبر ،
٨	أصغر ، وخفى
	أنواع الكفر : كفر التكذيب
	كفر الإباء ، كفر الشك ،
١٠	كفر الأعراض ، كفر النفاق
١٢	الكفر بالطائفت والإيمان بالله
١٢	معنى الطائفت
	الأصول الثلاثة : الرب ،
١٤	الدين ، النبي
١٥	أركان الاسلام
١٧	أربعة من قواعد الدين
	عبادة الكفار للاستئمان ،
١٨	والأنبياء ، والصالحين
	الجامع لعبادة الله - أنواع
	العبادة التي لا تصلح
١٩	إلا الله
٢٢	أنواع المحبة الأربعة
٢٣	معرفة الإنسان لربه ونفسه
٢٩	نواقض الاسلام العشرة
	شروط الصلاة - أركان
٣٣	الصلاة - مبطلات الصلاة
	موجبات الصلاة - فرائض
٣٣	الوضوء
	شروط الوضوء - نواقض
٣٤	الوضوء

الصفحة	الصفحة
٥٤	قتال الرسول ابن يعبد غير الله
الفرق بين توحيد الربوبية	عبادة المشركين للصالحين
٥٥	والملائكة والأنبياء . . .
٥٦	عبادتهم للأشجار والأحجار
دليل موت الرسول صلى الله	معنى السرب - معرفة الله
٥٦	بآياته ومخلوقاته . . .

الرسالة الثانية : مسائل الجاهلية
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
(٥٨ - ٦٩)

٥٨	عبادة أهل الجاهلية غير الله
٥٩	التفريق في الدين . . .
٦٠	الاغترار بالكثرة ولو على
٦١	باطل الاحتجاج بالتقدمين
٦٢	اتباع الهوى والظن . . .
٦٣	تحريف كتاب الله . . .
٦٤	كفرهم بالحق - التعبد
٦٥	بكشف العورات - التعبد
٦٦	بتحريم الحلال . . .
٦٧	معارضة شرع الله بقدره . . .
٦٨	تحريف الكلم من مواضعه
٦٩	التعبد بترك الطيبات من الرزق

الرسالة الثالثة : كشف الشبهات
للإمام محمد بن عبد الوهاب
(٧٠ - ٨٧)

٧٠	التوحيد دين الرسل جميعا
٧١	الفرق بفضل الله ورحمته
٧٢	القلبة لجند الله . . .
٧٣	الرد على أهل الباطل . . .
٧٤	الشفاعة كلها لله . . .
٧٥	تحريم الالتجاء إلى الصالحين
٧٦	شرك الأولين وأهل زماننا
٧٧	الكفر ببعض الكتاب والسنة
٧٨	كفر بهما جميعا . . .
٧٩	كفر من جحد التوحيد . . .
٨٠	كفر من وضع شخصا
٨١	في مرتبة الله . . .
٨٢	كفر المستهزئين بآيات الله . . .
٨٣	كفر من اتخذ مع الله أندادا
٨٤	قتل من تبين كفره . . .
٨٥	الاستغاثة بغير الله شرك . . .
٨٦	التوحيد يكون بالقلب
٨٧	واللسان والعمل . . .
٨٨	لا علم في اظهار الكفر إلا للمكره
٨٩	كفر من آثر الدنيا على الآخرة

الرسالة الرابعة : الواسطة
لشيخ الإسلام ابن تيمية
(٨٨ - ١٠٤)

٨٨	معنى الواسطة بين الله وبين
٨٩	عباده . . .
٩٠	لا يضاف ولا يشق من قرا
٩١	القرآن وعمل به . . .
٩٢	(٣٧ - مخبومة التوحيد)

الصفحة	الصفحة
٩٤ . . . لم يكن . . .	الرسول وسائط بين الله وبين
٩٦ نفى الشفاعة والدعاء للمشركون	عباده لتبليغ الرسالة . . . ٨٩
مشروعية دعاء الأعلى للأدنى	لا واسطة بين الله وبين عباده
٩٨ . . . والعكس أيضا . . .	الملائكة والأنبياء لا يملكون
طلب الرسول الدعاء من أمته	كشف الضر - اتخاذ
انتفاع الداعي والمندعو	الملائكة والنبیین أربابا كفر
٩٨ . . . له بالدعاء . . .	العلماء وسائط بين الرسول
٩٦ النعمة الحقيقية نعمة الدين	وأتمه لتبليغ الإسلام فقط
اتخاذ الأحيار والزهاد من	عقبيه أنبياء الله بحجاب
دون الله كفر . . . ١٠٠	الملك كفر - الوسائط
التوحيد : رجاء الله	بين الملوك والناس على
١٠٢ . . . والتوكل عليه . . .	ثلاثة أوجه . . . ٩٢
	ما شاء الله كان وما لم يشأ

الرسالة الخامسة : هدية طيبة

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١٠٥ - ٢٠٨)

١٠٦ . . . الاستغاثة بغير الله شرك	إله إلا الله ونفى الألوهية
التمسك بأصل الدين والكفر	عما سواه . . . ٢٠٥
١٠٧ . . . بالطوائف . . .	كفر من ترك توحيد الألوهية ١٠٦

الرسالة السادسة : أوثق عرى الإيمان

للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب

(١٠٩ - ١٢٢)

١١٥ . . . البر على دين خليله . . .	١٠٩ الحب في الله والكبر في الله
١١٦ نهي الله عن موالاة الكفار	واللهي من موالاة الكافرين
من شك في كفر الكفار فهو	وأخذهم بطلان . . . ١١٠
١٢١ . . . كافر . . .	صفة المؤمن . . . ١١١
	الكفار بعضهم أولياء بعض ١١٢

الرسالة السابعة : جواب عبد الله بن عبد الرحمن العروف بابي بطين

(١٢٣ - ١٢٢)

١٢٣ . . . تعريف العبادة . . .	إخلاص المبدأ في القول
المحبة والخضوع ركنان	والفعل والنية . . . ١٢٦
للمعبدة . . . ١٢٤	شرط الإخلاص في الأعمال
المعبدة معناها التوحيد . . . ١٢٤	والأقوال . . . ١٢٦

الصفحة	الصفحة
١٣٠	١٢٨
بتغير اسمائها - الطافوت	الاله والالوهية
الطافوت هو الشيطان	التوحيد يتوارثه الانبياء
١٣١	١٢٩
ويشمل كل معبود	وابتاعهم
	حقائق الاشياء لا تتغير

الرسالة الثامنة : اسباب نجات السؤل من السيف السلول

(١٢٣ - ١٢٥)

١٢٣	١٣٣
هل يلزم الرجل اتباع مذهب	لا اله الا الله ، كلمة الاسلام
١٢٤	١٣٤
معين	البراءة من كل معبود سوى الله
١٢٥	١٣٦
انواع الاتباع والاقتداء	مظلمة شأن كلمة لا اله الا الله
١٣٦	١٣٦
اتخاذ الكفار احبارهم	معنى كلمة « الاله » لغة
١٣٨	١٣٨
اربابا من دون الله	حكمة الجهاد في سبيل الله
١٣٩	١٣٩
اختلاف العلماء في تقليد الائمة	ما يعصم به دم الانسان وماله

الرسالة التاسعة : في مقادير فيء الروال

(١٢٦ - ١٢٧)

الرسالة العاشرة : التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

لشيخ الاسلام احمد بن حنبل

(١٢٨ - ٢٢٨)

١٢٨	١٢٨
التبرك بالحجر أو الشجر	حق الله على العباد وحق
١٢٩	١٢٩
قلال	العباد على الله
١٣٠	١٣٠
باب ما جاء في الدبج لغير الله	كل ما عبد من دون الله فهو
١٣١	١٣١
لا يدبج لله بمكان يدبج فيه	طافوت
١٣٢	١٣٢
لغير الله	فضل التوحيد
١٣٣	١٣٣
النار لغير الله شرك	سعة فضل الله وكثرة ثوابه
١٣٤	١٣٤
الاستعاذة بغير الله شرك	من حقق التوحيد دخل
١٣٥	١٣٥
الاستغاثة بغير الله شرك	الجنة بغير حساب
١٣٦	١٣٦
سبب نزول قوله تعالى :	الخوف من الشرك
١٣٧	١٣٧
« ليس لك من الأمر شيء »	الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله - الدعوة الى الله
١٣٨	١٣٨
انذاره صلى الله عليه وسلم	والاخلاص فيها
١٣٩	١٣٩
لاقربه	تفسير التوحيد
١٤٠	١٤٠
باب الشفاعة	عمليق التماثل شرك
١٤١	١٤١
المهدي هدى الله	ما جاء في الرقى والتماثل

الصفحة

٢٠٤	« فلا تجعلوا لله أندادا » .
	ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف
٢٠٥	بالله
٢٠٦	قول : ما شاء الله وشئت .
٢٠٧	من سب الدهر فقد آذى الله
	التسبيح بقاضى القضاة
٢٠٧	ونحوه
٢٠٨	احترام أسماء الله تعالى . .
	من هزل بشيء فيه ذكر الله
٢٠٨	أو القرآن أو الرسول
٢٠٩	لا يقال : السلام على الله .
٢١٢	قول : اللهم اغفر لي ان شئت
٢١٤	لا يقول : عبدى وامتى .
٢١٤	لا يرد من سأل بالله . . .
٢١٥	لا يسئل بوجه الله الا الجنة
٢١٥	ما جاء في اللغو
٢١٦	التهنى عن سب الريح .
٢١٧	يظنون بالله غير الحق .
٢١٨	ما جاء في منكرى القدر .
٢١٩	ما جاء في المصورين . . .
٢٢١	ما جاء في كثرة الحلف .
٢٢٢	ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه
٢٢٣	ما جاء في الاقسام على الله
٢٢٤	لا يستشفع بالله على خلقه
	ما جاء في حماية النبي
	صلى الله عليه وسلم
	حمى التوحيد وسد طرق
٢٢٤	الشرك
	ما جاء في قوله تعالى :
٢٢٥	« وما قلنوا الله حق قلوبنا »

الصفحة

	سبب الشرك الفسار في
١٧٧	الصالحين
	التغليظ على من عبد الله عند
١٧٩	قبر رجل صالح
	لعن الله من اتخذ قبور
١٨١	الانبياء مساجد
	سد كل طريق يؤدي الى
١٨٢	الشرك
	ما جاء ان بعض هذه الامة
١٨٣	يعبدون الاوثان
١٨٥	ما جاء في السحر
١٨٦	بيان شيء من انواع السحر
١٨٧	ما جاء في الكهان
١٨٩	ما جاء في النشرة
١٨٩	ما جاء في التطير
١٩١	ما جاء في التنجيم
١٩٢	ما جاء في الاستسقاء بالانواء
	توعد من يتخذ من دون الله
١٩٣	اندادا
١٩٤	علامة المؤمن خوفه من الله .
١٩٦	فضيلة التوكل على الله . .
	من الايمان بالله الصبر على
١٩٧	قدر الله
١٩٨	ما جاء في الرياء
	من الشرك ارادة الانسان
١٩٩	بعمله الدنيا
	التحذير من التحاكم الى
٢٠٠	الطاغوت
	من جحد شيئا من الاسماء
٢٠٣	والصفات
٢٠٣	انكار نعمة الله

الرسالة الحادية عشرة : حكم موالاة أهل الشرك

الرسالة الثانية عشرة : بيان النجاة والفكالة من موالاة المرتدين

وأهل الأشرار

(٢٤٤ - ٢٩١)

الصفحة	الصفحة
٢٧٢ . . . عرف التوحيد	٢٤٤ . . . انتهى عن موالاة المشركين
حالات اظهار الموافقة	٢٤٩ . . . معاداة الكفار والمشركين
٢٨٢ للمشركين	٢٥١ . . . موالاة المسلم للكافر
٢٨٦ مسألة الاستضعاف	٢٥٩ . . . مجانبة دين المشركين
٢٨٨ وجوب الهجرة	الرجل لا يكون مسلماً الا اذا

الرسالة الثالثة عشرة : بيان المحبة في الردة على الهبة

لشيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(٢٩٢ - ٣٥٢)

٣٢٦ . . . كلام ابي حيان في الزمخشري وتفسيره	٢٩٢ . . . الكلام على قصيدة البردة
اول من فارق الجماعة في عهد الصحابة	٢٩٣ . . . نهى الرسول صلى الله عليه وسلم من الاطراء
٢٢٨ ظهور البدع	النهى من اتخاذ الاحبار والرهبان اربابا
٢٣٠ ما ورد في فضل الشام واليمن	٢٩٦ . . . التحريم والتحليل لله وحده
٢٣٥ معنى سورة الاخلاص	٢٩٧ . . . اخلاص الدعاء لله وحده
الاستعانة بالله والتوكل عليه وحده	٢٠٠ . . . الدعاء هو العبادة
٢٣٧ لمن الله زوارات القبور	العلم بالكليات والجزئيات لله وحده
٢٤١ عدم اتخاذ القبور مساجد	٣٠١ . . . الشفاعة التي نفاها القرآن
٢٤٣ الشفاعة لله وحده	٣٠٤ . . . التوسل بدعاء الرسول وغيره
٢٤٨	٣٠٧ . . . لا يعلم الغيب الا الله
	٣٢٣ . . .

الرسالة الرابعة عشرة : قاعدة جلية في العبادة

(٣٥٣ - ٤٢١)

٣٧٥ من العبادة	٣٥٣ . . . ما هي العبادة
٣٧٩ الرزق من عند الله	العبادة لله هي الغاية المحبوبة له
٣٨٠ اذا سألت فاسأل الله	٣٥٤ . . . الطاعة لله ورسوله
٣٨٣ عبودية القلب	٣٥٧ . . . الاستغفار للذنوب
٣٨٤ خلاوة العبودية لله	٣٦٢ . . . البدع
٣٨٩ صلاح القلب	٣٦٨ . . . طعم الايمان
٣٩٠ انتهى عن الكبير	٣٦٩ . . . التوكل هو الاستعانة وهي
٣٩٦ معنى العبودية	

الصفحة	الصفحة
العبادة والخشية والتقوى	٣٩٨ . . . خلاوة الإيمان
٤٢٠ لله	٤٠٧ النساء

الرسالة الخامسة عشرة : الفرقان

لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٤٢٢ - ٥٢٢)

٤٧٠ . . . افضل الأمم أمة محمد	٤٢٤ . صفاء أولياء الله تعالى
٤٧٢ سيدنا محمد سيد ولد آدم	٤٢٥ . معنى الولاية والولي . . .
مفهوم العقل عند المسلمين	ضلال اليهود والنصارى
٤٧٧ . . . والفلاسفة	٤٢٧ . . . ومشركي مكة
تمثل الشياطين لبعض من	أعلى شعب الإيمان قول
٤٨٢ يدعى نزول الوحي عليه	٤٣٥ . . . لا إله إلا الله
٤٩٠ الله تعالى ليس كمثله شيء	٤٣٧ أولياء الله على طيقتين .
الله تعالى رب كل شيء	صفة الأبرار وأصحاب اليمين
٤٩١ ومليكه	٤٤٢٠ القنصدين والسابقين
٤٩٢ التوبة من الذنب	لا يخلد في النار أحد من
٤٩٧ سيد الاستغفار	٤٤٣ أهل التوحيد
٥٠٢ المراد بالقضاء الديني	تفاضل الناس في ولاية الله
٥٠٥ الأدمية التي تحفظ قائلها	حسب أعمالهم . . .
٥٠٨ معجزات الرسول	الإيمان المجمل والإيمان
٥٠٩ كرامات الصحابة	المفصل
٥١٢ كرامات التابعين	٤٤٥ ليس للأولياء شيء يتميزون به
٥١٩ النهي عن اتخاذ القبور مساجد	أفضل الأعمال ، الإيمان بالله
حال الضعابة عند قراءة	والجهاد في سبيله وحج
٥٢٣ القرآن	مبرور
السمع المحدث المعلوم -	٤٥٦ التكليف بحسب الطاقة
أغواء الشيطان لبعض	مناقب عمر بن الخطاب . . .
٥٢٤ الجهلة	٤٥٧ أفضل أبي بكر على عمر
٥٢٧ العمل بما في القرآن	٤٥٨ ففسر قوله تعالى :
آيات في أوصاف الجن . . .	« اتقوا الله حق تقاته »
٥٢٨ اتصال الأنس باجن محمود	كل وجد لا يشهد له الكتاب
٥٣٠ ومعلوم	والسنة فهو باطل . . .
	البحث على النظافة . . .
	٤٦٥ أوصاف أولياء الرحمن
	٤٦٦

الرسالة السادسة عشرة : الحرب المقبول من أحاديث الرسول

(٥٢٣ - ٥٦٧)

الصفحة	الصفحة
الدعاء عند عبادة المريض -	٥٣٣. الدعاء هو العبادة
الدعاء والذكر عند حضرة	٥٣٤. في آداب الدعاء
الموت - الدعاء في صلاة	استزع الدعاء أجابة دعوة
٥٥٢. الجنابة ودفنها	٥٣٥. غائب لغائب
٥٥٣. الدعاء عند زيارة القبور	أوقات قبولية الدعاء ..
دعاء الاستخارة - دعاء	٥٣٧. الدعاء عند القيام من النوم
الحاجة - خطبة الحاجة	الدعاء عند افتتاح صلاة
كالكناج وغيره وما يتعلق	٥٣٨. الليل
به - الدعاء عند دخول	٥٣٩. القنوت في الوتر
٥٥٤. السوق	٥٤٠. اجابة المؤذن والدعاء بعد
الدعاء عند الكرب والغضب -	الأذان - الدعاء بعد
الدعاء عند صياح الديك	٥٤١. ركعتي الفجر
ونهيق الحمار - الدعاء	الدعاء بعد الخروج من
٥٥٥. في السفر ومشايبة المسافر	البيت - الدعاء عند دخول
الدعاء عند الاحرام والتلبية	المسجد
- دعاء الطواف والقام	٥٤٢. الدعاء والذكر عند صلاة
والصفا والروة - دعاء	الصبح والمغرب - الدعاء
٥٥٧. مرفة بمرقة	والذكر عند صلاة الصبح
الدعاء عند رؤية الهلال -	٥٤٣. والمساء
٥٥٩. دعاء الافطار	الدعاء عند الخروج من المسجد
الدعاء في ليلة القدر - الدعاء	٥٤٧. الدعاء عند دخول البيت -
عند لبس الثوب الجديد	الدعاء عند الأكل والشرب
دعاء كفارة المجلس - دعاء	- الدعاء عند دخول
حفظ القرآن - الدعاء اذا	الخلاء وخروجه - الدعاء
راى مبتلى - دعاء قضاء	٥٤٨. قبل الوضوء وبعدة
٥٦٠. الدين	الدعاء عند التكبيرة الاولى -
دعاء الاستسقاء - دعاء	الدعاء في الركوع وبعدة
الرياح والرميد والمطر -	وفي السجود وبين
دعاء التوبة - صلاة	٥٤٩. السجدين
التسبيح - الدعاء عند	٥٥٠. التشهد والصلاة على النبي
رؤية الثمار الجديدة -	٥٥١. الدعاء والذكر بعد الصلاة
٥٦١. الدعاء عند رؤية المرأة	

الصفحة	الصفحة
٥٦٤ . . . جامع الدعاء	اسم الله الأعظم - أسماء
٥٦٥ . . . الدعاء عند النوم	الله تعالى - باب
	الاستعاذة . . . ٥٦٢

الخاتمة وفيها خمسة فصول

(٥٦٨ - ٥٧٥)

٥٧١ . . . التهليل والتكبير	الفصل الأول في ذكر الله
٥٧٢ . . . الاستغفار والتوبة	من وجيل . . . ٥٦٨
٥٧٣ . . . الفصل الخامس في فضل الصلاة والسلام على النبي	الفصل الثاني في فضل تلاوة القرآن وفضائل سورة
٥٧٥	الفصل الثالث في فضل التسميع والتحميد
٥٧٦	محتويات الكتاب . . .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شيخ الاسلام احمد بن نيمية
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

نسبه :

هو أحمد بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس تقي الدين
ابن نيمية .

مولده :

ولد بمران (من أعمال دمشق) في العاشر من ربيع الأول سنة
٦٦١ هجرية الموافق سنة ١٣٦٣ ميلادية ، وكاف ولادته في فترة تعتبر
من أشد الفترات ابتلاء للمسلمين .

حياته :

وافق والده مهاجرا الى دمشق سنة ٦٦٧ وكانت حافلة بالعلماء
والمدارس . وبدأ تلقى علم التفسير والحديث والفقه ، والخط
والحساب . وساعده في ذلك ذكاؤه الخارق وقوة حفظه . وقد نشأ
من صغره ميالا للمعرفة شغوقا ، بالعلم والتحصيل حتى فاق كل أقرانه .
وناظر العلماء . وأفتى ودرس وهو دون العشرين وتولى بعض المناصب
وله إحدى وعشرون سنة . واقتصر صيته في تفسير القرآن . وانتهت
اليه الامامة في العلم والعمل والزهد والورع حتى سمي محيي السنة
وآخر المجتهدين ولم يتجاوز الثلاثين ، واتسعت شهرته وكثر حساده
وفازوا بالكيد له وحوكم في مصر وسجن سنة ونصف سنة وبعد خروجه
من السجن عقدوا مناظرة وفاز بها على خصومه . وبالاقتناء أيضا ثم
غضب عليه السلطان وقام الى بلاد الشام .

وعاد ، وثارت ثائرة خصومه ، وأوغروا صدر سلطانه وحجروا عليه فى القلعة ، فاتخذها فرصة طيبة للتفرغ للعلم والعبادة وقال فى ذلك ، قد فتح الله على فى هذا الحصن فى هذه المدة من معانى القرآن ، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي فى غير معانى القرآن •

لقد بلغت مصنفات الامام ابن تيمية ثلاثمائة مجلد ، فى التفسير ، والفقه ، والأصول ، والفتاوى ، والقواعد الدينية ، والرد على الفلاسفة ولمواضع أخرى ••

وفاته :

توفاه الله ليلة اثنين والعشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هجرية فى سجنه بقلعة دمشق • وكان مشهد تشييعه الى مقره الأخير أمرا عظيما ، فقد تراحم الناس وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب واثناء عليه والدعاء له ، قال ابن كثير : « انه لم يتخلف عن الحضور الا من لم يستطع الى ذلك سبيلا » •• رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته •

الناشر

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
(١١١٥ - ١٢٠٩ هـ)

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد
ابن راشد التيمي الحنبلي • ولد في بلدة (العيينة) الواقعة شمال
الرياض سنة ١١١٥ هجرية (١٧٠٣ ميلادية) •

استظهر القرآن قبل بلوغه العاشرة ، درس على والده الفقه الحنبلي
والتفسير والحديث • واعتنى بدراسة كتب شيخ الاسلام أحمد
ابن تيمية ، وابن القيم رحمهما الله •

حج مكة وزار المدينة وأخذ العلم بها عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم
وتعرف بالمحدث الشيخ محمد حياة سندی •

زار البصرة والتبريز والشام وأخذ العلم عن كبار علماءها • وقلت
تففته فقل راجعا الى (الأحساء) حيث نزل بها الشيخ عبد الله
ابن عبد اللطيف الشافعي وتوجه بعد ذلك الى (حريملا) من قرى
نجد لاحقا بوالده للشيخ عبد الوهاب الذي حل بها • ولازم أباه
يستزيد من معين علمه •

رأى الشيخ بما وهبه الله من فكر واع ونظر ثاقب ما بالبلاد التي
رحل اليها من العقائد والعادات الفاسدة والبدع الضالة • فعزم على
القيام بدعوته •

وقادى بالرجوع الى تعاليم الدين وتعاليم الرسول وحارب البدع ،
غير مقيم وزنا الا لما نص عليه القرآن صراحة أو ما عرف عن رسول
الله سنة مؤكدة وحارب بعنف وصلابة تقديس الأولياء وجعلهم واسطة
بين الخلق والمخلوق ، وقادى بدم الأضرحة والمزارات وإزالة معالمها
اقتداء بما كانت عليه أيام رسول الله •

ولاقى الكثير من الأذى حتى قىض الله له الغلبة على أهل الضلالة .
ونشر دعوة الإصلاح والتجديد . وسمى بحق المجدد والمصلح .

ولا يفوتنا في هذه العجالة من ذكر ما كان للأمير محمد بن سعود
(أمير الدرعية) وآله من أياذ بيضاء فأصع في تلصيم وتثييت هذه
الدعوة الكريمة حتى علا صوت الحق على الباطل .

انتقل الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب الى جوار ربه في شهر
ذي القعدة سنة ١٢٠٦ هجرية ، مخلفا وراءه العمل الصالح والذكر
الطيب ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

* * *

الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : اعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ،
ولا يشركوا به شيئاً . قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون » (١) .

والعبادة : هي التوحيد ، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه .
كما قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
المطغوت » (٢) .

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد
الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

أما توحيد الربوبية ، فهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولم يخلهم في الاسلام ، وقاتلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم ، وهو توحيد بضم
تعالى . والدليل قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض
امن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت
من الحي ، ومن ينير الأمر ، فسيقولون الله ، فقل الا تتقون » (٣)
« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل الا
تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب المرش العظيم . سيقولون
الله ، قل الا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجز ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون الله ، قل فاني تسبحون » (٤) والآيات
على هذا كثيرة جدا ، أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر .

الأصل الثاني : هو توحيد الألوهية ، فهو الذي وقع فيه النزاع

(١) الداريات : ٥٦ . (٢) النحل : ٣٦ .
(٣) يونس : ٣١ . (٤) المؤمنون : ٨٤ - ٨٦ .

في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كاللذء ، والنذرء ، والنحرء ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والالافاءء .
ودليل اللءاء قوله تعالى : « وقال ربكم اءمءونى اسءءب لكم ،
ان اللءن يسءكبرون عن عبادى سىءخلقون جهنم ءاخرى » (١) وكل نوع
من هذه الأنواع عليها دليل من القرآن .

وأصل العبادة : ءءرىء الاءلاص لله تعالى وحءء ، وءءرىء الءابءة
لرءول صلى الله عله وسلم قال تعالى : « وان المساءء لله فلا ءمعوا
مع الله اءءا » (٢) وقال تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رءول
الا نوحى الیه انه لا اله الا انا فامءبون » (٣) . وقال تعالى : « له ءعوة
الحق » الى قوله تعالى : « وما ءعاء الكافرىن الا فى ضلال » (٤)
وقال تعالى : « ذلك بان الله هو الحق وان ما ءءعون من ءونه هو
الباطل وان الله هو العلى الكءبر » (٥) والاءاء مءلوماء . وقال تعالى :
« وما آءاكم الرءول فخلقوه وما نهاكم عنه فانءهوا » (٦) . وقال تعالى :
« قل ان كءتم ءءبون الله فاءبعونى یءیبكم الله ویغفر لكم ءنوبكم والله
غفور رحیم » (٧) .

الأصل الءالء : فهو ءوءىء الءاء والاسماء والصفات . وقال
تعالى : « قل هو الله اءءء الله الصءءء ، لم یءء ولم یوءءء ، ولم یكن
له كفوا اءءء » (٨) . وقال تعالى « وله الاسماء العءنى فاءعوه بها ،
وءروا اللءن یلءعون فى اسمائه » سىءجزون ما كانوا یءملون » (٩) .
وقال تعالى : « لیس كمءله شءءء وهو السمع البصر » (١٠) .
ثم اعلم ان ضءء ءوءىء الشركء ، وهو ءلانة أنواع : شرك اكبرء ،
وشرك اصفرء ، وشرك ءفىء .

والءلئل على الشرك الاكبرء قوله تعالى « ان الله لا یغفر ان یشرءء
به ویغفر ما ءون ذلك لمن یشاءء ، ومن یشرءء بالله فقد ضل ضلالا

(١) غافر : ٦٠	(٢) الجن : ١٨
(٣) الانباء : ٢٥	(٤) الرءءء : ١٤
(٥) الحج : ٦٢	(٦) الحشر : ٧
(٧) آل عمران : ٢١	(٨) سورة الاءلاص
(٩) الامراءء : ١٨٠	(١٠) الشورى : ١١

بعيننا» (١) « وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ،
أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين
من أنصار » (٢) .

وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدموة . والدليل قوله تعالى : « فإذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم
يشركون » (٣) .

النوع الثاني : شرك النية والارادة والقصد ، والدليل قوله تعالى :
« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون » (٤) .

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : « اتخولوا
أحبائهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا
ليعبدوا الله واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » (٥) .
وتفسيرها الذي لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية ،
لادعائهم إياهم ، كما فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم
لما سأله ، فقال : لسنا نعبدكم ، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في
المعصية (٦) .

النوع الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : « ومن الناس من
يتخذ من دون الله آلهة يحبونهم كحب الله » (٧) .

والنوع الثاني (٨) : شرك أصغر ، وهو ظرياء ، والدليل قوله تعالى :
« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا » (٩) .

(١) النساء : ١١٦	(٢) المائدة : ٧٢
(٣) العنكبوت : ٦٥	(٤) هود : ١٥ ، ١٦
(٥) التوبة : ٣١	(٦) رواه الترمذي
(٧) البقرة : ١٦٥	
(٨) أي من أنواع الشرك الثلاثة (شرك أكبر ، وشرك أصغر)	
وشرك خفي) .	(٩) الكهف : ١١٠ .

والنوع الثالث : شرك خفى ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « الشرك أخفى فى أمتى من ديب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء » .

وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم ، وأستغفرك من الذنب الذى لا أعلم » (١) .

فالكفر كفران : كفر يخرج من الملة ، وهو خمسة أنواع :

النوع الأول : كفر التكذيب ، والدليل قوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ، أليس فى جهنم مثوى للكافرين » (٢) .

النوع الثانى : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق ، والدليل قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٣) .

النوع الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى : « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ، وقتن رددت الى ربي لأجسدن خيرا منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لئنأ هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا » (٤) .

النوع الرابع : كفر الاعراض ، والدليل قوله تعالى : « والذين كفروا عما أنذروا معرضون » (٥) .

النوع الخامس : كفر النفاق ، والدليل قوله تعالى : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » (٦) .

وكفر أصغر لا يخرج من الملة ، وهو كفر النعمة ، والدليل قوله تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من

(١) رواه الحاكم وأبو نعيم عن عائشة .

(٢) المكنوت : ٦٨ (٣) البقرة : ٣٤

(٤) الكهف : ٣٥ - ٢٨ (٥) الأحقاف : ٣ .

(٦) المنافقون : ٣

كل مكان ، فكفرت بآلهم الله فإذا قمها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» (١)

وأما النفاق فنوعان : اعتقادي ، وعملي .

فأما الاعتقادي ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول .

وأما العملي : فهو خمسة أنواع ، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أومن خان » وفي حديث آخر « وإذا خاف من فجر ، وإذا عاهد غدر » (٢) .
فهذه الأنواع الخمسة (٣) وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار . نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب ، والله أعلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى : (أنه من) الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل :

الأولى : أن الله خلقنا ، ولم يخلقنا عبثا ، ولم يتركنا هملا ، بل أرسل إلينا رسولا ، وعنده كتاب ، من أطاعه فهو في الجنة ، ومن عصاه فهو في النار . والدليل قوله تعالى : « أنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخلا ويلا » (٤) .

المسألة الثانية : أن أعظم ما جاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع الله في عبادته أحد ، والدليل قوله : « وإن الساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » (٥) .

(١) النحل : ١١٢ (٢) صحيح مسلم وغيره

(٣) أي أنواع الكفر المخرج من الملة .

(٤) الزمل : ١٥ ، ١٦ (٥) الجن : ١٨

المسألة الثالثة : أن من وحد الله وعبد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، والدليل قوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وبدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢) .

فأما صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها ، وتكفر أهلها وتعادهم .

وأما معنى الإيمان بالله ، أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعادهم ، وهذه ملة إبراهيم التي سلفه من رغب عنها .

وهذه من الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما نعبدوا من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٣) .

والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة فهو طاغوت ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة .

الأول : الشيطان الداعى الى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى :
« ألم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين » (١) .

الثانى : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ، والدليل قوله تعالى :
« ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ،
يريدون ان يتحاثموا الى الطافوت وقد أمروا ان يكفسروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا » (٢) .

الثالث : الذى يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى :
« ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » (٣) .

الرابع : الذى يدعى علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى :
« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارضى من رسول فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » (٤) . وقال تعالى « وعنده
مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البحر والبحسر ، وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس
الا فى كتاب مبين » (٥) .

الخامس : الذى يعبد من دون الله وهو راضى بالعبادة ، والدليل
قوله تعالى : « ومن يقل منهم اتى الله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزي الظالمين » (٦) .

واعلم ان الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطافوت ،
والدليل قوله تعالى : « فمن يكفر بالطافوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (٧) .

الرشد : دين محمد صلى الله عليه وسلم ، والنفى : دين أبى جهل .
والعروة الوثقى : شهادة أن لا اله الا الله ، وهى متفصلة للنفى والاثبات ،
تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها
له وحده لا شريك له .



(١) يس : ٦٠	(٢) النساء : ٦٠
(٣) المائدة : ٤٤	(٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(٥) الأنعام : ٥٩	(٦) الأنبياء : ٢٩
(٧) البقرة : ٢٥٦ واولها : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغنى فمن ... »	

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول : وهي معرفة
ربه ، ودينه ونبيه .

الأصل الأول : اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله الذي رباني
بنعمته ، وخلقني من عدم الى وجود ، والدليل قوله تعالى : « ان الله
ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (١) .

واذا قيل لك : بأي شيء عرفت بك ؟ فقل : عرفته بآياته
ومخلوقاته ، فاما الدليل على آياته فقوله تعالى : « ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ، ولا للقمر ، واسجدوا لله
الذي خلقهن ان كنتم ايها تعبدون » (٢) .

ودليل مخلوقاته قوله تعالى : « ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه
حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والامر ،
تبارك الله رب العالمين » (٣) .

واذا قيل لك : لأي شيء خلقك الله ؟ فقل : خلقني لعباده وطاعته
واتباع امره واجتناب نهيه ، ودليل العبادة قوله تعالى : « وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون .
ان الله هو الرزاق ذو القسوة المتين » (٤) . ودليل الطاعة قوله تعالى :
« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ،
فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » (٥) .

يعنى كتاب الله وسنة نبيه .

واذا قيل لك : أي شيء أمرك الله به وأي شيء نهاك عنه ؟ فقل :
أمرني بالتوحيد ونهاني عن الشرك .

(٢) فصلت : ٣٧
(٤) الداريات : ٥٦ — ٥٨

(١) آل عمران : ٥١
(٣) الأعراف : ٥٤
(٥) النساء : ٥٩ .

ودليل الأمر قوله تعالى : « أن الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » (١) . ودليل النهى عن الشرك قوله تعالى : « أن الله لا يقبل من يشرك به ، ويقفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) و « أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وملواه النار وما للظالمين من أنصار » (٣) .

الأصل الثانى : اذا قيل لك : ما دينك ؟ فقل : دينى الاسلام ، وهو الامتسلام والاذعان والالتحاق الى الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : « أن الدين عند الله الاسلام » (٤) ، « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٥) .

وهو مبنى على خمسة أركان : أولها شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً .

ثانياً دليل الشهادة فقوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » (٦) . ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٧) .

ودليل الزكاة قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم » (٨) . ودليل الصوم قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » (٩) .

واذا قيل لك : الصيام شهر ؟ فقل : نعم ، والليل قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (١٠) .

(١) النحل : ٩٠ .

(٢) النساء : ١١٦ وتامها : « ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً »

(٣) آل عمران : ١١٦

(٤) المائدة : ٧٢

(٥) آل عمران : ١٨

(٦) آل عمران : ٨٥

(٧) البقرة : ١٨٥

(٨) الأحراب : ٤٠

(٩) البقرة : ١٨٥

(١٠) البقرة : ١٨٣

واذا قيل لك : السيام فى الليل أو فى النهار ؟ فقل : فى النهار ، والدليل قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم انموا الصيام الى الليل » (١) .

ودليل الحج قوله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » (٢) .

واذا قيل لك : وما الايمان ؟ فقل : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » (٣) .

ودليل القدر قوله تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقدر » (٤) .

واذا قيل لك : وما الاحسان ؟ فقل : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، والدليل قوله تعالى : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٥) .

واذا قيل لك : منكر البعث كافر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسر » (٦) .

الأصل الثالث : اذا قيل لك : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل ، واسماعيل من ابراهيم ، وابراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب . والدليل قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له اكن فيكون » (٧) .

واذا قيل لك : من أول الرسل ؟ فقل : أولهم نوح وآخرهم ع

(٢) آل عمران : ٩٧

(٤) القمر : ٤٩

(٦) التغابن : ٧

(١) البقرة : ١٨٧

(٣) البقرة : ٢٨٥

(٥) النحل : ١٢٨

(٧) آل عمران : ٥٩ .

وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والدليل قوله تعالى : « **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** » (١) .

وإذا قيل لك : بينهم رسل ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت** » (٢) .
وإذا قيل لك : محمد بشرا ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « **قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما ألهم الله واحسد ، فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » (٣) .

وإذا قيل لك : محمد عبد ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** » (٤) .

وإذا قيل لك : كم عمره ؟ فقل : ثلاث وستون سنة ، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا ، نبيء بـ « **اقرأ** » ، وأرسل بـ « **الذئب** » ، وخرج على الناس فقال : « **يا أيها الناس اتى رسول الله اليكم جميعا** » (٥) .

فكذبوه وآذوه وطردوه وقالوا : ساحر كذاب ، فأنزل الله عليه : « **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** » (٦) .
بلده مكة ، وولد فيه ، وهاجر الى المدينة وبها توفي ، ودفن جده ، وبقي علمه ، نبي لا يميد ، ورسول لا يكذب ، بل يطاع ويتبع ، صلوات الله وسلامه عليه .



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

وبعد .. فهذه أربع قواعد من قواعد الدين ، يميز بها المسلم دينه من دين المشركين .

(١) النساء : ١٦٣	(٢) النحل : ٣٦
(٢) الكهف : ١١٠	(٤) الاسراء : ١
(٥) الاعراف : ١٥٨	(٦) البقرة : ٢٣
(٢ — مجموعة التوحيد)	

القاعدة الأولى : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية ، يشهدون أن الله هو الخالق . الرازق ، المحيي المميت ، المدير لجميع الأمور ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، والدليل قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض امن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن ينبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل ألا تتقون » (١) .

القاعدة الثانية : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرادوا ممن قصدوا الاقربة وشفاعة . والقربة : قوله تعالى : « والذين اتخلوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار » (٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل انبشون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٣) .

القاعدة الثالثة : بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل الأرض وهم على أديان مختلفة . وعبادات متفرقة ، منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النبيين والصالحين ، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم ، والدليل قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٤) .

ودليل الملائكة قوله تعالى :

« ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون » (٥) .

ودليل النبيين قوله تعالى :

« واذا قال الله يا عيسى ابن مريم ائت قل للناس اتخلونى وامى الهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ،

(٢) الزمر : ٣

(٤) الأنفال : ٣٩

(١) يونس : ٣١

(٢) يونس : ١٨

(٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١

ان كنت قلت له فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما امرتني به ان امسحوا الله دوى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم . وانت على كل شيء شهيد . ان تعلمهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم (١) .

ودليل الصالحين قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محظورا » (٢) .

ودليل الاحجار والاشجار قوله تعالى : « فترأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى » (٣) .

القاعدة الرابعة : ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخلصون في الشدة ، ويشركون في الرخاء .

والدليل قوله تعالى : « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » (٤) .

وأهل زماننا هذا يشركون في الشدة ، وفي الرخاء كذلك . والله أعلم (٥) .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله ؟

(١) المائدة : ١١٦ — ١١٨ (٢) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

(٣) النجم : ١٩ ، ٢٠ (٤) العنكبوت : ٢٥

(٥) منهم : عباد القبور الان الذين يعتقدون شركهم وجهلهم وضلالهم قربة تقربهم الى الله ، وعلماء الضلال ودعاة البدعة يحرفون الكلم عن مواضعه ، قال شرك الاكبر جعلوه توسلا وطاعة ، ومع ذلك يضللون من دان الله بالتوحيد المخلص واقرده بالعبادة .

وما احسن ما قال ابن القيم :

هربوا من الرق الذي خلقوا له فلبوا برق النفس والشيطان

وقوله ايضا :

وخصومنا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والايمان

قلت : طاعته : بامثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله ؟ قلت : من أنواعها الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وذبح القربان ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والاثابة ، والمحبة . والخشية ، والرغبة ، والرغبة ، والتأله ، والركوع ، والسجود ، والخشوع ، والتذلل ، والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية .

ودليل الدعاء قوله تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » (١) .

الى قوله تعالى : « وما دعاء الكافرين الا في ضلال » (٢) .

وقوله تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » (٣) .

ودليل الاستمانة قوله تعالى : « أياك نعبد وأياك نستعين » (٤) .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » (٥) .

ودليل اللبغ قوله تعالى : « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك امرت وبقا اول المسلمين » (٦) .

ودليل النذر قوله تعالى : « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا » (٧) .

ودليل الخوف قوله تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٨) .

ودليل الرجاء قوله تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٩) .

ودليل التوكل قوله تعالى : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (١٠) .

(١) الجن : ١٨	(٢) الرعد : ١٤
(٣) الرعد : ١٤	(٤) الفاتحة : ٥
(٥) الانفال : ٩	(٦) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣
(٧) الانسان : ٧	(٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) الكهف : ١١٠	(١٠) المائدة : ٢٣

- ودليل الانابة قوله تعالى : « واتييوا الى ربكم واسلموا له » (١) .
- ودليل المحبة قوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا اشد حبا لله » (٢) .
- ودليل الخشية قوله تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون » (٣) .
- ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى : « انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » (٤) .
- ودليل التاله قوله تعالى : « والهمكم الله واحدا لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (٥) .
- ودليل الركوع والسجود قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » (٦) .
- ودليل الخشوع قوله تعالى : « وان من اهل الكتاب من يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله ، لا يشسترون بآيات الله ثمنا قليلا » (٧) . الآية ونحوها ، فمن صرف شيئا من هذه الانواع لغير الله فقد أشرك بالله غيره .
- فان قيل : فما أجل أمر الله به عباده ؟ فقل : توحيده بالعبادة . وقد تقدم بيانه ، وأعظم نهى الله عنه الشرك به ، وهو أن يلدع مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله ، فقد اتخذ ربا والها ، وأشرك مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه ، وأنكره على المشركين .
- وقد قال تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا » (٨) .
- وقال تعالى : « ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار » (٩) .

* * *

(١) الزمر : ٥٤	(٢) البقرة : ١٦٥
(٣) المائدة : ٤٤	(٤) الأنبياء : ٩٠
(٥) البقرة : ١٦٣	(٦) الحج : ٧٧
(٧) آل عمران : ١٩٩	(٨) النساء : ١١٦
(٩) المائدة : ٧٢	

**بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين**

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » •

قال الشيخ رحمه الله تعالى : تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل :
الآية الأولى : فيها المحبة : ان الله منعم ، والمنعم يحب على قدر انعامه •
والمحبة تنقسم على أربعة أنواع :

محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم : « ومن الناس من يتخذ من
دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » الى قوله : « وما هم بخارجين من
النار » (١) •

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله ، وهذه صفة
المنافقين •

المحبة الثالثة : طبيعية ، وهي محبة المال والوند ، اذا لم تشغل
عن طاعة الله ولا تعين على محارم الله ، فهي مباحة •

والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهل الشرك ، وهي
أوثق عرى الايمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه •
الآية الثانية : فيها الرجاء •

والآية الثالثة : فيها الخوف « اياك نعبد » ، أى امبدك يا رب
بما مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ورجائك ، وخوفك ، فهذه الثلاث أركان
العبادة ، وصرفها لغير الله شرك • وفى هذه الثلاث الرد على من تعلق
بواحدة منهن ، كمن تعلق بالمحبة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحده ،
أو تعلق بالخوف وحده • فمن صرف واحدة منهن لغير الله فقد أشرك •
وفيهما من الفوائد الرد على الثلاث الطوائف التى كل طائفة تتعلق
بواحدة منها ، كمن عبد الله بالمحبة وحدها • وكذلك من عبد الله بالرجاء
وحده ، كالمرجئة ، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده ، كالخوارج •
« اياك نعبد و اياك نستعين » فيها توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية
« اياك نعبد » فيها توحيد الألوهية ، « و اياك نستعين » فيها توحيد
الربوبية « اهدنا الصراط المستقيم » ، فيها الرد على المعتدين •

وأما الآيتان الأخيرتان ، ففيهما من القوائد ذكر أحوال الناس ،
قسمهم الله ثلاثة أصناف : منعم عليه ، ومغضوب عليه ، وضال .
فـ « المغضوب عليهم » : أهل علم ليس معه عمل . و « الضالين » :
أهل عبادة ليس معها علم وإن (كان) سبب النزول في اليهود والنصارى ،
فهي لكل من اتصف بذلك .

الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهو المنعم عليهم ، وفيها من
القوائد التبرى من الحول والقوة ، لأنه منعم عليه . وكذلك فيها معرفة
الله على التمام ، ونفى النقائص عنه تبارك وتعالى . وفيها معرفة الانسان
ربه ، ومعرفة نفسه ، فانه اذا كان رب ، فلا بد من مروب ، واذا كان
هناك راحم ، فلا بد من مرحوم ، واذا كان هنا مالك ، فلا بد من مملوك ،
واذا كان هنا عبد ، فلا بد من معبود ، واذا كان هنا هاد ، فلا بد من مهدي ،
واذا كان هنا منعم عليه ، فلا بد من منعم ، واذا كان هنا مغضوب عليه ،
فلا بد من غاضب .

فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفى النقائص عن
الله عز وجل ، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، والله أعلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه بمنه
وكرمه آمين :

تأمل رحمك الله ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهما حسنا ،
لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ، ودين المشركين لتتركه ، فإن
أكثر من يدعى الدين ، ويدعى أنه من الموحدين لا يفهم السنة كما
ينبغي .

الأولى : قصة نزول الوحي ، وفيها أن أول ما أرسله الله به :

« يا ايها المدثر . قسم فانذر » (١) فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء
كثيرة ، ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا ، وعرفت أيضا أنهم

يفعلون شيئاً من العبادة ، ويتقربون بها الى الله ، مثل الحج ، والعمرة ، والصدقة على المساكين ، وغير ذلك وأجلها عندهم : لشرك . فهو أحل ما يتقربون به الى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا : « ما نصبهم الا ليقرّبوا الى الله زلفى » (١) .

وقال تعالى : « أنهم اتخلوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون » (٢) .

فأول ما أمر به الانذار عنه ، قبل الانذار عن الزنا وغيره ، عرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ، ويقولون : ما نريد منهم الا شعاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه في أول آية أرسل بها ، فإن أحكمت هذه المسألة ، فإبشراك ، خصوصاً اذا عرفت أن ما بعدها أعظم من صلاة الخمس ، ولم تفرض الا في ليلة الاسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين .

فاذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة ، والعداوة البالغة لكل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة .

الموضع الثاني : أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ، واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، الى أن صرح بسب دينهم ، وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا .

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ولا الصالحين لكن لما ذكر أنهم لا يلعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتماً .

فاذا عرفت هذه عرفت أن الانسان لا يستقيم له اسلام ولو وحده الله وترك الشرك ، الا بعداوة المشركين والتصریح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » (٣) .

فاذا فهمت هذا فهما جيدا ، عرفت أن كثيرا من الذين يدعون الدين لا يعرفونها ، والا فما الذى حمل المسلمين على الصبر على ذلك والمذاب ، والأسر ، والضرب ، والهجرة الى الحبشة ، مع أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذى في الله جصل . فتنة الناس كعذاب الله » (١) .

فاذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه ، فكيف بعير ذلك .

الموضع الثالث : قصة قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم بحضرتهم ، فلما بلغ « أفرايتم اللات والعزى » (٢) ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرائيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، ففرحوا بذلك وقالوا كلاما معناه : هذا الذى نريد ، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده . فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه . فشاع الخبر أنهم صادقوه (٣) . وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عادوا الى أشركا كانوا عليه ، ولما قالوا له : انك قلت ذلك ، خاف من الله خوفا عظيما ، حتى أنزل الله عليه « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى . ألقى الشيطان في أمنيته » (٤) الآية ، فمن فهم هذه القصة لم شك بعدها فى دين النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين ، فأبعده ، خصوصا أن عرف أن قولهم تلك الغرائيق (٥) ، الملائكة .

الموضع الرابع : قصة أبى طالب فمن فهمها فهما حسنا ، وتأمل اقراره بالتوحيد ، وحث الناس عليه ، وتسفيه عقول المشركين ، ومحبة لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته فى نصرة

(١) العنكبوت : ١٠ (٢) النجم : ١٩

(٣) أى تابعوا النبى وآمنوا به . (٤) الحج : ٥٢

(٥) مسألة الغرائيق كثر فيها القال والقال ، فمنهم من انكرها بقله ، الخ . كما فى « فتح البارى » لابن حجر ، و « فتح القدير » للشوكانى . وحكى فى « جمع البيان » للصفوى أنها من وضع الزنادقة . والله أعلم . بحقيقة الحال . وقال ناصر الدين الألبانى : هذه باطلة لا تصح ، وليس لها أسناد تقوم به الحجة ، وعامة طرقها مراسيل لا تصلح للتقوية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن مات ، ثم صبره على المشقة العظيمة ، لكن (لما) لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً ، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم ، ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى » (١) الآية . والذي يبين هذا أنه اذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء يحب الدين ويحب المسلمين ، مع أنه لم ينصر الدين بيد ولا مال ، ولا له من الأعداء مثل ما لأبي طالب ، وفهم الواقع من أكثر من يدعى الدين ، تبن له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الأفهام ، والله المستعان .

الموضع الخامس : قصة الهجرة ، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها ، وهي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهاجر ، من غير شك في الدين ، وفي تزين دين المشركين ، ولكن محبة الأهل والمال ، والوطن فلما خرجوا الى بدر خرجوا مع المشركين كارهين ، قتل بعضهم بالرماية ، والرامي لا يعرفه ، فلما سمع الصحابة : أن صح من القتلى فلان أو فلان ، شق عليهم وقالوا : قتلنا اخواننا ، فأنزل الله : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » الى قوله : « وكان الله عفوا غفورا » (٢) .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : قتلنا اخواننا أنه لو يبلغ عنه كلاما في الدين أو كلاما في تزين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا اخواننا ، فان الله قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه معتلن بالإيمان » (٣) .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله عليهم ، فان الملائكة تقول : « فيم كنتم » ولم يقولوا : كيف تصديقكم ؟ « قالوا كنا مستسلمين في الأرض » (٤) لم يقولوا : كذبتم مثل ما يقول الله للمجاهد الذي يقول : جاهدت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة :

(٢) النساء : ٩٧ — ٩٩

(٤) النساء : ٩٧

(١) التوبة : ١١٣

(٣) النحل : ١٠٦

كذبت ، بل قاتلت ليقال : جرىء ، وكذلك يقولون للعلم والمتصدق : كذبت بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل اجابوهم بقولهم : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » ويريد ذلك ايضاحا للمعارف والجاهل الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : « الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » (١) .

فهذا أوضح جدا أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم ، بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم : « صم بكم عمي فهم لا يرجعون » (٢) .

ومن فهم هذا الموضع والذي قبله ، فهم كلام الحسن البصري قال : ليس الايمان بالتحلى ، ولا بالتمنى ، ولكن ما وثرى القلب وصدقته الاعمال ، وذلك ان الله تعالى يقول : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (٣) .

الموضع السادس : قصة الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن سمعها ثم بقى فى قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء ، وهي قولهم : هذا هو الشرك . لكن يقولون لا اله الا الله ، ومن قالها لا يكفر بشيء . وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس (٤) معهم من الاسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا اله الا الله ، وهم بهذه اللفظة اسلام ، وحرّم الاسلام مالهم ودمهم مع اقرارهم أنهم تركوا الاسلام كله (٥) ومع علمهم بانكارهم البعث ، واستهزائهم بمن أقرب به ، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفًا لدين النبي (ﷺ) ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين بالردة الجهولة أن البدو أسلموا ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولونها وأيضًا كفر هؤلاء أغلظ

(٢) البقرة : ١٨

(١) النساء : ٩٨

(٤) في الأصل : ليسوا .

(٣) فاطر : ١٠

(٥) يزعم بعض الناس : ان من قال : لا اله الا الله دخل الجنة ، ولو لم يأت بشيء من أركان الاسلام . ولا شك أن هذا مما طغى به القلم وزل به القدم ، فان النبي صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة والنجاة من النار على القيام بأركان الاسلام ، كما في حديث معاذ وغيره ، والإنسان يدخل في الاسلام بكلمة التوحيد حكمًا ، فان أتى بأركان الاسلام ، صار مسلمًا حقيقة يستحق دخول الجنة والنجاة من النار . وتأمل ما ذكره الشيخ هنا ، فهو فصل الخطاب .

من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعنى البوادي المتصفين بما ذكرنا •
والذى بين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افرقوا فى ردتهم ،
فمنهم من كذب النبى ﷺ ، ورجعوا الى عبادة الأوثان وقالوا : لو كان
نبيا ما مات ، ومنهم من ثبت على الشهادتين • ولكن أقر بنبوة مسيلمة فلما
أن النبى ﷺ أشركه فى النبوة ، لأن مسيلمة أقام شعور زور شهدوا له
بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون
ولو جهلوا ذلك • ومن شك فى ردتهم فهو كافر ، فاذا عرفت أن العلماء
أجمعوا أن الذين كذبوهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان ، وشتوا رسول
الله ﷺ • ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة فى حال واحدة ولو ثبت على
الاسلام كله • ومنهم من أقر بالشهادتين ، وصدق طليحة فى دعواه النبوة •
ومنهم من صدق المنسى صاحب صنعاء • كل هؤلاء أجمع العلماء أنهم
سواء • ومنهم من كذب النبى ﷺ ورجع الى عبادة الأوثان على حال
واحدة • ومنهم أنواع ، آخرهم الفجاءة السلمى لما وفد على أبى بكر وذكر
له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبى بكر أن يمدّه ، فأعطاه سلاحا
ورواحل ، فاستعرض السلمى المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر
جيشا لقتاله ، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم : أنت أمير أبى بكر ، وأنا
أميره ولم أكفر • فقال : ان كنت صادقا فألق السلاح ، فألقاه ، فبعث به
الى أبى بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حى ، فاذا كان هذا حكم الصحابة
فى هذا الرجل مع اقراره بأركان الاسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يفر
من الاسلام بكلمة واحدة ؟ الا أن يقول : لا اله الا الله بلسانه مع تصريحه
بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ، ومن كتاب الله ،
ويقولون : هذا دين الخضر ، وديننا دين آبائنا ، ثم يقول هؤلاء المردة
الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله اذا قالوا : لا اله الا
الله ، سبحانك هذا بهتان عظيم •

وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئا
من الاسلام • قال : أشهد أننا كفار ، يعنى هو وجميع البوادي ،
وأشهد أن المطوع الذى يسمينا أهل اسلام أنه كافر ، آخره والحمد لله
رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم •

**بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين**

اعلم أن نواقض الاسلام عشرة نواقض (١) :

الاول : الشرك في عبادة الله . وقال الله تعالى : « ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويفغر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) و « انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار » (٣) .

ومنه الذبح لغير الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ،
ويتوكل عليهم ، كفر اجماعا .

الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك في كفرهم ، أو صحح
مذهبهم ، كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم أكمل
من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم
الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم ، ولو عمل به ، كفر .

السادس : من استهزا بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ،
كفر . والدليل قوله تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » .
لا تعتدوا قد كفرتم بمذ أيمانكم » (٤) .

السابع : السحر ، ومنه انصرف ، والعطف ، فمن فعله أو دنى به
كفر ، والدليل قوله تعالى : « وما يعلمان من احد حتى يقولان انما نحن
فئة فلا تكفر » (٥) .

(١) من أهم ما يجب على المسلم الموحد الحريص على دينه ، أن يعرف
نواقض الاسلام ، فإن أكثر الناس يجهلها ولا يعرفها ، فلهذا وقفوا في الشرك
الأكبر وهم يحسبون أنهم مهتدون .

(٢) المائدة : ٧٢

(٣) النساء : ٤٨

(٤) البقرة : ١٠٢

(٥) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

الثامن : مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : « ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » (١) .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر (الخروج) عن شريعة موسى عليه السلام ، فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : « ومن الظالم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون » (٢) .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، الا المكره ، كلها من أعظم ما يكون خطرا ، وأكثر ما يكون وقوعا ، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منهما على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه وسلم .

وبعد .. فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في قوله : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » (٣) .

فهذا كلام وجيز يبين غربة الدين لمن تدبره ، وهو عشر درجات : الأولى : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة وقد خالف فيها من خالف (٤) .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف .

(٢) السجدة : ٢٢

(١) السائدة : ٥١

(٣) الجن : ١٨

(٤) أي لأنها شرك ، وصرف للعبادة لمن لا يستحقها ، والمشركون خالفوا في ذلك فاعتقدوا جواز الشرك وصرف العبادة لغير الله ، والدعاء من العبادة ، فخالفوا الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم واعتقدوا الباطل ، وعملوا به .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف .

الخامسة : أن المسلم إذا اعتنقه أو دان به كفر ، وقد خالف فيها من خالف .

السادسة : أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلا أو خائفا أو طامعا ، كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدق بها ؟ وقد خالف فيها من خالف .

السابعة : أنك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف .

الثامنة : أن هذا معنى لا اله الا الله . والاله . هو المألوه . والآله : عمل من الأعمال ، وكونه منقيا عن غير الله ترك من التروك .

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .
العاشرة : أن الداعي لغير الله لا يقبل منه الجزية^(١) كما يقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ كفرا . وكل درجة من هذه الدرجات إذا علمت بها تخلف عنك بعض من كان معك ، والله أعلم .

قوله : عند كل درجة . وقد خالف فيها من خالف ناس يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس ما يكفرون بالطاغوت ، ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم بل ملة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، وهكذا سائر الدرجات ، والله أعلم .

قوله تعالى : « قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين . وإن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فأنك اذن من الظالمين »^(٢) .

(١) لأن الجزية لا تؤخذ الا من اليهود والنصارى والمجوس على القول الصحيح الراجح من حيث الدليل ، والخلاف مشهور .

(٢) يونس : ١٠٤ - ١٠٦ .

وقوله تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١) .

فيه سبع حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل ، كما جرى لسعد مع أمه •

الحالة الثانية : ان كثيرا من الناس اذا عرف الشرك وأبغضه وتركه ، لا يفتن بما يريد الله من اجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله : « ولكن لعبد الله الذي يتوفاكم » (٢) •

الحالة الثالثة : ان قدرنا أنه ظن وجود الترك والقعل ، فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يفض هذا الغرض الا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت (٣) الذين لا يبلغون الغاية في العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم •

الحالة الرابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجهد في العمل بالدين • والجهد والصدق هو إقامة الوجه الالهي •

الحالة الخامسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الطائفتين ، فلا بد من مذهب ينتسب اليه ، فأمر أن يكون مذهب الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان « صحيحا » ، ففى الحنيفية عنه غنية •

الحالة السادسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبيا ، أو غير شيء من مقاصده ، ولو كان ديننا يظن أنه ان نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ، خصوصا عند الخوف ، أنه لا يدخل فى هذا •

الحالة السابعة : أنه ظن سلامته من ذلك ، لكن غيره من أخوانه فعله خوفا ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر ؟ فهو يجب الدين ويبغض الشرك ، وما أعز من يتخلص من هذا ، بل ما أعز من يفهمه وان لم يعمل به ، بل ما أعز من لا يظنه جنونا ، والله أعلم •

(٢) يونس : ١٠٤

(١) الروم : ٣٠

(٣) الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، من الجن والانس والاصنام ، وفى التنزيل : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » (البقرة : ٢٥٦) •

بِسْمِ

شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، والطهارة ، وستر العورة ، واجتناب النجاسة ، والعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية بالقصد .

بِسْمِ

أركان الصلاة أربعة عشر ركنا :

القيام مع القدرة ، وتكبيرة الاحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والرفع منه ، والاعتدال ، والسجود ، والرفع منه ، والجلوس بين السجدين ، والطمأنينة في الجميع ، والتشهد الأخير ، والجلوس له ، والتسليمة الأولى^(١) ، وترتيب الأركان .

بِسْمِ

مبطلات الصلاة ثمانية :

الكلام العمد ، والضحك ، والأكل ، والشرب ، وكشف العورة ، والانحراف عن جهة القبلة ، والعبت الكثير ، وحدوث النجاسة .

بِسْمِ

موجبات الصلاة ثمانية :

التكبيرات غير تكبيرة الاحرام . الثاني : قول سمع الله لمن حمده لامام ومنفرد . الثالث : قول ربنا ولك الحمد . الرابع : تسبيح الركوع . الخامس : تسبيح السجود . السادس : قول رب اغفر لي بين السجدين ، والواجب مرة . السابع : التشهد الأول لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به ، وسجد للسهو حين نسيه . الثامن : الجلوس له .

بِسْمِ

فرائض الوضوء ستة أشياء :

غسل الوجه ، وغسل اليدين الى المرفقين ، ومسح جميع الرأس ، وغسل الرجلين الى الكعبين ، والترتيب ، والموالة .

(١) الثانية سنة أو واجبة ، والصحيح ان التسليمتين ركن من اركان الصلاة .

بَسَاب

شروط الوضوء خمسة :

ماء طهور ، وكون الرجل مسلماً مميزاً^(١) ، وعدم المانع ،
ووصول الماء الى البشرة ، ودخول الوقت في دائم الحدث •

بَسَاب

نواقض الوضوء ثمانية :

الخارج من السيلين ، والخارج الفاحش من البدن ، وزوال العقل
بنوم أو غيره ، ولبس المرأة بشهوة ، ومس الفرجين لأدمى ، وغسل
الميت ، وأكل لحم الجوزور ، والردة عن الاسلام أعاذنا الله منها •
والله أعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قوله رحمه الله تعالى : أصل دين الاسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ،
والموالاتة فيه ، وتكفير من تركه •

قلت : وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله » (١)
الآية • • أمر الله تعالى لبيه أن يدعو أهل الكتاب الى معنى لا الا الا الله
الذي دعا اليه العرب وغيرهم • والكلمة : هي لا اله الا الله ، فسرهما
بقوله : « أن لا نعبد الا الله •

فقوله : « أن لا نعبد » فيه معنى لا اله ، وهو نفى العبادة عما
سوى الله •

قوله : « الا الله » هو المستثنى في كلمة الاخلاص ، فأمره تعالى أن
يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ، ونفيها عن سواه • ومثل هذه
الآية كثير يبين أن الالهية هي العبادة ، وأنها لا يصلح منها شيء لغير
الله ، كما قال تعالى : « وقفى ربك الا اياه » (٢) •

(١) الميز : العاقل الذي يستطيع فرز الشيء عن غيره وتفضيله
على سواه • (٢) آل عمران : ٦٤ (٣) الاسراء : ٢٣

معنى « قفى » : أمر ووصى ، قولان ، ومعناها واحد .

وقوله : « **إلا تعبدوا** » فيه معنى لا اله .

وقوله : « **إلا آياه** » فيه معنى لا اله ، وهذا هو توحيد العبادة هو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم : ان « **اعبدوا الله ما لكم من الله شيء** » (١)

فلا بد من قفى الشرك فى العبادة رأساً ، والبراءة منه ومن فعله ، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام : « **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انى يراء مما تعبدون . إلا الذى فطرنى** » (٢) .

فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله . وقال عنه عليه السلام : « **واعترلكم وما تمنعون من دون الله** » (٣) .

فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به فى قوله تعالى : « **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء مما تعبدون من دون الله كفرنا بكىم وبما يبتلى وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** » (٤) .

والذين معهم من الرسل ، كما ذكره ابن جرير . وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا (٥) رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، وقفى الشرك ، والمواالة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافى له ، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فأنهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك اتقى التوحيد . وقد قال تعالى فى حق من أشرك : « **وجعل له أنداداً ليضل عن سبيله** » قل تمتع بكفره قليلاً **إنك من أصحاب النار** » (٦) .

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء فى العبادة ، وأمثال هذه الآيات كثير ، فلا يكون المرأ موحداً إلا بنفى الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله .

(١) الأعراف : ٥٩ (٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٣) مريم : ٤٨ (٤) الممتحنة : ٤

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

(٦) الزمر : ٨

ثم قال رحمه الله تعالى :

الثاني : الا نذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك والمعادة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقام التوحيد الا بهذا ، وهو دين المرسل أنزلوا قومهم من الشرك ، كما قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت » (١) .

وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٢) .

وقال تعالى : « واذكر اخا عاد اذ اتى قومهم بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله » (٣) .
قوله في عبادة الله .

العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة .

قوله : « والتغليظ في ذلك » .

وهذا موجود في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : « ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين » . ولا تعبدوا مع الله الها آخر ، اني لكم منه نذير مبين » (٤) .

ولولا التغليظ لما جرى على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم ، كما هو مذكور في أسيرة مفصلا ، فانه بإذاهم بسب دينهم ، وعيب آلهتهم .

قوله رحمه الله تعالى : والمعادة فيه ، كما قال تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخلصوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل جرصد » (٥) .

والآيات في هذا كثيرة جدا ، كقوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٦) .

(١) النحل : ٣٦	(٢) الأنبياء : ٢٥
(٣) الأحقاف : ٢٠	(٤) الداريات : ٥٠ ، ٥١
(٥) التوبة : ٥	(٦) الأنفال : ٣٦

والفتنة : الشرك • ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يخص من الآيات ، فلا بد من تكفيرهم أيضا •

هذا هو مقتضى « لا اله الا الله » كلمة الاخلاص ، فلا يتم معناها الا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته ، كما في الحديث الصحيح • « من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » •

فقوله : « وكفر بما يعبدون من دون الله » تأكيداً لمنه ، فلا نكون معصوم الدم والمال الا بذلك ، فلو شك أو تردد ، ثم يعصم دمه وماله ، فهذه الأمور هي تمام التوحيد ، لأن « لا اله الا الله » قد قيدت في الأحاديث بقيود ثقال ، بالعلم ، والاخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ، فلا يكون المرء موحدا الا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ، وقبوله ، ومحبه ، والمعاداة فيه ، والموالاته ، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله يحصل ذلك •

ثم قال رحمه الله تعالى : والمخالف في ذلك أنواع : فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع ، فقبل الشرك واعتقده ديناً ، وألكر التوحيد واعتقده باطلاً ، كما هو حال الأكثر •

وسببه الجبل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء ، وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد بالكذب ، والزور ، والبهتان ، والفجور • وحجتهم قوله تعالى : « **يَلْجِئُكُم بِالْآبَاءِ** » (١) •

وهذا النوع من الناس والذين بعده ، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الاخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه ، وهو دين الاسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قص الله تعالى عنهم في كتابه •

ثم قال رحمه الله تعالى : ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يعاد أهله •

قلت : ومن المعلوم من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ، ولم يأت به وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفى الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية •

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم ، فهذا النوع أيضا لم يأت بما دلت عليه « لا اله الا الله » من نفى الشرك ، وما يقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان اجماعا ، وهو مضمون سورة « الاخلاص » ، و « قل يا ايها الكافرون » (١) •

وقوله في المتنحة (آية : ٤) « كفروا بكم » ومن لم يكفر من كفره القرآن ، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجهه •
ثم قال رحمه الله : ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه •
فالجواب : أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحدا لأنه هو الدين الذي رضي الله لعباده ، كما قال تعالى : « ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٢) •

فلو رضى بما رضى به الله وعمل لأخيه ، ولا بد من المحبة لعدم حصول الاسلام بدونها ، فلا اسلام الا بمحبة التوحيد •
وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : الاخلاص محبة الله ، واردة وجهه • فمن أحب الله أحب دينه وما لا فلا • والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص التي هي من شروط التوحيد •

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه •
قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته « لا اله الا الله » من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، فهذا ليس من الاسلام في شيء أصلا ، ولم يعصم دمه ولا ماله ، كما دل عليه الحديث المتقدم •

وقوله رحمه الله : ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ، فلم ينفه ، ولا يكون موحدا الا من نفى الشرك وتبرأ منه ومن فعله ، وكفرهم وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه « لا اله الا الله » ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها ، فليس من الاسلام في شيء ، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ، ويفين ، وصدق ، واخلاص ،

ومحبته ، وقبول ، واثقياد . وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء .
وان قال : لا اله الا الله ، فهو يعرف ما دلت عليه وما تضمنته .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره .
فأقول : هذا كالذي قبله ، لم يرفعوا رأسا بما خلقوا له من
الدين الذي بعث الله به رسوله ، وهذه الحال حال من قال الله فيهم :
« ان هم الا كالاتعام بل هم اضل سبيلا » (١) .

وقوله رحمه الله : ومنهم — وهو أشد الأنواع خطرا — من عمل
بالتوحيد ولم يعرف قدره ، ولم ينبغض من تركه ، ولم يكفرهم .

فقوله رحمه الله : وهو أشد الأنواع خطرا ، لأنه لم يعرف قدر
ما عمل به ، ولم يجيء بما يصحح توحيد من القيود الثقالة التي لا بد
منها ، لما علمت أن التوحيد يقتضي نفى الشرك ، والبراءة منه ومعاداة
أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يغتر بحاله ، وهو لم
يجيء بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الاخلاص نفيا وإثباتا .

وكذلك قوله رحمه الله : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف
قدره ، وهذا أقرب من الذي قبله ، لكن لم يصرف قدر الشرك ، لأنه
لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل :
« اتنى براء مما تعبدون . الا الذي فطرني » (٢) .

« انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبما بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا » (٣) .

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه ، من أن يكون كذلك من الولاء ،
والبراء من العابد والمعبود وبغض الشرك وأهله ، وعداوتهم .

وهذان النوعان هو الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الاسلام ،
فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الاتيان بكلمة الاخلاص ، وما
اقتضته ، على الكمال الواجب الذي يكون به موحدا ، فما أكثر
المفرورين الجاهلين بحقيقة الدين ؟

فاذا عرفت أن الله كفر أهل الشرك ، ووصفهم به في الآيات

(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٢) الفرقان : ٢٤

(٣) المتحنة : ٤

الحكمات ، كقوله : « ما كان للمشركين ان يعبروا مساجد الله شاهدين .
على انفسهم بالكفر » (١) .

وكذلك السنة .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فأهل التوحيد والسنة
يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون
ما قالوا ، ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين .
واتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقربا
الى الله ، وطلباً للجزاء من الله لا منهم .

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به . وفهوا عنه .
ولا بين ما صح عنهم ، ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم .
ولا يتحرون طاعتهم . بل هم جهال بنا أتوا به . معظومون لأغراضهم .

قلت : ما ذكره شيخ الاسلام يشبه حال هذين النوعين الآخرين .
بقي مسألة تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو عدم تكفير المعين
ابتداء لسبب — ذكره رحمه الله — أوجب له التوقف في تكفيره قبل
اقامة الحجة عليه .

قال رحمه الله تعالى : « ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات ، لا الأنبياء ،
ولا الصالحين ، ولا غيرهم ، بلفظ الاستعانة ولا بغيرها ، كما أنه لم
يشرع لأئمة السجود لميت ، ولا الى ميت ، ونحو ذلك . بل نعلم
أنه لم يشرع لأحد من هذه الأمور كلها ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بأخبار
الرسالة في كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين
ما جاء به الرسول مما يخالفه » انتهى .

قلت : فذاكر رحمه الله ما أوجب له عدم اطلاق الكفر عليهم على
التعيين خاصة ، الا بعد البيان والاصرار ، فانه قد صار أمة واحدة ،
ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العباد ، فلا يمكنه أن
يعاملهم الا بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب .

رحمه الله في ابتداء دعوته • فانه اذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب
رضي الله عنه • قال : الله خير من زيد • تمرينا نهم على نهي الشرك ،
بلين الكلام • نظرا الى المصلحة وعدم النفرة والله سبحانه وتعالى أعلم •
قال شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن رفع الله درجاته بمضاعفة
حسناته مجيبا عن ايراد أورده جهى ضال على بعض الإخوان :

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين • وصلى الله على محمد النبي الصادق الأمين ،
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما •
اما بعد •• فقد وردت علينا أسئلة من عمان ، صدرت من جهى
ضال • يستعجز بها بعض المسلمين •
فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، وما لا فائدة فيه
لا يحتاج الى الاشتغال بالجواب عنه •
فما ينبغي أن نجيب عنه قوله : ان الاسم مشتق من السمو ،
أو من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم ،
لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ، وما معنى الاشتقاق
الذي يذكره العلماء ، فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين • وان
كانا مذكورين في كتب النحاة وغيرهم ، وقد ذكرته في « فتح المجيد »
لشرح كتاب التوحيد •

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر ، فالتقدير : أصل من
أصول الايمان • كما في سؤال جبريل ، وما أجابه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين سأله قال : « الايمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ،
وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » •
وفي الحديث الصحيح : « ان أول ما خلق الله القلم • فقال له :
اكتب • فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة » أي جرى بما يكون
مما يعلمه الله تعالى • فانه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن
لو كان كيف يكون : « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض •
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » (١) •

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به إيجاد المفسد ، كقوله :
« فقتلناهم سبع سموات في يومين » (١) .

وقوله : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض » (٢) .

ويطلق ويراد به الاخبار بما سيقع مما قدر كقوله : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » (٣) .

اخبرهم في كتابهم انهم يفسدون في الأرض مرتين .
ويطلق ويراد به الأمر ، والوصية كما قال : « وقفى ربك إلا تعبدوا إلا إياه » (٤) . أى امر ووصى .

ويطلق ويراد به الحكم ، كقوله : « وقفى بينهم بالحق » (٥) .
ويطلق ويراد به القدر ، ونحو ذلك .

وأما ما زعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على عرشه لا تمنع أن يكون مستويا على غيره .

فالجواب ان نقول : قد أجمع أهل السنة والجماعة قديما وحديثا على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لا يصف به نفسه ، ولا وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو جهمي ضال مضل ، يقول على الله بلا علم . وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه : في سورة (الأعراف) ، وفي سورة (يونس) وفي سورة (الرعد) وفي سورة (طه) ، وفي سورة (الفرقان) ، وفي سورة (السجدة) ، وفي سورة (الحديد) ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش ، ولا ذكره رسوله صلى الله عليه وسلم فعلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها ، فمن أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، فهو جهمي يقول على الله ما لا يعلم . وقد قال الله تعالى :
« تعرج الملائكة والروح إليه » (٦) « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل

(٢) سبا : ١٤
(٤) الأسراء : ٢٣
(٦) المعارج : ٤

(١) فصلت : ١٢
(٣) الأسراء : ٤
(٥) الزمر : ٦٩

«الصالح يرفعه» (١) « يخافون ربهم من سوءتهم » (٢) « أنى متوفيك ورافعك إلى » (٣) « بل يرفعه الله إليه » (٤) « وهو العلى العظيم » (٥) « وهو العلى الكبير » (٦) .

علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات . ولا يجوز أن يوصف الا بذلك كله لكمال تعالى فى أوصافه ، فله الكمال المطلق فى كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش » (٧) .

فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات ، وكقوله تعالى : « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن واللائكة يسبحون بحمد ربهم » (٨) الآية .

وذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٩) الآية .

« اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » .

فقوله : « فليس فوقك شيء » نص فى أنه تعالى فوق جميع المخلوقات ، وهو الذى ورد عن الصحابة والتابعين من تفسرين وغيرهم فى معنى قوله : « الرحمن على العرش استوى » (١٠) أن معنى « استوى » استقر وارتفع وعلا ، وكلها بمعنى واحد ، لا ينكر هذا الا جهى زنديق ، يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعظيم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جدا . وقد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كبارا ، ومن ذلك كتاب « السنة » لعبد الله ابن الامام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، وكتاب « التوحيد » لامام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب « السنة » للأثرم صاحب الامام أحمد ، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمى

(٢) النحل : ٥٠
(٤) النساء : ١٥٨
(٦) سبا : ٢٣
(٨) الشورى : ٥
(١٠) طه : ٥

(١) فاطر : ١٠
(٣) آل عمران : ٥٥
(٥) البقرة : ٢٥٥
(٧) غافر : ١٥
(٩) الحديد : ٣

في رده على المرسى ، وكتاب « السنة » للخلال ، وكتاب « العلو »
للذهبي وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، والله الحمد والمنة .

وتذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنى ، فمن ذلك ما في
« الصحيح » عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالامر نكلم بالوحي ، أخذت
السموات منه رجفة - أو قال : رعدة - شديدة خوفا من الله عز وجل ،
فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ، وخروا لله سجدا ، فيكون أول
من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل
على الملائكة ، كلما مر على بماء سألها ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟
فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل
ما قاله جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره ته عز وجل » .

ففي هذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحي من فوق
السموات السبع ، فيمر بها كلها فازلها الى حيث أمره الله ، وهذا صريح
بأن الله تعالى فوق السموات على عرشه ، بآئن من خلقه : كما قال عبد الله
ابن المبارك لما قيل له : بم تعرف ربنا ؟ قال : بأنه على عرشه ،
بآئن من خلقه . وهذا قول أئمة الاسلام قاطبة ، خلافا للحمية الحلولية ،
والفلاسفة ، وأهل الوحدة ، وغيرهم من أهل البدع .

فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين وصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ان
الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتي سبقت غضبي فهو عنده
فوق العرش » . وفي حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه الذي
رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، أن انبيى صلى الله عليه
وسلم ذكر سبع سموات وما بينها ، ثم قال : « وفوق ذلك بحر ،
بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية
أوعال ، ما بين أظلافهن وركبهن ، كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق
ظهورهن العرش ، ما بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء الى سماء ،
والله تعالى فوق ذلك » (١) .

(١) ضعيف علته عبد الله بن عميرة ، قال الذهبي : فيه جهالة .

وفي حديث ابن مسعود الذي رواه عبد الرحمن بن مهدي شيخ
الامام أحمد ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله
ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين
كل سماء الى سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي
خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق
الماء ، والله تعالى فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .

والجهمية جحدوا هذه النصوص ، وعاندوا في التكذيب ، فصاروا
بذلك كفارا عند أكثر أهل السنة والجماعة ، وهذا القدر الذي ذكرنا
كاف في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من غلو الله تعالى على جميع
المخلوقات ، واستوائه على عرشه . وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب
والسنة على ذلك ، ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك لاحتمل مجلداء .

فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها في كتابه وسنة رسوله ،
وبفضل العلماء الذين هم في هذه الأمة كأنبياء بنى اسرائيل ، وعمدانا
الله الى ذلك ، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الأمة .
فيالها من نعمة ما أجلها في حق من تلقى الحق بالقبول ، وعرفه ورضى
به ، نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه ، المثنين بها عليه ، فله الحمد
لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يتنى عليه خلقه .

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به اليهم من صفات
كماله اللاتمة بجلال الله ، فاثبتوا له تعالى ما أثبت له نفسه ، وأثبت له
رسوله ، اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وعرفوه بأفعاله وعجائب
مخلوقاته ، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من
عظيم نعمه ، فعبدوا ربا أحدا صمدا ، الها واحدا ، وهو الله الذي
الإلهية وصفه فالخلق خلقه ، والمملك ملكه ، لا شريك له في الهيته ، ولا في
ربوبيته ، ولا في ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : « قل هوذا يربوب
الناس . ملك الناس . إله الناس » (١) .

ونزهوه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيه عيب ونقص ، وعن كل
ما وسنته الجهمية وأهل البدع ، مما لا يليق بجلاله وعظمته ، فمطأوه

من صفات الكمال ، وصاروا انما يعبدون عدما ، لأهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم ، فشبهوه بالناقصات تارة ، وبالمعدوم تارة ، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم .

وأما ما أورده هذا الجهمي الجاهل من آيات العلم ، كقوله تعالى : « وهو معكم أين ما كنتم » (١) « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » (٢) .

فلا منافاة بين استوائه على عرشه ، واحاطة علمه بخلقه . والسياق يدل على ذلك .

أما الآية الأولى فهي مسبوقة بقوله تعالى : « هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم » (٣) .

ذكر استواءه على عرشه ، وذكر احاطة علمه بما في الأرض والسموات ثم قال : « وهو معكم أين ما كنتم » .

أي : يعلمه المحيط بما كان وما يكون .

وأما الآية الثانية ، فهي كذلك مسبوقة بالعلم ، وختنها تعالى به فقال : « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » الى قوله : « أن الله بكل شيء عليم » (٤) .

فعلم أن المراد علمه بخلقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، كما قال تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمريبينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما » (٥) .

وهذا المعنى الذي ذكرنا ، هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية وأهل البدع ، فحرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه ، وجهلهم به وبالقرآن والسنة ، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

(٢) المجادلة : ٧

(٤) المجادلة : ٧

(١) الحديد : ٤

(٣) الحديد : ٤

(٥) الطلاق : ١٢

تقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان • ومن المعلوم أنه لا يقبل الحق إلا من طلبه •

وأما أهل البدع ، فأشربوا في قلوبهم ما وقعوا فيه من البدع والضلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون •

فاذا عرف ذلك فيتمين أن نسأل هذا الجهمي وغيره من المبتدعة عن أمور لا يسع مسلماً أن يجهلها • لأن الإسلام يتوقف على معرفتها •

فمن ذلك : ما معنى كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله ؟

وما الآلية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وما خبرها ؟

وما معنى الآلية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه ؟

وما أنواع التوحيد والقباه وأركانه ؟ وما معنى الإخلاص الذي أمر الله به عباده ، وأخبرهم أنه له وحده ؟

وما تعريف العبادة التي خلقوا لها ؟

وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحدا جهله ؟

وما معنى اسم الله تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟

وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه ؟

فالجواب عن هذا مطلوب ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن بعدهم بأحسن إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً •

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

هذه ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله تعالى وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر المسلمين آمين •

المسألة الأولى : هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحرية لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : الحمد لله ، ان كان يقدر على اظهار دينه ولا يوالى المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة رضى الله عنهم ، كأمي بكر وغيره من الصحابة الى بلدان المشركين لأجل التجارة ، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمد في « مسنده » وغيره . وان كان لا يقدر على اظهار دينه ، ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر الى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على انهى عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان درية وسببا الى اسقاط ذلك ، لم يجز وأيضا فقد يجزه ذلك الى موافقتهم أو ارضائهم . كما هو الواقع كثيرا ممن يسافر الى بلدان المشركين من فساق المسلمين . نعوذ بالله من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلدان الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة ؟

الجواب عن هذه المسألة ، هو الجواب عن التي قبلها سواء ، ولا نرق في دار الحرب أو دار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على اظهار دينه فيها ، لا يجوز له السفر اليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، أو المدة البعيدة ؟

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة ، فكل بلدة لا يقدر على اظهار دينه فيها ولا على عدم موالاته المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوما واحدا اذا كان يقدر على الخروج منها .

المسألة الرابعة في معنى قوله تبارك وتعالى : « انكم انتم مثلهم » (١) .

وقوله في الحديث : « من جامع المشرك ومسكن معه ، فانه مثله » .
الجواب : ان معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن لرجلا اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزا بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين ، من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ،

فهو كافر مثلهم وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدلل العلماء على أن الرضى بالذنوب كفاعله ، فان ادعى أن يكره ذلك بقلبه ، لم يقبل منه ، لأن الحكم على الظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافرا .

ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، الا من أنكر بلسانه وقلبه ، وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » على ظاهره وهو ، أن الذى يدعى الاسلام ويكون مع المشركين فى الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعد المشركون منهم ، فهو كافر مثلهم وان ادعى الاسلام ، الا ان كان يظهر دينه ولا يوالى المشركين .

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا فى مكة بعد ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فادعوا الاسلام ، الا أنهم أقاموا فى مكة ، يصدّهم المشركون منهم ، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقتلوا ، فثان بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا : قتلنا اخواننا ، فانزل الله تعالى فيهم : « ان الذين تولواهم الا انهم » (١) الآية .

قال السدى وغيره من المفسرين : انهم كانوا كفارا ، ولم يمدح الله منهم الا المستضعفين .

المسألة الخامسة : هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعى الاسلام : انه منافق . أم لا ؟

البواب : انه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه ، كارتداده عند الحرب على المؤمنين ، ونحو ذلك ، اجتراح الباطل ، كالذين قالوا : ان نعلم قتالا لا تباعدن ، ونحوه اذا غلب المشركون التجأ معهم ، وان غلب المسلمون التجأ اليهم ، ونحو ذلك شركين يفسد الأحياء ، وموالاتهم من دون المؤمنين ، وأشباه هذه العلامات التى ذكر الله أنها

(١) النساء : ٩٧ .

علامات للنفاق ، وصفات للمنافقين ، فانه يجوز اطلاق النفاق عليه وتسميته منافقا . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يفعلون ذلك كثيرا ، كما قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : ان الرجل ليتكلم بالكلمة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بها منافقا ، وكما قال عوف بن مالك : لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح : كذبت ، ولكنك منافق . وكذلك قال عمر فى قصة حاطب : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق . وفى رواية : دعنى أضرب عنقه فانه منافق ، واشباه ذلك كثير . وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عباد لما قال ذلك الكلام : كذبت . . ولكنك منافق ، تجادل عن المنافقين .

ولكن ينبغى أن يعرف أنه لا تلازم بين اطلاق النفاق عليه ظاهرا ، وبين كونه منافقا باطنا فاذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقا لمن اراد أن يسميه بذلك وان لم يكن منافقا فى نفس الأمر ، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الانسان مخطئا لا علم عنده ، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقا . فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه ، كما لم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم على أسيد بن حضير تسميته سمعا منافقا ، مع أنه ليس بمنافق ، ومن سكت لم ينكر عليه ، بخلاف المذبذب الذى ليس مع المسلمين ولا مع المشركين ، فانه لا يكون منافقا .

واعلم أنه لا يجوز اطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية ، أو لكونه يشاحن رجلا فى أمر دنى ، أو يفضه لذلك ، أو لكونه يخالف فى بعض الأمور التى لا يزال الناس فيها مختلفين . فليحذر الانسان أشد الحذر ، فانه قد صح فى ذلك الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ، وانما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة فى النفاق ، كالعلامات التى ذكرنا واشباهها ، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك ، وكان قصد الانسان وليته اعلاء كلمة الله ونصر دينه .

المسألة السادسة : فى الموالاة والمعاداة ، هل هى من معنى « لا اله الا الله » أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال : الله أعلم ، لكن بحسب المسلم أن يعلم أن الله

افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى « لا اله الا الله » أو لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وانما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك ، وأوجبه ، وأوجب العمل به فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه ، فمن عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها ، فهو حسن وزيادة خير . ومن لم يعرفه ، فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما اذا كان الجدل والمنازعة فيه مما يفضى الى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الايمان وجاهدوا في الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين ، فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لى . على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله تعالى أعلم ، ولله الحمد والمنة ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك فى الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركا أين ما كنت . وأن يجعلك ممن اذا أعطى شكر . واذا ابتلى صبر ، واذا أذنب لم يتغفر ، فان هذا الثلاث عنوان السعادة . اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة ابراهيم ، أن تعبد الله مخلصا له الدين ، وبذلك أمر الله جميع الناس . وخلقهم لها ، كما قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) .

فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فسدت ، كالحديث اذا دخل فى الطهارة ، كما قال تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون » (٢) .

فاذا عرفت أن الشرك اذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين فى النار ، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن ينخلصك من هذه الشبكة ، وهى الشرك بالله ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله فى كتابه :

الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين أن الله هو الخالق ، الرازق ، المحيى ، المميت ، النافع ، الضار ، الذى يدبر جميع الأمور ، وما أدخلهم فى الإسلام . والدليل قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخروج الميت من الحي ومن يدبر الأمر » هـ يونس : ١٠ ، « قل أفلا تتقون » (١) .

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما توجبتنا اليهم ودعوناهم الا لطلب القرية والشفاعة ، نريد من الله لا منهم ، لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم . ودليل القرية قوله تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى » أن الله يستجيبهم فى ما هم فيه يختلفون ، أن الله لا يهدي من هو كاذب كفار » (٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قل اتبعون الله بما لا يعلم فى السجوات ولا فى الأثرى ، سبعتنه وتطأى على يشركون » (٣) .

القاعدة الثالثة : أن النبی صلى الله عليه وسلم ظهر على قاص متفرقين فى عباداتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الصالحين ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بينهم . والبرهان قوله تعالى : « وقتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الایمن لله » (٤) .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر والاقمار » (٥) .

(١) يونس : ٢١	(٢) الزمر : ٣
(٣) يونس : ١٨	(٤) الأنفال : ٣٩
(٥) فصلات : ٢٧	

والدليل قوله تعالى : « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون » (١) .
تمت والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله . فاذا قيل لك : أى شيء معنى الرب ؟ فقل : المعبود المالك المتصرف . فاذا قيل لك : أى شيء أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل : السموات والأرض . فاذا قيل لك : أى شيء أعرفه به ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته . واذا قيل لك : أى شيء أعظم ما ترى من آياته ؟ فقل : الليل والنهار .

والدليل على ذلك قوله تعالى : « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار بطالبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » (٢) .

فاذا قيل لك : أى شيء معنى الله ؟ فقل : معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . فاذا قيل لك : لأى شيء الله خلقك ؟ فقل : لعبادته . فاذا قيل لك : أى شيء عبادته ؟ فقل : توحيده وطاعته . فاذا قيل لك : أى شيء يدل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون » (٣) .

واذا قيل لك : أى شيء أول ما فرض الله عليك ؟ فقل : كفر بالطاغوت ، وإيمان بالله .

والدليل على ذلك قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم » (٤) .

(١) العنكبوت : ٦٥ ، ٦٦ . (٢) الاعراف : ٥٤ .

(٣) الداريات : ٥٦ . (٤) البقرة ٢٥٦ .

فاذا قيل لك : أى شيء العسرة الوثقى ؟ فقل : لا اله الا الله ،
ومعنى « لا اله الا الله » لا اله : نفى الا الله . اثبات .

فاذا قيل لك : أى شيء أنت فاف ، وأى شيء أنت مثبت ؟ فقل .
فاف جميع ما كان يعبد من دون الله ، ومثبت العبادة لله وحده
لا شريك له .

فاذا قيل لك : أى شيء الدليل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى :
« واذ قال ابراهيم لابنائه وقومه انى يراء مما تعبدون . الا الذى
فطرني » (١) .

فاذا قيل لك : أى شيء النفى ؟ وأى شيء الاثبات ؟ فقل :
دليل النفى : « واذ قال ابراهيم لابنائه وقومه انى يراء مما تعبدون » .
هذا النفى ، ودليل الاثبات : « الا الذى فطرني » .

فاذا قيل لك : أى شيء الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد
الالهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب ، مثل الخلق ، والرزق ،
والاحياء ، والامانة ، وانزال المطر ، وانبات النبات ، وتدير الأمور .
وتوحيد الالهية ، فعل العبد مثل الدعاء ، والخوف ، والرجاء ،
والتوكل ، والاناة ، والرغبة ، والرغبة ، والتذر ، والاستعانة ، وغير
ذلك من أنواع العبادة .

فاذا قيل لك : أى شيء دينك ؟ فقل : ديني الاسلام ، وأصله
وقاعدته أمران : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والتحريض على
ذلك ، والمواالة فيه وتكفير من تركه ، والانهذار عن الشرك فى عبادة
الله تعالى ، والتغايظ فى ذلك ، والمعادة فيه ، وتكفير من فعله ، وهو
مبنى على خمسة أركان :

أولها : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام
الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعة .

ودليل الشهادة قوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الا هو واللائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم » (١) .

ودليل ان محمدا رسول الله قوله تعالى : « ما كان محمد ابأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٢) .

والدليل على اخلاص العبادة والصلاة ، والزكاة قوله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » (٣) .

ودليل الصوم قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٤) .

ودليل الحج قوله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » (٥) .

وأصول الايمان ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

والاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه براك .

فاذا قيل : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بلده مكة ، وهاجر الى المدينة وعمره ثلاث وستون سنة ، منها أربعون ما نبي فيها وثلاث وعشرون نبي رسول ، نبي به « اقرأ » ، وأرسل به « المدثر » .

فاذا قيل : هو مات ، أم لم يموت ؟ فقل مات : ودينه لا يموت الى يوم القيامة . والدليل قوله تعالى : « انك ميت وانهم ميتون . ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (٦) .

(١) آل عمران : ١٨ . (٢) الاحزاب : ٤٠ .
(٣) البينة : ٥ . (٤) البقرة : ١٨٣ .
(٥) آل عمران : ٩٧ . (٦) الزمر : ٣٠ ، ٣١ .

فاذا قيل : والناس اذا ماتوا يبعثون ؟ فقل : نعم . . . والدليل
قوله تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
أخرى » (١) .

والذى ينكر البعث كافر . والدليل قوله تعالى : « زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا ، قل بلى ودرى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله
يسير » (٢) .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا .

* * *

الرسالة الثانية :

هذه مسائل الجاهلية

تأليف

الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله : هذه أمور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابين والأمين ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تبين الأشياء . فافهم ما فيها وأشدّها خطراً ، عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن انضاف الى ذلك استحصان ما عليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة ، كما قال تعالى : « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ، أولئك هم الخاسرون » (١) .

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله ومبادئه ، يريدون شفاعتهم عند الله ، كما قال تعالى : « ويمعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٢) .

وقال تعالى : « والذين اتخلوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » (٣) .

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار .

وهذه المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندنا وقعت المداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٤) .

(١) العنكبوت : ٥٢ . (٢) يونس : ١٨ .
(٣) الزمر : ٣ . (٤) الأنفال : ٣٩ .

الثانية : انهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » (١) .

وكذلك في دنياهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأبى بالاجتماع في الدين بقوله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

وقال تعالى : « ان الذين فسرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » (٣) .

ونحننا عن مشابهتهم بقوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » (٤) .

ونحننا عن التفرق في الدين بقوله : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٥) .

الثالثة : أن مخالفة ولى الأمر (عندهم) وعدم الاتقياء له فضيلة ، والسمع والطاعة ذل ومهانة ، فخالقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك ، وأبدأ فيه وأعاد .

وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر عنه هي « الصحيحين » أنه قال : « ان الله يرضى لكم ثلاثا : ألا تعبدوا الا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » . ولم يقع خلل في دين الناس وديانهم الا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبنى على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اننا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثائهم مقتنون » (٦) .

(١) الروم : ٣٢ .	(٢) الشورى : ١٣ .
(٣) الأنعام : ١٥٩ .	(٤) آل عمران : ١٠٥ .
(٥) آل عمران : ١٠٣ .	(٦) الزخرف : ٢٣ .

وقال تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان الشكيبان يدعوهم إلى عذاب السعير » (١) .

فإنهم بقوله : « قل أنا أعظكم بواحدة إن تقوموا لله مثنى وفردى لم تفكروا ، ما بصاحبكم من جنة » (٢) الآية .

وقوله : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » (٣) .

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بعرضته ، وقلة أهله ، فأنهم (٤) بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن .

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين . بقوله : « فما بال القرون الأولى » (٥) . « ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين » (٥) .

السابعة : الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال ، وفي الملك والمال والجاه ، فرد الله ذلك بقوله : « ولقد مكناهم فيها أن مكناكم فيه » (٦) الآية .

وقوله : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (٧) . « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (٨) الآية .

الثامنة : الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ، بقوله : « المؤمن لك واتبعك الأوثان » (٩) .

وقوله : « هؤلاء من الله عليهم من بيننا » (١٠) فرد الله بقوله : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » (١١) .

التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : « يا أيها الذين

(١) لقمان : ٢١ . (٢) سبأ : ٤٦ .

(٣) الأعراف : ٣ . (٤) في الأصل « فأنهم » .

(٥) طه : ٥١ . (٦) المؤمنون : ٢٤ .

(٧) الأحقاف : ٢٦ . (٨) البقرة : ٨٩ .

(٩) البقرة : ١٤٦ . (١٠) الشعراء : ١١١ .

(١١) الأنعام : ٥٣ .

آمنوا أن كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله (١) .

ويقوله : « لا تظفروا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم
قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (٢) .

العاشرة : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم
حفظهم . كقوله : « بادي الرأي » (٣) .

الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله :
« ان ائتم الا بشر مثلنا » (٤) .

الثانية عشرة : ابتكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله ،
عدم فهم الجامع والفارق .

الثالثة عشرة : الغلو في العلماء والصالحين ، كقوله :
« يا اهل الكتاب لا تغفروا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » (٥) .

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبنى على قاعدة وهي الزنى والاثبات
فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما آتاهم الله .

الخامسة عشرة : احتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم
كقوله : « فليؤثروا خلف » (٦) « يا شبيب ما نفقه كثيرا ما نقرأ » (٧) .

فاكذبهم الله . وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع
بسبب كفرهم .

السادسة عشرة : اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر . كما
ذكر الله ذلك في قوله : « نريد فريق من الذين أوتوا الكتاب كتساب الله
وإنا نؤثرهم نادهم لا يطاعون . ولا يحسبوا من دنوا المشيطين على ماك
سليمان » (٨) .

السابعة عشرة : سبب باطلهم في الاتساء ، كقوله : « وما نغفر

(١) التوبة : ٣٤ .	(٢) المائدة : ٧٧ .
(٣) هود : ٢٧ .	(٤) إبراهيم : ١٠ .
(٥) النساء : ١٧١ .	(٦) النساء : ١٥٥ .
(٧) عود : ٩١ .	(٨) البقرة : ١٠١ ، ١٠٢ .

سليمان (١) وقوله : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا » (٢) .
الثامنة عشرة : تناقضهم في الاتساق ، ينتسبون الى ابراهيم ،
مع اظهارهم ترك اتباعه .

التاسعة عشرة : قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين ،
كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله
عليه وسلم .

العشرون : اعتقادهم في مخارق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات
الصالحين ، ونسبته الى الأنبياء كما نسبوه لسليمان .
الحادية والعشرون : تعبدهم بالملكاء والتصدية .

الثانية والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا .
الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرتهم ، فظنوا أن عطاء الله
منها يدل على رضاه ، كقوله : « نحن أكثر أمسيالا ولولادا وما نحن
بمعتبين » (٣) .

الرابعة والعشرون : ترك الدخول في الحق اذا سبقهم اليه الضعفاء
تكبرا وانفة ، فانزل الله : « ولا تطرد الذين يدعوون ربهم » (٤) الآية .

الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله :
« لو كان خيرا ما سبقونا اليه » (٥) .

السادسة والعشرون : تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون .

السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها الى الله ،
كقوله : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من
عند الله » (٦) الآية .

الثامنة والعشرون : أنهم لا يعقلون من الحق الا الذي مع
طائفتهم ، كقوله : « تؤمن بما أنزل علينا » (٧) .

(١) البقرة : ١٠٢ .	(٢) آل عمران : ٦٧ .
(٣) سبأ : ٣٥ .	(٤) الأنعام : ٥٢ .
(٥) الأحقاف : ١١ .	(٦) البقرة : ٧٩ .
(٧) البقرة : ٩١ .	

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله عليه بقوله : « فلم تقتلون أنبياء الله من قبيل أن كنتم مؤمنين » (١) .

الثلاثون : وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع ، ورتكبوا ما نهى الله عنه من الآلة ، صار « كل حزب بما لديهم فرحون » (٢) .

الحادية والثلاثون : وهي من عجائب الله أيضا ، معاداتهم الدين الذي اتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبهم ، وفتنتهم غاية المحبة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر ، وهي من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق اذا كان مع من لا يهودونه كما قال تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » (٣) الآية .

الثالثة والثلاثون : انكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا في حج البيت ، فقال تعالى : « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » (٤) .

الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعى أنها الناجية ، فأكذبهم الله بقوله : « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (٥) .

ثم بين الصواب بقوله : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » (٦) الآية .

الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف المورات كقوله : « وإذا فعلوا فاحشة » (٧) الآية .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبد بالشرك .

(٢) التوبنون : ٥٣ .

(٤) البقرة : ١٣٠ .

(٦) البقرة : ١١٢ .

(١) البقرة : ٩١ .

(٣) البقرة : ١١٣ .

(٥) النمل : ٦٤ .

(٧) الأعراف : ٢٨ .

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأجرار والرهبان أربابا من دون الله •

الثامنة والثلاثون : الإلحاد فى الصفات ، كقوله تعالى : « ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون » (١) •

التاسعة والثلاثون : الإلحاد فى الأسماء ، كقوله تعالى : « وهم يكفرون بالرحمن » (٢) •

الأربعون : التعطيل : كقول آل فرعون (٣) •

الحادية والأربعون : نسبة النقائص إليه •

الثانية والأربعون : الشرك فى الملك ، كقول المجوس •

الثالثة والأربعون : جحود القدر •

الرابعة والأربعون : الاحتجاج على الله •

الخامسة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره •

السادسة والأربعون : مسببة الدهر ، كقولهم : « وما يهلكنا إلا الدهر » (٤) •

السابعة والأربعون : إضافة نعم الله الى غيره كقوله : « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها » (٥) •

الثامنة والأربعون : الكفر بآيات الله •

التاسعة والأربعون : جحد بعضها •

الخمسون : قولهم : « ما أنزل الله على بشر من شيء » (٦) •

الحادية والخمسون : قولهم فى القرآن : « إن هذا الا قول البشر » (٧) •

(١) فصلت : ٢٢ •

(٢) الرعد : ٣٠ •

(٣) يشير بذلك الى ما حكاه الله عنه فى قوله « ما علمت لكم من

الله غيرى » القصص : ٢٨ •

(٤) الجاثية : ٢٤ •

(٥) النحل : ٨٣ •

(٦) الأنعام : ٩١ •

(٧) الدثر : ٢٥ •

الثانية والخمسون : القدح فى حكمة الله •

الثالثة والخمسون : اعمال الخيل الظاهرة والباطنة فى دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله : « ومكسروا ومكر الله » (١) . وقوله تعالى : « وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنسوا بالذى انزل على الذين آمنسوا وجسه النهار » (٢) •

الرابعة والخمسون : الاقرار بالحق ليتوصوا به الى دفعه كما قال فى الآية •

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله بعدها : « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » (٣) •

السادسة والخمسون : تسمية اتباع الاسلام شركاء ، كما ذكره فى قوله تعالى : « ما كان لبشر ان يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول الناس كونوا عبادا لى من دون الله » (٤) الآية •

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه •

الثامنة والخمسون : تلقيب اهل الهدى بالصباة والحشوية •

التاسعة والخمسون : افتراء الكذب على الله •

الستون : كويهم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى الشكوى للسلوك ، كما قال : « اتلذذ موسى وقومه ليفسدوا فى الارض » (٥) •

الحادية والستون : رميهم اياهم بالفساد فى الارض ، كما فى الآية •

الثانية والستون : رميهم اياهم باتقاص دين الملك ، كما قال تعالى : « ويلزلك وآلهتك » (٦) •

وكما قال تعالى : « انى اخاف ان يبدل دينكم » (٧) الآية •

الثالثة والستون : رميهم اياهم باتقاص آلهة الملك ، كما فى الآية •

(٢) آل عمران : ٧٢

(٤) آل عمران : ٧٦ •

(٦) الاعراف : ١٢٧

(١) آل عمران : ٥٤

(٣) آل عمران : ٧٣

(٥) الاعراف : ١٢٧

(٧) تافى : ٢٦

- الرابعة والستون : رميهم اياهم بتبديل الدين ، كما قال :
 « انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد » (١) .
- الخامسة والستون : رميهم اياهم بانتقاص الملك ، كقولهم :
 « ويذرك وآلهتك » (٢) .
- السادسة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله :
 « تؤمن بما انزل علينا » (٣) مع تركهم اياه .
- السابعة والستون : الزيادة فى العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .
- الثامنة والستون : نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات .
- التاسعة والستون : تركهم الواجب ورعا (٤) .
- السيعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .
- الحادية والسيعون : تعبدهم بترك زينة الله .
- الثانية والسيعون : دعواهم الناس الى الضلال بغير علم .
- الثالثة والسيعون : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه ، فطالبهم
 الله بقوله : « ان كنتم تحبون الله » (٥) الآية .
- الرابعة والسيعون : دعواهم اياهم الى الكفر مع العلم .
- الخامسة والسيعون : المكر الكبار ، كفعل قوم نوح .
- السادسة والسيعون : أن أئمتهم : اما عالم فاجر ، واما عابد
 جامل ، كما فى قوله : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله » (٦)
 الى قوله : « ومنهم آميون » (٧) .
- السابعة والسيعون : تمنيهام الأمانى الكاذبة ، كقوله لهم :
 « ان تمسنا النار الا اياما معدودة » (٨) . وقولهم : « لن يدخل الجنة
 الا من كان هودا او نصارى » (٩) .

(١) غافر : ٢٦	(٢) الاعراف : ١٢٧
(٣) البقرة : ٩١	(٤) ترك ستر العورة اثناء الطواف .
(٥) آل عمران : ٣١	(٦) البقرة : ٥٧
(٧) البقرة : ٧٨	(٨) البقرة : ٨٠
(٩) البقرة : ١١١	

- الثامنة والسبعون : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد •
- التاسعة والسبعون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر •
- والثمانون : اتخاذ السرج على القبور •
- الحادية والثمانون : اتخاذها أعيادا •
- الثانية والثمانون : الذبح عند القبور •
- الثالثة والثمانون : التبرك بآثار المعظمين ، كدار ابن حزم لبعث
مكرمة قریش •
- الرابعة والثمانون : الفخر بالأحساب •
- الخامسة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء •
- السادسة والثمانون : الطمن في الأنساب •
- السابعة والثمانون : النياحة •
- الثامنة والثمانون : أن أجل فضائلهم الفخر بالأنساب فذكر الله
فيه ما ذكر •
- التاسعة والثمانون : أن أجل فضائلهم أيضا الفخر ولو ببق ،
فنهى عنه •
- التسعون : أن الذي لا بد منه عندهم تعصب الإنسان لطائفته ،
ونصر من هو منها ظالما أو مظلوما ، فأنزل في ذلك ما أنزل •
- الحادية والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ،
فأنزل الله : « ولا تزدوا ذرة وزدا أخرى » (١) •
- الثانية والتسعون : تعيير الرجل بما في غيره ، فقال : « أعيرته
بأمة ، ألك امرؤ فيك جاهلية » •
- الثالثة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله :
« مستكبرين به سامرا تهجرون » (٢) •

الرابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء ، فقال الله
« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت » (١) الآية .

النامسة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين
على أهل الحرث .

السادسة والتسعون : عظيمة الدنيا في قلوبهم ، كقواهم :
« لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (٢) .
السابعة والتسعون : التحكم على الله كما في الآية .

الثامنة والتسعون : ازدراء الفقراء ، فاتاهم بقوله : « ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغفلة والعشى » (٣) .

التاسعة والتسعون : رميهم أتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب
الدنيا ، فاجابهم بقوله : « ما عليك من حسابهم من شيء » (٤)
الآية وأمثالها .

المائة : الكفر بالملائكة .

الحادية بعد المائة : الكفر بالرسول .

الثانية بعد المائة : الكفر بالكتب .

الثالثة بعد المائة : الاعراض عما جاء عن الله .

الرابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الخامسة بعد المائة : التكذيب بقاء الله .

السادسة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبر به الرسل عن
اليوم الآخر ، كما في قوله : « أولئك الذين كذبوا بآيات ربهم ولقائه » (٥) .

ومنها التكذيب بقوله : « مالك يوم الدين » (٦) . وقوله :
« لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » (٧) وقوله : « إلا من شهد بالحق
وهم يعلمون » (٨) .

(٢) الزخرف : ٣١

(٤) الأنعام : ٥٢

(٦) الفاتحة : ٤

(٨) الزخرف : ٨٦

(١) البقرة : ١٢٤

(٣) الأنعام : ٥٢

(٥) الكهف : ١٠٥

(٧) البقرة : ٢٥٤

- السابعة بعد المائة : الايمان بالجبت والطاغوت .
- الثامنة بعد المائة : تفضيل دين المشركون على دين المسلمين .
- التاسعة بعد المائة : لبس الحق بالباطل .
- العاشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به .
- الحادية عشرة بعد المائة : قناعة الضال ، وصلى التسول على الله بلا علم .
- الثانية عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا الحق ، كما قال تعالى : « بل كذبوا بالحق لما بهم فهم في امر مريج » (١) .
- الثالثة عشرة بعد المائة : الايمان ببعض المنزل دون بعض .
- الرابعة عشرة بعد المائة : التزيق بين الرسل .
- الخامسة عشرة بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم .
- السادسة عشرة بعد المائة : دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم .
- السابعة عشرة بعد المائة : صدهم عن سبيل الله من آذن به .
- الثامنة عشرة بعد المائة : مودتهم الكثر والكافرين .
- التاسعة عشرة بعد المائة ، والعشرون ، والحادية والعشرون ، والثانية والعشرون ، والثالثة والعشرون ، والرابعة والعشرون ، والخامسة والعشرون ، والسادسة والعشرون ، والسابعة والعشرون ، والثامنة والعشرون ، والتاسعة والعشرون بعد المائة : العيافة ، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين ، والله أعلم .
- وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الرسالة الثالثة :

كشف التشبهات

تسليف

الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ،
وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به الى عباده .
فأولهم نوح عليه السلام ، أرسله الله الى قومه لما غلوا في
الصالحين : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويصوق ، ونسر .
وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي كسر صور
هؤلاء الصالحين ، أرسله الله الى أناس يتعبدون ، ويحجبون ،
ويتصدقون ، ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات
وسائط بينهم وبين الله . يقولون : نريد منهم ان تقرب الى الله ، ونريد
شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غيرهم من
الصالحين ، فبعث الله اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم يجدد لهم
دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد
محض حتى الله ، لا يصلح منه شيء ، لا لملك مقرب ، ولا نبي مرسل .
فضلا عن غيرها ، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو
الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق الا هو ، ولا يحيى
ولا يميت الا الله ، ولا يدبر الأمر الا هو ، وأن جميع السماوات السبع
ومن فيهن ، والأرضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .
فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرا قوله تعالى : « قل من
يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج
الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون
الله ، فقل أفلا تتقون » (١) .

وقوله : « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون » سيقولون لله ،
قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم .
سيقولون لله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير
ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فاني تسحرون (١) »
وغير ذلك من الآيات .

فاذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي
دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت ان الوحيد الذي
جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد :
كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا .

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا
له ، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات ، أو نبيا مثل عيسى ، وعرفت
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى
اخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : « وان المساجد لله فلا تنسوا
مع الله احدا » (٢) .

وكما قال تعالى : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشيء » (٣) .

وتحقت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء
كله الله ، والذبيح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع
أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم
في الاسلام ، وأن تصدعهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون
شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

وعرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به
المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : « لا اله الا الله » : فان الاله
عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور . سواء أكان ملكا ، أو نبيا ،
أو وليا ، أو شجرة ، أو قبرا ، أو جنيا . لم يريدوا أن الاله هو الخالق
الرازق المدبر ، فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وانما يعنون
بالاله ما يعنى المشركون في زماننا بلفظ السيد : فاتاهم النبي صلى الله

(١) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ (٢) الجن : ١٨

(٣) الرعد : ١٤

عليه وسلم يدعوهم الى كلمة التوحيد، وهى : « لا اله الا الله » ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجاهل يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعليق ، والكفر بما يجب من دونه والبراءة منه ، فانه لما قال لهم : قوالوا « لا اله الا الله » قالوا : « اجعل الالهة الها واحدا » ان هذا لشيء عجاب (١) .

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالمعجب ممن يدعى الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهلة الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعانى .

والحائق منهم يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر الأمر الا الله . فلا خير فى رجل ، جهال الكفار أعلم منه بمعنى « لا اله الا الله » .

اذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذى قال الله فيه : « ان الله لا يقدر ان يشرك به » (٢) الآية ، وعرفت دين الله الذى بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته ، كما قال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (٣) .

وأفادك أيضا اخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله ، كما ظن المشركون ، خصوصا ان ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم اتوه قائلين : « اجعل لنا الها كما لهم آلهة » (٤) .

فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله . واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أمداء ، كما قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين

(١) سورة ص : ٥ (٢) النساء : ٤٨
(٣) يونس : ٥٨ (٤) الاعراف : ١٢٨

الإنس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول فرورا (١) .
وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وادب وديبج ، كما قال
تعالى : « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم » (٢) .
إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق الى الله تعالى لا بد له من
أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة وادب وديبج ، فالواجب عليك أن تعلم
من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال
امامهم ومقدمهم لربك عز وجل : « لا أقمن لهم صراطك المستقيم » ثم
لائينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد
أكثرهم شاكرين (٣) .

ولكن إذا أقبلت على الله ، وأصفيت الى حجج الله وبياناته فلا تخف
ولا تحزن « أن كيد الشيطان كان ضعيفا » (٤) .
والعامى من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما
قال تعالى « وإن جنحنا بهم الغالبون » (٥) .

فجنح الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم هم الغالبون
بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحّد الذي يسلك الطرق وليس
معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه الذى جعله تبيانا لكل شئ ، وهادى
ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتى صاحب باطل بحجة الا وفى القرآن
ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : « ولا يأتونك بمثل الا جئناهم
بالحق وأحسن تفسيرا » (٦) .

قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل
الباطل الى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أتياء مما ذكر الله فى كتابه جوابا لكل ما احتج به
المشركون فى زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين :
مجمل ومفصل :

أما المجمل ، فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ،

(١) الأنعام : ١١٢	(٢) غافر : ٨٣
(٣) الأعراف : ١٧٠، ١٦	(٤) النساء : ٧٦
(٥) الصافات : ١٧٣	(٦) الفرقان : ٣٣

وذلك قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله » (١) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .
مثال ذلك ، إذا قال لك بعض المشركين :

« إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .

أو أن الشفاعة حق ، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجأبه بقولك : إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالرؤية ، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء ، مع قولهم : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٣) .

هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرته لى أهما المشرك من القرآن ، أو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله عز وجل ، وهذا جواب جيد سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فانه كما قال تعالى :
« وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » (٤) .

وأما الجواب المنفصل ، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذهب ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم ، فجأبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم

(٢) يونس : ٦٢
(٤) فصلت : ٣٥

(١) آل عمران : ٧
(٣) يونس : ١٨

لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر
الله في كتابه ووضحه .

فإن قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون
الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أحناءاً ؟ فجاوبه بما
تقدم ، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما
أرادوا من قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم
وفعله بما ذكر ، فاذكر له أن الكفار ، منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم
من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : « أولئك الذين يدعون يبتغون
إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » (١) الآية .

ويدعون عيسى ابن مريم وأمه . وقد قال تعالى : « ما المسيح
ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا ياكلان
الطعام ، انظروا كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظروا أنى يؤفكون . قل
اتعبون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع
العليم » (٢) .

واذكر له قوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة
هؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل
كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » (٣) .

وقوله تعالى : « وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس
 اتخذوني وأمي اليمين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول
ما ليس لي بحق ، أن كنت قلته فقد علمته ، تصلم ما في نفسي ولا أعلم
ما في نفسك أنك أنت علام الغيوب » (٤) .

فقل له : عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد
الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع
الضار المدبر لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ،
ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى :

(٢) المائدة : ٧٥ : ٧٦

(٤) المائدة : ١١٦

(١) الإسراء : ٥٧

(٣) سبأ : ٤٠ ، ٤١

« والذين اتبعوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (١) وقوله تعالى : « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٢) .

وامام أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن
اذن : « نرى في كتابه » وفهمتها جيدا ، فما بعدها أيسر منها .

فإن قال : أنا لا أعبد الا الله ، وهذا الالتجاء اليهم ودعائهم ليس بعبادة . فقل له : أنت تقر أن الله افترض عليك اخلاص العبادة لله ؟ فإذا قال : نعم . فقل له : بين لى هذا الذى فرضه الله عليك ، وهو اخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك ، فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها ، فبينها له بفولك : قال الله تعالى « ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المتدينين » (٣) .

فإذا أعلنته بهذا ، فقل له : هل علمت هذا عبادة لله ؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء من العبادة ، فقل له : اذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت الله ليلا نهارا ، خوفا وطمعا ، ثم دعوت فى تلك الحاجة نبيا أو غيره ، هل أشركت فى عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فإذا علمت بقول الله تعالى : « فصل لربك وانحر » (٤) واطعت الله ونسرت له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فإن نسرت لمخلوق ، نبي ، أو جنى ، أو غيرهما ، هل أشركت فى هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول : نعم .

وقل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين . اللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : وهل كانت عبادتهم اياهم الا فى الدعاء ، والذبح ، والالتجاء ، ونحو ذلك ؟ والا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذى يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجأوا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا . فإن قال : أتتكر شفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرا منها ؟ فقل : لا أنكرها ، ولا أتبرا منها ، بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ، وأرجو شفاعته ولكن الشفاعه كلها لله تعالى : كما قال تعالى : « قل لله الشفاعه جميعا » (٥) .

(٢) يونس : ١٨

(٤) الكوثر : ٢

(١) الزمر : ٢

(٣) الاعراف : ٥٥

(٥) الزمر : ٤٤

ولا يكون الا من بعد اذن الله ، كما قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا بالذنه » (١) .

ولا يشفع في أحد الا بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » (٢) .

وهو سبحانه لا يرضى الا للتوحيد ، كما قال تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » (٣) .

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون الا من بعد اذنه ، ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى الا لأهل التوحيد . تبين لك أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه في ، وأمثال هذا . فان قال : النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة ، وأنا أطلبها مما أعطاه الله .

فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا . فقال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحدا » (٤) .

فاذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله : « فلا تدعوا مع الله أحدا » .

وأيضاً فان الشفاعة أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم ، لصح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أقول : ان الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ؟ فان قلت هذا ، رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه . وان قلت : لا بطل ذلك : اذا أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبها مما أعطاه الله .

فان قال : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك . فقل له : اذا كنت تقر أن الله يحرم الشرك أعظم من تحرير الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ؟ فماذا الأمر الذي حرمه الله ، وذكر أنه لا يغفره ؟ فانه لا يدري . فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليه هذا ، وبأكر أنه

(٢) الأنبياء : ٢٨

(٤) الجن : ١٨

(١) البقرة : ٢٥٥

(٣) آل عمران : ٨٥

لا يغفره ، ولا تسأل عنه لا تعرفه ؟ أظن أن الله يحرمه ولا يبيئه لنا ؟
فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل له :
ما معنى عبادة الأصنام ؟ أظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب
والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعائها ؟ فهذا يكذبه القرآن .
وإن قال : هو من قصد خشبة أو حجرا ، أو بنية على قبر ، أو غيره ،
يدعون ذلك ، ويذبحون له . يقولون : انه يقربنا الى الله زلفى ، ويدفع
الله عنا ببركته ، أو يسلينا ببركته . فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند
الأحجار والأبنية التى على القبور وغيرها فهذا أقصر ان فعلهم هذا هو
عبادة الأصنام ، فهو المطلوب .

ويقال له أيضا : قولك الشرك عبادة الأصنام ، هل مرادك أن
الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل
فى ذلك ؟ فهذا ما ذكره الله فى كتابه من كفر من تعلق على الملائكة ،
أو عيسى أو الصالحين ، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك فى عبادة الله
أحدا من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور فى القرآن ، وهذا هو
المطلوب ، وسر المسألة أنه اذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما
الشرك بالله ؟ فسر له . فإن قال : هو عبادة الأصنام . فقل : وما معنى
عبادة الأصنام ؟ فسر لها . فإن قال : أنا لا أعبد الا الله وحده .
فقل : ما معنى عبادة الله وحده ؟ فسر لها . فإن فسرها بما بينه القرآن ،
فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه ؟ وإن فسر
ذلك بغير معناه ، بينت له الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله
وعبادة الأوثان ، أنه الذى يفعلونه فى هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة
الله وحده لا شريك له هى التى ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح
إخوانهم حيث قالوا : « اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا شئ
عجيب » (١) .

فاذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد ،
هو الشرك الذى نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة ، والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرضاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء ، كما قال تعالى : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر اعرضتم وكان الإنسان كفورا » (١) .

وقال تعالى : « قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون أن كنتم صادقين . بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون » (٢) .

وقال تعالى : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه » إلى قوله : « قل تمتع بكفره قليلا أنك من أصحاب النار » (٣) وقوله : « وإذا عشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين » (٤) .

فمن فهم هذه المسألة التي وضعتها الله في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرضاء ، وأما في الشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبين له الفسوق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا ؟ والله المستعان .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله ، أما أنبياء ، وأما أولياء ، وأما ملائكة . أو يدعون أحجارا ، أو أشجارا مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم ، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصى مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء ، فأعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم ، فأصنع سمك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : أن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله .

(٢) الانعام : ٤٠ ، ٤١
(٤) لقمان : ٣٢

(١) الاسراء : ٦٧
(٣) الزمر : ٨

ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن . وتؤمن بالبعث . ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

فالجواب : أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه . كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج .

ولا لم ينتقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج ، أنزل الله في حقهم : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » (١) .

كما قال تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخلفوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا » (٢) الآية .

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو الكافر حقا ، زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا .

ويقال أيضا : إذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء ، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله ، لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

فكيف اذا جحد الانسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو غسل
بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ، واذا جحد التوحيد الذي
هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ ! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ! .
ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاتلوا بنى حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم
يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويؤذنون ويصليون
فإن قال : انهم يقولون : ان مسيلمة نبي . قلنا : هذا هو المطلوب .
اذا كان من رفع رجلا الى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحصل
مائه ودمه ، ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمساً
أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في رتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان
الله ما أعظم شأنه ! « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون » (١) .
ويقال أيضا : الذين حرقهم على بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار ،
كلهم يدعون الاسلام ، وهم من أصحاب على رضي الله عنه ، وتعلموا
العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا في على مثل الاعتقاد في يوسف
وشمساً وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ !
أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج
وأمثاله لا يضر والاعتقاد في على بن أبي طالب كفر .

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن
بنى العباس ، كلهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ،
ويدعون الاسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة
الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم .
وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استتقذوا ما بأيديهم
من بلدان المسلمين .

ويقال أيضا : إذا كان الأولون لم يكفروا الا لأنهم جمعوا بين
الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وانكار البعث .
وغير ذلك ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب ؟ « باب

حكم المرتد « وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، ثم ذكروا أنواعا كثيرة ، كل نوع منها يكفر ، ويحل دم الرجل وماله ، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو بكلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب .

ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم : « يطفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » (١) .

أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون معه ويذكرون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال فيهم : « قل إيا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » (٢) .

فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم ، وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمل هذه الشبهة ، وهي قولهم : تكفرون من المسلمين أفاسا يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها ، فإنه من أشنع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله تعالى عن بنى إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاتهم ، أنهم قالوا لموسى : « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » (٣) .

وقول أفاس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط . فحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا مثل قول بنى إسرائيل لموسى : « اجعل لنا إلها » .

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة . وهي أنهم يقولون : إن بنى إسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط ، لم يكفروا .

فالجواب أن نقول : إن بنى إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا . ولا خلاف أن بنى إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي صلى الله

(٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

(١) التوبة : ٧٤

(٣) الأعراف : ١٣٨ .

عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد فهمه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها ، فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجبل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري ، فنه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر ، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر ، فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهم شبهة أخرى : يقولون : إن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال « لا إله إلا الله » وقال : « أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » وأحاديث أخر في الكف عن قائلها . ومراد هؤلاء الجهلة أن من قائلها لا يكفر ، ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم ، وهم يقولون « لا إله إلا الله » ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ويدعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال « لا إله إلا الله » ، وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قائلها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة ، فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفا على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله في ذلك : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا » (١) .

أى فتشبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه ، والتثبت ، فإن بين منه بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل ، لقوله : « فتبينوا »
واو كان لا يقتل اذا فالها ، لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الحديث
الأخر وأمثاله ، مناه ما ذكرناه ان من أظهر الاسلام والتوحيد وجب
الكف عنه ، الا ان تبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال :
« أتتته بعد ما قال : لا اله الا الله ؟ » وقال : « أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا : لا اله الا الله » هو الذى قال فى الخوارج : « أينما
لقيتموهم فاقتلوهم . لأن أدركتم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من
أكثر الناس عبادة وتهليلا ، حتى ان الصحابة ينفرون صلاتهم عندهم
وهم تملأوا العام من الصحابة ، قام تنفهم لا اله الا الله ، ولا كثرة
العبادة ، ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك
ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة .

وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل بنى النضير لما
أخبره رجل انهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله تعالى : « يا أيها الذين
آمَنُوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين » (١) .

وكان الرجل كاذبا عليهم ، فكل هذا يدل على أن أراد النبي صلى
الله عليه وسلم فى الأحاديث التى احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى : وهى ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس
يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ،
ثم بيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم . قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا .

فالجواب أن قول : سبحان من طبع على قلوب أعباده ، فإن
الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا تنكرها ، كما قال تعالى فى قصة
موسى : « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عبده » (٢) .

وكما يستغيث الانسان بأصحابه فى الحرب وغيرها من الأشياء

التي يقدر عليها المذوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يمارسها عند دبر الأولياء ، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله . إذا ثبت ذلك . فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يناسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي ، يجالسك ويستمع كلامك ، وتقول له : ادع الله لي ، كما كان أصحاب يبريل الله صلى الله عليه وسلم يسألونه في حياته . وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه ؟ !

ولهم شبهة أخرى : وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما أتته في النار ، اعترض له جبريل في الرءاء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم عليه السلام : أما إليك فلا . قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا ، لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فانه كما قال الله تعالى فيه : « شديد التقوى » (١) .

فلو أذن الله له أن يأخذ ناد إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ، ويأتيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غنى له مال كثير ، يرى رجلا محتاجا ، فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهب له شيئا يقضى به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام أن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدا تفهم مما تقدم ، ولكن نورد لها الكلام بعظم شأنها ، وكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف

شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : هذا حق ، ونحن نعلم هذا ، ونشهد أنه الحق . ولكن لا تقدر أن تفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى : « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً » (١) .

وغير ذلك من الآيات كقوله : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (٢) . فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ، أو لا يعتقد به بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص : « ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار » (٣) .

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة ، تبين لك إذا تأملت في السنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنياه ، أو جاه ، أو مداراة . وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً ، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه ، فإذا هو لا يعرفه . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله ، أولاهما : ما تقدم من قوله : « لا تعجلوا قبل كفرتم بعد إيمانكم » (٤) .

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفاً من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها . والآية الثانية : قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٥) .

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا ، فقد كفر بعد إيمانه ، سواء فعله خوفاً ، أو مداراة ،

(٢) البقرة : ١٤٦

(٤) التوبة : ٦٦

(١) التوبة : ٩

(٣) النساء : ١٤٥

(٥) النحل : ١٠٦

أو مشقة بوظيفته ، أو أهله ، أو عشيرته ، أو ماله ، أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض الا المكروه ، والآية تدل على هذا من جهتين :

الأولى : قوله « الا من أكره » . فلم يستثن الله الا المكروه معلوم أن الانسان لا يكره الا على العمل أو الكلام . وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية : قوله تعالى : « ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » (١) .

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، والبغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فآثمه على الدين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، آمين .



الرسالة الرابعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

اما بعد . . فهذه رسالة في مسألة رجلين تناظرا . فقال أحدهما :
لا بد لنا من واسطة بيننا وبينك . فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك .
الجواب : الحمد لله رب العالمين . ان أراد بذلك أنه لابد من
واسطة تباعدنا عن الله ، فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون ما يحببه الله
ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعد له لأوليائه من كرامته ،
وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من
أسمائه الحسنی وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال
ذلك الا بالرسول الذي أرسلهم الله تعالى الى عباده .

فالْمُؤْمِنُونَ بالرسول ، المتبعون لهم ، هم المهتدون الذين يقربهم
لديه زلفى ، ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة .

وأما المخالفون لرسول ، فاقهمل ملعونون ، وهم عن رحمة ضالون
محبوبون . قال الله تعالى :

« يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى
واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » (١) .

وقال تعالى :

« فاما ياتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى .
ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى .
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٢) .

قال ابن عباس : تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ،
أن لا يضل فى الدنيا . ولا يشقى فى الآخرة . وقال تعالى عن أهل النار :

« كَلِمَاتُ الَّذِينَ سَأَلُوا عَنْ خَزَائِنِهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَىٰ نَدِينَا نَذِيرًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ أَنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي صَنْدَلٍ نَذِيرٍ » (١) .
وقال تعالى :

« وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ فَمِنْهُمْ ذُو الْأَرْسَالِ ۖ إِذْ جَاءُوهَا فَتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا ۖ وَيُقَالُ لَهُمْ خُذُوا خَزَائِنَكُمْ ۖ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ » (٢) .
وقال تعالى :

« وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بِمَسْئَمِ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ » (٣) .
وقال الله تعالى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْفَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدِينَ دَاوُدَ زَبُورًا . وَرَسَلْنَا قَدْ قُصَصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسَلْنَا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا . وَرَسَلْنَا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » (٤) .
ومثل هذا في القرآن كثير ، وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، فأنهم يشبهون الرسل بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره ، قال تعالى :

« اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ » (٥) .

ومن أنكر هذه الوسائط ، فهو كافر بإجماع أهل الملل . والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة ، مثل : الأنعام والأعراف ، وذوات « الر » ، و « حم » ، و « نسي » ونحو ذلك ، هي متضمنة لأصول الدين ، كإيمان بالله ورساله واليوم الآخر ، وقد قص الله قصص الكفار الذين

(٢) الزمر : ٧١

(١) الملك : ٨ - ٩

(٤) النساء : ١٦٣ - ١٦٥

(٣) الأنعام : ٤٨ - ٤٩

(٥) الحج : ٥٠

كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا • قال تعالى :
« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا الرسلين • انهم لهم المنصورون • وان
جننا لهم الغالبون » (١) •

وقال : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم
يقوم الأشهاد » (٢) •

فهذه الوسائط ، تطاع وتطيع ويقتدى بها ، كما قال تعالى :
« وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله » (٣) •

وقال تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (٤) •
وقال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (٥) •
وقال : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل
معه اولئك هم المفلحون » (٦) •
وقال تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيرا » (٧) •

وان أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ، ودفع
المضار ، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ، ونصرهم وهداهم ،
يسألونه ذلك ، ويرجعون اليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر
الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون
بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار • لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها
حق • قال الله تعالى :

« الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام لم
استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ، أفلا تتذكرون » (٨) •

(١) الصافات : ١٧١ — ١٧٣ (٢) غافر : ٥١
(٣) النساء : ٦٤ (٤) النساء : ٨٠
(٥) آل عمران : ٣١ (٦) الأعراف : ١٥٧
(٧) الأحزاب : ٢١ (٨) السجدة : ٤

وقال تعالى .

« وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع » (١) .

وقال تعالى :

« وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع » (٢) .

وقال سبحانه :

« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محطورا » (٣) .
وقال : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (٤) .

وقالت طائفة من السلف : كان اقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة ، فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، وانهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى : « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول الناس كونوا عبيدا من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ، اياهم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون » (٥) .

فبين سبحانه ان اتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كفر ، فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط ، يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل ان يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكرب ، وسد الفساقات ، فهو كافر باجماع المسلمين ، وقد قال : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون

(١) الانعام : ٥١
(٢) الاسراء : ٥٦ - ٥٧
(٣) ال عمران : ٧٩ - ٨٠
(٤) سبا : ٢٢ ، ٢٣
(٥) الانعام : ٧٠

إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم أني الله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين (١) .

وقال تعالى : (أن يستكف السبيح أن يكون عبدا لله ولا اللاتكة المزيون ، ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) (٢) .

وقال تعالى : (وقالوا اتفضل الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا . أن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا) (٣) .

وقال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) (٤) .

وقال تعالى : (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٥) .

وقال تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) (٦) .

وقال تعالى : (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله) (٧) .

وقال تعالى : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده) (٨) .

وقال تعالى : (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله أن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة هل هن مصككات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (٩) .

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٩	(٢) النساء : ١٧٢
(٣) مريم : ٨٨ — ٩٥	(٤) يونس : ١٨
(٥) النجم : ٢٦	(٦) البقرة : ٢٥٥
(٧) يونس : ١٠٧	(٨) فاطر : ٢
(٩) الزمر : ٣٨	

ومثل هذا كثير في القرآن ، وأما سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين ، فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمتهم يعلمونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم ، فقد أصاب في ذلك .

وهؤلاء إذا اجتمعوا فاجتماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، وإن تشارعوا في شيء ردوه إلى الله والرسول ، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر » (١) .

ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه ، كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج .

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فإن تاب ولا قتل .

وهؤلاء مشبهون بالله ، شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا الله أندادا . وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تسع له هذه الفتوى ، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

أما لأخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه . ومن قال : إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير ، يسع ضجيج

(١) رواه أبو داود وغيره بسند حسن .

الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سماع عن سمع ، لا تغلظه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين .
الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لئلا وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الدل . قال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير » (١) .

وقال تعالى : « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا » (٢) .
وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربّه ومليكه ، فهو الغنى عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، بخلاف الملوكة المحتاجين إلى ظهرائهم ، وفي الحقيقة شركاؤهم في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت ارادة الملك وهمة في قضاء حوائج رعيته ، أما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وأما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بوالدها ، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض ، فجعل هذا يحسن إلى هذا ، ويدعو له ، ويشفع فيه ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة . ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده . أو يعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب .

ويخافه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تقولن أحدكم : اللهم اغفر لي ان شئت ، اللهم ارحمني ان شئت ، ولكن ليحزم المسألة ، فانه لا مكره له » واشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه ، كما قال : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (١) .
وقال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » (٢) .

وقد قال تعالى : « قبل اعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (٣) .

فبين أن كل من دعى من دونه ، ليس له ملك ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير . وأن شفاعتهم لا تنفع الا لمن اذن له . وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم ، وتارة نخوف منهم ، وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافأتهم ولانعامهم عليه ، حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الوالد ، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة سلوكه ، فاذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، أو أن يسعى في ضرره .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض ، كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبة أو رهبة ، والله تعالى لا يرجو أحدا ، ولا يخافه ، ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغنى . قال تعالى : « الا ان الله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يعصون من دون الله شركاء ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (٤) .

الى قوله : « قالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما في الأرض » (٥) .

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعدونه من الشفاعة.

(٢) الانبياء : ٢٨

(٤) يونس : ٦٦

(١) البقرة : ٢٥٥

(٣) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

(٥) يونس : ٦٨

قال تعالى : « ويحييئون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفاعة عند الله » قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون (١) .

وقال تعالى : « فاولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ، بل ضلوا عنهم ، وذلك افكهم وما كانوا يفترون » (٢) .

واخبر عن المشركين انهم قالوا : « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٣) .

وقال تعالى : « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيا أمركم بالكفر بعد ان انتم مسلمون » (٤) .

وقال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محظورا » (٥) .

فأخبر أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويلاه ، وأنهم يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ويتقربون اليه . فهو سبحانه قد تولى ما اتبتوا للملائكة والأنبياء الا الشفاعة باذنه . والشفاعة هي الدعاء ، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع ، والله قد أمر بذلك ، لكن ادعائى الشافع ليس له أن يدعو ويشفع الا باذن الله له فى ذلك ، فلا يشفع شفاعة تولى عنها ، كالشفاعة للمشركين ، والدعاء لهم بالمغفرة ، قال تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » (٦) .

(٢) الأحقاف : ٢٨

(١) يونس : ١٨

(٤) آل عمران : ٨٠

(٣) الزمر : ٣

(٦) التوبة : ١١٣ ، ١١٤

(٥) الإسراء : ٥٦ ، ٥٧

وقال تعالى في حق المنافقين : «سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم» (١) .

وقد ثبت في « الصحيح » أن الله تعالى نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين ، وأخبر أنه لا يغفر لهم ، كما في قوله : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) .

وقوله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » (٣) .

وقد قال تعالى : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » (٤) .

وقد قال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين » (٥) .

في الدعاء ، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله ، مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو المغفرة للمشركين وهو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية لله عز وجل ، كإكافته على الكفر والفسوق والعصيان ، فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة شفاعة في الدعاء الذي ليس فيه عدوان ، ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فاتهم معصومون أن يقرؤا على ذلك . كما قال نوح : « ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين » (٦) .

قال تعالى : « قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعطاك ان تكون من الجاهلين ، قال رب اني اعوذ بك ان أسالك ما ليس لي به علم والا تغر لي وترحمني ان من الخاسرين » (٧) .

وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع ، فلا يكون دعاؤه وشفاعته الا بقضاء الله وقدره ومشئته ، وهو الذي يجب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب ، والدعاء من جملة الأسباب

(١) المنافقون : ٦	(٢) النساء : ٨
(٣) التوبة : ٨٤	(٤) المنافقون : ٦
(٥) الأمراء : ٥٥	(٦) هود : ٤٥ - ٤٧
	(٧) مجموعة التوحيد : (٧)

التي قدرها الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان كذلك ، فالالتفات الى الأسباب .
شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل ،
والاعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع .
بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته الى الله .
سبحانه وتعالى ، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم
ما شاء .

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى ، والأدنى للأعلى ، فطلب
الشفاعة والدعاء من الأنبياء ، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء ، ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده
استسقى عمر والمسلمون بالعباس عنه ، والناس يطلبون الشفاعة يوم
القيامة من الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وله
شفاعات يختص بها . ومع هذا فقد ثبت في « الصحيحين »^(١) عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول .
ثم صلوا على ، فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا
الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو
أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم
القيامة » . وقد قال لعمر ، لما أراد أن يعتصر وودعه : « يا أخی
لا تنسني من دعائك »^(٢) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته أن يدعوا له ، ولكن
ليس ذلك من باب سؤالهم ، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات
التي يثابون عليها ، مع أنه صلى الله عليه وسلم له مثل أجورهم في كل
ما يعملونه ، فإنه قد صح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا
الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من
أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من
تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا » وهو داعي الأمة الى كل
هدى ، فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه ، وكذلك إذا صلوا عليه .

(١) هذا من أفراد مسلم ولم يخرج البخاري .

(٢) رواه أبو داود وغيره بسند ضعيف .

فإن الله يصلى على أحدهم عشرا ، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له . فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى « الصحيح » أنه قال : « ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة ، إلا وكل الله به ملكا ، كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل به : آمين ولك مثل ذلك » ومن حديث آخر : « تسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » .

فالدعاء للغير ينتفع به الداعى والمدعو له ، وإن كان الداعى دون المدعو له ، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعى والمدعو له . فمن قال لغيره : ادع لى وقصد انتفاعهما جميعا بذلك ، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى ، فهو فيه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما ، والمسئول فعل ما ينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى ، فيشأب السأمر على فعله والأمر أيضا يشأب مثل ثوابه ، لكوته دعا إليه لا سيما ومن الادعية ما يؤمر بها العبد كما قال تعالى : « واستغفر للذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » (١) .

فأمره بالاستغفار ، ثم قال : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا » (٢) . فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم إذ ذاك ، مما أمر الله به الرسول ، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به ، بل ما أمر الله به العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله ، هو عبادة لله ، وطاعة ، وقرية الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه ، وإذا فعل ذلك كان من أعظم احسان الله إليه وانهامه عليه ، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم للإيمان .

والإيمان : قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات ، وكلما ازداد العبد عملا للخير ، ازداد إيمانه .

هذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله : « صراط الذين أنعمت عليهم » (١) .

وفي قوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم » (٢) .

بل نعم الدنيا بدون الدين ، هل هي من نعمه أم لا ؟ فيه قولان مشهوران للعلاء من أصحابنا وغيرهم . والتحقيق أنها نعمة من وجه ، وإن لم تكن نعمة تامة من وجه .

وأما الانعام بالدين الذي ينبغي طلبه ، فهو ما أمر الله به ، من واجب ومستحب ، فهو الخبر الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين ، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة ، إذ عندهم أن الله هو الذي أنعم بفعل الخير ، والقدرية عندهم أما أنعم بالقدرية عليه الصالحة للضدين .

والمقصود هنا أن الله لم يأمر مخلوقا أن يسأل مخلوقا إلا ما كان مصلحة لذلك المخلوق ، أما واجب ، أو مستحب ، فانه سبحانه لا يطلب من العبد إلا ذلك . فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ، بل قد حرم على العبد أن يسأل العبد ماله إلا عند الضرورة ، وإن كان قصده مصلحة المأمور ، أو مصلحته ومصلحة المأمور ، فهذا يشاب على ذلك ، وإن كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لاقتفاع المأمور ، فهذا من نفسه أتى ومثل هذا السؤال لا يأمر الله تعالى به قط ، بل قد نهى عنه ، إذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصد لنفعه ولا لمصلحته ، والله يأمرنا أن نعبد ونرغب إليه ، ويأمرنا أن نحسن إلى عباده ، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا ، فلم يقصد الرغبة إلى الله ودعائه وهو الصلاة ، ولا قصد الاحسان إلى الخلق الذي هو الزكاة ، وإن كان العبد لا يأثم بمثل هذا السؤال ، لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد ، وما يؤذن له فيه ، ألا ترى أنه قال في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « أنهم لا يسترقون » وإن كان الاسترقاء جائزا وهذا قد بسطنا في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه ، كالرباطات التي تكون بين الملوك والرعية ، فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان ، كانوا يقولون : انها تماثيل الأنبياء والصالحين ، وانها وسائل يتقربون بها إلى الله ، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصراني ، حيث قال : « اتخلّصوا أحبارهم ورجالهم أربابا من دون الله والسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هي سبحانه عما يشركون » (١) .

وقال تعالى : « واذا سالك عبادي عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » (٢) .

أى فليستجيبوا لى اذا دعوتهم بالأمر والنهى ، وليؤمنوا بى ، أى أن أجيب دعاءهم بالسائلة والتضرع . وقال تعالى : « فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » (٣) .

وقال تعالى : « واذا مسسكم الضر فى البحر فمسل من تدعون الا آياه » (٤) .

وقال تعالى : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض » (٥) .

وقال تعالى : « يسأله من فى السموات والأرض ، كل يوم هو فى شأن » (٦) .

وقد بين الله هذا التوحيد فى كتابه ، وحسم مواد الاشراف به حتى لا يخاف أحد أحد غير الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل الا عليه .

وقال تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا » (٧) .

« انما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه » (٨) .

أى يخوفكم أوليائه « فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٩) .

(١) التوبة : ٣١	(٢) البقرة : ١٨٦
(٣) الشرح : ٧ ، ٨	(٤) الاسراء : ٦٧
(٥) النمل : ٦٢	(٦) الرحمن : ٢٩
(٧) المائدة : ٤٤	(٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) آل عمران : ١٧٥	

وقال تعالى : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » (١) .

وقال تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » (٢) .

وقال تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الصابرون » (٣) .

فبين أن الطاعة لله ورسوله .

وأما الخشية فله وحده ، وقال تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سياتينا الله من فضله ورسوله » (٤) .

ونظيره قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٥) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ، ويحسم عنهم مواد الشرك ، إذ هذا تحقيق قولنا « لا إله إلا الله » فإن الإله هو الذي تأله القلوب ، بكمال المحبة والتعظيم ، والجلال والأكرام ، والرجاء والخوف ، حتى قال لهم : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد » وقال له رجل : ما شاء الله وثئت . فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » . وقال : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » . وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وقال لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما أت لاق ، مخلو جهدت الخليفة على أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو جهدت أن تصرفك لم تصرفك إلا بشيء كتبه الله عليك » وقال أيضاً : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وإنما أنا عبد . فقولوا عبد الله ، ورسوله » وقال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً

(٢) التوبة : ١٨

(٤) التوبة : ٥٩

(١) النساء : ٧٧

(٣) النور : ٥٢

(٥) آل عمران : ١٧٣

يعبد » وقال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » وقال في مرضه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً .

وهذا باب واسع ، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه ، فانه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب ، كما جعل المطر سبباً لانبثات النبات قال الله تعالى : « وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة » (١) .

وكما جعل الشمس والقمر سبباً لما يخلقه بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سبباً لما يقصيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فان ذلك من الأسباب التي يرحمها الله بها ، ويشب عليها المصلين عليه .

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور : أحدها : أن السبب المعين لا يستقبل بالمطلوب ، بل لابد معه من أسباب أخرى ، ومع هذا فلها موانع ، فان لم يكمل الله الأسباب ، ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وان لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لا يكون الا أن يشاء الله .

الثاني : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب الا بعلم ، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم ، أو يخالف الشرع كان مبطلاً ، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال : « انه لا يأتي بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل » .

الثالث : أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً الا أن تكون مشروعة ، فان العبادات مبناه على التوقيف ، فلا يجوز

للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه •

ولذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشرعة وإن ظن ذلك ، فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك •

وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان ، فلا يحل له ذلك ، إذا المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به • إذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بتحصيل المصالح وتكميلها ، وعطيل المفاسد وتقليلها •

فما أمر الله به فمصلحته راجحة ، وما نهى عنه فمفسدته راجحة ، وهذه الجمل لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات • • والله أعلم •

والحمد لله وحده ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الرسالة الخامسة :

هدية طيبة
تأليف

الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لوليه ، وانصلاة على نبيه •

مثل الشيخ رحمه الله تعالى عن معنى : لا اله الا الله •
فأجاب بقوله : اعلم ربك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين
الكفر والاسلام ، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي
جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ، وليس
المراد بقولها باللسان مع الجهل بسعناها ، فإن المنافقين يقولونها وهم
نحت الكفار في الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ،
ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض
ما خالفها ، ومعاداته ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال :
لا اله الا الله مخلصا » وفي رواية : « خالصا من قلبه » وفي رواية :
« صادقاً من قلبه » • وفي حديث آخر : « من قال : لا اله الا الله ،
وكرر بها يعبد من دون الله » • الى غير ذلك من الأحاديث الدالة على
جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة •

فاعلم أن هذه الكلمة نفى وإثبات ، نفى الالهية عما سوى الله
تعالى من المخلوقات ، حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ، فضلا
عن غيرهم من الأولياء والصالحين •
إذا فهمت ذلك ، فتأمل هذه الألوهية التي أثبتتها الله لنفسه ،
وتفاهها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من
خردرل •

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا : السر
والولاية •

والاله معناه : الولي الذي فيه السر . وهو الذي يسموه :
 الفقير والشيخ ، ونسبه العامة : السيد ، وأشباه هذا ، وذلك أنهم
 يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الانسان يلتجئ
 اليهم ، ويرجوهم ، ويستغيث بهم . ويجعلهم واسطة بينه وبين الله .
 فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط . هم الذين يسميهم
 الأولون : الآلهة . والواسطة : هو الاله . فقول الرجل : لا اله الا الله ،
 ابطال للوسائط . واذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة ، فذلك بأمرين :
 الأول : أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وقتلهم ، ونهب أموالهم ، واستحل نساءهم ، كانوا مقرين
 لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيى ،
 ولا يميت ، ولا يدبر الأمور الا الله وحده ، كما قال تعالى :
 « قل من يرزقكم من السماء والأرض امن بملك السمع والأبصار ومن يخرج
 الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ، فسيقولون
 الله » (١) (١) .

وهذه مسألة عظيمة مهمة ، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون
 بهذا كله ، ومقرون بها ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الاسلام ، ولم
 يحرم دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضا يتصلحون ، ويحبون ،
 ويعتبرون ، ويتعبدون ، ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله
 عز وجل .

ولكن الأمر الثاني : هو الذي كفرهم ، وأحل دماءهم وأموالهم ،
 وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية ، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى
 الا الله وحده لا شريك له ، ولا يستغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره ،
 ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبى مرسل ، فمن استغاث بغيره
 فقد كفر ، ومن ذبح لغيره فقد كفر ، ومن نذر لغيره فقد كفر ،
 وأشباه ذلك .

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ، مثل : الملائكة ، وعيسى ، وعزير ،

وغيرهم من الأولياء . فكفروا بهذا ، مع اقرارهم بأن الله هو الخالق ،
الرازق ، المدير .

إذا عرفت هذا . عرفت معنى « لا اله الا الله » وعرفت أن من
نجا^(١) نبيا . أو ملكا . أو نذبه ، أو استغاث به . فقد خرج من الاسلام ،
وهذا هو الكفر الذي فاتهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فإن قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق ،
الرازق ، المدير ، ونحن ندعوهم ، ونسألهم ، ونستغيث بهم ، ونريد بذلك الوجاهة
والشفاعة ، والا فنحن نفهم أن الله هو الخالق المدير .

فقل : كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله ، فانهم يدعون عيسى
وعزيرا ، والملائكة ، والأولياء ، يريدون ذلك كما قال تعالى :
« والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى » (٢) .

وقال : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٣) .

فاذا تأملت هذا تأملا جيدا ، عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد
الربوبية ، وهو تعرده باخلق والرزق والتدبير ، وهم ينحون عيسى ،
والملائكة . والأولياء ، يقصدونهم لأنهم يقربونهم الى الله ،
ويشفعون عنده .

وعرفت أن من اكفار خصوصا النصارى ، منهم من يعبد الله
الليل والنهار ، ويزهّد في الدنيا ، ويتصدق بما دخل عليه منها ، معتزلا
في صومعة عن الناس ، ومع هذا كافر عدو لله ، مخلص في النار بسبب
اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء ، يدعوهم ، أو يذبح له ، أو ينذر
له . تبين لك كيف صفة الاسلام الذي دعا اليه نبيك صلى الله عليه
وسلم ، وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل ، وتبين لك معنى
قوله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا
كما بدأ » .

(١) هكذا في الاصل . ولعله يقصد (نجا) ، وبها النية : قصده .

(٢) يونس : ١٨

(٣) الزمر : ٣

فأله الله يا اخواني : تمسكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ،
وأبيه ورأسه ، شهادة أن لا اله الا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها
وأحبوا أهلبا ، واجمعوهم اخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا
بالطواغيت وعادوهم . رأبضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ،
أو قال : ما على منهم ، أو قال : ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا
على الله وافتري ، فقد كفره الله بهم . وافرض عليه الكفر بهم ، والبراءة
منهم ولو كانوا اخوانهم وأولادهم .

فأله الله ، تمسكوا لعالمكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا ،
اللهم توفنا مسلمين ، وأحققنا بالصالحين .

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين
من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

قال الله تعالى : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه
فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ، وكان الإنسان كفورا » (١) .

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر
تركوا السادة والمشايخ ، ولم يستغيثوا بهم ، بل أخلصوا لله وحده
لا شريك له ، واستغاثوا به وحده ، فإذا جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدعى أنه من
أهل العلم ، وفيه زهد ، واجتهاد ، وعبادة . إذا مسه الضر قام يستغيث
بغير الله ، مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني ، وأجل من هؤلاء ،
مثل زيد بن الخطاب والزيير ، وأجل من هؤلاء ، مثل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فأله المستعان ، وأعظم من ذلك وآثم أنهم يستغيثون
بالطواغيت ، والكفرة والمردة ، مثل شمسان ، وادريس ويونس وأمثالهم ،
والله سبحانه أعلم .

الحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على خير خلقه محمدا وآله
أجمعين .

الرسالة السادسة :

لوثق عسرى الايمان

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين .

اعلم أولا ، يدك الله بتوفيقه ، أن أوثق عسرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله ، وهذا وجه في أهل بلد مرتدين ، أو بادية^(١) ، وهم بنو عم ، ويجيئهم نهم ذكر عند الأمراء ، فيتسبب بالدفع عنهم حميه دينوية ، اما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم . هل يكون هذا موالاة تفاق ؟ أو يصير كفرا ؟ فان كان ما يقدر من نفسه أو يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ، وكذلك اذا عرفت هذا من انسان ، ماذا يجب عليك ؟ افتنا مأجورا .

فأقول : أولا : ان الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين ، من الكفار ، والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ، ولا يؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بالجهاد ، والاغلاظ عليهم بالنقول والفعل ، وتوعدهم باللعن والقتل ، كقوله : « ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » (٢) .

وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر ان من تولاهم فهو منهم ، وكيف يدعى رجل محبة الله وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا انشيانا على عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون الله ؟ كما قيل :
تحب عدوى ثم ترغم أنتى صدقتك ان الود عنك لمازب
وبالجملة : فاجه . نى الله ، والبغض في الله أسئل عظيم من أصول

(١) يريد الأعراب المنافقون . (٢) الأحزاب : ٦١ .

الايمان ، يجب على العبد مراعاته ولهذا جاء فى الحديث : « أوثق عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله » .
ولذلك اكثر الله من ذكره فى القرآن ، قال تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء ، الا أن تتقوا منهم تقاة » (١) .
قال بعض المفسرين : هموا أن يولوا الكافرين ، كقراة بينهم ، أو صداقة قبل الاسلام ، أو غير ذلك من الأسباب التى يتصادق بها ويتعاشرون .

وقوله : « من دون المؤمنين » يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار ، فلا تؤثرهم عليهم ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء ، أى ومن يتولى الكفرة ، فليس من ولاية الله فى شيء يقع عليه اسم الولاية ، يعنى ، أنه منسلخ من ولاية الله رأسا . وهذا أمر معقول ، فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان .
« الا أن تتقوا منهم تقاة » .

فرخص فى موالاتهم اذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم الا بذلك ، وكانوا مقهورين لا يستطيعون اظهار العداوة لهم ، فحينئذ تجوز المعاصرة الظاهرة واقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ينظر زوال المانع ، كما قال تعالى : « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » (٢) .
قال ابن عباس : نيس التقية بالعمل ، انما التقية باللسان ، وقال أيضا : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين ، الا أن يكون انكفار ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفونهم فى الدين وذلك قوله : « الا أن تتقوا منهم تقاة » ذكره ابن جرير وابن أبى حاتم .

وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخلوا بطانة من دونكم » (٣)
الآية . قال القرطبي : لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم .
وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

(٢) النحل : ١٠٦

(١) آل عمران : ٢٨

(٣) آل عمران : ١١٨

أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم (١) .
الى آخر قوله : « فان حزب الله هم الغالبون » (٢) .

قال حذيفة : لئن أحذكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر ،
لهذه الآية : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » (٣) .

قال مجاهد في قوله تعالى : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم » (٤) .

قال : المنافقون في صناعة اليهود ، ومداخلتهم واسترضاعهم
أولادهم أيهم .

وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى : « آية على المؤمنين » (٥)
قال : أهل رقة على أهل دينهم « آية على الكافرين » وقال : أهل غلظة
على من خالفهم في دينهم . وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف .
وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الدين الخسلا
دينكم هزوا ولعبا من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » (٦) .
وقال تعالى : « ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبس
ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي المذاب هم خالدون » (٧)
والآية بعدها .

وقال تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم
وماواهم جهنم وبئس المصير » (٨) .

فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام ،
وأمر بالاغلاق عليهم قسولا وفعلا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في الآية : « جاهد الكفار » بالسيف « والمنافقين » باللسان
« واغلق عليهم » قال : ذهب الرفق عنهم . وقال ابن مسعود رضي
الله عنه : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : بيده ، فان لم يستطع
فبأسائه ، فان لم يستطع فبقلبه ، ولياقه بوجه مكفر ، أي عابس متغير

(٢) المائة : ٥٦

(٤) المائة : ٥٢

(٦) المائة : ٥٧

(٨) التوبة : ٧٣

(١) المائة : ٥١

(٣) المائة : ٥١

(٥) المائة : ٥٤

(٧) المائة : ٨٠

من الغيظ والبغض • كره ابن أبي حاتم ، وجاء — معناه في حديث — مرفوع ، رواه البيهقي في « الشعب » •

وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم » (١) . الآية • نفى سبحانه وتعالى الايمان عن هذا شأنه ، ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم ، فضلا عن غيرهم •

وقال تعالى : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » (٢) • قال ابن عباس : ولا تركنوا ، قال : لا تميلوا • وقال عكرمة : أن تطيعوهم ، أو تودوهم ، أو تصطنعوهم • ومعنى تصطنعوهم : أى تولوهم الأعمال ، كمن يولى الفساق والفجار •

وقال الثوري : ومن لاق لهم دواة ، أو برى لهم قلمًا ، أو ناولهم قرطاسا دخل في هذا • قال بعض المفسرين : النهى فى الآية متساوٍ للانحطاط فى هواهم • والاقطاع اليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومداسنتهم • والرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزى بهم ، ومد العين إلى زهرتهم ، وذكره بما فيه تمظيم لهم وتأمل قوله : « ولا تركنوا » واركون : هو الميل اليسير •

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا عدوى وعدوك أولياء تلقون إليهم بالمودة » إلى قوله : « فأولئك هم الظالمون » (٣) •

وضح أن صدر هذه السورة نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة ، لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم • وجاء فى تفسير قوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر » (٤) الآية : أنها فى أبى عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر ، كما رواه الطبرانى ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وغيرهم •

وعن ابن جريج • قال • حدث أن أبا قحافة • ب النبی صلى الله عليه وسلم ، فصكه أبو بكر صكة سقط ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أفصت يا أبا بكر » ؟ فقال : والله لو كان السيف

(٢) هود : ١١٣

(٤) المجادلة : ٢٢

(١) المجادلة : ٢٢

(٣) المتحنة : ١ - ٩

فربما منى لضريحه ، فنزلت : « لا تجسد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر » (١) .

رواه ابن المنذر ، وهذا والله أعلم في أول الاسلام ، فان أبا قحافة
أسلم عام الفتح ، فلم يكن ليسب النبي صلى الله عليه وسلم بعد
الاسلام ، وأبو بكر خرج مهاجرا من مكة ، ولم يعد إليها الا بعد الاسلام
في عمره مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : من أحب في الله ، وأبغض في الله ،
وعادى في الله ، ووالى في الله ، فائما تنال ولاية الله بذلك . رواه
ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « أوحى الله الى نبي من الأنبياء أن قل لفلان
العابد أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك الى
فتعززت به ، فما عدت فيما لي عليك ؟ قال : يا رب .. وما لك على ؟
قال : هل واليت اى وليا . أو عاديت لى عدوا ؟ »

وقال تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه
تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » (٢) .

فقد تعالى الموالاة بين المؤمنين ، وقطعهم من ولاية الكافرين ،
وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وإن لم يفعلوا ذلك وقع من
الفتنة والفساد الكبير شئ عظيم ، وكذلك يقع فهل يتم الدين أو يقام
علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر الا بالحب في الله ،
والبغض في الله ، والمعاداة في الله والموالاة في الله ، ولو كان الناس
متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن
فرقا بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء
الرحمن وأولياء الشيطان ، والآيات في هذا كثيرة .

وأما الأحاديث مروى أحمد عن البراء بن عازب : « أوثق عرى
الإيمان . الحب في الله والبغض في الله » . وفي حديث مرفوع : « إيا
لا تجعل للفاجر عدى يدا ولا نعمة ، فيودعه قلبى ، فاني وجدت فيسا

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) الانفال : ٧٣

(٨ مجموعة التوحيد)

أوحى الى : « لا تجسد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » رواه ابن مردويه وغيره .

عن أبي ذر مرفوعا : « أفضل الأعمال الحب في الله ، والبغض في الله » رواه أبو داود ، ورواه أحمد مطولا . وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعا : « المرء مع من أحب » . وعن ابن مسعود مرفوعا : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقي » رواه ابن حبان في صحيحه .

وعن علي مرفوعا : « لا يحب رجلا قوما الا حشر معهم » رواه الطبراني باسناد جيد قال ابن المنذر ، وقد روى أحمد معناه : عن عائشة باسناد جيد أيضا عنها مرفوعا : « الشرك أخفى من ديب الذر على الصفا من انليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، أو تبغض على شيء من العدل . وهل الدين الا الحب في الله ، والبغض في الله » ؟ قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (١) الآية ، رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : الحب على شيء من الجور وان قل ، والبغض على شيء من العدل وان قل من الشرك ، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين .

وعن بريدة مرفوعا : « لا تقولوا للمنافق سيدي ، فانه ان يكن سيدي فقد أسخطكم بكم عز وجل » رواه أبو داود ، والنسائي باسناد صحيح . ورواه الحاكم ونظمه : « اذا قال الرجل للمنافق : يا سيدي فقد أغضب ربه عز وجل » وقال : صحيح الاسناد .

وعن ابن مسعود مرفوعا : « مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعر تردى في بئر ، فهو ينزع بذنبه » رواه أبو داود ، وابن حبان . قال ابن المنذر : ومعنى الحديث : أنه وقع في الائم ، وهلك البعر اذا تردى في بئر ، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص . والأحاديث في ذلك كثيرة .

فصل في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة ، فنذكر منها بعضها :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم »
الى قوله : « ان الله عليم بذات الصدور » (١) . والآية بعدها

قال ابن عباس في الآية : رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية ، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلا » قال : هم المنافقون رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قيل له : ان هاهنا غلاما من أهل الحيرة ، سافطا . كاتباً فلو اتخذته كاتباً ؟ قال : قد اتخذت اذن بطانة من دون المؤمنين . رواه ابن أبي شيبة .

وعن الربيع . « لا تتخذوا بطانة » قال : لا تستدخلوا المنافقين تتولونهم دون المؤمنين . وفي « تفسير القرطبي » في الكلام على هذه الآية : نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلا ووليجا يفاوضونهم في الآراء ، ويسندون اليهم أمورهم ويقال : كل من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تتخذه . قال :

عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » . وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « اعتبروا الناس بأخداهم » . ثم بين المعنى الذي لأجله ورد النهى عن المواصله . قال : وقد مر أبو موسى الأشعري على عمر رضى الله عنه بحساب فدفعه الى عمر فأعجبه ، فقال لأبي موسى : أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب

فى النفس ؟ فقال : الله لا يدخل المسجد • فقال : لم ؟ أجنب هو ؟
قال : انه نصرانى — قال : فالتهمه — وقال : لا تدّهم وقد أقصاهم
الله ، ولا تكرّهم وقد أهانهم الله ، ولا تأمنهم وقد خونهم الله •

ومن كتاب الامام محمد بن وضاح ، قال : سئل^(١) قال جاء فى
الأثر : « من جالس صاحب بدعة فقد مشى فى هدم الإسلام » وقال
الأوزاعي : كانت اسلامكم تشهد عليهم — أى على أهل البدع —
الستهم ، وتشمئ منهم قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم •

وقال الحسن . لا تجالس صاحب بدعة ، فانه يمرض قلبك • وقال
ابراهيم : لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلّموهم ، فاني أخاف أن ترتد
قلوبكم • روى هذه الآثار ابن وضاح •

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : اعلم ربك
الله أن كلام السلف فى معاداة أهل البدع والضلالة • انتهى •

فاذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم فى معاداة أهل الضلالات ،
ونهيهم عن مجالستهم • ما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين ، وجفأة الأعراب
الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والسعى فى مصالحهم ، والذب عنهم ،
وتحسين حالهم ، مع كونهم بين اثنتين : إما كافر أو منافق ، ومن بينهم
بمعرفة الاسلام منهم قليل ، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم ، وهو معهم
يحشر يوم القيامة • قال تعالى : « احشروا الذين ظلموا وازواجهم »^(٢)
الآية • وقال تعالى : « والذال نفوس زوجت »^(٣) •

وقد تقدم الحديث : « لا يحب رجل قوما الا حشر معهم » •

فصل

فى التنبيه على حاصل ما تقدم

قد نصى الله سبحانه عن موالاة الكفار ، وشدد فى ذلك ، وأخبر
أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبى صلى الله
عليه وسلم ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : أن من أحب قوما حشر
معه •

(١) هكذا فى الأصل ، ولعل سائلا سأل عن صاحب البدعة •

(٢) التكوين : ٧

(٣) الصافات : ٢٢

وفيهما مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور ، من فعلها دخل في تلك الآيات وتعرض للوعيد بمسيس النار ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وآليم عقابه .

أحدهما : التوى العام . الثانى : المودة والمحبة الخاصة . والثالث . الركون القليل . قال تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . (١) لأنك ضعف الحيلة وضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (٢) .

فالذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه ، فكيف بغيره ؟

الرابع : مدهانتهم ومداراتهم . قال الله تعالى : « ودوا لو كنهم فيدهنون » (٣) .

الخامس : دغهم فيما يقولون ، وفيما يشيرون ، كما قال تعالى : « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » (٤) . وقال تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين » (٥) الآيات .

السادس : تقربهم فى الجلوس ، والدخول على أمراء الاسلام .

السابع : مشاورتهم فى الأمور .

الثامن : استعماهم فى أمر من أمور المسلمين ، أى أمر كان : امارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك .

التاسع : اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين .

العاشر : مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم .

الحادى عشر : البشاشة لهم والطلاقة .

الثانى عشر : الأكرام العام .

الثالث عشر : استئمانهم وقد خونهم الله .

(٢) القلم : ٩

(١) الاسراء : ٧٤ : ٧٥

(٤) القلم : ١٠

(٣) الكهف : ٢٨

- الرابع عشر : معاوتهم في أمورهم ولو بشيء قليل ، كبرى القلم ،
وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم •
- الخامس عشر : مناصحتهم •
- السادس عشر : اتباع أهوائهم •
- السابع عشر : مصاحبتهم ومعاشرتهم •
- الثامن عشر : الرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيى بزهم •
- التاسع عشر : ذكر ما فيه تعظيم لهم ، كتسميتهم سادات وحكماء ،
كما يقال للطاغوت : السيد فلان ، أو يقال لمن يدعى علم الطب : الحكيم ،
ونحو ذلك •
- العشرون : السكنى معهم في ديارهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم :
« من جامع المشركين وسكن معهم ، فانه مثلهم » رواه أبو داود •
- إذا تبين هذا ، فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه
منهم ، أو مع غيرهم ، كما في آية المجادلة ، وحينئذ فالذى يتسبب بالدفع
عنهم حمية أما بطرح تدال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف
المسلمين عنهم ، من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين
وغيرهم ، خصوصا المرتدين ، ينبغي أن تكون الغلظة عليهم أشد من
الكافر الأصلي ، لأن هذا عادى الله على بصيرة ، وعادى رسوله صلى
الله عليه وسلم بعد ما عرف الحق ثم أكره وعاداه والعياذ بالله ، فإذا
كان من أعان ظالما ، فقد شاركه في ظلمه ، فكيف بمن يعين الكفار
والمنافقين على كفرهم ونفاقهم ؟ ! وإذا كان من أعان ظالما مسلما في
خصومة ظلم تكون عند حاكم ، شريكا للظالم ، فكيف بمن يعين الكفار ،
ويذب عنهم عند الأمراء ؟ !
- وإذا كان الحرامية الذين يأخذون أموال الناس • إذا بذلوا للأمير
مالا على أن يكف عنهم • فهو رئيسهم ، فما ظنك بمن يبر الى الكفار
المودة ؟ ويعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه ، كما نص على ذلك
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، وغيره ، لكن طرح النكال
إن كان عن مسلم مظلوم ، فالشفاعة فيه والسعى في إسقاطه بالرأى

« ونحوه حسن . وان كان عن مرتد ، فلا نعماء لعشرته ولا كرامة . ويكنى . في ذلك ما رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصححه . عن ابن مسعود ، قال : لما كان يوم بدر جئ بالأسرى وفيهم العباس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تأمرون في هؤلاء الأسرى » ؟ فقال أبو بكر : قومك يا رسول الله وأهلك ، فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم . وفي حديث أنس ، عن أحمد : ترى أن تغفر عنهم ، وتقبل منهم الفداء رجع الحديث الى ابن مسعود ، فقال عمر : يا رسول الله . كذبوك ، وأخرجوك ، وقتلوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا بكر مثلك مثل ابراهيم عليه السلام ، قال : « فمن تبعني فاته مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم » (١) .

ومثلك يا عمر كمثلك نوح قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » (٢) .

أنتم عالة ، فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو بضرب عنق فانزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » (٣) .
الآيتين مختصرا .

وفي حديث أنس : فانزل الله : « لولا كتاب من الله سبق » (٤) الآية .
وفي حديث ابن عمر ، عن أبي نعيم : فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال : « كاد أن يصيبنا في خلافتك شر » وفي رواية عنه عند ابن المنذر وابن مردويه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كاد ليمسنا من خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ، ولو نزل عذاب ما قلت الا عمر » .

فاذا كان هذا في رأى للصديق رضى الله عنه الذى اجتهد فيه ، ونصح لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بمن يفعل ذلك حمية دنيوية لا لغرض دين ، ولا يقصد وجه الله بذلك ، بل لا يقصد الا الدنيا ؟
فان قيل : فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يذم أبا بكر على التشبيه ،

(٢) نوح : ٢٦
(٤) الأنفال : ٦٨

(١) ابراهيم : ٢٦
(٣) الأنفال : ٦٧

بل شبهه بإبراهيم وعيسى ومبكا ئيل عليهم السلام ، وشبه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام .

قيل : المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة ، لا في خصوص هذه المسألة ، فإن الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله ، ومع ذلك توعد الله في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأى للصديق رضى الله عنه الذى اجتهد فيه ، فكيف بمن ينصح لهم ، ويرفق بهم ، ويرى الكف عن القتال ، ويشير بإسقاط النكال عنهم . من غير مسوغ شرعى ، بل مجرد المحبة الدنيوية . وأما من يشير بكف المسلمين عنهم ، فإن كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول فى الاسلام أو دخولوا فيه ، أو واعدته بالدخول فيه عن قرب ، وكان المصلحة فى تركهم قليلة ونحوه ، يجوز ذلك ، وإن كان المراد به أن لا يتعرض المسلمون لهم بشيء لا بقتال ولا نكال واغلاظ ونحو ذلك ، فهو من أعظم أحوالهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بعد الديار ، وتباعد الأقطار ، كما قيل :

سهم أصاب وراميه (بذى سلم) من بالعراق لقد أبعدت مراكم وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم أن كانوا مرتدين ، فهذا عند الفقهاء مخطئ آثم ، لأننا يجب على المرتد ضمان ما ألتفه للمسلمين نفي حال الردة ، خصوصا من تكرر منه الردة مرارا ، فانه لا يقصد بذلك فى هذا الزمان إلا الاغارة والنهب لا غير ، فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الإلثم والعدوان ، ولهذا لما صار هذا الأمر سائفا عند بعض الناس افتتحت للبدوان أبواب الردة ، وأتوها مهطعين من كل وجه ، ولو كان هذا مصلحة فى بعض الأوقات رآها بعض الأمراء ، فلا يجب طرد ذلك لكل أحد فى كل زمان ، فاعلم ذلك .

وأما قول السائل : هل يكون هذا موالاته فحاق ، أم يكون كفرا ؟ فالجواب : أن كانت الموالاته مع مساكنتهم فى ديارهم ، والخروج معهم فى قتالهم . ونحو ذلك ، فانه يحكم على صاحبها بالكفر ، كما قال تعالى : « ومن يتولهم منهم فانه منهم » (١) .

وقال تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر

بها ويستعزوا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذن مثلهم» (١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشركين ، وسكن معهم فانه مثلهم » وقال : « أنا يرىء من مسلم بين أظهر المشركين » رواهما أبوداود .

وان كانت الموالاة لهم في ديار الاسلام اذا قدموا اليهم ونحو ذلك ، فهذا عاص . آثم ، متعرض للوعيد ، وان كانت موالاتهم لأجل دينهم ، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله . وان كانت الموالاة لأجل دينهم ، فهو مثلهم ، ومن أحب قوما حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل في قوله : حمية دنيوية ، يمكن هذا لا بلاغ المحبة في قلوبهم . والا فلو كان يخفضهم في الله وما يعاديهم ، لكان أقر شيء لونه ما يسخطهم ، ولكن كما قال ابن القيم :

تحب أعداء الحبيب ، وتدعى حباله ، ما ذاك في امكان

وأما قول السائل : فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟

فالجواب : لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكا في كفرهم ، أو جاهلا به ، أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ، ولكن بقدر على مواجهتهم وتفكيرهم . أو يقول : أقول : غيرهم كفار ، لا أقول : انهم كفار . فان كان شاكا في كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ، فان شك بعد ذلك وتردد ، فانه كافر بأجماع العلماء ، على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر .

وان كان يقر بكفرهم ، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم ، ويدخل في قوله تعالى : « ودوا او تدين فيدينون » (٢) وله حكم أمثاله من أحد الذنوب .

وان كان يقول : أقول غيرهم كفار ، ولا أقول هم كفار ، فهذا

حكم منه بإسلامهم ، إذ لا واسطة بين الكفر والإسلام ، فإن لم يكونوا
كفاراً فهم مسلمون ، وحينئذ فمن سمي الكفر إسلاماً • أو سمي الكفار
مسلمين فهو كافر ، فيكون هذا كافراً •

وأما قوله : إذا عرفت هذا من إنسان ، ماذا يجب عليك ؟

فالجواب : يجب عليك أن تنصحه وتدعوه إلى الله سبحانه ، وتعرفه
تبيين ما ارتكبه ، فإن تاب فهذا هو المطلوب ، وإن أصر وعاند فله حكم
ما ارتكبه ، إن كان كفراً فكافر ، وإن كان معصية أو أثماً فعاص آثم ،
يجب الإنكار عليه • وتأديبه وهجره وإبعاده حتى يتوب ، وقد هجر النبي
صلوات الله عليه وسلم من تخلف عن غزوة واحدة ، ونهى عن كلامهم والسلام
عليهم ، فكيف بمن يوالى الكفار ، ويظهر لهم المودة ؟ ! وهذا ما قلناه
من تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله ، ابن الشيخ رحمه الله وعفا عنه •

* * *

الرسالة السابعة :

هذا سؤال أورده الشيخ الامام عبد الرحمن بن حسن ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الأحساء ، فأجاب الشيخ العمام عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين هذا الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ما قولكم — دام فضلكم — فى تعريف العبادة ، وتعريف توحيد العبادة ، وأنواعه ، وتعريف الاخلاص ؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص ؟ وهل هو مطلق أو وجهى ؟ وما معنى الاله ؟ وما معنى الطاغوت الذى أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين . أما العبادة فى اللغة فهى من الذل : يقال بعير معبد : أى مذلل ، وطريق معبد : اذا كان مذلا ، وقد وطئته الأقدام ، وكذلك الدين أيضا من الذل . يقال : دنته فدان : أى أذلته فذل .

وأما تعريفها فى الشرع . فقد اختلفت عباراتهم فى تعريفها والمعنى واحد ، فعرفها طائفة بقولهم : هى ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى . وعرفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع . وقال أبو العباس رحمه الله تعالى : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاتوان الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وسدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان الى الجار ، واليتيم ، والمساكين ، والمملوك من الأدمنين والبهائم ، والدعاء والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والافتابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، واخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالمدن كله دخل فى العبادة . انتهى .

ومن عرفها بانحسب مع الخضوع ، فلأن الحب التام مع الذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب والالتقاد له ، فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه . فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته .
فمحبة العبد لربه ، وذلك له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس العبادة غير توحيد لمحبة . مع خضوع القلب والأركان :

والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض مالا يرتضى بجنائ
ووفاقه نفس اتبعك أمره والقصد وجه الله ذى الاحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح ، فمن أحب شيئا وخضع له . فقد تعبد قلبه له ، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ، ولا الخضوع بلا محبة عبادة .

فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة ، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر ، فمن خضع لإنسان مع بغضه له ، لم يكن عابدا له ، ولو أحب شيئا ولم يخضع له : لم يكن عابدا له ، كما يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شئ . وأن يكون أعظم عنده من كل شئ ، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام الا الله سبحانه . اذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو افراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها ، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعا ، ليس أحدهما دون الآخر ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد فى القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، وأبى عن الاقرار به المشركون .

وأما العبادة من حيث هى ، فهى أعم من كونها توحيدا عموما مطلقا ، فكل موحد عابد لله ، وليس كل من عبد الله يكون موحدا .
ولهذا يقال عن المشرك : أنه يعبد الله ، مع كونه مشركا . كما قال الخليل صلى الله عليه وسلم : « افرأيتم ما كنتم تعبدون . انتم وأبائكم الأقدمون . فانهم عبدوا لى الا رب العالمين » (١) .

وقال عليه السلام : « اننى براء مما تعبدون ، الا الذى فطرنى فانته
سبيهمين » (١) .

فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم ، فدل على أنهم يعبدون الله
مبجانه ، فان قيل : ما معنى النفى فى قوله سبحانه : « ولا أنتم عابدون
ها أعبد » (٢) .

قيل : انما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف
وجود الفعل الدال على الحدث والتجدد .

وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف فى
« بدائع الفوائد » فقال لما أنجز كلامه على سورة « قل يا أيها
الكافرون » :

وأما المسألة الرابعة : وهو أنه لم يأت النفى فى حقهم الا باسم
الفاعل ، وفى جهته جاء بالفعل المستقبل تارة ، وباسم الفاعل أخرى ،
وذلك — والله أعلم — لحكمة بدية ، وهى أن المقصود الأعظم براءته
من معبوديهم بكل وجه وفى كل وقت ، فأتى أولا بصيغة الفعل الدالة
على الحدث والتجدد ، ثم أتى فى هذا النفى بعينه بصيغة اسم الفاعل
الدالة على الوصف والثبوت ، فافاد فى النفى الأول أن هذا لا يقع
منى ، وأفاد فى الثانى أن هذا ليس وصفى ولا شائى ، فكأنه قال : عبادة
غير الله لا تكون فعلا لى ولا وصفا ، فأتى بنفيين مقصودين بالنفى .
وأما فى حقهم فانما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ،
أى الوصف الثابت الملازم للعابد لله منتف عنكم ، فليس هذا الوصف
ثابتا لكم ، ولما ثبت لمن خص الله وحده بالعبادة ، لم يشرك معه
فيها أحدا ، وأتم لما عبدتم غيره فليست من عابديه . وإن عبدوه
فى بعض الأحيان فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره ، كما قال أهـ لـ
الكهف : « وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله » (٣) أى اعتزلتم
معبوديهم الا الله فانكم لم تعتزلوه . وكذا قول المشركين عن معبوديهم :
« ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٤) .

فهم كافروا يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ، لم ينف تنهم الفعل

(١) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧ (٢) الكافرون : ٣ ، ٥
(٣) الكهف : ١٦ (٤) الزمر : ٢

لوقوعه منهم ، ونفى الوصف ، لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها .

فتأمل هذه الشبكة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد لله وإن عبده ولا المستقيم على عبادته إلا من انقطع إليه بكلية ، وتبتل إليه بتبتيلا ، ولم يلتفت إلى غيره . ولم يشرك به أحدا في عبادته ، وأنه إن عبده وأشرك به غيره فليس عابدا لله ولا عبدا له .

وهذا من أمرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي أحد سورتي الاخلاص التي تعدل ربع القرآن ، كما جاء في بعض السنن ، وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه إلا من منحه الله فهما من عنده ، فله الحمد والمنة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وأما الاخلاص : فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وأرادته ونيتة ، وهذه هي انخيفية ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الاسلام : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (١) .

وهي ملة ابراهيم التي رغب عنها فهو من أسفه السفهاء : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه » (٢) .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على اشتراط الاخلاص للأعمال والأقوال الدينية ، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه .

ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم ، ويرون الاخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ، ويعمل الأعمال وآفاتهما ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، وإسا بهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه ، أو المنقصة له .

قال الامام أحمد رحمه الله : أمر النية شديد .

وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئا أشد على من نيتي لأفها .
تقلب على •

وقال يوسف بن أسباط : تخليص النية من فسادها أشد على
العاملين من طول الاجتهاد •

وقال سهل بن عبد الله : ليس على النفس شيء أشق من الاخلاص
لأنه ليس لها فيه نصيب •

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيء في الدنيا الاخلاص ، وكس
اجتهد في اسقاط الرياء عن قلبه ، وكأله ينبت فيه على لون آخر فيجب
على من نصحه نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من
الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء ، لأن « الأعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى » •

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص ، وهل هو وجبي
أو مطلق ؟ فقد قدمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة
عموما مطلقا ، وأن العبادة المطلوبة شرعا هي نفس توحيد العبادة ،
ودل كلام ابن القيم — رحمه الله — أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص
حيث قال :

فلواحد كن واحدا في واحد	أعنى سبيل الحق والايمن
هذا وثاني نوعي التوحيد تو	حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبدا ولا	تعبد بغير شريعة الايمان
فتقوم بالاخلاص والايمان وا	احسان في سر وفي اعلان
والصدق والاخلاص ركنًا ذلك	التوحيد كالركنين للبيان

الى أن قال :

وحقيقة الاخلاص توحيد المرا	د فلا يزاحمه مراد ثاني
والصدق توحيد الارادة هو بذ	ل الجهد لا كسلا ولا متواني
والسنة المثلى لسالكها فتو	حيد الطريق الأعظم السلطان

فقوله رحمه الله : والصدق والاخلاص ركنًا ذلك التوحيد ، جعله
الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر
الصدق بما ذكر وقال في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص •

فعرفنا — رحمه الله — أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص ، ولم يذكر
الا عموما مطلقا .

وأما العموم الوحي ، فالظاهر أن المراد به إذا كان أحد الشيتين
أعم من وجه وأخص من وجه ، والعموم الذي بين مطلق العبادة
وبين توحيد العبادة . والاخلاص مطلقا لا وجهي . وأما الاله فهو
الذي تأله القلوب بالمحبة ، والخضوع ، والخوف ، والرجاء ، وتوابع
ذلك من الرغبة والرغبة . والتوكل ، والاستغاثة ، والدعاء ، والذبح ،
والنذر ، والسجود ، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ، فهو اله
بمعنى مألوه ، أي معبود ، واجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله .

قال الجوهري : أنه — بالفتح — الاله ، أي عبد عبادة ، قال :
ومنه قولنا : الله . وأصله اله على فعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه
بمعنى معبود ، كقولنا : امام ، فعال بمعنى مفعول ، لأنه مؤتم به
قال : والتأليه : التعبد . والتأله : التنسك والتعبد . قال رؤبة : سجن
واسرجمن من تأله . انتهى .

وقال في الفاموس : اله الاله وألوهة ، عبد عبادة ومنه لفظ
الجلالة . واختلاف فيه على عشرين قولاً ، يعني في لفظ الجلالة قال :
وأصله اله بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبودا اله عند متخذه . قال
والتأله : التنسك والتعبد . انتهى .

وجميع العلماء من المفسرين وشرح الحديث والفقه وغيرهم
يفسرون الاله بأنه المعبود . وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين ،
فظن أن الاله هو القادر على الاختراع ، وهذه عقيمة وغلط فاحش ،
إذا تصور العاقل تبين له بطلانه ، وكأنه هذا القائل لم يتحضر
ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركي
العرب وغيرهم يقولون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك
مشركون . ومن أبعد الأشياء أن عاقلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقهر
بمعناها ويعترف به ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، هذا ما لا يفعله من له
أدنى مسكة من عقل .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : وليس المراد بالاله هو القادر

على اختراع كما ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله ، فإن المشركين كانوا يقولون بهذا التوحيد . كما قال : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (١) .

وقال تعالى : « وإذا قيل لهم تعالى إلى ما أنزل الله وإلى الرسول فيقولون له ، قل أفلا تذكرون » (٢) الآيات .

وقال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (٣) . قال ابن عباس : تسألهم من خلق السموات والأرض ، فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره . وهذا التوحيد من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به الواجب ، ولا يخلص بمجردة عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله ، بل لا بد أن يخلص لله الدين ، فلا يعبد إلا إياه ، فيكون دينه الله . وإلا هو المألوه الذي تأليه القلوب ، فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى إله . انتهى .

وقد دل صريح القرآن على معنى الإله ، وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى : « وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه أننى براء مما تعبدون . إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه » (٤) . قال المفسرون : هي كلمة التوحيد : « لا إله إلا الله » باقية فى عقبه ، أى ذريته .

قال قتادة : لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده . والمعنى جعل هذه المولاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية فى ذرية إبراهيم ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهى كلمة « لا إله إلا الله » .

فتبين أن موالاة الله بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه ، هو معنى لا إله إلا الله .

(١) لقمان : ٢٥ (٢) المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥
(٣) يوسف : ١٠٦ (٤) الزخرف : ٢٦ — ٢٨
(٩ — مجموعة التوحيد)

اذ تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئا من أنواع العبادة المتقدم تعريفها ، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك ، فقد عبد ذلك الغير ، واتخذها الها ، وأشركه مع الله في خالص حقه ، وإن فر من تسمية فعله ذلك تألها وعبادة وشركا . ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها ، فلو سمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها ، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرا ونحو ذلك . ومن المعلوم أن الشرك انما حرم لقبه في نفسه ، وكونه متضمنا مسبة الرب . وتنقصه ، وتشبيهه بالخلق ، فلا تزول هذه المقاييد بتغيير اسمه ، كتسميته توسلا وتشفعا وتعظيما للصالحين ، وتوقيرا لهم ونحو ذلك فالشرك مشرك شاء أم أبى ، كما أن الزاني زان شاء أم أبى ، والمرابي مراب شاء أم أبى .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها ، وذمهم على ذلك ، فلو كان الحكم دائرا مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم ، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديما وحديثا ، أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم ، وغير اسمه بتسميته إياه توسلا وتشفعا ونحو ذلك . . والله الهادي الى سواء السبيل .

وأما تعريف الطاغوت : فهو مشتق من طغا ، وتقديره طغوت ، ثم قلبت الواو ألفا . قال النحويون : وزنه فعالت ، والتاء زائدة . قال الواحدى : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحدا وجمعا ، وبذكر ويؤنث ، قال تعالى : « يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » (١) فهذا في الواحد . وقال تعالى في الجمع : « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات » (٢) . وقال في المؤنث : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها » (٣) .

قال : ومثله في أسماء الفالك ، يكون واحدا وجبعا ، ومذكرا ومؤنثا .
قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجباهير أهل اللغة : الطاغوت : كل
ما عبد من دون الله ، وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن والشيطان
وكل رأس في الضلال . وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف :
كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت . وقال عمر بن الخطاب وابن عباس
رضي الله عنهما وكثير من المفسرين : الطاغوت : الشيطان .

قال ابن كثير : وهو قول قوي جدا ، فانه يشمل كل ما عليه أهل
الجاهلية من عبادة الأوثان ، والتحاكم اليها ، والابتنصار بها . وقال
الواحدى عند قول الله تعالى : « يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ » (١) .
كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت .

قال ابن عباس في رواية عطية : الجبت : الأصنام ، والطاغوت
ترجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم ، يبرون عنها الكذب
ليضلوا الناس . وقال في رواية الوالبي : الجبت : الكاهن ، والطاغوت :
الساحر . وقال بعض السلف في قوله سبحانه : « يريدون أن يتحاكموا
إلى الطَّاغُوتِ » (٢) .

أنه كتب بن الأشرف وقال بعضهم : حيى بن أخطب ، وانما
استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال ، ولا فراطهما في الطغيان ،
واغوائهما الناس ، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله ، فكل من كان
بهذه الصفة فهو طاغوت .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى « يريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغُوتِ » .
لما ذكر ما قيل : انها نزلت في طلب التحاكم إلى كتب بن الأشرف ،
أو إلى حاكم الجاهلية وغير ذلك قال : والآية أعم من ذلك كله ، فانها
دائمة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ،
وهو المراد بالطاغوت هاهنا ، فتحصل من مجموع كلامهم — رحمه الله —
أن اسم الطَّاغُوتِ يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال
يدعو إلى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضا كل من نصبه الناس للحكم

بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، ويشمل أيضا الكاهن والساحر ، وسدنة الأوثان الى عبادة القبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضللة ، الموهمة أن القبور ونحوه يقضى حاجة من توجه اليه وقصده ، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب ، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن القبور ونحوه يقضى حاجة من قصده ، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه • وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان ، فهو الطاغوت الأكبر • • والله سبحانه وتعالى أعلم •

وهذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين ، شكر الله سعيه •



الرسالة الثامنة :

هذه رسالة

أسباب نجات السؤل من السيف السلؤل

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ما قولكم علماء المسلمين فى رجل يقول : نحن نقول لا اله الا الله ولا تكفون عنا ، والكفار الأولون اذا قالوها كف عنهم ؟ وأنتم تقولون : انكم تقولونها وتشركون ، فما نقول حتى تكفوا عنا ؟ أفترأ ما جورين .

المسألة الثانية : هل يلزم للرجل أن يتمذهب بمذهب واحد من المذاهب الأربعة أم لا ؟ وما يجب عليه فى ذلك ؟ ينسوا لنا الجواب رحمكم الله .

الحمد لله الذى جبل عباده على طبائع شتى ، فمنهم شاكرك ، ومنهم كفور ، وجعلهم فريقين : فريق منهم يتقربون اليه بالذبح لنير الله ، والنذر للطواغيت ، وبالدف والطبل والزمور ، وفريق منهم يتقربون اليه بتوحيده ، واقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصوم ، وبالحج المبرور ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد مخلص فى توحيده غير شاك ولا كفور وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أحيا به الأمة الحنيفة حتى أضاء الحق ، وتمزق الديجور ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين اللهم باحسان ، صلاة دائمة الى يوم البعث والنشور ، وسلم تسليما .

أما بعد . . فالجواب عن المسألة الأولى وهى قول السائل : ما تقولون فى « لا اله الا الله » ؟ فنقول : « لا اله الا الله » هى كلمة الاسلام ، وهى مفتاح دار السلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى قامت بها الأرض والسوات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهى محض حق الله على العباد ، وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان ، وهى العمود الحامل للفرض والسنة ، ومن كان آخر

كلامه « لا اله الا الله » دخل الجنة ، وهى الكلمة العاصمة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهى المنشور الذى لا يدخل الجنة أحد الا به ، والجبل الذى لا يصل الى الله الا من تعلق بسببه ، وبها انقسم الناس الى شقى وسعيد . ومقبول وطريد ، فهى وان كانت كلمة قيدت بالقيود الثقال .

فاذا كان امام الحنفاء ، لم تحصل له قول : لا اله الا الله ، ولم تتم له المحبة والموالاتة وهو امام المحبين الا بالمعاداة ، كما قال تعالى : « افرايتم ما كنتم تعبدون . انتم وتباؤكم الاقمنون . فانهم عبدوا لى الا رب المسائلين » (١) . فانه لا ولى الا ييرا ، ولا ولاء لله الا بالبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى قول : لا اله الا الله ، كما قال تعالى : « واذا قال ابراهيم لابييه وقومه اتنى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه » (٢) فأورثها امام الحنفاء عليه السلام لأتباعه يتوارثونها الأنبياء بعضهم لبعض .

فلما بحث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعا اليها ، أمره الله أن يبين هذين الركنين ، كما ذكر الله ذلك فى سورة « الاخلاص » أمره أن يقول : « قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون » . الى قوله : « لكم دينكم ولى دين » (٣) .

وعرف المشركون ذلك حين دعاهم الى قول : لا اله الا الله ، قالوا : « اجعل الالهة الها واحدا ، ان هذا لشيء عجاب » (٤) .

وكذلك ما جرى له صلى الله عليه وسلم مع عمه عند وفاته لما قال له : « يا عم . قل : لا اله الا الله » وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية ، فقالا له : أرغب عن ملة عبد المطلب ؟ عرفوا معناها ان فيها التولى والتبرع .

وكذلك صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يدعو أهل الكتاب اليها فبهم يقولونها . قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧ (٢) الزخرف : ٢٦ — ٢٨
(٣) الكافرون : ١١ — ٦ (٤) سورة ص : ٥

بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » (١) الآية .

وفى « صحيح مسلم » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل » . فتبين بذلك خطأ المفرورين ، وبطلان حجة المبطلين . فإن لا إله إلا الله معناها كما تقدم النفي والاثبات . وحقيقتها الموالاة والمعاداة ، ثم لا بد مع ذلك من البغض والاعتزال للداعي والمدعو ، والعباد والمعبود مع الكفر بهم ، كما ذكر الله ذلك . قال تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا نراء منكم ومما تعبدون من دون الله كافرين بكم وبنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٢) .

وكذلك ما جرى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة ، وما جرى لسعد مع أمه رضى الله عنه . وكما ذكر الله ذلك أيضا عن الخليل عليه السلام مخبرا ، قال تعالى : « واعتزلكم وما تدعون من دون الله » (٣) الآية . وقال تعالى مخبرا عن أهل الكهف : « وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله » (٤) . فذكر الله عنهم في هذه الآيات المحكمات أنهم بدأوا بالمشركين : واعتزلوهم قبل المعبودين ، فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان إذا كان علماءهم لا يعرفون معناها كما عرف جهال الكفار ؟ ولا يعملون بمقتضاها وهي كلمة عليها أسست الملة ، ونصبت القبلة ، ونبه الله على فضلها ، وعظم شأنها أنبيأؤه ورسله .

قال تعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « فاعظم الله لا إله إلا الله » (٥) .

أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة في السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة ، وكذلك في الحديث المشهور عنه صلى الله

(٢) المتحنة : ٤

(٤) الكهف : ١٦

(١) آل عمران : ٦٤

(٣) مريم : ٤٨

(٥) محمد : ١٩

عليه وسام : « أن موسى قال : يا رب .. علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به ؟ قال : يا موسى .. قال : لا اله الا الله . قال يا رب .. كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى .. والأرضين السبع فى كفة ، والا اله الا الله فى كفة ، لماالت بهن لا اله الا الله » .

فليتأمل الناصح لنفسه عظم شأن هذه الكلمة ، وعظم أركانها فى المبتدى ، وفضلها وعظم شأنها فى المنتهى ، فاذا كان لا بد من هذه الشروط المتقدمة فى البداية ، والتنبيه على فضلها ، وعظم شأنها فى النهاية مع سيد المرسلين ، وموسى الكليم عليهما السلام ، فما الظن بغيرهما ؟ والآيات والأخبار فى ذلك كثيرة معلومة ، وانما ذكرنا إشارة على ما قيدت به من القيود .

وأما الكلام عليها فأكثر العلماء والشراح فى ذلك ، ولكن ما تسمعه هذه الأوراق ومعناها الجامع : « لا اله » ، أى لا معبود فى الوجود بحق الا الله ، ولاجل هذا المعنى قال تعالى : « **الر ، كتاب أحكمت آياته** ثم فصلت من لدن حكيم خبير . **الا تعبدوا الا الله** » (١) . فأخبر الحكيم الخبير أنه أنزل كتاباً محكماً ، مفصلاً ، ألا يعبدوا الا هو . وقوله : « **ان لا تعبدوا** » (٢) .

من : ارادة من أجل ألا تعبدوا الا الله ، فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل كتابه من أجل ذلك ، وهذا أيضاً هو معنى لا اله الا الله . وأما الاله فأصله فى اللغة من الوله . يقال : وله التفصيل ، وآله التفصيل اذا اشتد حبه الى أمه ، فقلبت الواو همزة ، فالاله من تألهه القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم ، والخوف والرجاء والدعاء ، وتوابع ذلك من التوكل والاناة والذبح والنذر والرغبة والرغبة والخشية والتوبة ، فجميع التعظيم هو مستحق له حتى لا يحلف الا به .

وسر « لا اله الا الله » افراد الله بذلك كله وتوابعه ، والاله صفة تدور مع المقصد ، فمن قصد بشئ من أنواع العبادة والتعظيم والتبرك فهو اله ، كما فى حديث أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى

الله عليه وسام الى حنين — ونحن حديثاء عهد بكفر — وللمشركين
سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط
فمررنا بسدرة أخرى ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط
كما لهم ذات أنواط ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر — ثلاثا —
انها السنن قلت — والذي نفسي بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى :
« اجعل لنا الهة كما لهم الهة » (١) قال : « لتركبن سنن من كان قبلكم »
رواه الترمذي وصححه .

ومن لوازم الآله ألا يلجأ الا اليه ، ولا يطاع الا أمره ، فهذا
هو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله ، فان المحقق هو المتيقن بقلبه ،
انقائم بها قولا وفعلًا . قال تعالى : « والذين هم بشهادتهم قائمون » (٢)
فلم يكن قائما بشهادته في ظاهره وباطنه ، وفي قلبه وقالبه ، الا من
كان شهادته على الأوصاف المذكورة ، فحياة الروح بهذه الكلمة ، كما
ان حياة البدن بوجود الروح فيه ، فلا أضع للعبد من اقباله على الله ،
واشتغاله بذكره وتنعمه بتوحيده ، ومحبه وإشاره لمرضاته . ويتفاوت
في ذلك الخاتى ثناوتا عظيما ، حتى ان منهم من يدخل الجنة بغير حساب
ولا عذاب ، كما في حديث السبعين الألف ، ووصفهم صلى الله عليه
وسلم بأنهم : « الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ،
وعلى ربهم يتوكلون » فأهل لا اله الا الله ، المحققون لها في نعيم الدنيا ،
وفي البرزخ ، وفي الآخرة في الجنة ، وحرهم الله على النار . وبقدر
ما ينقص العبد في معرفتها ، والعسل بها ، والثبات عليها ، وتحقيق
العمل بمقتضاها يضعف يقينه وسيره وصبره ، فلا يثبت على الصراط
في الدنيا الا من حقق هذه الكلمة ، ومرورهم على الصراط في الآخرة .
بقدر سيرهم واستقامتهم ، فمعطى ومحروم ، والفضل بيد الله ، نسأل
الله الثبات عليها ، وأن يجعل الخاتى لنا وللمسلمين عند الوفاة عليها
برحمته انه أرحم الراحمين .

* * *

فصل

وهنا المقصود بالجواب عما سأل عنه السائل ، فجوابه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن الله شرع الجهاد ، وأمر بالقتال ، وبين لنا الحكمة في ذلك وموجبه ، وما يحصل به الكف . قال تعالى : « وقالوهم حتى لا تكون فتنة » (١) . قال المفسرون : أي شرك « ويكون الدين كله لله » (٢) والدين اسم عام ، وهو ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : « فاعبد الله مخلصا له الدين . إلا الله الدين الخالص » (٣) وقال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به شيئا » . الحديث .

الوجه الثاني : أن الله أمر بقتال المشركين كافة ، وبين لنا ذلك قال تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » إلى قوله : « فإن تابوا » أي من الشرك : « وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » (٥) .

فبين سبحانه وتعالى أنه لا يكف عنهم حتى يقيموا أعلام الإسلام الظاهرة ، وهي هذه الثلاثة الأركان كما ذكر الله في الآية المتقدمة في قوله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » إلى قوله : « وذلك دين القيمة » (٥) .

وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » .

وهذه الثلاثة الأركان أيضا أمر صلى الله عليه وسلم معاذ لما بعثه إلى اليمن أن يدعو إليها ، ونهيه على الأهم فالأهم ، كما في حديثه ،

(٢) الزمر : ٢ ، ٣
(٤) التوبة : ٥

(١) الأنفال : ٣٩
(٣) البينة : ٥
(٥) البينة : ٥

وأخذ بذلك الخلفاء رضى الله عنهم ، فأبو بكر قاتل مانعى الزكاة وهم يقولون : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ، وفاتلوا طوائف أهل الردة وهم يقولونها •
وهذا الذى ذكرنا هو الذى يجب به الكف عن قتال العامة اذا أقاموه كما تقدم •

الوجه الثالث : ما يجب به الكف عن الخاصة فى مثل هذا الزمان وغيره ، فهى الكلمة التى تفيد الفعل والترك ، كما فى حديث أبى معبد المقدم بن الأسود قال : قلت : يا رسول الله •• أرايت ان لقيت رجلا من المشركين ، فاقتتلنا ، فضرب احدى يدي بالسيف ، ثم لاذ بشجرة فقال : أسألت الله ، أأقتله ؟ قال : « لا ، فانك ان قتله كان بمنزلك ، وكنت بمنزله قبل ذلك » متفق عليه •

والمعنى : انه بمنزلك معصوم الدم والمال ، وأنت بمنزله ، أى مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا بمنزله فى الدين ، والله أعلم •
فاذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة ، وما قيدت به من القيود ، ولا بد مع ذلك أن يكون بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فان اختلف نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلما كما ذكر الله ذلك وبينه فى كتابه ، فاذا كان الرجل مسلما وعاملا بالأركان ، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه ذلك ، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام فى غزوة تبوك : « لا تعتصموا قد كفرتم بمجد إيمانكم » (١) ٣١

وقال تعالى فى حق الآخرين : « ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » (٢) •

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان ؟ جعلوا التلطف بها عادة وهذيانا ، والعمقمة بحروفها ، فهى عندهم الاسلام ، والايمان ، مع ما هدموه من التوحيد الذى هو حق الله ، وأكبوا وأقبلوا على عبادة المشاهد والأوثان ، وضيعوا الفرائض وسائر الأركان ، وزين لهم ما ارتكبوه من التبذع والتنطع والعصيان ، الا أنهم يقولون : لا اله الا

الله ، فما أحسن ما قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : « لا اله الا الله »
سماها الله كلمة التقوى ، فجعلوها كلمة الفجور . وذكرنا عليها
إشارة على طريق الإيجاز والاختصار ، خشية الإطالة . . والله المستعان .
وأما الذى يجب به الكف عن القتال ، فهو لا بد من إقامة أعلام
الاسلام الظاهرة المتقدمة فى الآيات المحكمات ، ذكرها الله بعد الأمر
بالقتال ، وكذلك فى الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فبدأ بالتوحيد ،
وترك الشرك ، ثم ذكر بعده : « واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » (١) .

ثم ذكر بعد ذلك : « فخلوا سبيلهم » .

والنبي صلى الله عليه وسلم قال بعد ذكره الثلاثة : « فإذا فعلوا
ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام » وفى بعض
الآيات :

« ويكون الذين كله لله » (٢) .

وهذا الذى يجب به الكف ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وفعل
سلف الأمة ، وهذا الذى عليه الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين .
وأما الخاصة : فهو كما قدمنا يجب الكف اذا أظهر بقول أو فعل
ما يذن على تركه دينه ودخوله فى الاسلام كما تقدم فى الحديث .
وليس المراد بالجواب الخاصة ، انما يراد به العامة ، فاذا وجدت طائفة
ممتنعة عن احدى الثلاثة المذكورة ، قوتلوا أما التوحيد الذى هو محض
حق الله على العبيد ، أو الصلاة التى هى الفسارقة بين الكفر
والاسلام ، أو الزكاة التى أجمع الصحابة رضى الله عنهم على قتال
مانعيها . وكذلك أجمع العلماء أيضا على ذلك ، وتتبع ما ورد فى ذلك
يطول ، اذ كل منصف ذكر ذلك ، وكذلك الشراح والفقهاء رحمهم الله ،
وهذا مصرح به فى كتبهم ، ولو قالوا : « لا اله الا الله » لم يكف عنهم ،
أو عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضا ، ولكن : « من يهسد الله فهو
التهسد ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا » (٣) .

* * *

فصل

وأما المسألة الثانية ، هل يلزم الرجل أن يتبع مذهباً من المذاهب الأربعة أم لا ؟

فالجواب : أن الله أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربه ، كما ذكر الله ذلك في آي القرآن ، وما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كما أمر الله بذلك ، ودلت عليه السنة . وعلق الله النجاة والفلاح باتباعه صلى الله عليه وسلم ، وذكر الله ذلك في كم موضع . ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجلاً بيمينه غيره صلى الله عليه وسلم ، وانقسم في ذلك الناس أقساماً ، وتحزبوا أحزاباً ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » (١) .

والاتباع والافتداء أنواع : منه ما هو محرم ، كما ذكر الله عن الكفار : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتمون » (٢) .

وقال تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا وجئنا آبائنا على إمة وأنا على آثارهم مقتدون » (٣) .

وقال تعالى : « إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » (٤) الآية .

وقال تعالى : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول . وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرامتنا فاضلونا السبيلا » (٥) الآية .

النوع الثاني : ما ذكره الله عن أهل الكتاب في تقليدهم ، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وهذا أيضاً يحرم على كل مسلم مشابهمهم .

(٢) البقرة : ١٧٠

(٤) المائدة : ١٠٤

(١) المؤمنون : ٥٣

(٣) الزخرف : ٢٣

(٥) الأحزاب : ٦٦ ، ٦٧

قال أبو بكر في « الجامع » باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين الاتباع :

قال أبو عمر : قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال : « اتخلوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (١) .

وروى عن حذيفة رضى الله عنه وغيره قال : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم أحلوا وحرموا عليهم فاتبعوهم .

وقال عدى بن حاتم : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقي صليب . فقال : « يا عدى ! أتق هذا الوثن من عنقك » وانتهت اليه وهو يقرأ سورة براءة ، حتى أتى على هذه الآية : « اتخلوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » .

قال : فقلت يا رسول الله .. أنا لم تتخذهم أربابا . قال : « بلى : ليس يطلون لكم ما حرم عليكم فتحلون ، ويحرمون ما أحل لكم فتحرمونه » ؟ فقلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . والحديث في « المسند » و « الترمذى » مطولا .

وقال أبو البخترى في قوله عز وجل : « اتخلوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٢) .

قال : أما أنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية .

فمن عرف هذه المقدمة ، عرف أن ليس بيننا وبين الناس اختلاف في المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم ، بل وقع بيننا وبينهم النزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ، كما كان هذا هو الواقع من أهل الزمان ، وليس لهم حجة الا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتباعهم الأهواء والشهوات ، ومع ذلك يزعمون بأنهم ينتسبون الى المذاهب ، وليسوا كذلك ، فإن من اتسب الى شيء وليس عليه حقيقته ، لم ينفعه ذلك ، فإن النصراني لم ينفعهم اتسابهم الى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم اتسابهم الى موسى .

وقد قال الله تعالى لنبيه : « ثم جئناك على شريعة من الأمر فاتبعوها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » (١) الى قوله : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٢) ثم بعد ذلك « افرايت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم » (٣) . الى قوله : « أفلا تذكرون » (٤) . ولأن الله تعالى قال : « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم » (٥) .

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله : جمع الله الطرق في طريقين : اما هدى ، واما هوى ، وكذلك في الآية المتقدمة : اما متبع لشريعته صلى الله عليه وسلم التي جعلها الله عليها ، ورضيها لعباده ، واما متخذ الهه هواه ، أعادنا الله من الآراء المحدثه ، والأهواء المضلة .
وأما الأئمة رضى الله عنهم ، فهم أئمة الهدى ، اجماعهم حجة ، واختلافهم رحمة ، والدين وسط .

واختلف العلماء في تقليدهم ، فطائفة نقوا لتقليد وأنكروه ، وقالوا : الناس أحد رجلين : اما عامي فيجب عليه أن يتعلم ما يقوم به دينه ، ولا فائدة له في لزوم مذهب معين ، فانه كالأمي الذي يدعى أنه يقرأ وليس بقارئ ، أو يدعى أنه يكتب وليس بكا ، فيدعى أنه على مذهب وهو لا يعرفه ، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف .
والرجل الثاني فقيه ، فلا يصح له أن يقدم على شيء بغير حجة ولا دليل . والتقليد أمر ضروري يباح عند الضرورة ، وطائفة — وهم أكثر الفقهاء — توسطوا في ذلك لم يخرجوا عما قاله الأئمة رضى الله عنهم ، وهم عندهم أكفاء في موارد النزاع ، وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ أحدهم من السنة ، كما بين ذلك شيخ الاسلام في كتابه « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » . وداروا مع أولئك النصوص حيث دارت ، تمسكوا بالسنة حيث باتت لهم واستنارت ، وهم أتباع الأئمة ، وهم أهل النجاة من هذه الأمة ، فان الأئمة رضى الله عنهم نهوا عن تقليدهم — وهو الواجب عليهم — الا فيما وافق السنة ، وهذا التقليد

(٢) الجائية : ٢١

(٤) الجائية : ٢٣

(١) الجائية : ١٨

(٣) الجائية : ٢٣

(٥) القصص : ٥٠

والاتباع هو النوع الثالث الممدوح ، لا كما تقدم . ولنذكر طرفا من مقالة الأئمة :

قال ابن القاسم : عن مالك قال : ليس كل ما قال رجل قولاً — وإن كان له فضل — يتبع عليه ، لقول الله عز وجل « فيشرع عبادي . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (١) .

وقال بشر بن الوليد : قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : هذا رأي ، فمن جاءنا برأى خير منه قبلناه . وقال : حل لأحد قول مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وقال مالك رضي الله عنه : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وقد صرح مالك رضي الله عنه بأن : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يستتاب ، فكيف من ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هو دون إبراهيم ومثله . وذكر البيهقي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة ، كمشل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري ، وقال رضي الله عنه : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، إلى غير ذلك عنه . وقال أبو داود : قلت لأحمد : الأوزاعي هل هو أهل أن يقلد أم مالك ، قال : لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ، إلا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ . وفي لفظ : وخذ من حيث أخذوا . وقال رضي الله عنه : من قلة فقه الرجل أن يقلد في دينه الرجال ، وتتبع ذلك يطول .

النوع الرابع من التقليد مذموم ، وهو الغلو فيه ، وتعلق به طائفة ، إذا التزموا مذهباً من المذاهب الأربعة ، قالو : لا يجوز مخالفته ، ولا بد من اتباعه على كل حالة ، وجعلوا كل امام في اتباعه بمنزلة النبي في أمته ، وهذا تبديل للدين .

قال أحمد رضى الله عنه : عجيب لقوم عرفوا الاسناد وصحته .
يلعبون الى رأى سفيان ، والله يقول : « فليحذر الذين يخالفون عن
أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (١) .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة
من السماء أقول : قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال سفيان بن عيينة : اضطجع ربيعة مقنعا رأسه وبكى فقال :
ما يبكيك ؟ قال : رياء ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم
كالصبيان عند أمهاتهم ، ما نهمهم عنه اتهموا ، وما أمرهم به اتهموا .
قال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تنقاد ، والسان يقلد .

وقال ابن مسعود : لا يقلد أحدكم رجلا ، إن آمن آمن ، وإن كفر
كفر ، فإنه لا أسوة فى الشر .

وقال أيضا رضى الله عنه : اغد عالما ، أو متعلما ولا تغد أمية
فيما بين ذلك .

وروى عن على رضى الله عنه مثل ذلك . والكلام على هاتين
المسألتين يطول ، وإنما ذكرنا عليهما ما يتيسر مع التقصير ، لأنهما
يسئل عنهما الأولون والآخرون : ماذا أجبتم المرسلين ؟

فالمسألة الأولى فيها تحقيق العبادة .

والمسألة الثانية فيها تحقيق المتابعة . آخره . والحمد لله رب
العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .



الرسالة التاسعة :

هذه رسالة

في مقادير ظل الزوال

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان قبل النوروز يومين فظل الزوال ثلاثة أقدام وثلاث «
وفي اثني عشر ظل الزوال أربعة أقدام وفي أربعة وعشرين ظل الزوال
أربعة أقدام وربع • وفي ست وثلاثين ظل الزوال أربعة أقدام ونصف •
وفي ثمانية وأربعين ظل الزوال خمسة أقدام • وفي الستين ظل الزوال
سته أقدام ونصف • وفي ثلاث وسبعين ظل الزوال سبعة أقدام •
وفي ست وثمانين ظل الزوال سبعة أقدام ونصف • وفي اثنين وتسعين
ظل الزوال ثمانية أقدام الأربع • وفي مائة وأحد عشر ظل الزوال
سبعة أقدام ونصف • وفي مائة وواحد وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام
وثلاث • وفي مائة وسبعة وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وربع •
وفي مائة وثمانية وثلاثين ظل الزوال سبعة أقدام • وفي مائة وثمانية
وأربعين ظل الزوال ستة أقدام ونصف • وفي مائة وثمانية وخمسين
ظل الزوال ستة أقدام • وفي مائة وسبعة وستين ظل الزوال خمسة
أقدام ونصف • وفي مائة وست وسبعين ظل الزوال خمسة أقدام •
وفي مائة وأحد وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفي مائة وستة
وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفي مائتين وأحد عشر ظل الزوال
ثلاثة أقدام • وفي مائتين وستة عشر ظل الزوال قدمان ونصف • وفي
مائتين وسبعة وعشرين ظل الزوال قدمان • وفي مائتين واثنين وأربعين
ظل الزوال قدم وثلاث • وفي مائتين وست وأربعين ظل الزوال قدم •
وفي مائتين وسبعة وخمسين ظل الزوال نصف قدم • وفي مائتين وسبع
وستين ظل الزوال ثلث قدم • وفي مائتين وسبع وسبعين يحتاط
للزوال بثلاث قدم • وفي مائتين وواحد وثمانين بعدم ظهور ظل الزوال •
وفي ثلاثمائة وواحد يحتاط للزوال بثلاث قدم • وفي ثلاثمائة وثمانية
عشر ظل الزوال ثلث قدم • وفي ثلاثمائة وأربعة وعشرين ظل الزوال

قدم • وفي ثلاثمائة وتسعة وأربعين ظل الزوال قسماً • وفي ثلاثمائة وأربعة وستين ظل الزوال ثلاثة أقدام وثلاث •

اللهم انا نستعينك ونستهديك ، ونؤمن بك ، وتوكل عليك ، وتنتى عليك الخير كله ، تشكرك ولا تكفرك •

اللهم اياك نعبد ، وياك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق •

* * *

الرسالة العاشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد
تأليف

الشيخ الإمام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

وقول الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) .
وقوله : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت » (٢) الآية . وقوله : « ولقي ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا » (٣) الآية .

وقوله : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » (٤) الآية .
وقوله : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به
شيئا » (٥) الآيات .

قال ابن مبرد رضى الله عنه : من أراد أن ينظر الى وصية محمد
صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : « قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم » الى قوله — « وان هكنا صراطى
مستقيما » (٦) الآية .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله
عليه وسلم على حمار فقال لى : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على
العباد ، وما حق العباد على الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال :
« فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد

(١) الداريات : ٥٦	(٢) النحل : ٣٦
(٣) الاسراء : ٢٣	(٤) النساء : ٣٦
(٥) الانعام : ١٥١ - ١٥٢	(٦) الانعام : ١٥٣

على الله أن لا يعذب من لا يسرك به شيئاً» فقلت : يا رسول الله .. أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشروهم نيتكنوا « أخرجاه في « الصحيحين » فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والانس .

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى قوله : « ولا ألتزم عابدون ما أعبد » (١) .

الرابعة : الحكمة في ارسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل الا بالكفر بالطاغوت : ففيه معنى قوله : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله » (٢) الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل : أولها النهي عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الاسراء ، وفيها ثمان عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : « لا تجعل مع الله الها آخر فتقمه مذموما مخرولا » (٣) وختمها بقوله : « ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا » (٤) . ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : « ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة » (٥) .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » (٦) .

(١) الكائنون : ٣ ، ٥	(٢) البقرة : ٢٥٦
(٣) الاسراء : ٢٢	(٤) الاسراء : ٣٩
(٥) الاسراء : ٣٩	(٦) النساء : ٣٦

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند موته •

- الثالثة عشرة : معرفة حق الله تعالى علينا •
- الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه اذ أدوا حقه •
- الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة •
- السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة •
- السابعة عشرة : استحباب المسلم بما يسره •
- الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله •
- التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم •
- العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض •
- الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الاردا ف عليه •

- الثانية والعشرون : جواز الاردا ف على الدابة •
- الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل •
- الرابعة والعشرون : عظم هذه المسألة •

بسم

فصل التوحيد وما يكفر من اللغو

وقول الله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » (١) •
الآية • عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن
محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى
مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على

(١) الانعام : ٨٢ •

ما كان من العمل « أخرجاه • ولهما في حديث عتيان : « فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » •

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال موسى : يا رب •• علمني شيئا أذكرك وأدعوك به • قال : قل يا موسى : لا اله الا الله • قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا • قال : يا موسى •• لو أن السموات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ، ولا اله الا الله في كفة ، مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه •

وللترمذي وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك به شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » • فيه مسائل :

- الأولى : سعة فضل الله •
- الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله •
- الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب •
- الرابعة : تفسير الآية « ٨٢ » التي في سورة الأنعام •
- الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة •
- السادسة : أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتيان وما بعده ، تبين لك معنى قول : « لا اله الا الله » وتبين لك خطأ المغرورين •
- السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتيان •
- الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله الا الله •
- التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات • مع أن كثيرا من يقولها يخف ميزاته •

- العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات •
- الحادية عشرة : أن لهن عمارا •
- الثانية عشرة : اثبات الصفات ، خلافا للأشعرية •

الثالثة عشرة : أنك اذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله في حديث عتيان : « فإن الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله ، يتنقى بذلك وجه الله » أن ترك الشرك ، ليس قولها باللسان •
الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه •

- الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله •
- السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه •
- السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار •
- الثامنة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان •
- العشرون : معرفة ذكر الوجه •



بَاب

من حق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » (١) •
وقوله : « والذين هم بربهم لا يشركون » (٢) •

عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أبكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ فقلت : أنا • ثم قلت : أما أنى لم أكن فى صلاة ، ولكنى لدغت ، قال : فما صنعت ؟ قلت : ارتقيت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية الا من عين أو حمة • قال : قد أحسن من انتهى الى ما سمع • ولكن حدثنا ابن عباس عن النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عرضت على الأمم ،

قرأت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، اذ رفع لى سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتى ، فقيل لى : هذا موسى وقومه ، فنظرت فاذا سواد عظيم ، فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ثم نهض فدخل منزله . فخاض الناس فى أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن . فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « أنت منهم » ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال « سبقك بها عكاشة » .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس فى التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من انشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفة أنهم لم ينالوا ذلك الا

بالعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ، الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

- الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .
- الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .
- الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد فى القلة .
- السادسة عشرة : الرخصة فى الرقية من العين والحمة .
- السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى الى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى .
- الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه .
- التاسعة عشرة : قوله : « أت منهم » علم من أعلام النبوة .
- العشرون : فضيلة عكاشة .
- الحادية والعشرون : استعمال المعارض .
- الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

باب

الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : « أن الله لا يغفر أن يشرك به ويفسر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) . وقال الخليل عليه السلام : « واجتنبى وبنى أن نعبد الأصنام » (٢) .

وفى الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر » فسئل عنه فقال : « الرياء » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » رواه البخارى . ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لقي الله لا يشرك به شيء دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » .

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك .

- الثانية : أن الرياء من الشرك •
- الثالثة : أنه من الشرك الأصغر •
- الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين •
- الخامسة : قرب الجنة والنار •
- السادسة : الجمع بين قرحهما في حديث واحد •
- السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة • ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس •
- الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقبيلة عبادة الأصنام •
- التاسعة : اعتباره بحال الأكثر ، لقوله : « رب انهن أضللن كثيرا من الناس » (١) •
- العاشر : فيه تفسير « لا اله الا الله » كما ذكره البخاري •
- الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك •

باب

الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى : « قل هذه سبلى ادعوا الى الله ، على بصيرة انا ، ومن اتبعنى » (١) الآية .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بعث معاذًا الى اليمن قال له : « انك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله — وفى رواية : الى أن يوحدوا الله — فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك • فأعلمهم أن

الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه •

ولهما عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يشتكى عينيه فأرسلوا اليه ، فأتى به فبصق فى عينيه ، ودعا له ، فبرا كان لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : « اتق الله على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم » ، يدوكون : أى يخوضون •

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة الى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم •
الثانية : التنبيه على الاخلاص • لأن كثيرا لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه •

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض •

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة •

الخامسة : أن من قبح الشرح كونه مسبة لله •

السادسة : — وهى من أهمها — إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك •

السابعة : كون التوحيد أول واجب •

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شيء ، حتى الصلاة •

التاسعة : أن معنى : « أن يوحدوا الله » معنى شهادة : أن

لا اله الا الله •

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب ، وهو لا يعرفها
أو يعرفها ولا يعمل بها •

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج •

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم •

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة •

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم •

الخامسة عشرة : النهى عن كرائم الأموال •

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم •

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تصحب •

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين
وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء •

التاسعة عشرة : قوله : « لأعطين الراية » الخ • علم من أعلام
النبوة •

العشرون : تفلّه في عينيه علم من أعلامها أيضا •

الحادية والعشرون : فضيلة على رضى الله عنه •

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوّكهم تلك الليلة عن بشارة
الفتح •

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها
ومنعها عن سعى •

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : « على رسلك » •

الخامسة والعشرون : الدعوة الى الاسلام قبل القتال •

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا •

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة ، لقوله : « أخبرهم بما
يجب عليهم » •

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام •

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد •

الثلاثون : الحلف على التتيا •

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

وقوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » (١) الآية .

وقوله : « وإذا قال إبراهيم لأبيه وقبوه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرني » (٢) الآية .

وقوله : « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٣) الآية .

وقوله : « ومن الناس من يتخذ من دون الله آئادا يحبونهم كحب الله » (٤) الآية .

وفى « الصحيح » عن النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال « لا اله الا الله » وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل » وشرح هذه الترجمة ، ما بعدها من الأبواب . فيه أكبر المسائل وأهمها : وهى تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة ، وبينها بأمور واضحة .

منها آية الاسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا الا بأن يعبدوا انفسا واحدا ، مع أن تفسيرها الذى لا اشكال فيه طاعة العلماء والمعباد فى المعصية ، لادعائهم اياهم .

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : « اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرني » (٥) .

فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه

(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٤) البقرة : ١٦٥

(١) الاسراء : ٥٧

(٣) التوبة : ٣١

(٥) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

الولاية : هي تفسير شهادة لا اله الا الله . فقال : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » (١) .

ومنها آية البقرة : في الكفار الذين قال الله فيهم : « وما هم بخارجين من النار » (٢) .

ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ، ولم يدخلهم في الاسلام ، فكيف بمن أحب الله حبا أكبر من حب الله ؟ فكيف بمن لم يحب الا الله وحده ؟ ولم يحب الله ؟
ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا اله الا الله »

وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين معنى « لا اله الا الله » فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، وياله من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

بَاب

من الشرك : ليس العطلة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى : « قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره » (٣) الآية .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر ، فقال « ما هذا » ؟ قال : من الواهنة . قال : « انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ، فانك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبدا » رواه أحمد بسند لا بأس به . وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا : « من تعالى تيسة فلا أثم الله له » .

(٢) البقرة : ١٦٧

(١) الزخرف : ٢٨

(٣) الزمر : ٢٨

ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » • وفى رواية : « من تعلق تميمية فقد أشرك » • ولابن أبي حاتم عن حذيفة ، أنه رأى رجلاً فى يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (١) •

فيه مسائل :

- الاولى : التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك •
- الثانية : أن الصحابي لو مات وهى عليه ما أقبلح • فيه شاهد لكلام الصحابة : أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر •
- الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة •
- الرابعة : أنها لا تنفع فى العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك إلا وهناً » •

- الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك •
- السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه •
- السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمية فقد أشرك •
- الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك •
- التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة •

- العاشرة : أن تعليق الودع على العين من ذلك •
- الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمية ، أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة ، فلا ودع الله له ، أى لا ترك الله له •

باب

ما جاء في الرقى والتمايم

في « الصحيح » عن أبي بشير الأنصاري رضى الله عنه ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، فأرسل رسماً ولا أن لا ييقن في رقبة بمير قلادة من وتر أو قلادة الا قطعت . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الرقى والتمايم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وكل إليه » رواه أحمد والترمذي .

التمايم : شيء يعلق على الأولاد من العين ، لكن اذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، وجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه .

الرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من انشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العسين وانحى .

والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحجب المرأة انى زوجها والرجل الى امرأته .

وروى أحمد عن رويغ قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رويغ . . لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجدى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً يرى منه » .

وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ، قال : « من قطع تمية من انسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع . وله عن ابراهيم قال : كانوا يكرهون التمايم كلها ، من القرآن وغير القرآن .
فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمايم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .
الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك .
الخامسة : أن التيممة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء :
هل هي من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك .
السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وترا .
الثامنة : فضل ثواب من قطع تيممة من افسان .
التاسعة : أن كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ،
لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود .

* * *

باب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : « أفرايتم اللات والعزى » (١) الآيات .

عن أبي واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين شدرة يعكفون
عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أوطى ، فمررتا بشدرة ،
فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أوطى كما لهم ذات أوطى .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر .. انهما السنن ،
قلتم — والذي نفسي بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى :
« اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة » قال انكم قوم تجهلون » (٢) لتركبن سنن من
كان قبلكم » رواه الترمذي وصححه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم .

- الثانية : معرفة صورة الأمر الذى طلبوا .
- الثالثة : كونهم لم يفعلوا .
- الرابعة : كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه .
- الخامسة : أنهم اذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .
- السادسة : أن لهم من الحسنات والوعود بالمغفرة ما ليس لغيرهم .
- السابعة : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم ، بل رد عليهم بقوله : « الله أكبر .. انها السنن ، لتبعن سنن من كان قبلكم » ، فغلظ الأمر بهذه الثلاث .
- الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطليبة بنى اسرائيل لما قالوا لموسى : « اجعل لنا الها » (١) .
- التاسعة : أن نهى هذا ، من معنى « لا اله الا الله » مع دقته وخفائه على أولئك .
- العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف الا لمصلحة .
- الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يريدوا بهذا .
- الثانية عشرة : قولهم : « ونحن حدثاء عهد بكفر » فيه ان غيرهم لا يحفل بذلك .
- الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافا لمن كرمه .
- الرابعة عشرة : سد الذرائع .
- الخامسة عشرة : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية .
- السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .
- السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : « انها السنن » .
- الثامن عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة ، لكونه وقع كما أخبر .
- التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا .

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناهما على الأمر ،
فصار فيه التنبيه على مسائل القبر ، أما « من ربك » ؟ فواضح ،
وأما « من نيك » ؟ فمن إخباره بأبناء الغيب ، وأما « ما ديك » ؟
فمن قولهم : « اجعل لنا الها .. » الخ .

الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .
الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن
أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم : « ونحن حدثاء عهد بكفر » .

بإسباب

ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله
رب العالمين . لا شريك له » (١) الآية ، وقوله : « فصل لربك
وانحصر » (٢) .

عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأربع كلمات : « نعم الله من ذبح لغير الله . لعن الله من لعن والديه .
لعن الله من آوى محدثا . لعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم .
وعن طارق بن شهاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب » . فقالوا
وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « مر رجلان على قوم لهم صنم
لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب . قال :
ليس عندي شيء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا ،
فدخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب . قال : ما كنت
لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة »
رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير : « إن صلاتي ونسكي » .

- الثانية : تفسير « فصل لربك وانحر » .
- الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .
- الرابعة : لعن من لعن والديه . ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .
- الخامسة : لعن من آوى محدثا وهو يحدث شيئا يجب فيه حق لله فيلتجئ الى من يعيره من ذلك .
- السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقتك من الأرض وحق جارك ، فتخيرها بتقديم أو تأخير .
- السابعة : الفرق بين لعن المعين ، ولعن أهل المعصية على سبيل العسوم .
- الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .
- التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصا من شرهم .
- العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ، ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا منه الا العمل الظاهر .
- الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافرا لم يقل : « دخل النار في ذباب » .
- الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : « الجنة أقرب الى أحدكم من شرك فعله ، والنار مثل ذلك » .
- الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

باب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : « لا تقم فيه أبدا » الآية .

عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر ابلا
بيوافة ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان فيها وثن
من أوثان الجاهلية يعبد » ؟ قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيد
عن أعيادهم » ؟ قالوا : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أوف بندرك ، فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك
ابن آدم » رواه أبو داود ، وإسناده على شرطهما .

فيه مسائل :

الاولى تفسر قوله : « لا تقم فيه أبدا » .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشككة الى المسألة البينة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتى اذا احتاج الى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من

الموانع .

السادسة : المنع منه اذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية

ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه اذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية .

التاسعة : الحذر من مشاجرة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر في معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

بِسْمِ

من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : « يوفون بالنذر » (١) ، وقوله : « وما انفقتم من نذرة أو نذرتكم من نذر فإن الله يعطيه » (٢) .

وفي « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

بِسْمِ

من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى : « والله كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا » (٣) .

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قول منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرسل من منزله ذلك » . رواه مسلم .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

(٢) البقرة : ٢٧٠

(١) الإنسان : ٧

(٣) الجن : ٦

الثانية : كونه من الشرك •

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك •

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره •

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به مصلحة دينية من كف شر ، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك •

* * *

سأب

من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فإِنَّكَ أَنتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ • » وأن يمسك الله بغيره فلا يكشف له . (الاحقاف : ١) الآية .

وقوله : « فابتنوا عند الله الرزق واعبدوه » (٢) . الآية .

وقوله : « ومن أجل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة » (٣) الأيتان .

وقوله : « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » (٤) .

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مناقى يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المناق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل » .
فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص •

(١) يونس : ١٠٦ ، ١٠٧ . (٢) العنكبوت : ١٧ .

(٣) الأحقاف : ٥ . (٤) النمل : ٦٣ .

الثانية : تفسير قوله : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضره » (١) •

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر •

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله أرضاء لغيره صار من الظالمين •

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها •

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا •

السابعة : تفسير الآية الثالثة •

الثامنة : أن طلب الربح لا ينبغي إلا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب

إلا منه •

التاسعة : تفسير الآية الرابعة •

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله •

الحادية عشرة : أنه عاقل عن دعاء الداعي لا يدري عنه •

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي

وعداوته له •

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو •

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة •

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس •

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة •

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان : أنه

لا يجيب المضطر إلا الله ، ولأجل هذا يدعوه في الشدائد مخلصين

له الدين •

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى التوحيد

والتأديب مع الله عز وجل •

* * *

بِسَابِ

قول الله تعالى : « ايشركون مالا يخلق شئسيئنا وهم يخلقون »
ولا يستطيعون لهم نصرا (١) الآية .

وقوله : « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير » (٢) الآية .

وفى « الصحيح » عن أنس قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » ؟
فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء » (٣) .

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من : « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول : « سمع الله لمن حمده »
ربنا ولك الحمد » فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء » (٤) .

وفى رواية : يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث ابن هشام ، فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء » .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : « وأنزلو عشرينك الأقرين » (٥) .

قال : « يا معشر قريش — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليمانى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

(٢) فاطر : ٣١١

(٤) آل عمران : ١٢٨

(١) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢

(٣) آل عمران : ١٢٨

(٥) الشعراء : ٢١٤

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة •

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار •

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار • منها : شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم •

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك : « ليس لك من الأمر شيء » •

السابعة : قوله : « أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » (١) فتاب عليهم فآمنوا •

الثامنة : القنوت في النوازل •

للتاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم •

العاشرة : لعنة الممين في القنوت •

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه :

« وألقوا عشرينك الأقربين » (٢) •

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، بحيث

فعل ما نسب بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن •

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : « لا أغنى عنك من الله

شيئاً » حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً »

فإذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين أنه لا يغنى عن

سيدة نساء العالمين ، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر

فيما وقع في قنوت خواص الناس الآن ، تبين له التوحيد وغربة الدين •

بساب

قوله تعالى : « حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا

الحق ، وهو العلي الكبير » (٣) •

(٢) الشعراء : ٢١٤

(١) آل عمران : ١٢٨

(٣) سبا : ٢٣

وفى « الصحيح » عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قضى الأمر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله ، كانه سلسلة على صفوان ينقلهم ذلك » حتى اذا فرغ من قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير » .

فيسمعها مسترق السمع — ومسترق السمع . هكذا بعنه فوق بعض . وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد أصابعه . فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته : ثم يلقها الآخر الى من تحته . حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا ، كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » .

وعن النواس بن سميان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحى . أخذت السموات منه رجفة — أو قال : رعدة شديدة — خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا . فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وجهه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سألته ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : « قالوا الحق ، وهو العلى الكبير » (١) .

فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل . فينتهى جبريل بالوحى الى حيث أمره الله عز وجل » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على ابطال الشرك ، خصوصا من تعلق على الصالحين ، وهى الآية التى قيل : انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله : « قالوا الحق ، وهو العلى الكبير » .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل هو الذى يجيهم بعد ذلك بقوله : « قال
كذا وكذا » .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقوله لأهل السموات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشى يعم أهل السموات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله .

العاشر : أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى الى حيث أمره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا .

الثالثة عشرة : ارسال الشهب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة

يلقيها فى أذن وليه من الانس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق فى بعض الأحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه ولا بتلك الكلمة التى سمعت

من السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة

ولا يعتبرون بمائة ؟

التاسعة عشرة : كونهم يلقي بعضهم الى بعض تلك الكلمة

ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : اثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشى (كانا)

خوفا من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سجدا .

باب الشفاعة

وقول الله تعالى : « وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع » (١) .

وقوله : « قل لله الشفاعة جميعا » (٢) .

وقوله : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » (٣) .

وقوله : « وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٤) .

وقوله : « قل اتصوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض » (٥) الآيتين .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عونا لله ، ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » (٦) .

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون ، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده — لا يبدأ بالشفاعة أولا — ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع » .

وقال له أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بآذنه في مواضع ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

(٢) الزمر : ٤٤

(٤) النجم : ٢٦

(٦) الأنبياء : ٢٨

(١) الأنعام : ٥١

(٣) البقرة : ٢٥٥

(٥) ساء : ٢٢

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات •

الثانية : صفة الشفاعة المنفية •

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة •

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود •

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يسند

بالشفاعة أولاً بل يسجد ، فإذا أذن الله له شفع •

السادسة : من أسعد الناس بها ؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله •

الثامنة : بيان حقيقتها •

بسبب

قول الله تعالى : « انك لا تهدي من احببت » (١) الآية .

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت
أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله
ابن أبي أمية وأبو جهل ، فقال له : يا عم .. قل لا اله الا الله ، كلمة
أحاج لك بها عند الله • فقالوا له : أرغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد
عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على
ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا اله الا الله • فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « لا يستغفرون لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل :
« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » (٢) الآية .

وأنزل الله في أبي طالب : « انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء » •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : « انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء » (١) .

الثانية : تفسير قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين » (٢) الآية .

الثالثة : وهي المسألة الكبرى — تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : « قل : لا اله الا الله » بخلاف ما عليه من يدعى العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال للرجل : « قل لا اله الا الله » فقيح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الاسلام .

الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبايعته في اسلام عمه .

السادسة : الرد على زعم اسلام عبد المطلب وأسلانه .

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ، بل نهي عن ذلك .

الثامنة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكاير .

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك ، لاستدلال أبي جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفتته .

الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين . لأن

في القصة أنهم لم يجادلوه الا بها ، مع مبايعته صلى الله عليه وسلم وتكرره ، فلاجل عظمتها ووضوحها ، اقتصروا عليها .

باب

ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم
هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم » (١) .

وفى « الصحيح » عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى :
« وقالوا لا تسلن ألوهتكم ولا تسلن ودا ولا سسواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا » (٢) .

قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى
الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها
أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى اذا هلك .
أولئك ونسخ العلم ، عبدت » .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا
على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .
وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... ولا تطرونى
كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله »
أخرجاه ، ولمسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اياكم والغلو ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » . ولمسلم
عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلك
المتنطون » قالها ثلاثا .

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبين له غربة الاسلام ،
ورأى من فطرة الله وتقليبه للقلوب المعجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة
الصالحين .

الثالثة : أول شيء غير به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك مع معرفة
أن الله أرسلهم .

(١) النساء : ١٧١

(٢) نوح : ٢٣

(١٢) — مجموعة التوحيد)

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردّها .
الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة :
الصالحين . والثاني فعل اناس من أهل العالم والدين شيئاً أرادوا به
خيراً . ففطن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .
السادسة : تفسير الآية التي فى سورة نوح .
السابعة : جيلة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه ، والباطل
يزيد .

الثامنة : أن فيه شاهداً لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .
التاسعة : معرفة الشيطان بما يتول إليه البدعة ولو حسن قصد .
الفاعل .
العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهى النهى عن الغلو ، ومعرفة
ما يتول إليه .

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .
الثانية عشرة : معرفة النهى عن التماثيل ، والحكمة فى إزالتها .
الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة إليها
مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة : وهى أعجب وأعجب : قراءتهم إياها فى كتب التفسير
والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم
حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى
الله ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .
السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا
ذلك .

السابعة عشرة : البيان العظيم فى قوله صلى الله عليه وسلم :
« لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » فصلوات الله وسلامه على
من بلغ تبلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته إياها بهلاك المنتظمين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسخ العلم . ففيهذه
معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

اعشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

بساب

ما جاء من التفليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح

فكيف إذا عبده ؟

في الصحيح « عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصورة
فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا
على قبره مسجدا ، وصورة فيه تلك الصورة . أولئك شرار الخلق
عند الله » فهؤلاء جمعوا بين الفتنين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

ولهما عنها : قالت : « لما نزل يرسول الله صلى الله عليه وسلم
طلق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو
كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد » يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشى أن
يتخذ مسجدا ، أخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم قبل موته بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله أن يكون لى
منكم خليل ، فان الله قد اتخذنى خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ،
ولو كنت متخذا من أمتى خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، الا وإن من
كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور
مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » .

فقد نهى عنه فى آخر حياته - ثم انه لمن - وهو فى السياق من
فعله ، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجدا ، وهو معنى قولها :
خشى أن يتخذ مسجدا ، فان الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره
مسجدا . وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كل
موضع يصلى فيه يسمى مسجدا ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

« جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم فى « صحيحه » .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح . ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهى عن التمايل ، وغلظ الأمر فى ذلك .

الثالثة : العبرة فى مبالغته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كيف بين لهم هذا أولا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السياق لم يكتب بما تقدم .

الرابعة : نهى عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العلة فى عدم إبراز قبره .

التاسعة : فى معنى اتخاذها مسجدا .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم

الساعة ، فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره فى خطبته قبل موته بخمس : الرد على

الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف من

الاثنين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة ، والجهمية ، وبسبب الرافضة

حدث الشرك وعبادة القبور . وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بلى به صلى الله عليه وسلم من شدة النزاع .

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلعة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

- الخامسة عشرة : التصریح بأن الصديق أفضل الصحابة •
- السادسة عشرة : الاشارة الى خلافته •

* * *

باب

ما جاء من الغلو في قبور الصالحين بصيرها اوثانا
تعبد من دون الله

روى مالك في « الموطأ » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولا بن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى : « أفرايتم اللات والعزى » (١) قال : إن يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره • وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج • وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والسرج ، رواه أهل السنن (٢) •

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير الأوثان •
- الثانية : تفسير العبادة •
- الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمل إلا ما يخاف وقوعه •
- الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد •
- الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله •
- السادسة : وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان •
- السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح •
- الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية •

(١) النجم : ١٩

(٢) قال ناصر الدين اسناده ضعيف . لكن للجملة الاولى والثانية شواهد كثيرة ذكرتها في « تحدير الساجد » •

التاسعة : لعنه زوارات القبور .

العاشر : لعنه من أسرجها^(١) .

بساب

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد
وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
ما عنتكم حريص عليكم » (٢) الآية .

عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على . فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » رواه ابو داود باسناد حسن ، ورواه ثقات . وعن على بن الحسين : أنه رأى رجلا يجرى الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا على ، فان تسليمكم يبلغنى أين كنتم » رواه البخارى .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

(١) لكن الحديث في ذلك ضعيف كما سبق آنفا ، وليس له شاهد يقويه كما بينته في « ارواء الغليل » فيكفى في النهى عن ذلك أنه اضاعة للعمال وتشبيه بالكفار .

(٢) التوبة : ١٢٨

- السادسة : حثه على النافلة في البيت .
- السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة .
- الثامنة : تعليقه ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد . فلا حاجة الى ما يتوهمه من أراد القرب .
- التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ تعرض أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه .

* * *

باب

ما جاء ان بعض هذه الامة يعبد الاوثان

وقول الله تعالى : « ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت (١) والطاغوت (٢) » .

وقوله تعالى : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت (٣) » .

وقوله تعالى : « قال الذين غلبوا على أمرهم لننخلن عليهم مسجدنا (٤) » .

عن أبى سعيد رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » . قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فعم » — أخرجاه . ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة . وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى قال :

(١) الجبت : كل من عبد من دون الله ، والكاهن ، والساحر ، والسحر

(٢) المائدة : ٦٠

(٣) النساء : ٥١

(٤) انكف : ٢١

يا محمد .. اذا قضيت قضاء فاته لا يرد ، وانى أعطيتك لامتك أن لا
أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح
بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها . حتى يكون بعضهم يهلك بعضها
ويسبى بعضهم بعضا » ورواه البرقاني فى « صحيحه » وزاد : « وانما
أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى
يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى
يمبد فئام من أمتى الأوثان ، وانه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون ،
كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدى . ولا تزال
طائفة من أمتى على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر
الله تبارك وتعالى » (١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : — وهى أهمها — : معنى الايمان بالجبت والطاغوت فى
هذا الموضع ؟ : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها ، مع بغضها
ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم : ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدي سبيلا
من المؤمنين .

السادسة : — وهى المقصود بالترجمة — أن هذا لا بد أن يوجد
فى هذه الأمة ، كما تقرر فى حديث أبى سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها ، أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة
فى جموع كثيرة .

الثامنة : المعجب المعجب خروج من يدعى النبوة ، مثل المختار ، -
مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق .
وأن القرآن حق ، وفيه أن محمدا خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق فى

(١) رواه بهذه الزيادة أبو داود أيضا بسند صحيح .

هذا كله مع التضاد الواضح • وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة،
وتبعه فئام كثيرة •

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى •
بل لا تزال عليه طائفة •

العاشر : الآية العظمى أنهم مسح قتلهم لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم •

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط الى قيام الساعة •

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة • منها : اخباره بأن
الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر •
بخلاف الجنوب والشمال • واخباره بأنه أعطى الكنزين ، واخباره
باجابة دعوته لأمته فى الاثنتين ، واخباره بأنه منح الثالثة ، واخباره
بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع اذا وقع ، واخباره باهلاك بعضهم بعضا
وسبى بعضهم بعضا ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين ، واخباره
بظهور المنتبين فى هذه الأمة ، واخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل
هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون فى المقول •
الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمت من الأئمة المضلين •
الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان •

باب

ما جاء فى السحر

وقول الله تعالى : « ولقد علموا أن اشتراء ماله فى الآخرة من
خلاق » (١) •

وقوله : « يؤمنون بالجبت والطاغوت » (٢) •

قال عمر : « الجبت » : السحر ، « والطاغوت » : الشيطان
وقال جابر : الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان ، فى كل حى
واحد •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ^(١) . وعن جندب مرفوعا : « حد الساحر ضربه بالسيف » . رواه الترمذى ، وقال : الصحيح أنه موقوف . وفى « صحيح البخارى » عن بجاللة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن قتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر ، وصح عن حفصة رضى الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ، فقتلت . وكذلك صح عن جندب . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية البقرة .
- الثانية : تفسير آية النساء .
- الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما .
- الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الانس .
- الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهاى .
- السادسة : أن الساحر يكفر .
- السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .
- الثامنة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟ !

باب

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان ابن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت » .

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

قال عوف : العيافة : زجر الطير • والطرق • الخط يخط بالأرض •
والجبت ، قال الحسن : رثة الشيطان • اسناده جيد ولأبي داوود
والنسائي وابن حبان في « صحيحه » المسند منه •
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ،
زاد ما زاد » رواه أبو داود ، ولإسناده صحيح •
والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « من عقد عقدة
ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل
اليه » •

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ألا هل أبئكم ما العضة ؟ هي التيمة ، القالة بين الناس » رواه
مسلم •

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « أن من البيان لسحرا » •
فيه مسائل :

- الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت •
- الثانية : تفسير العيافة والطرق •
- الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر •
- الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك •
- الخامسة : أن التيمة من ذلك •
- السادسة : أن من ذلك بعض الفصاحة •

بَاب

ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في « صحيحه » عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فسأله
عن شيء فصدقه بما يقول ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما » •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » رواه أبو داود . وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن أبي هريرة رضى الله عنه : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفا .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه مرفوعا : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » . رواه البزار بإسناد جيد ، ورواه الطبراني فى الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومن أتى .. » الى آخره .

قال البغوى : العراف : الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن والكاهن : هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل . وقيل الذى يخبر عما فى الضمير .

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق . وقال ابن عباس — فى قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون فى النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق . فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

بِسَابِ

ما جاء في النشرة

عن جابر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال : « هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد . وأبو داود ، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفى « البخارى » عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، انما يريدون به الاصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . اهـ .

وروى عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر الا ساحر .
قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهى نوعان : أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذى من عمل الشيطان . وعليه يحل قول الحسن ، فيتقرب الناصر والمتنشر الى الشيطان بما يجب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثانية : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال .
* * *

بِسَابِ

ما جاء في التطهير

وقول الله تعالى : « الا انمسا طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون » (١) .

وقوله : « قالوا طائركم معكم » (٢) الآية .

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه : زاد مسلم : « ولا نوء ، ولا غول » .

ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » قالوا : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » .

ولأبي داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتني بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وعن ابن مسعود مرفوعا : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك .. وما منا إلا (١) ، ولكن الله يذهب بالتوكل » رواه أبو داوود ، والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث ابن عمر : « ومن ردت الطيرة عن حاجته فقد أشرك » . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا اله غيرك » . وله من حديث الفضل ابن العباس رضى الله عنهما : إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك .

فيه مسائل :

الأولى : التنبيه على قوله : « إلا انهما طائرهم عند الله » (٢) :

مع قوله : « طائرهم معكم » (٣) .

الثانية : نفي العدوى .

الثالثة : نفي الطيرة .

الرابعة : نفي الهامة .

الخامسة : نفي الصفر .

(١) في هذا الحديث حذف يعرف بالقريئة ، أى : إلا ويقع في نفسه

شيء .

(٢) يس : ١٩ .

(٣) الأعراف : ١٣١ .

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب .

السابعة : تفسير الفأل .

الثامنة : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهب الله بالتوكل .

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده .

العاثرة : التصريح بأن الطيرة شرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

* * *

باب

ما جاء في التنجيم

قال البخارى في « صحيحه » : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم
لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها .
فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم
له به . ا . هـ .

وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه .
ذكره حرب عنهما ، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق
بالسحر » رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق النجوم .

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .

الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل .

الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل .

* * *

بَاب

ما جاء في الاستسقاء بالانواء

وقول الله تعالى : « وتَجْطُلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ » (١) .

عن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها : الفخر بالأحساب ، والطمع في الأنساب . والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » . وقال : « النائحة إن لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » . رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكواكب » .

ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيه ، قال بعضهم : لقد صدق : نوء كذا وكذا . فانزل الله هذه الآية : « فلا أقسم بمواقع النجوم » (٢) إلى قوله : « وتَجْطُلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ » (٣) . فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامسة : قوله : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » بسبب

قوله النعمة .

(٢) الواقعة : ٧٥

(١) الواقعة : ٨٢

(٣) الواقعة : ٨٢

- السادسة : التنظن للإيمان في هذا الموضع •
- السابعة : التنظن للكفر في هذا الموضع •
- الثامنة : التنظن لقوله : « لقد صدق فوء كذا وكذا » •
- التاسعة : اخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله :
« أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » •
- العاشرة : وعيد النائحة •

* * *

بإب

قول الله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » (١) الآية . وقوله : « قل إن كان آباؤكم وأبنائكم » إلى قوله :
« أحب إليكم من الله ورسوله » (٢) الآية .

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجهما ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعصيه في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » وفي رواية « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى .. » إلى آخره •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من أحب في الله ، وأبغض في الله • ووالى في الله ، وعادى في الله ، فالما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك • وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على أهل شيئا ، رواه ابن جرير . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وتقطعت بهم الأسباب » (٣) قال : المودة .

(٢) التوبة : ٢٤

(١) البقرة : ١٦٥

(٣) البقرة : ١٦٦

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة •

الثانية : تفسير آية براءة •

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم (وتقديسها) على النفس والأهل والمال •

الرابعة : أن نفي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام •

الخامسة : أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها •

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله الا بها ، ولا يجد أحد طعم الايمان الا بها •

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا •

الثامنة : تفسير : « وتقطعت بهم الأسباب » (١) •

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا •

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية (٢) أحب اليه من دينه •

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندا تساوى محبته محبة الله ، فهو الشرك الأكبر •

* * *

باب

قول الله تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه ، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٣) •

وقوله : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله » (٤) الآية .

(١) البقرة : ١٦٦

(٢) يشير بذلك الى قوله تعالى : « قل ان كان آبائكم وابناؤكم واخوانكم ... » التوبة ، ٢٤ .

(٣) آل عمران : ١٧٥ (٤) التوبة : ١٨

وقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فاذأ أؤذى في الله جعل
فتنة الناس كعذاب الله » (١) الآية .

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا : « أن من ضعف اليقين : أن
ترضى الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله وأن يندمهم
على ما لم يؤتكم الله ، أن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده
كراهية كاره » .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « من التمس رضي الله بسخط الناس ، رضي الله عنه وأرضى
عنه الناس ، ومن التمس رضي الناس يسخط الله ، سخط الله عليه
وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان في « صحيحه » .

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية آل عمران .
- الثانية : تفسير آية براءة .
- الثالثة : تفسير آية العنكبوت .
- الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .
- الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث (٢) .
- السادسة : أن اخلاص الخوف لله من الفرائض
- السابعة : ذكر ثواب من فعله .
- الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

* * *

(١) العنكبوت : ١٠ .

(٢) يقصد حديث أبي سعيد المتقدم

بَسَاب

قول الله تعالى : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (١) .
وقوله : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (٢)
الآية .

وقوله : « يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٣)
وقوله : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٤) .
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » (٥) .
قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار ، وقالها
محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : « ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٦) .

رواه البخارى والنسائى .

فيه مسائل :

- الأولى : أن التوكل من الفرائض .
- الثانية : أنه من شروط الايمان .
- الثالثة تفسير آية الأنفال .
- الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .
- الخامسة : تفسير آية الطلاق .
- السادسة : عظم شأن هذه الكلمة (٦) ، وأنها قول ابراهيم ومحمد
صلى الله عليهما وسلم فى الشدائد .

* * *

(١) المائدة : ٢٣	(٢) الأنفال : ٢
(٣) الأنفال : ٦٤	(٤) الطلاق : ٣
(٥) آل عمران : ١٧٣	(٦) وهى : « حسبنا الله ونعم الوكيل »

بَاب

قول الله تعالى : « آمَنُوا بِمَكْرِ اللَّهِ ، فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » (١) .

وقوله : « وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الْضَالُّونَ » (٢) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر . فقال : « الشراك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « أكبر الكبائر : الإشراف بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من حمة الله ، واليأس من روح الله » رواه عبد الرزاق .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن آمن بمكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

بَاب

من الإيمان بالله الصبر على القدر

وقول الله تعالى : « وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ » (٣) .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ،

فيرضى ويسلم .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت » . ولهذا عن ابن مسعود مرفوعا : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

(٢) الحجر : ٥٦

(١) الأعراف : ٩٩

(٣) التفتاب : ١١

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا • وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » حسنه الترمذى •

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية التغابن •
- الثانية : أن هذا من الايمان بالله •
- الثالثة : الطعن فى النسب •
- الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بطغرى الجاهلية •
- الخامسة : علامة ارادة الله بعبده الخير •
- السادسة : ارادة الله به الشر •
- السابعة : علامة حب الله للعبد •
- الثامنة : تحريم السخط •
- التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء •

* * *

باب

ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى : « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انصا الهكم الله واحد » (١) الآية .

• وعن أبى هريرة مرفوعا : « قلل الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى غيرى تركته وشركه » • رواه مسلم •

وعن أبي سعيد مرفوعا : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « الشرك الخفى ، يقوم الرجل فيصلى ، فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل » . رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا دخله شئ لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب ، أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلى المرء لله ، لكن يزينا لما يرى من نظر رجل اليه .

* * *

باب

من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها » (١) الايتين .

فى « الصحيح » عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمس عبد الدينار ، تمس عبد الدرهم ، تمس عبد الخميصة (٢) ، تمس عبد الخيلة (٣) ، ان أعطى رضى ، وان لم يعط » .

(١) هود : ١٥ ، ١٦

(٢) الخميصة : كساء أسود مربع له طمان .

(٣) الخيلة : القطيفة ، والثوب المخمل ، كالكساء .

سخط . تعس واتكس . وإذا شئت فلا اتقش^(١) . طوبى لعبد أخذ
بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماء ان كان في
الحراسة كان في الحراسة ، وان كان في الساقة كان في الساقة . ان
استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع » .

فيه مسائل :

الأولى : ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الانسان المسلم : عبد الدينار والدرهم والخميصة
والقطيفة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطى رضى ، وان لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : « تعس واتكس » .

السادسة : قوله : « وإذا شئت فلا اتقش » .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

* * *

باب

من اطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله

او تحلil ما حرم الله فقد آخذهم أربابا من دون الله

وقال ابن عباس : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ،
أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : قال أبو بكر
وعمر ! . . .

وقال الامام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون
الى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره
ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » (٢) .

(١) أى اذا أصابته شوكة فلا يقدر على اخراجها بالمناقشة ، وهى
جملة دعائية .

(٢) النور : ٦٣

أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .
 عن عدى بن حاتم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية : « اتخللوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » الآية .
 فقلت له : انا لسنا نعبدهم قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ؟ » فقلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم »
 رواه أحمد ، والترمذي وحسنه .
 فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور .
 الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدى .
 الرابعة : تمثيل ابن عباس بآبى بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .
 الخامسة : تغير الأحوال الى هذه الغاية ، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية . وعبادة الأحبار ، هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال الى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

* * *

باب

قول الله تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطافوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » (٢) الآيات .
 وقوله : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » (٣)

وقوله : « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » (٤) الآية .
 وقوله : « افحكم الجاهلية يبغون » (٥) الآية .

(٢) النساء : ٦٠
 (٤) الاعراف : ٥٦

(١) التوبة : ٣١
 (٣) البقرة : ١١
 (٥) المائدة : ٥٠

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي : حديث صحيح ، رويناه فى كتاب « الحجة » بإسناد صحيح .

وقال الشعبى : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : تتحاكم الى محمد — لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة — وقال المنافق : تتحاكم الى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً فى جبهة فيتحاكما اليه ، فنزلت : « ألم تر الى الذين يزعمون .. » (١) الآية .

وقيل : نزلت فى رجلين اختصما ، فقال أحدهما : ترفع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : الى كعب بن الأشرف ، ثم ترفعا الى عمر ، فذكر له أحدهما القصة . فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله . فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت .
الثانية : تفسير آية البقرة : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض » (٢) .

الثالثة : تفسير آية الاعراف : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها » (٣) .

الرابعة : تفسير : « اشكروا الجاهلية ببغون » (٤) .

الخامسة : ما قاله الشعبى فى نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما

جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .



بَاب

من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : « وهم يكفرون بالرحمن » (١) الآية .

وفى « صحيح البخارى » قال على : « حدثوا الناس بما يعرفون
أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس :
« أنه رأى رجلاً اتفَضَ — لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم
فى الصفات ، استنكاراً لذلك — فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند
محكمه ، ويهلكون عند متشابهه » انتهى .

ولما سمعت قریش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر :
« الرحمن » انكروا ذلك . فانزل الله فيهم : « وهم يكفرون بالرحمن » (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الايمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحدث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة أنه يفضى الى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم
يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك . وأنه هلكه .

* * *

بَاب

قول الله تعالى : « يعرفون نعمته الله ثم ينكرونها وأكثرهم
الكافرون » (٣) .

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالى ، ورثته عن آبائى .

(٢) الرعد : ٢٠

(١) الرعد : ٢٠

(٣) النحل : ٨٣

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاة آلهتنا .

وقال أبو العباس — بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : « ان الله تعالى قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ... » الحديث ، وقد تقدم — وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ، ويشرك به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وانكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جار على السنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام انكارا للنعمة .

الرابعة : اجتماع التضدين فى القلب .

* * *

باب

قول الله تعالى : « فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون » (١) .

قال ابن عباس فى الآية : الأنداد : هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل : وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان وحياتي . وتقول لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلانا هذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد كفر — أو أشرك — » رواه

الترمذى وحسنه ، وصححه الحاكم • وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا •

وعن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح •
وجاء عن ابراهيم النخعى ، أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك • قال : ويقول : لولا الله ثم فلان • ولا تقولوا : لولا الله وفلان •

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية البقرة فى الأنداد •
- الثانية : أن الصحابة رضى الله عنهم يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر •
- الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك •
- الرابعة : أنه اذا حلف بغير الله صادقا ، فهو أكبر من اليقين الغموس •

الخامسة : الفرق بين « الواو » و « ثم » فى اللفظ •

باب

ما جاء فىمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحلفوا بأبائكم ، ومن حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض • ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن •
فيه مسائل :

- الأولى : النهى عن الحلف بالآباء •
- الثانية : الأمر للمحلف له بالله أن يرضى •
- الثالثة : وعيد من لم يرض •

باب

قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة ، أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه .

وله أيضا عن ابن عباس : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » .

ولابن ماجه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال : رأيت كأنى أتيت على نفر من اليهود ، قلت : انكم لأتم القوم ، لولا أنكم تقولون : عزيز ابن الله . قالوا : وأتم لأتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : انكم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وأتم لأتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته . قال : « هل أخبرت بها أحدا » ؟ قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد . . فان طفيل رأى رؤيا ، أخبر بها من أخبر منكم ، وأنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنصاكم عنها . فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

الثانية : فهم الانسان اذا كان له هوى .

الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم : « أجعلتني لله ندا » ؟

فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به والبيتين بعده ؟

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر ، لقوله : « يمنعني

كذا وكذا » .

الخامسة : أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام .

بِسَابِ

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » (١) الآية .

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » وفي رواية : « لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر » .

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن سب الدهر .
- الثانية : تسميته أذى لله .
- الثالثة : التأمل في قوله : « فان الله هو الدهر » .
- الرابعة : أنه قد يكون سبابا ولو لم يقصده بقلبه .

* * *

بِسَابِ

التسمى بقاضي القضاة ونحوه

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أخنع اسم عند الله ، رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك الا الله » قال سنيان : مثل « شاهان شاه » .
وفي رواية : « أخنع » يعني أوضع .

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن التسمية بملك الأملاك .

الثانية : التفتن للتغليظ في هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه .
الرابعة : التفتن أن هذا الاجلال لله سبحانه .

* * *

باب

احترام اسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله هو الحكم ، واليه الحكم » ، فقال : ان قسومي اذا اختلفوا في شيء أتوني ، فحكمت بينهم ، فرضى كلا الفريقين .
فقال : « ما أحسن هذا ! فما لك من الولد » ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله . قال فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح ، قال : « فأنت أبو شريح » .
رواه أبو داود وغيره .

فيه مسائل :

- الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه .
- الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .
- الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

* * *

باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخسوف ونكسب » (١) الآية .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة . — دخل حديث بعضهم في بعض — : أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا

مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء .
— يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء — فقال
له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ،
فوجد القرآن قد سبقه . فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله . . انما كنا
نخوض وتحدث حديث الركب ، قطع به عنا الطريق . فقال ابن عمر :
كأنى انظر اليه متعلقا بنسمة^(١) ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وان الحجارة تنكب رجليه — وهو يقول : انما كنا نخوض ونلعب —
فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ايا الله وآياته ورسوله
كنتم تستهزئون »^(٢) ما يلتفت اليه وما يريد عليه .

فيه مسائل :

- الأولى : وهى العظيمة ، أن من هزل هذا فهو كافر .
- الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان .
- الثالثة : الفرق بين النيمة والنصيحة لله ورسوله .
- الرابعة : الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة على
أعداء الله .

الخامسة : أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل .

* * *

بسم

ما جاء فى قول الله تعالى : « ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لى »^(٣) الآية .

قال مجاهد : هذا بعملى وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد
من عندى .

(١) النسع جمع نسمة : وهو سير مريض تشد به الرحال .

(٢) التوبة : ٦٥

(٣) فصلت : ٥٠

(١٤ — مجموعة التوحيد)

وقوله : « قال انما اوتيته على علم عندي » (١) : قال قتادة :
 على علم منى بوجوده المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله
 انى له اهل . وهذا معنى قول مجاهد : اوتيته على شرف .
 وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : « ان ثلاثة من بنى اسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى ،
 فاراد الله أن يتليهم ، فبعث اليهم ملكا ، فأتى الأبرص ، فقال : أى
 شيء أحب اليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي
 قذرنى الناس (به) قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطى لونا حسنا .
 وجلدا حسنا . قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الابل — أو البقر —
 شك اسحاق — فأعطى ناقة عشراء ، وقال بارك الله لك فيها . قال :
 فأتى الأقرع فقال : أى شيء أحب اليك ؟ قال شعر حسن ، ويذهب
 عني الذي قذرنى الناس (به) (٢) فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطى
 شعرا حسنا . فقال : أى المال أحب اليك ؟ قال : البقر — أو الابل —
 فأعطى بقرة حاملا ، قال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى ، فقال :
 أى شيء أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله الى بصرى ، فأبصر به الناس ،
 فمسحه ، نرد الله اليه بصره ، قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال :
 الغنم . فأعطى شاة والدا ، فأتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد
 من الابل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم افه
 أتى الأبرص فى صورته وهيبته فقال : رجل مسكين وابن سبيل ،
 قد انقطعت بى الجبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم
 بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ،
 بعيرا اتبلغ به فى سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأتى
 أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرک الناس ، فقيرا ، فأعطاك الله عز وجل
 المال ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال : ان
 كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال : وأتى الأقرع فى صورته ،

(١) القصص : ٧٨

(٢) كلمة (به) ليست فى « الصحيحين » هنا ولا فيما بعدها ،
 ولعلها تفسير .

فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الجبال في سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك . أسألك بالذى رد عليك بهرك شاة أتباع بها فى سفرى . فقال : كنت أعمى فرد الله الى بصرى ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال : أمسك مالك ، فانما ابتليتكم فقد رضى الله عنك ، وسخط على ساحبيتك » أخرجاه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى : « ليقولن هذا لى » (١) .

الثالثة : ما معنى قوله : « أوتيته على علم عندى » (٢) .

الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

باب

قول الله تعالى : « فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما » (٣) الآية .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب (٤) .
وعن ابن عباس فى الآية قال : لما تغشاها آدم حملت : فأتاهما ابليس فقال : انى صابكما الذى أخرجتكما من الجنة ، لتطيمانى أو لأجعلن له قرنى أيل : فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن — يخوفهما — سمياه عبد الحارث ، فأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ، فأتاهما ، فقال مثل قوله ، وأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ، فأتاهما ، فذكر لهما ، فأدركما حب الولد ، فسمياه

(١) فصلت : ٥ . (٢) القصص : ٧٨

(٣) الأعراف : ١٩٠

(٤) أى لم يتفقوا بل اختلفوا على تحريم هذا الاسم .

عبد الحارث فذلك قوله تعالى : « جعلنا له شركاء فيما آتاهما »
رواه ابن أبي حاتم .

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن
في عبادته . وله بسند صحيح من مجاهد في قوله : « لئن آتيتنا
صالحا » (١) .

قال : أشفقا أن لا يكون انسا ، وذكر معناه عن الحسن وسعيد
وغيرهما .

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية ، من النعم .

الخامسة : ذكر السلف التفرق بين الشرك في الطاعة ، والشرك

في العبادة .

* * *

باب

قول الله تعالى : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذرُوا الذين
يلحدون في أسمائه » (٢) الآية .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : « يا حسنون في أسمائه »
يشركون . وعنه : سموا اللات من الآله ، والعزى من العزى ، وعن
الأعمش : يندخلون فيها ما ليس منها .

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

الثالثة : الأمر بدعائه •

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحددين •

الخامسة : تفسير الالحاد فيها •

السادسة : وعيد من ألحد •

* * *

باب

لا يقال : السلام على الله

فى « الصحيح » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا اذا كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده • السلام على فلان ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا السلام على الله ، فان الله هو السلام » •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام •

الثانية : أنه تحية •

الثالثة : أنها لا تصلح لله •

الرابعة : العلة فى ذلك •

الخامسة : تعليمهم التحية التى تصلح لله •

* * *

باب

قول : اللهم اغفر لى ان شئت

فى « الصحيح » عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقول أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة ، فان الله لا مكره له » • ولمسلم : « ولبعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شىء أعظم » •

فيه مسائل :

- الأولى : النهى عن الاستثناء فى الدعاء .
- الثانية : بيان العلة فى ذلك .
- الثالثة : قوله يعزم المسألة .
- الرابعة : اعظام الرغبة .
- الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

باب

لا يقول عبدي وأمتي

فى « الصحيح » عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضئ ربك . وليقل سيدى ومولائى . ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي . وليقل : فتاى وفتاتى وغلामى » .

فيه مسائل :

- الأولى : النهى عن قول : عبدي وأمتي .
- الثانية : لا يقول العبد : ربى ، ولا يقال له : أطعم ربك .
- الثالثة : تعليم الأول قول : فتاى وفتاتى وغلामى .
- الرابعة : تعليم الثانى قول : سيدى ومولائى .
- الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ .

باب

لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن

صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه . فادعوا «
حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل :

الأولى : اعادة من استعاذ بالله .

الثانية : اعطاء من سأل بالله .

الثالثة : اجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر الا عليه .

السادسة : قوله : « حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

* * *

بـ

لا يسئَل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسئَل
بوجه الله إلا الجنة » رواه أبو داود .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسئَل بوجه الله إلا غاية المطالب .

الثانية : اثبات صفة الوجه .

* * *

بـ

ما جاء في القو

وقول الله تعالى : « يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا
هاهنا » (١) .

وقوله : « الذين قالوا لآخوانهم ولعمدوا لو اطاعونا ما قتلوا » (١)
الآية •

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن • • وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » •

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران •
- الثانية : النهي الصريح عن قول « لو » إذا أصابك شيء •
- الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان •
- الرابعة : الارشاد الى الكلام الحسن •
- الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله •
- السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو المعجز •

* * *

بِسَبَبِ

النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به » .
صححه الترمذى •

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن سب الريح •

- الثانية : الارشاد الى الكلام النافع اذا رأى الانسان ما يكره .
الثالثة : الارشاد الى أنها مأمورة .
الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر .

* * *
بـ

قول الله تعالى : « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل ان الأمر كله لله » (١) الآية . وقوله : « الظالمين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء » (٢) الآية .

قال ابن القيم فى الآية الأولى : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضطل ، وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء الذى ظنه المنافقون والمشركون فى سورة الفتح ، وانما كان هذا ظن السوء . لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحسنه ووعد الصديق ، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق ادالة مستقرة بضطل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا .

« فويل للذين كفروا من النار » (٣) .

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله وأسماء وصفاته ، وموجب حكمته وحسنه .

فليمتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب الى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا فستقل ومستكثر ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

(٢) الفتح : ٦

(١) آل عمران : ١٥٤

(٣) سورة من : ٢٧

فان تنج منها تنج من ذى عظمة ، والا فاني لا أخالك فاجيا •
فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران •

الثانية : تفسير آية الفتح •

الثالثة : الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر •

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك الا من عرف الأسماء والصفات
وعرف نفسه •

* * *

بسم

ما جاء في منكرى القدر

وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده : لو كان لأحدهم مثل
أحد ذهباً ، ثم اتفق في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر •
ثم استدلل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الايمان : أن تؤمن
بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر
خيره وشره » رواه مسلم •

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني •• انك لن تجد طعم
الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن
ليصيبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أن أول
ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب • فقال : رب •• وماذا أكتب ؟
قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بني •• سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات على غير هذا
فليس مني » •

وفي رواية لأحمد : « أن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له :
اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » •
وفي رواية لابن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ••• فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » •

وفى « المسند » و « السنن » عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى
ابن كعب : فقلت : فى قصى شىء من القدر ، فحدثنى بشىء لعل الله
يذهبه من قلبى ، فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى
تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك
لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال :
فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ،
فكلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . حديث
صحيح رواه الحاكم فى « صحيحه » (١) .

فيه مسائل :

- الأولى : بيان فرض الايمان بالقدر .
- الثانية : بيان كيفية الايمان به .
- الثالثة : احباط عمل من لم يؤمن به .
- الرابعة : الاخبار بأن أحدا لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .
- الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .
- السادسة : أنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة الى قيام الساعة .
- السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به .
- الثامنة : عادة السلف فى ازالة الشبهة بسؤال العلماء .
- التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة ، وذلك أنهم
نسبوا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

* * *

بـ

ما جاء فى المصورين

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا
ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا سميرة » أخرجه .

(١) أى فى « مستدرکه » .

ولهما عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » •
ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب
بها في جهنم » •
ولهما عنه مرفوعا : « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ
فيها الروح ، وليس بنافع » •
ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لى على : ألا أبشرك على ما بعثني
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة الا طمسها ،
ولا قبرا مشرفا الا سويته •

فيه مسائل :

- الأولى : التغليظ الشديد في المصورين •
- الثانية : التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله لقوله :
« ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى » •
- الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : « فليخلقوا ذرة
أو شعيرة » •
- الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابا •
- الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفسا يعذب بها
في جهنم •
- السادسة : أن يكلف أن ينفخ فيها الروح •
- السابعة : الأمر بطمسها اذا وجدت •

بسم

ما جاء في كثرة العطف

وقول الله تعالى : « واحفظوا أيمانكم » (١) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلف منفقة للسلمة ، ممحقة للكسب » أخرجه .
وعن سلمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيطن زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري الا يمينه ولا يبيع الا يمينه » رواه الطبراني بسند صحيح .

وفى « الصحيح » عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير أمتي قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدري اذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ؟ — ثم ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .
وفيه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجى قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

قال ابراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .
فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلمة ، ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري الا يمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : تنساؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة ،

أو الأربعة ، وذكر ما يحدث بعده .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون •
الثامنة : كون السلف يضربون على الشهادة والمهد •

* * *

بسم

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى : « واثقوا بمهد الله اذا علمتم ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها » (١) الآية .

عن بريدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أمر أميرا
على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، فقال :
« اغزوا بسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ،
ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من
المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فأيتهم ما أجابوك
فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل
منهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم
أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ،
فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ،
يجرى عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والنهي شيء
الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان أبوا فاسألهم الجزية ، فان هم أجابوك
فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم • واذا
حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل
لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم
ان تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة
نبيه ، واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ،
فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك • فانك لا تدري :
أتصيب حكم الله فيهم أو لا ؟ » رواه مسلم •

فيه مسائل :

- الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .
- الثانية : الارشاد الى أقل الأمرين خطرا .
- الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله فى سبيل الله » .
- الرابعة : قوله : « قاتلوا من كفر بالله » .
- الخامسة : قوله : « استعن بالله وقاتلهم » .
- السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .
- السابعة : كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق..
حكم الله أم لا ؟

* * *

باب

ما جاء فى الأقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذى
يتسألنى على أن لا أغفر لفلان ؟ انى قد غفرت له وأحببت عملك »
رواه مسلم .

وفى حديث أبى هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة :
تكلم بكلمة أوبقت ديناه وآخرته .

فيه مسائل :

- الأولى : التحذير من التآلى على الله .
- الثانية : كون النار أقرب الى أحدنا من شراك نعلنا .
- الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .
- الرابعة : فيه شاهد لقوله : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ... » الخ .
- الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور اليه .

* * *

بِسَبَبِ

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. نهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فاننا نستشفع بالله عليك وبك على الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! سبحان الله ! » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ويحك ، اتدري ما الله ؟ ان شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » وذكر الحديث . رواه أبو داود .

فيه مسائل :

- الأولى : انكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .
- الثانية : تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .
- الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : « نستشفع بك على الله » .
- الرابعة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

* * *

بِسَبَبِ

ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسد طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير ، قال : انطلقت في وفد بني عامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبو داود بسند جيد .

عن أنس ، رضي الله عنه ، أن ناسا قالوا : يا رسول الله .. يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس .. »

قولوا بقولكم ، أو بعض قرائكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد ، عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد .

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا .

الثالثة : قوله : « ولا يستهوينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا

إلا الحق .

الرابعة : قوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي » .

* * *

باب

ما جاء في قول الله تعالى : « وما قدره الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (١) الآية .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : جاء جبر من الأحيار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد .. أنا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الجبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما قدره الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » الآية .

وفى رواية لمسلم : « والجبال والتجر على اصبع ، ثم يهزهن ، فيقول : أنا الملك ، أنا الله » وفى رواية للبخارى : « يجعل السموات على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع » أخرجه .
ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : « يطوى الله السموات يوم القيامة »
ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين

(١) الزمر : ٦٧

المتكبرون ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟

وروى عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثني أبي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس » . قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » .

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم ، عن أبي وأهل ، عن عبد الله ، قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق . وعن العباس ابن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون كم بين السماء والأرض » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » . أخرجه أبو داود وغيره (١) .

(١) ولكن ذكر أن المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ أو ٧٣ سنة لا خمسمائة ، رواه أحمد بلفظ (خمسمائة) كما في الكتاب وفي سند الحديث مجهول ، وهو علته ، وليست العلة ابن أبي ثور كما ظن السيد رشيد رضا فإنه قد توبع ، كما بينه الشيخ أحمد شاكر في التعليق على المسند ، ١٧٧ ، و١٧٨ ، ولكنه خفيت علة الحديث الحقيقية فصحه .

فيه مسائل :

- الاولى : تفسر قوله : « الأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (١) .
- الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين نزلت عندهم صلي الله عليه وسلم لم ينكروها وام يأولوها .
- الثالثة : أن الحبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم ، صدقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك .
- الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم .
- الخامسة : التصريح بذكر الدين ، وأن السموات في اليد اليمنى ، والأرضين في اليد الأخرى .
- السادسة : التصريح بتسيتها الشمال .
- السابعة : ذكر الجارين والمتكبرين عند ذلك .
- الثامنة : قوله : « كخردلة في كف أحدكم » .
- التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة الى السموات .
- العاشر : عظم العرش بالنسبة الى الكرسي .
- الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء .
- الثانية عشرة : كم بين كل سماء الى سماء .
- الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والعرش .
- الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .
- الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .
- السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

- السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض •
- الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة •
- التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السموات بين أعلاه وأسفله
مسيرة ثمانمائة سنة •
- والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله
على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا •



الرسالة الحادية عشرة :

حكم موالاة اهل الاشراك

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحيمك الله ان الانسان اذا اذوار للشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ، ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرهم ، غانه كافر مثلهم ، وان كان يكره دينهم ويخضعهم ويحب الاسلام والمسلمين . هذا اذا لم يقع منه الا ذلك ، فكيف اذا كان في دار منعة ، واستسعى بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعدما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله ؟ فان هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستثنى من ذلك الا المكره ، وهو الذي يستولى عليه المشركون فيقولون له : اكفر ، أو اقل كذا ، والا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا ، أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا ، وطمعا في الدنيا ؟ ! وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده .

العليل الأول : قوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » (١) .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى ، وكذلك المشركون ، لا يرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبع ملتهم ، ويشهد أنهم على حق . ثم قال تعالى : « قل ان هدى الله فهو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير » (٢) وفي الآية الأخرى : « انك ان من الظالمين » (٣) .

فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يوافقهم على دينهم ظاهرا من غير عقيدة القلب ، لكن خوفا من شرهم ومداهنة ، كان من الظالمين ، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم ؟ فانهم لا يرضون الا بذلك .

الدليل الثاني : قوله تبارك وتعالى : « ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حببنا اعمالهم في الدنيا والآخرة ، واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » (١) .

فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم ان استطاعوا ، ولم يرخس في موافقتهم خوفا على النفس والمال والحرمة ، بل أخبر عن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد ، فإن مات على ردة بعد أن قاتله المشركون فإنه من أهل النار الخالدين فيها ، فكيف بمن وافقهم من غير قتال ؟ فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له ، عرفت أن الذين يأتون اليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال ، أنهم أولى بعدم العذر ، وأنهم كفار مرتدون .

والدليل الثالث : قوله تبارك وتعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم قلة » (٢) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم ، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء ، أى لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة ، الا أن تتقوا منهم قلة ، وهو أن يكون الانسان مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم ، فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر ، استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله ، فما جعل الله الخوف منهم عذرا ، بل قال تعالى : « إنما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٣) .

الدليل الرابع : قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتقتلبوا خاسرين » (٤) .

(٢) آل عمران : ٢٨

(٤) آل عمران : ١٤٩

(١) البقرة : ٢١٧

(٣) آل عمران : ١٧٥

فأخبر تعالى أن المؤمنين أن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم بمن الإسلام ، فأنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر ، وأخبر أنهم أن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، ولم يرخس في موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم ، وهذا هو الواقع ، فأنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق ، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين ، وقطع اليد منهم . ثم قال : « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » (١) .

فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم ، وهو خير الناصرين . ففى ولايته وطاعته غنية وكفاية عن طاعة الكفار ، فياصرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ، ونشأوا فيه ، ودأبوا به زمانا ، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين ، وخير الناصرين ، الى ولاية القباب وأهلها ، ورضوا بها بدلا عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء ؟ لا بشئ للظالمين بدلا .
الدليل الخامس : قوله تعالى : « أفمن اتبع رضوان الله كمن ابتاع بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير » (٢) .

فأخبر تعالى أنه لا يستوى من اتبع رضوان الله ، ومن ابتاع ما يسخطه ، وماواه جهنم يوم القيامة . ولا رب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها ، وكون الانسان من أهلها ، من رضوان الله ، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله ، فلا يستوى عند الله من نصر توحيده ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين ، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات ، وكان مع المشركين .
فإن قالوا : خفنا . قيل لهم : كذبتهم . وأيضا فما جعل الله الخوف عذرا في اتباع ما يسخطه ، واجتناب ما يرضيه وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفا من زوال دنياهم والا فيعرفون الحق ويعتقدونه ، ولم يكونوا بذلك مسلمين .

الدليل السادس : قوله تعالى : « أن الذين توفاهم الملائكة ظاهري أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا » (٣) .

(٢) آل عمران : ١٦٢

(١) آل عمران : ١٥٠

(٣) النساء : ٩٧

أى فى أى فريق كنتم ، أثنى فريق المسلمين ، أم فى فريق المشركين ، فاعتذروا عن كونهم ليسوا فى فريق المسلمين بالاعتصاف ، فلم تعذرهم الملائكة ، وقالوا لهم : « ألم تكن أرض الله الواسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك ملأهم جهنم ، وساءت مصيرا » (١) .

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين ، وفى فرقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت فى آفاس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج المشركون الى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ، فقتلهم المسلمون يوم بدر ، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا : قتلنا اخواننا ، فأُنزل الله فيهم هذه الآية . فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الاسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا فى طاعتهم ، وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التوحيد ، واتبعوا غير سبيلهم ، وخطؤوهم ، وظهروا فيهم سبهم وشتيم وعييبهم ، والآن يستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم فى ثباتهم على التوحيد ، والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعا لا كرها ، واختيارا لا اضطرارا ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحا بالوطن ، وخوفا من الكفار ، وخرجوا فى جيشهم مكرهين خائفين . فان قال قائل : هلا كان الاكراه على الخروج عذرا للذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل : لا يكون عذرا ، لأنهم فى أول الأمر لم يكونوا معذورين اذا قاموا مع الكفار ، فلا يعذرون بعد ذلك بالاكراه ، لأنهم السبب فى ذلك قاموا معهم وتركوا الهجرة .

الدليل السابع : قوله تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهز بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذن مثلهم » (٢) .

فذكر الله تعالى أنه نزل على المؤمنين فى الكتاب انهم اذا سمعوا آيات الله يكفر بها ، ويستنهز بها ، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . وأن من جالس مع الكافرين بآيات الله ، المستهزئين

بها في حال كفرهم واستوزائهم ، فيسوا مثابهم ، ولم يفرق بين الخائف وغيره . إلا المكره ، هذا وهم في بلد واحد في أول الاسلام ، فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزه وبلاده ، فدعا الكافرين بآيات الله . المستهزئين بها الى بلاده ، واتخذوهم أولياء وأصحابا وجلساء . وسمع كفرهم وامتهزأهم وأقرهم ، ووارد أهل التوحيد وأبعدهم ؟

الدليل الثامن : قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم ، أن الله لا يهدي القوم الظالمين » (١) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذهم اليهود والنصارى أولياء . وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان فهو منهم ، فإن جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك ، وأن أهلها ليسوا بمشركين ، بأن أمره واتضح عناده وكفره . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره ، بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفسلون ذلك خوفا من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين ، خافوا من الدوائر : لما في قلوبهم من عدم الايمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا الى أهل الشرك ، خوفا أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى : « فحسب الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » (٢) .

الدليل التاسع : قوله تعالى : « ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون » (٣) . فذكر الله تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله ، والنفود في المذاب بسجدها ، وإن كان الانسان خائفا . إلا من أكره بشرطه ، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح ، وهو معاداة التوحيد وأهله ، والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص ، وعلى تثبيت دعوة غيره ؟

الدليل العاشر : قوله تعالى : « ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي .

(٢) المائدة : ٥٢

(١) المائدة : ٥١

(٣) المائدة : ٨٠

وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (١) . فلما كثر
تعالى ان موالاة الكفار منافية للايمان بالله والنبي صلى الله عليه وسلم
وما انزل اليه . ثم اخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقون ، ولم
يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف ، وهكذا حال كثير من
هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون ، فجرهم ذلك الى موالاة
الكفار ، والردة عن الاسلام ، نعوذ بالله من ذلك .

الدليل الحادى عشر : قوله تعالى : « وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون » (٢) . وهذه الآية
نزلت لما قال المشركون : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله ، فأنزل
الله هذه الآية . فاذا كان من أطاع المشركين فى تحليل الميتة مشركا من
غير فرق بين الخائف وغيره الا المكروه ، فكيف بمن أطاعهم فى تحليل
موالاتهم ، والكون معهم ونصرهم ، والشهادة أنهم على حق ، واستحلال
دماء المسلمين وأموالهم ، والخروج عن جماعة المسلمين الى جماعة
المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال .
الدليل الثانى عشر : قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الفاوين » (٣) وهذه الآية
نزلت فى عالم عابد فى زمان بنى اسرائيل ، يقال له بلعام ، وكان يعلم
الاسم الأعظم .

قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، لما نزل بهم موسى عليه
السلام — يعنى بالجبارين — أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : ان موسى
رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، والله ان يظهر علينا يهلكنا ، فادع
الله أن يرد عنا موسى ومن معه . قال : انى ان دعوت ذهبت ديناى
وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه .
فذلك قوله تعالى : « فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الفاوين » .
وقال ابن زيد : كان هواه مع القوم ، يعنى الذين حاربوا موسى
وقومه ، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله ، بعد أن أعطاه

الله إياها ، وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها . أى ترك العمل بها ، وذكر فى انسلخه منها ما معناه أنه مظاهره المشركين ومعاونتهم برأيه : والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه ، أن يردهم الله عن قومه خوفاً على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحق ، ويشهد به ، ويتعبد ، ولكن سده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض ، فكان هذا انسلخاً من آيات الله تعالى ، وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين ، وأعظم ، فإن الله أعطاهم آياته التى فيها الأمر بالتوحيد ، ودعوته وحده لا شريك له ، والنهى عن الشرك به ودعوة غيره ، والأمر بموالاتة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم ، والاعتصام بحبل الله جميعاً ، والكون مع المؤمنين ، والأمر بمعاداة المشركين ، وبغضهم وجهادهم وفراقهم ، والأمر بهدم الأوثان ، وإزالة القصاب^(١) واللاواط والمنكرات ، وعرفوها وأقروا بها ، ثم انسلخوا من ذلك كله ، فهم أولى بالانسلخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله .

الدليل الثالث عشر : قوله تعالى : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون »^(٢) . فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسبب النار ، ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره إلا المكروه . فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً ، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأى ، وأحب زوال التوحيد وأهله ، واستيلاء أهل الشرك عليهم ؟ فإن هذا أعظم الكفر والركون .

الدليل الرابع عشر : قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحيوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدى القوم الكافرين »^(٣) . فحكم تعالى حكماً لا يبدل أن من رجع عن دينه إلى الكفر ، فهو كافر ، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل ، أم لا ، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره

(١) القصاب : جمع قحبة ، وهى البنى الفاجر .

(٢) النحل : ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) هود : ١١ .

دون باطنه ، وسواء كفر بفعاله ومقاله ، أو بأحدهما دون الآخر ، وسواء كان طامعا في دنيا ينالها من المشركين أم لا . فهو كافر على كل حال ، إلا المكره ، وهو في لغتنا : المعضوب ، فإذا آكره الإنسان على الكفر وقيل له : اكفر والا قتلناك أو ضربناك ، أو أخذناك المشركون فضربوه ، ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم ، جاز له موافقتهم في الظاهر ، بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان ، أي ثابتا عليه ، معتقدا له نأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرها .

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرها حتى يعذبه المشركون ، فانه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض ، فسأله فلم يرد عليه السلام ، فما زال يمتذر ويقول حديث عمار . وقال الله تعالى : « **الآ من آكره وقلبه مطمئن بالإيمان** » (١) ، فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر ، فقال يحيى : لا يقبل عذرا .

فلما خرج يحيى قال أحمد : يحتج بحديث عمار ، وحديث عمار : مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني وأتتم قيل لكم : فريد أن تضربكم ، فقال يحيى : والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون : ما فعلنا هذا إلا خوفا ، فعلمهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك ، أو الجهل بالتوحيد ، أو بغض الدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فأثره على الدين وعلى رضى رب العالمين . فقال : « **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** » وإن الله لا يهدي القوم الكافرين » (٢) . فكفرهم تعالى . وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ، هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون .

ثم أخبر خبرا مؤكدا محققا أنهم في الآخرة هم الخاسرون .
الدليل الخامس عشر : قوله تعالى عن أهل الكهف : « انهم ان
يظهروا عليكم يرجعوكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا ان ابدا » (١)
فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم ان فہروكم
وغلboekم فہم بين أمرين : اما ان يرجعوكم ، أى يقتلوكم شر قتلة
بالرجم ، واما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم ، ولن تفلحوا اذن أبدا ،
أى ان وافقتموهم على دينهم بعد ان غلبوكم وقهروكم ، فلن تفلحوا
اذن أبدا ، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه ، فكيف بمن وافقهم
وراسلهم من بعيد ، وأجابهم الى ما طلبوه من غير غلبة ولا اكراه ،
ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ؟

الدليل السادس عشر : قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله
على حرف ، فان أصابه خير أطمان به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه
خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » (٢) .

فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف ، أى على
طرف « فان أصابه خير » أى نصر ومز و صحة وسعة وامن وعافية ،
ونحو ذلك — « أطمان به » — أى ثبت وقال : هذا دين حسن ما رأينا
فيه الا خيرا — « وان أصابته فتنة » — أى خوف ومرض وفقر ونحو
ذلك — « انقلب على وجهه » — أى ارتد عن دينه ورجع الى أهل
الشرك .

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة ، ويعبدون
الله على حرف ، أى على طرف ، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات ،
فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين
وأعطوهم الطاعة ، وخرجوا عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين ، فهم
معهم في الآخرة ، كما هم معهم في الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخرة ،
ذلك هو الخسران المبين هذا مع أن كثيرا منهم في عافية ، ما آتاهم
من عدو ، وانما ساء ظنهم بالله ، فظنوا أنه يدبل الباطل وأهله على الحق
وأهله ، فأرداهم سوء ظنهم بالله ، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء :
« وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين » (٣)

وأنت يا من من الله عليه بالثبات على الاسلام ، احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب ، أو تحسب أمر هؤلاء المرتدين ، أو أن موافقتهم للمشركين واطهار طاعتهم رأى حسن ، حذرا على الأتفس والأموال والمخارم ، فإن هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيرا من الأولين والآخرين في الشرك بالله ، ولم يذرههم الله بذلك ، والا فكثير منهم يعرفون الحق ، ويعتقدونه بقلوبهم ، وانما يدهنون بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه ، فلم يسلر بها احدا ولا ببعضها ، فقال : « قل ان كان أبلاؤكم وابتلاؤكم وأخسوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله رسوله وجهاد في سبيله فترى صوابا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » (١) .

الدليل السابع عشر : قوله تعالى : « ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأمل لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يصالهم أسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم » (٢) فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم ، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة ، وغرهم الشيطان بتسويله . وتزين ما ارتكبوه من الردة ، وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة غرهم الشيطان ، وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة ، وأنهم بمعرفة الحق ومحبة والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه ، ونسوا أن كثيرا من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به ، ولكن يتركون متابعتهم والعمل به محبة للدنيا ، وخوفا على الأتفس والأموال ، والمآكل والرثاسات .

ثم قال تعالى : « ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر » (٣) فآخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة ، وتسويل الشيطان ، وأملائه لهم ، هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم في بعض الأمر ، فاذا كان من وعبد المشركين الكارهين لما

أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافرا ، وإن لم يفعل ما وعدهم به ، فكيف بمن وافق المشركين الكافرين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات ، وأظهر أنهم على هدى ، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم ، وأن الصواب في مسألتهم ، والدخول في دينهم الباطل ؟! فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر ، ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت ، ثم قال « ذلك » الأمر الفظيع عند الوفاة « بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم » (١) ، ولا يستريب مسلم أن اتباع المشركين ، والدخول في جملتهم ، والشهادة أنهم على حق ، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ، ونصرة القباب والقصاب واللواط من اتباع ما يسخطه الله ، وكرهه رضوانه ، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف ، فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين ، بل نهى عن خوفهم قائل هذا ممن يقول : ما جرى منا شيء ونحن على ديننا .

الدليل الثامن عشر : قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتلتهم لننصركم والله يشهد أنهم لكاذبون » (٢) فقد تعالى الأخوة بين المنافقين والكفار ، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر : « لئن أخرجتم لنخرجن معكم » ، أي لئن غلبكم محمد صلى الله عليه وسلم وأخرجكم من بلادكم « لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا » أي لا نسمع من أحد فيكم قولا ، ولا نعطي فيكم طاعة . « وإن قوتلتهم لننصركم » ، أي إن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم لننصركم ونكون معكم ، ثم شهد تعالى أنهم كاذبون في هذا القول ، فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم ، والخروج معهم إن أجلوا ، تفاقا وكفرا وإن كان كذبا ، فكيف بمن أظهر ذلك صادقا ، وقدم عليهم ، ودخل في طاعتهم ، ودعا إليها ، ونصرهم واتقاد لهم ، وصار من جملتهم ، وأعانهم بالمال والرأي ، هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفا من الدوائر كما قال تعالى : « فتوى الدين في قلوبهم مرض يمسسون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » (٣) .

فكذا حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة ، فان عذر كثير منهم هو هذا العذر الذى ذكر الله عن الذين فى قلوبهم مرض ولم يعذرهم به . قال الله تعالى : « فعسى الله ان ياتى بالفتيح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين اقسوا بالله جهد ايمانهم انهم لمكم ، حببنا اعمالهم فاصبحوا خاسرين » (١) .

ثم قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين » (٢) فأخبر تعالى انه لا بد عند وجود المرتدين من وجود المعيين المحبوبين المجاهدين ، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين والعزة والغلبة والشدة على الكافرين ، بضد من كان تواضعه وذله ولينه لعباد القباب ، وأهل القباب واللواط ، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والاخلاص ، فكفى بهذا دليلا على كفر من وافقهم وان ادعى أنه خائف ، فقد قال تعالى : « ولا يخافون لومة لائم » (٣) ، وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفا من المشركين ، ثم قال تعالى : « يجاهدون فى سبيل الله » (٤) . أى فى توحيدهم ، صابرين على دلت ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هى العليا . ولا يخافون لومة لائم ، أى لا يبالون بمن لامهم وآذاهم فى دينهم ، بل يمضون على دينهم ، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطة ولا لرضاه ، انما همهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم ، والهرب من سخطة .

وهذا بخلاف من كان همه وغاية مطلوبه رضى عباد القباب ، وأهل القباب واللواط ورجاءهم ، والهرب مما يسخطهم ، فان هذا غاية الضلال والخذلان .

ثم قال تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » فأخبر تعالى ان هذا الخير العظيم ، والصفات الحميدة لأهل الايمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن : ليس بحد ولا ثم ولا تقوتهم ، وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ،

(١) المائة : ٥٣

(٢) المائة : ٥٤

(٣) المائة : ٥٢ ، ٥٣

(٤) المائة : ٥٤

ثم قال : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (١) .

فاخبر تعالى خيرا بمعنى الأجر بولاية الله ورسوله والمؤمنين — وفي ضمنه النهي عن موالات أعداء الله ورسوله والمؤمنين . ولا يخفى أى الحزبين أقرب الى الله ورسوله — واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة فالمتولى لضدهم ، واضع للولاية في غير محلها ، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤمنين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب . ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » (٢) .

الدليل التاسع عشر : قوله تعالى : « لا تجسد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » (٣) الآية . فاخبر تعالى أنك لا تجسد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا مناف للإيمان ، مضاد له ، لا يجتمع هو والإيمان الا كما يجتمع الماء والنار .

وقد قل تعالى في موضع آخر : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم فإولئك هم الظالمون » (٤) . نعم هاتين الآيتين البيان الواضح انه لا عذر يحد في الموافقة على الكفر خوفا على الأموال والآباء والإبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس ، اذا كان لهم يرخص لأحد في موادتهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفا منهم ، وإثارا لمرضاتهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأبعد أولياء وأصحابا ، وأظلم لهم الموافقة على دينهم خوفا على بعض الأمور ومجبة . لا ١٩ ومن العجب استصنائهم لذلك واستعمالهم له ، فجعلوا مع الردة استحلال الحرام .

الدليل العشرون : قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » الى قوله : « ومن بغضه

(٢) المائدة : ٥٦

(٤) التوبة : ٢٣

(١٦) — مجموعة التوحيد

(١) المائدة : ٥٥

(٣) المجادلة : ٢٢

منكم فقد ضل سواء السبيل» (١). فاخبر تعالى ان من تولي اعداء الله وان كانوا اقرباء ، فقد ضل سواء السبيل ، أى خطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه الى الضلالة .

فأين هذا ممن يدعى أنه على الصراط المستقيم ، لم يخرج عنه ؟ فان هذا تكذيب لله ، ومن كذب الله فهو كافر ، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ، ومن استحل محرما فهو كافر .

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالارحام والأولاد فقال : « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير » (٢) .

فلم يعذر تعالى من اعتذر بالارحام والأولاد والخوف عليهم ومشقة مفارقتها ، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ، ولا تغنى من عذاب الله شيئا ، كما قال في الآية الأخرى : « فإذا نفخ في الصور فلا تهساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (٣) .

الدليل الحادى والعشرون : من السنة ما رواه أبو داود وغيره ، عن سمرة بن جندب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جامع المشرك وسكن معه ، فانه مثله » . فجعل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث من جامع المشرك — أى اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم ، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم ؟ فان قالوا : خفنا ، قيل لهم : كذبتهم .

وأيضا فليس الخوف بعذر ، كما قال تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا لؤذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » (٤) .

فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف ، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف ؟ وانما جاءوا الى الباطل محبة له وخوفا من الدوائر .

والأدلة على هذا كثيرة وفى هذا كفاية لمن أراد الله هدايته .

(٢) المتحنة : ٣
(٤) المنكيات : ١٠

(١) المتحنة : ١
(٣) المؤمنون : ١٠١

وأما من أراد الله فتنته وضلالته ، فكما قال تعالى : « أن الدين حقت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون » ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
الآليم (١) .

ونسأل الله الكريم المنان أن يهبنا مسلمين ، وأن يترانا من عباده
وأن يلحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين . يرحمهم الله ويؤيدهم
الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم آمين .

الرسالة الثانية عشرة :

هذا كتاب

بيان النجاة والفكاك من موالاة

المرتدين وآمل الاشراف

جمع شيخنا احمد بن علي بن عتيق النجدي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما بلا اعوجاج ، وجعله
عممة أن تمسك به واعتمد عليه في الاحتجاج ، وأوجب فيه مقابلة أهل
الشرك بإيضاح الشريعة والمنهاج ، والصلاة والسلام على محمد الذي
مزق الله فلام الشرك بما معه من المراج ، وعلى آله وأصحابه الذين
جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج .

أما بعد .. فاني قد كنت تكلمت وشدت في النهي عن موالاة
المشركين ، ودعوت من حولي من المسلمين الى عداوة الكافرين . ثم
كُتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه ، مع كلمات قليلة من كلام بعض
المحققين من أهل العلم والدين ، وكنت اظن أن من قرأ القرآن ، وآمن
أنه كلام الله ، وأن الله تعبدنا بالعمل به ، والقيام ، اذا سمع ذلك أذعن
له واتقاد ، وبادر الى السمع والطاعة لحكمه ، لقول الله تعالى : « اتبعوا
ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » (١) .
وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمواك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حجرا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

وقال تعالى « فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٣) .

(٢) النساء : ٦٥

(١) الاعراف : ٣

(٣) طه : ١٢٣ - ١٢٦

فحصل من بعض الجاهلين والمجاندين انكار لذلك ، وجحدوا لما
أوجب الله الاقرار به والقيام : ففسار المنتسجون الى العام المدعون
انهم من طلبته في ذلك على أقسام :

طائفة منهم استحسنست المعارضة الجاهلة الضالة ورنيتها ، وان
لم تصرح بذلك ، فانه ظاهر على وجوبها .

وطائفة كرهت المعارضة ، واستجهلت صاحبها ، لكنها لم تفعل ما
أوجب الله عليها من رد ذلك ، والانكار على سالكه ، ولولا ما وقع لهؤلاء ،
لما كان المعارض مساويا لمن يجاوبه .

فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة
مفيدة في الرد على هذا المعارض ، نقض فيها أقواله نقضا بديعا ، وهي
كافية في الرد عليه ، فصار شيخنا هو امام الطائفة ، الراد لأقوال أهل
الباطل المنكرة لها : والله ناصر دينه ، ومظهره على الدين كله ولو كره
الكافرون . ثم انى — كتبت — ان شاء الله — كللت فيها بيان لأشياء
وقع الغلط فيها ممن ينتسب الى الملم : لقول الله تعالى : « ان الذين
يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (١) .

وقوله تعالى : « واذا اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينته
الناس ولا تكتُمونه فتبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس
ما يشترون » (٢) .

منها وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم ، ومنها ما يصير به
الرجل مرتدا ، ومنها ما يعضد الرجل به على موافقة المشركين ، ويظهر
الطاعة لهم ، ومنها مسألة اظهار الدين . ومنها مسألة الاستضعاف ،
ومنها وجوب الهجرة ، وأنها باقية ، وبميت هذا الكتاب « سبيل النجاة
والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشرار » وأسأل الله تعالى أن
يجعله مبنيا على الاخلاص ، وأن ينفع به من قرأه طلبا للنجاة والخلاص .

* * *

فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ، بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، فبين للناس ما نزل اليهم ، فسا من خير الا دلهم عليه ، وعرفهم الطرق الموصلة اليه ، وما من شر الا حذرهم منه ، وسد عليهم أبوابه المغضية اليه ، ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ .

وأخبرهم بظهور الفتن التي كقطع النيل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ، ويمسى كافرا ، ويمسى كافرا ، ويصبح مؤمنا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا ، فكان وقوع هذا لما وقع ، هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله .

وما أخبر به أن أمته تقا تل الترك ، (و) وصفهم بأنهم صفار العيون ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة . ومعنى ذلف الأنوف ، أنها قصار مبطحة .

والمجان : جمع مجن . وهو الترس ، أراد وجوههم مستديرة ناتئة وجنتها . هذا معنى كلام البغوى فى « شرح السنة » فكان من حكمة الله وعدله أن سلطهم ، لما ظهرت فيهم الملة الحنيفية ، ودعوا الى الطريقة المحمدية ، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تسلطت هذه الدولة الكفرية . فجرى ما هو ثابت فى الأقدار الأزلية ، وان كانت لا تجيزه الاحكام الشرعية . والله تعالى : « لا يستل عما يفعل وهم يسئلون » (١) . وامتحن أهل الاسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى حادثة ظهور التار فى زمنه ، وهم بادية الترك ، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فان هذه الفتنة التي ابتلى بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الاسلام ، قد جرى فيها شبه بما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المغازى التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيه والمؤمنين ، مما هو أسوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا الى يوم

القيامة . فان نصوص الكتاب والسنة الالهي هما دعوه مدينه سلى الله عليه وسلم . تتناول عموم الخلق بالعموم اللغوى . وبالعموم المعنوى وعهود الله فى كتابه وسنته . تتناول آخر هذه الأمة كما نالت اوليا .
وانما قص الله علينا قصص من قبلنا من الامم . لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للآخر من المستأخرين شبه بما كان للآخر من المتقدمين ، ويكون للكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين .
كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة : وأجل ذكر قصص الانبياء « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » (١) .
وقال لما ذكر قصة فرعون : « فاخله الله تكال الآخرة والأولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » (٢) .
وقال فى محاصرة بنى النضير : « هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم » الى قوله : « فاعتبروا يا أولى الابصار » (٣) .
فأمر أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة ومن قبلنا ، وذكر فى غير موضع ، أن سنته فى ذلك مطردة وعادة مستمرة ، فقال تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٤) .
وقال تعالى : « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . سنة الله التى قد خطت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٥) .
وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين : كدأب الكافرين من المتقدمين .
فينبئى للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه فى عباده ودأب الأمم وعاداتهم ، لا سيما فى مثل هذه الحادثة العظيمة التى طبق الخافقين خبرها ، واستطار نرى جميع الديار شررها : وانطلق فيما التفاف ناصية

(٢) النازعات : ٢٥ : ٢٦

(٤) الاحزاب : ٦٠ - ٦٢

(١) يوسف : ١١١

(٣) الحشر : ٢

(٥) الفتح : ٢٢ ، ٢٣

رأسه ، وكثر فيها الكفر عن أنيابه واضرامه ، وكاد فيها عود الكتاب ان يبتث ويخترم ، وجبل الايسان ان ينقطع ويصطم ، وعقير دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وطن ، « واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا » (١) .

ان لن ينقلب حزب الله ورسوله الى أهلهم ابدا ، وزين ذلك في قلوبهم ، وظنوا ظن السوء وكانوا قوما بورا .

ونزلت فتنة تركت الحليم حيران ، وأنزلت الرجل الصادق منزلة السكران .

وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسوس ليس بالنائم ولا اليقظان ، وتناكرت فيها قلوب المعارف والاخوان ، حتى ان الرجل بنفسه شغل عن ان يغيث اللفان ، وميز الله فيها أهل البصائر والايقان من الذين في قلوبهم مرض أو ففاق أو ضعف ايمان . ورفع بها أقواما الى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقوامها الى المنزلة الهاوية ، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى .

فان الناس تفرقوا فيها ما بين شقى وسعيد ، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود . ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى الا الايمان والعمل الصالح ، والبر والتقوى ، وبليت فيها السرائر ، وظهرت الحنايا التي تكنها الضمائر ، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يكون صاحبه أحوج ما كان اليه في المال ، وذم سادته وكبرائه من أطاعهم فأضاره السيلا ، كما حمد ربه من صدق في ايمانه واتخذ مع الرسول سييلا وبان صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الاخبار بما يكون ، وواطأها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون — أي ملهون — كما تواطأت عليها المبشرات التي أريها المؤمنون ، وتبين أنها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى يوم القيامة ، حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد في نصره الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر

خارج عن شريعة الاسلام ، واقسم الناس بين مأجور ومغرور ،
وانخر قد غره بالله الغرور وكان هذا الامتحان تمييزا من الله وتقسيما .
« ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب
عليهم ان الله كان عفورا رحيفا » (١) .

قلت : وما ذكره من الافتتان قد راينا ما هو ظييره . او اعظم
منه في هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس اقساما .
أحدها : ناصر لدين الاسلام ، وساع في ذلك بكل جهده . وهم
القليلون عددا ، الأعظمون عند الله أجرا .

القسم الثاني : خاذل لأهل الاسلام ، تارك لمعوتهم .
القسم الثالث : خارج عن شريعة الاسلام بمظاهرة حزب المشركين
ومناصحتهم . وقد روى الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « من أعان صاحب باطل لينحس بباطله حقا فقد برئت
منه ذمة الله وذمة نبيه » (٢) .



فصل

وهذا أو ان الشروع في المقصود ، فأما معاداة الكفار والمشركين .
فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد ايجابه ، وحرم
موراتهم وعدد فيها ، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من
الأدلة أكثر ولا آيين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده ،
قال الله تعالى : « والا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن
مصلحون » (٣) .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : فأهل النفاق مفسدون في الأرض
بمعصيتهم ربهم : وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ،
وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد التصديق الا به ، والايقان
بحقيقته ، وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم ، غير ما هم عليه مقيسون من

(١) الاحزاب : ٢٤٠

(٢) رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة . وفي اسناد « الكبير » حش
وهو متروك ، وفي اسناد الصغير والاوسط : سعيد بن رحمة وهو ضعيف

(٣) البقرة : ١١

الشك والتكذيب ، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، أن وجدوا الى ذلك سيلا .

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله حسن ، فإن من الفساد في الأرض ، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء ، كما قال تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » (١) . فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين » (٢) الآية . وقوله : « إنما نحن مصلحون » أي نريد أن ندارى الفريقتين من المؤمنين والكافرين ، ونصلح مع هؤلاء وهؤلاء . يقول الله : « إلا أنهم هم المفسدون » (٣) .

يقول : ألا أن هذا الذي يعتدون ويزعون أنه اصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد . ا . هـ . وهذا الذي ذكره ، قد والله سمعناه ورأينا أهله إذا قيل لهم ، ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد ؟ قالوا : نريد أن نصلح أحوالنا ونستخرج دنيانا منهم ، ويكون (لنا) يد عندهم . وبعضهم إذا ظن بالله ظن السوء من (إيذاء) أهل الباطل ، ورأى من له اتصال بهم ، وتوصل اليهم ، اتخذهم صديقا ، ورضى به ، قائلا بلسان حاله : « نخشى أن تصيبننا دائرة » (٤) . « إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » (٥) .

وقال تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذابا عظيمًا . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبستون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا » (٦) الى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » (٧) .

قال ابن كثير : ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعني معهم في الحقيقة ، يوالونهم ويسرون اليهم بالمودة ، ويقولون لهم إذا خلوا بهم : « أنا معكم إنما نحن مستهزئون » (٨) .

(١) الأنفال : ٧٣	(٢) النساء : ١٤٤
(٣) البقرة : ١٢	(٤) المائدة : ٥٢
(٥) البقرة : ١٢	(٦) النساء : ١٢٨ ، ١٣٩
(٧) النساء : ١٤٤	(٨) البقرة : ١٤

أى بالمؤمنين فى افظهارنا لهم الموافقة • قال الله تعالى منكرًا عليهم
فيما سلوكه من موالة الكافرين : « **أَيْتَفُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ** » (١) •

ثم أخبر أن العزة كلها له وحده لا شريك له : ولمن جعلها له •
كما قال تعالى فى الآية الأخرى : « **مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** » (٢) •
وقال تعالى : « **وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** » (٣) الآية •

والمقصود من هذا : التهييج على طالب العزة من جانب الله تعالى •
والالتجاء الى عبوديته ، والانتظام فى جملة عباده المؤمنين الذين لهم
النصرة فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد •

قلت : فاذا كانت موالة الكافرين من أفعال المنافقين • فهذا كاف
فى تحريمها والنهى عنها ، وقال تعالى : « **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ**
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ » (٤) •
فنهى سبحانه المؤمنين عن موالة الكافرين ، ثم قال : « **وَمَنْ يَفْعَلْ**
ذَلِكَ » •

أى ومن يوال الكافرين ، فليس من الله فى شىء ، أى فقد برىء
من الله ، وبرىء الله منه • وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، حفظًا
للاسلام والتوحيد •

وقال تعالى : « **تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لَبِئْسَ**
مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخْلُطُوا بِهِنَّ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ •
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ ،
وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » (٥) •

قال شيخ الاسلام : فبين سبحانه (أن) الايمان بالله والنبي وما أنزل
اليه ، ملتزم بعدم ولايتهم • فثبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان ، لأن
عدم الايمان يقتضى عدم المازوم •

قلت : رتب الله تعالى على موالة الكافرين سخطه ، والخلود فى
العذاب • وأخبر أن ولايتهم لا تحصل الا ممن ليس بسؤمن • وأما أهل

(٢) فاطر : ١٠

(٤) آل عمران : ٢٨

(١) النساء : ١٣٩

(٣) المنافقون : ٨

(٥) المائدة : ٨٠ ، ٨١

الايمان بالله وكتابه ورسوله ، فانهم لا يوالونهم ، بل يعادونهم كما أخبر الله عن ابراهيم والذين معه من المرسلين : كما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى . وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم تألمين » (١) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى . وذكر أن من تولاهم فهو منهم . أى من تولى اليهود فهو يهودى . ومن تولى النصارى فهو نصرانى . وقد روى ابن أبى حاتم ، عن محمد بن سيرين . قال : قال عبد الله بن عتبة : ليق أحذركم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية :

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء » الى قوله : « فانه منهم » (٢) الآية .

وكذلك المشرك ، فهو مشرك ، ومن تولى الأعاجم فهو أعجمى ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار .

ثم أخبر تعالى أن الذين فى قلوبهم مرض ، أى شك فى الدين وشبهة ، يسارعون فى الكفر قائلين : « نخشى ان تصيبنا دائرة » (٣) .

أى اذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين . قالوا : نخشى أن تكون الدولة لهم فى المستقبل ، فيتسلطوا علينا ، فيأخذوا أموالنا ، ويشردونا من بلداتنا .

وهذا هو ظن السوء بالله الذى قال فيه : « الظالمين بالله ظن السوء » عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » (٤) .

(٢) المائة : ٥١

(٤) الفتح : ٦

(١) المائة : ٥١ ، ٥٢

(٣) المائة : ٥٢

ولهذا قال تعالى في هذه الآية : « فاعسى الله أن ياتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » (١) .
وعسى من الله واجب والحمد لله الذى أتى بالفتح . فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا فى أنفسهم نادمين . وقال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله أن كنتم مؤمنين » (٢) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالة أهل الكتابين وغيرهم من الكفار وبين أن موالاتهم تنافى الإيمان . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء أن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون » . قل أن كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتمسكوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » (٣) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالة أيه وأخيه — اللذين هما أقرب الناس إليه — إذا كان دينهما غير الإيمان ، وبين أن الذى يتولى آباء وأخاء إذا كانوا كافرين فهو ظالم فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه ؟ أفلا يكون هذا ظلما ؟ بلى والله أنه لمن أظلم الظالمين .

ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذرا فى موالة الكافرين ، فليس لأحد أن يوالىهم خوفا على آية ، أو أخيه ، أو بلاده ، أو ماله ، أو مشيخته بعشيرته ، أو مخافته على زوجاته ، فإن الله قد سد على الدخايق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر . فإن قيل : قد قال كثير من المفسرين : أن هذه الآية نزلت فى شأن الجهاد ، فالجواب من وجهين :
أحدهما أن تقول : إذا كانت هذه الثمانية ، ليس بينها عذرا فى ترك الجهاد الذى هو فرض على الكفاية ، فكونها لا تكون عذرا فى ترك عداوة المشركين ومقاتلتهم بطريق الأولى .

الوجه الثاني : أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا . كما دلت على الجهاد ، فإنه قال : « أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله » (١) .

فمحبة الله ورسوله توجب إظهار عداوة المشركين ومقاتلتهم على هذه الثمانية ، وتقديسها عليها . كما أن محبة الجهاد توجب إثاره عليها . وبالله التوفيق .

وهذا إذا سمعه المنصف يكون (عنده) ظاهرا . وأما من أعى الله بصيرته بسبب تعصبه ، كما قال تعالى : « إن الذين حقن عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم » (٢) . وقال تعالى : « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » (٣) . ثم قال : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » (٤) .

فأخبر أن الكافرين إذا لم يوال بعضهم بعضا بأن ينازوا عن المسلمين ، ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم ، والا وقعت الفتنة والفساد الكبير ، فتبين أن موالة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين بترك واجباته ، وارتكاب محرماته ، والخروج عن شرائعه ، وسبب الافتتان في الأديان والأبدان والأموال . فأين هذا من أقوال المفسدين : أن موالة المشركين صلاح ومافية وسلامة . وقال تعالى : « ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ، فإن تولوا فخذلوهم واقتلوهم حيث وجبتهم ولا تتخذوا منهم ولدا ولا نصيرا » (٥) .

فأخبر تعالى عن الكفار ، أنهم يودون كثر المسلمين كما كفروا ، ثم نهي أهل الإيمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الإسلام وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء »

(٢) يونس : ٩٦ ، ٩٧
(٤) الأنفال : ٧٣

(١) التوبة : ٢٤
(٣) الأنفال : ٧٢
(٥) النساء : ٨٩

تلقون اليوم بالوعدة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وأياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون اليوم بالوعدة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . أن يتفوقكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبما بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا وأليك آتبنا وإليك المصير . إلى قوله : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الفالساون » . إلى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » (١) .

وقد ثبت في «الصحيح» أن هذه السورة نزلت في رجل من الصحابة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم عام الفتح ، فأرسل الله هذه الآيات يخبر (عن) هذا الكتاب .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب في أثر المرأة التي ذهبت بالكتاب ، فوجده في عقيصة رأسها ، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر ويحلف أنه ما شك ، ولكنه ليس له من يحصى (من وراءه) من أهله بمكة وأنه أراد بهذا يدا عند قريش ، واستأذن بعض الصحابة في قتله . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فلو لا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لهذا الكتاب .

ففي هذه السورة مع سبب نزولها ، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاتلتهم أدلة كثيرة ، خفي تعالى أهل الإيمان عن اتخاذ

عدوه وعدوهم . وهذا تهيج على عداوتهم ، فإن عداوة المعادى لربك باعة وداعية الى عداوتك ، ولنضرب لذلك مثلا ، والله المثل الأعلى ، فقد رفسك مملوكا لانسان هو سيدك ، والسبب فى حصول مصالحك ومنع مضارك ، وسيدك له عدو من الناس ، فهل يصح عندك ويجوز فى عقلك أن تتخذ عدو سيدك وليا ، ولو لم ينهك عن ذلك ؟ فكيف اذا نهاك عن ذلك أشد النهى ، ورتب على موالاتك له أن يعذبك ، وأن يسخط عليك ، وأن يوصل اليك ما تكره ، ويمنع عنك ما تحب ؟ فكيف اذا كان هذا العدو ، لسيدك ، عدو لك ؟ فاذا واليته مع ذلك كله ، انك اذن لمن الظالمين الجاهلين .

ثم قال : « تلقون اليهم بالمودة » (١) وهذا كاف فى ابطال شبهة المشركين . فانه اذا أنكر عليهم موالاته المشركين ومواداتهم قالوا : لم يصدر منا ذلك ، وهم مع ذلك يعينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبون عنهم بالاستتار ، ويكاتبونهم بمورات المسلمين . فآين هذا من الكتاب الذى نزلت فيه هذه السورة ؟ وقد سماه الله اللقاء بالمودة ، وهذا ظاهر جدا .

ثم قال : « وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجسون الرسول وايابكم ، ان تؤمنوا بالله ربكم » (٢) .

فذكر ما يدعو الى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذى جاء من عند الله ، واخراجهم النبى صلى الله عليه وسلم وأهل الاسلام لأجل الايمان بالله .

ثم حذر تعالى من موالاتهم ، بأنه يعلم السر والعلانية ، وهذا تهديد شديد .

ثم قال : « ومن يفته منكم فقد ضل سواء السبيل » (٣) أى من يتولى أعداء الله ويلقى اليهم بالمودة ، ويسر اليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عن طريق الصواب .

ثم قال : « ان يتقفوكم يكونوا لكم أعداء » (٤) الآية . فبين

أنهم أن قدروا على المسلم واستولوا عليه ، ساموه سوء العذاب ،
« ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم » (١) بالشرب والقتل ، وبالكلام
الغليظ ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بئس عنتهم ، فأنهم لا يرضون
عنه و (لا) يسلمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال :
« وودوا لو تكفروا » (٢) كما قال : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم » (٣) .

ثم قال : « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة » (٤)
الآية : فبين أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين ، لا يبيح
له موالاتهم كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاما وأولادا ،
فلم يعذره الله تعالى . فانه يجب على الانسان أن يكون الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما ، ولا يحصل الايمان حتى يكون الرسول أحب
إلى الانسان من ولده ووالده والناس أجمعين . فقلوه : « لن تنفعكم
أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة » أي : لن ينجركم من عذاب الله ،
فكيف تقدمونهم على مراد الله ، ولأجلهم توالون أعداء الله ! والله تعالى
مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم بين أن هذا الذي دلهم عليه من موالاة المؤمنين ، ونهاهم عنه
من موالاة الكافرين ، ليس هو أمرا لهم وحدهم ، بل هو الصراط
المستقيم الذي عليه جميع المرسلين . فقال : « قد كانت لكم أسسوة
حسنة في إبراهيم والذين معه » من المرسلين « إذ قالوا لقومهم
إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٥) .

فقلوه : « قد كانت لكم أسسوة حسنة » فقلوه تعالى : « ثم أوحينا
إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » (٦) .

فأمرنا سبحانه أن تتأذى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين
في قولهم لقومهم « إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله »
إلى آخره . وإذا كان هذا واجبا علم المسلم أن يقول هذا لقومه الذي

(٢) البقرة : ١٢٠

(٤) المتحنة : ٤

(٦) النحل : ١٢٣

(١٧) - مجموعة التوحيد (

(١) المتحنة : ٢

(٣) المتحنة : ٣

(٥) النحل : ١٢٣

هو بين أظهرهم ، فكونه واجبا مع الكفار الأبدى عند المخالفين له في جميع الأمور آيين وآيين .

وهامنا تكتة بديعة في قوله : « انما يراء منكم ومما تعبدون من دون الله » وهي ان الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدین غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ، لأن الأول أهم من الثاني ، فانه من يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه . وأما اذا تبرأ من المشركين ، فان هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم . وهذا كقوله تعالى : « واعتزلکم وما تدعون من دون الله وادعوا ربی عسى ألا اكون بدعاء ربی شقيا » (١) فقدم امتزالهم على اعتزال معبوداتهم . وكذا قوله : « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله » (٢) وقوله : « واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله » (٣) فعليك بهذه النكت ، فانها تفتح بابا الى عداوة أعداء الله فكم من انسان لا يقع منه الشرك ، ولكنه لا يعادى أهله ، فلا يكون مسلما بذلك اذا ترك دين جميع المرسلين .

ثم قال : « كفرنا بكم وبما بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٤) نقوله : « وبدا » أى ظهر وبان . وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فان الانسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهن ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولا بد أيضا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين .

واعلم أنه وان كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فانها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين . وأما اذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فان ذلك يدل على عدم البغضاء فعليك بتأمل هذا الموضع فانه يجلو عنك شبهات كثيرة .

ثم قال : « انما ينهاكم الله من الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم » ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون (٥) . فذكر سبحانه وتعالى أممالا تدعو الى مقاطعتهم ،

(١) الكهف : ١٦

(٢) المتحنة : ٩

(٣) مريم : ٤٨ ، ٤٩

(٤) المتحة : ١

وترك مولاتهم وهى أنهم يقاتلون فى الدين — أى من أجل — يعنى أن الذى حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم . وإيضاً يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على إخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أفلام الظالمين .

وفى هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن مولاتهم محرمة منافية للإيمان . وذلك أنه قال : « إنما ينهاكم الله » فجمع بين لفظة « إنما » المفيدة للحصر ، وبين النهى الصريح ، وذكر الخصال الثلاث ، وضمير الحصر وهو لفظة « هم » .

ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » (١) .

فهى سبحانه أهل الأيمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالى من خسل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فإن مولاته له تنافى الأيمان بالله تعالى .

فصل

وهاهنا أمور يجب التنبيه عليها . وتعين الاعتناء بها ليتم لنا عملنا مجانبة دين المشركين .

الأمر الأول : ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتباعها قال تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » (٢) .

قال شيخ الإسلام : فأنظر كيف قال فى الخبر « ملتهم » ، وقال فى النهى : « أهواءهم » . لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم فى قليل أو كثير ، وقال تعالى لموسى وهارون : « فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » (٣) « وقال موسى لأخيه هارون اخلقنى فى قسوى وأصلح ولا تتبع سبيل

(٢) البقرة : ١٢٠

(١) الممتحنة : ١٣

(٣) يونس : ٨٩

الفسدين» (١) وقال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ، وسأست مصرا » (٢) وقال تعالى : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه ، فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » (٣) الى قوله : « ولا تتبع أهواءهم واحسبهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك » (٤) وقال تعالى : « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفصلناهم على الامالين وآتيناهم بينات من الامر ، فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ان ريك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعوها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولي المتقين » (٥) .

وقال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنعم على بني اسرائيل بدين الدين والادب ، بأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بينهم بعض ، ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعا له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته ، وأهواءهم ما يهوونه .
قالت : فإذا كان اتباع أهواء جميع الكفار وسأوك ما يحبونه منها منه مبدوءا منه ، فهذا هو المطلوب . وما ذاك الا خوفا من اتباعهم في أصل دينهم الباطل .

وقال تعالى : « وكذلك انزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا ولى » (٦) .
فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكما عربيا ، ثم (ذكر) توعده على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد .
وقال تعالى : « ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا وان الذين

(٢) النساء : ١١٥

(٤) المائدة : ٤٩

(٦) الرعد : ٣٧

(١) الأعراف : ١٤٢

(٣) المائدة : ٤٨

(٥) الجاثية : ١٦ - ١٩

لا يؤمنون بالآخرة وهم يربهم يمسكون (١) الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين : وتحريم اتباعهم وأنه من أعظم القوادح في الدين .

الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به ، فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين . وأخبر أن المسلمين أن اطاعوهم ردوهم عن الايمان الى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » (٢) وقال تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (٣) .

وقال تعالى : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوك وان اطعتموهم انكم لمشركون » (٤) قال تعالى : « وان تطع أكثر من في الأرض يفسدوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الفتن وان هم الا يخرصون » (٥) وقال تعالى : « ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدكهم به جهادا كبيرا » (٦) . وقال تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » (٧) وقال تعالى : « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما » (٨) . وقال تعالى اخبارا عن اطاع رؤساء الكفر : « وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا » (٩) وقال تعالى : « اتخذوا أحياءهم ورجالهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (١٠) .

وقر النبي صلى الله عليه وسلم اتخذهم أربابا أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ، فإذا كان من اطاع الأحياء وهم العلماء والرهبان ، وهم العباد في ذلك ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، فمن اطاع الجهال والفساق في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل

(١) الأنعام : ١٥٠	(٢) آل عمران : ١٠٠
(٣) الكهف : ٢٨	(٤) الأنعام : ١٢١
(٥) الأنعام : ١١٦	(٦) الفرقان : ٥١ ، ٥٢
(٧) التوبة : ٧٣	(٨) الأحزاب : ١
(٩) الأحزاب : ٦٧	(١٠) التوبة : ٣١

ما حرم الله ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، بل ذلك أولى وأحرى .
الأمر الثالث : ترك الركون الى الكفرة والظالمين .

وقد نهى الله عن ذلك . فقال : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » (١) .

فنهى سبحانه وتعالى عن الركون الى الظلمة ، وتوعد على ذلك
بمسيس النار ، وعدم النصر ، والشرك وهو أعظم أنواع الظلم كما
قال تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » (٢) فمن ركن الى أهل الشرك ،
أى مال اليهم ورضى بشيء من أعمالهم ، فإنه مستحق لأن يعذبه الله
بالنار ، وأن يخذله فى الدنيا والآخرة .

وقال تعالى : « ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا .
ان لا ذنبا لك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (٣)
فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم ،
لركن الى المشركين شيئا قليلا ، وأنه لو ركن اليهم لأذاقه عذاب الدنيا
والآخرة مضاعفا ، ولكن الله ثبته فلم يركن اليهم ، بل عاداهم وقطع
اليدهم ، ولكن اذا كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع
عصمته ، فغيره أولى بلحق هذا الوعيد به .

الأمر الرابع : ترك موادة أعداء الله ، قال الله تعالى : « لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا
آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » (٤) .

قال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن
يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، ولا يوجد مؤمن يواد
كافرا ، فمن واد كافرا فليس بمؤمن .

قلت : فاذا كان الله قد نهى الايمان عن واد آباءه وأخاه وعشيرته
اذا كانوا محادين الله ورسوله ، فمن واد الكفار الأبعدين عنه ، فهو
أولى بأن لا يكون مؤمنا .

(٢) لقمان : ١٣
(٤) المجادلة : ٢٢

(١) هود : ١١٣
(٣) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥

الأمر الخامس : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة ، لأنها تورث نوع مودة ومحبة ومولاة في الباطن . كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ، حتى أن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في در غربة ، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم . وإن كانا في مصرهما ، لم يكونا متعارفين ، أو كانا متهاجرين ، وذلك لأن الاشتراك نوع وصف به اختصاص عن بلد الغربة . بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب ، فكانت بينهما حشابة في العمامة ، أو الثياب ، أو الشعر ، أو المركب ، ونحو ذلك ، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما ، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضا ما لا يألفون غيرهم ، حتى أن ذلك يكون مع المعاداة والمহারبة ، أما على الدين ، فتجد الملوك من الرؤساء وإن تباعدت ديارهم وممالكهم ، بينهم مناسبة تورث مشابهة وحماية من بعضهم لبعض ، وهذا كله موجب الطباع ، ومقتضاها ، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر ، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والمولاة لهم ، فكيف بالمشابهة في أمور دينية ؟ فإن افضاءها الى نوع من الموالاة أكثر وأشد . هذا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية .

قلت : فإذا كانت مشابهة الكفار في الأفعال الظاهرة إنما هي عنها لأنها وسيلة وسبب يفضي الى موالاتهم ، ومحبتهم بالنهي عن هذه الغاية ، والمحذور أشد والمنع منه وتحريمه أوكد ، وهذا هو المطلوب ، ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركون ، روى أبو داود في « سننه » عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » . قال شيخ الاسلام : اسناده جيد . وأقل أحواله أن يقتضى تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضى كفر التشبه بهم . كما في قوله تعالى : « ومن يتولهم جنكم فإنه منهم » (١) وهو نظير ما سذكروه من عبد الله بن عمرو أنه قال : « من بنى بأرض المشركون ، وصنع فيروزهم ، ومهرجاناتهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة » .

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار في الصلاة^(١) . وقالت :
« لا تشبهوا باليهود » .

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار ، قال : قال
عمر بن الخطاب : « لا تعدوا رفاة الأعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين
في كنائسهم يوم عيدهم ، فإن السخط ينزل عليهم » .

وزرد بإسناد صحيح عن أبي أسامة ، قال : حدثنا عوف عن
أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « من بنى بيلاذ الأعاجم
فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ،
حشر معهم يوم القيامة » .

فإذا عرفت عن تعلم لسانهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عابريهم
يوم عيدهم (فكيف بمن) يفعل بعض أفعالهم ، أو فعل ما هو من
مقتضيات دينهم ؟ أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في
اللغة ؟ أو ليس عمل بعض أعمالهم — أي أعمال عيدهم — أعظم من مجرد
الدخول عليهم في عيدهم ؟ وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم
بسبب عملهم ، فمن يشركهم في العمل أو بعضه ، أليس قد تعرض
إلى العقوبة ؟

وأما عبد الله بن عمرو فصرح : أنه من بنى بيلاذهم ، وصنع
نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم ، وهذا
يقتضي أنه جعله كافرا بمشاركتهم في مجموع هذه الأطوار ، أو جعل
ذلك من الكبائر الموجبة للنار ، وإن كان الأول ظاهر لفظه ، فتكون
المشاركة في بعض ذلك معصية ، لأنه لو لم يكن مؤثرا في استحقاق
العقوبة لم يجز جعله جزءا من المقتضى ، إذ المباح لا يعاقب عليه ، وليس
الذم على بعض ذلك مشروطا ببعض ، إلا أن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم
منفردا .

وعن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : قال عمر رضي الله عنه :
كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جبع حتى تطلع الشمس ، ويقولون :
أشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأفاض قبل
طلوع الشمس ، وقد روى في هذا الحديث فيما أفلته أنه قال : « خالف
هدينا هدى المشركين » وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب

(١) أي وضع اليدين على الخصر أثناء الصلاة .

الشمس ، فخالقهم النبي صلى الله عليه وسلم . فالأغاضة بعد الغروب .
وعن عبد الله بن عمرو . قال : رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ثوبين مصفرين . فقال : « ان هذه من ثياب الكفار
فلا تلبسها » رواه مسلم ، فهي عن لبسها بأنها من ثياب الكفار .

وفى كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عتبة بن فرسد :
« واياك وزى أهل الشرك » ، وهو فى « الصحيحين » .

وروى الخلال عن محمد بن سيرين : أن حذيفة أتى بيتا . فرأى
فيه شيئا من زى المعجم ، فخرج وقال : من تشبه بقوم فهو منهم .

وقال على بن أبى صالح السواق : كنا فى ولية . انجاء أحمد
ابن حنبل ، فلما دخل نظر الى كرسي فى الدار عليه فضة . فخرج ، فاعتقه
صاحب الدار ، فنفض يده فى وجهه وقال : زى المجوس : زى المجوس !!

وحن قيس بن أبى حازم قال : دخل أبو بكر رضى الله عنه على
امراة من أحمرس يقال لها : زينب ، فرأها لا تتكلم فقال : ما لها
لا تتكلم ؟ فقالوا : حجة مصمتة . فقال لها : تكلمى فإن هذا لا يحل ،
هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أمت ؟ قال : امرؤ من
المهاجرين . قالت : أى المهاجرين ؟ قال : من قرش . قالت : من
أى قرش ؟ قال : انك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على
هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه
ما استقامت لكم أئمتكم . قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومكم
رؤساء وأشراف يأمرونكم فتطيعونهم ؟ قالت : بلى . قال : فهم أولئك
على الناس . رواه البخارى فى « صحيحه » .

فأخبر أبو بكر رضى الله عنه : أن الصمت المطلق لا يحل ، وعقب
ذلك بقوله : هذا من عمل الجاهلية ، قاصدا بذلك عيب هذا العمل وذمه
ونعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة ، فدل على أن كونه
من عمل الجاهلية ، وصف يوجب النهى عنه ، والمنع منه .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى المسلمين
المقيمين ببلاد فارس : اياكم وزى أهل الشرك .

وهذا النهى منه للمسلمين من كل ما كان من زى المشركين ، وفى

كتابه الى عتبة بن فرقد : اياكم والتنعيم ، وزى أهل الشرك ، ولبوس
الحرير .

وروى أحمد في « المسند » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
كان بالجاية فذكر فتح بيت المقدس ، قال حباد بن سلمة : فحدثني
أبو سنان عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمر رضى الله عنه يقول
لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال : ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة ،
وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضى الله عنه : ضاهيت
اليهودية ، لا : ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فتقدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكس الكناسه فى
ردائه ، وكس الناس . فعاب رضى الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ،
أى مشابقتها فى مجرد استقبال الصخرة ، لما فيه من مشابهة من
يمتقدها قبلة باقية ، وان كان المسلم لا يقصد أن يصلى اليها .

وقد كان لعمر رضى الله عنه فى هذا الباب من السياسات المحكمة .
ما هى مناسبة لسائر سيرته المرضية ، فانه رضى الله عنه هو الذى
استحالت ذنوب الاسلام فى يده غربا ، فلم يفر عبقرى فريه حتى
صدر الناس بعطن : فأعز الاسلام ، وأذل الكفر وأهله ، وأقام شعار
الدين الحنيفى . ومنع من كل أمر فيه تذرع الى نقض عرى الاسلام ،
مطيعا فى ذلك لله ولرسوله ، وقافا عند كتاب الله ، ممثلا لسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، محتذيا حذو صاحبه ، مشاورا فى أموره السابقين
الأولين ، حتى ان العدة فى الشروط على أهل الكتاب على شروطه ،
وحتى منع من استعمال كافر ، وإثمانه على الأمة واعزازه بعد اذلاله ،
أى (بعد أن) أذله الله .

وحتى روى أنه حرق الكتب العجيبة ، وهو الذى أمر بأهل
البدع أن ينفوا وألزمهم ثوب الصغار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجل : ألحقن .
قال : لا تبد العورة ولا تستن بسنة المشركين .

فقوله : لا تستن بسنة المشركين ، عام .

ورى أبو داوود عن أنس ، أنه دخل عليه غلام وله قرنان
— أو قصتان — فقال : احلقوا هذين — أو قصوهما — فان هذا زى

اليهود . علل النهى عنها بأن ذلك زى اليهود . وتعليل النهى بعلة
يوجب أن تكون العلة مكروهة ، مطلوباً عدمها . نقل ذلك شيخ الاسلام ،
وقال أيضاً عند قوله صلى الله عليه وسلم : « هل بها عيد من أعياد
الجاهلية » ؟

وهذا نهى شديد عن أن يفعل شيء من أعياد الجاهلية على أى
وجه كان . وأعياد الكفار من الكتبيين والأُميين فى دين الاسلام من
جنس واحد ، كما أن كفر الطائفتين سواء نى التحريم . وإن كان بعضه
أشدّ تحريماً ، وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان
خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفار الذى يَسُ الشيطان أن يقيم
أمرهم فى جزيرة العرب ، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتبيين الباقين
أشدّ ، والنهى عنه أوكّد ، الى أن قال : وقد بالغ صلى الله عليه وسلم
فى أمر أمته بخالفاتهم فى كثير من المباحات وصفات الطاعات ، لئلا يكون
ذريعة الى موافقتهم فى غير ذلك من أمورهم ، ولتكون المخالفة فى ذلك
حاجزاً ومائلاً عن سائر أمورهم ، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل
الجبّيم ، كان أبعد عن أعمال أهل الجبّيم .

فليس بعد حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته ، ونصحه لهم
غاية ، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس
لا يعلمون .

قلت : فإذا كانت مبالغته صلى الله عليه وسلم فى أمر أمته بخالفة
الكفار ، إنما هى خوفاً من أن تكون مشابعتهم فى الهدى الظاهر مؤدية
وجارة الى الموافقة والموالاة ، فما بال كثير ممن يدعى الاسلام قد وقع
فى المحذور بعينه ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟

وروى أبو داود فى « سننه » وغيره من حديث هيثم ، وأخبرنا
أبو بشر ، عن أبي عمير بن أنس ، عن عسومة له من الأنصار ، قال :
اهتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم (للصلاة) كيف يجمع الناس
لها فذكروا له شبور اليهود ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هو من أمر
اليهود » قال : فذكروا له الناقوس ، فقال : « هو من أمر النصارى » .
الحديث . قال فى « القاموس » : شبور كتور : البوق الذى ينفخ
فيه ويرمز ، انتهى .

والغرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم . لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالفم ، وناقوس النصارى المخروب باليد . دلل هذا بأنه من أمر اليهود ، وعال هذا بأنه من أمر النصارى . لأن ذكر الوصف عتب الحكم يدل على أنه علة له .

وهذا يقتضى فيه عا هو من أمر اليهود والنصارى ويقتضى كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقا فى غير الصلاة أيضا ، لأنه من أمر اليهود والنصارى . فالنصارى يضربون بالنواقيس فى أوقات متعددة ، غير أوقات عباداتهم ، وإنما شعار الدين الحنيف الأذان المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه وتعالى ، الذى به تفتح أبواب السماء ، ويهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة . وقد اتلى كثير من هذه الأمة من الملوك وغيرهم بهذا الشعار اليهودى والنصرانى ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى ، والأعاجم من أهل الشرك والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق ، هى وأمثالها ما خالفوا به هدى المسلمين ، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ، سلط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوا فى العباد والبلاد ما لم يجر فى دولة الاسلام مثله . وذلك تصديق قوله صلى الله عليه وسلم : « لتركبن سنن من كان قبلكم » انتهى من « الاقتضاء » .

وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدى المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الاسلام ، وقع نظيره فى هذه الأزمان . فإن المنتسبين الى الاسلام سلكوا كثيرا من هدى اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم ، أعداء الله ، وتشبهوا بهم فى كثير من الأمور ، سلط عليهم أهل الشرك ، الخارجون عن شرائع الاسلام ، فجسروا على الاسلام محن عظيمة وأمور كبيرة ، حتى أنهم يذلون الرئيس ، ويمتهنون الشيخ الكبير ، ولا يرحسون العاجز ، ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان ، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان ، عقوبة على الظلم والعصيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان . ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، وبأمر الله الا اظهر دين الرسول : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون : هو الذى ارسل رسوله

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» (١) .

فاذا محص الله أهل الايمان ، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان ، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، ونظروا أن الدولة لهم في شابر الأزمان ، أظهر الله عليهم شمس الايمان والاسلام ، فنزقهم بها في أقرب أوان ، وشردهم إلى أقصى البلدان .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حزبه ذا حكمة مذ كانت الفتان

وقال أيضا :

والحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذه سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه ولأجل ذاك الناس طائفتان

وقال شيخ الاسلام في الكلام على شروط أهل الذمة : وذلك يقتضى اجماع المسلمين عن التمييز عن الكفار ظاهرا ، وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين وغيرها يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني أن عمر رضى الله عنه كتب أن لا تكتبوا أهل الذمة فتجربى بينكم وبينهم المودة ، ولا تكنسوهم ، وأذلوهم ، ولا تظلموهم . ثم قال : ومن جملة الشروط ما يعود باخفاء منكرات دينهم ، وترك اظهارها ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم . فاتفق عمر رضى الله عنه ، والمسلمون معه ، وسائر العلماء ، وبمساهم من وقته — الله عز وجل — من ولاية الأمر ، على منعهم من أن يظهرُوا في الاسلام شيئا مما يختصمون به مبالغة في أن لا يظهر في دار الاسلام خصائص المشركين ، فكيف اذا عملها المسلمون وأظهروها ؟

ومنها ما يعود بترك اكرامهم والزامهم الصغار الذى شرعه الله تعالى . ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة ، فيها نوع من نوع اكرامهم ، فانهم يفرحون بذلك ويسرون به ، كما يفتخرون باهمال أمر دينهم الباطل .

قال الشيخ ايضا : وقال تعالى : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » (١) وذلك يقتضى تبريه منهم في جميع الأشياء ، ومن تابع غيره فى بعض أمور فليس منه فى ذلك الأمر لأن قول القائل : أنا من هذا وهذا منى . أى أنا من نوعه وهو من نوعى لأن الشخصين لا يتحدان الا بالنوع ، كما فى قوله : « بعضهم من بعض » (٢) ، وقوله عليه السلام لعل : « أنت منى وأنا منسك » وقول القائل : لست من هذا فى شيء ، أنا متبرىء من جميع أمورهم . واذا كان الله ورسوله قد برىء من جميع أمورهم ، فمن كان متابعا لرسوله صلى الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئا لتبريه ، ومن كان موافقهم كان مخالفا للرسول صلى الله عليه وسلم بقدر موافقته فان الشخصين المختلفين من كل وجه ، كلما شابه أحدهما خالفه الآخر .

وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء » (٣) الآية ، وقال تعالى : « ألم تر الى الذين تولوا قسوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم » (٤) . يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود ، الى قوله : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر » (٥) الى آخر السورة . وقال تعالى : « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض » (٦) الى آخر السورة . فعقد سبحانه وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار ، وبين من آمن منهم وهاجروا وجاهدوا الى يوم القيامة ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باق الى يوم القيامة . وقال تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » (٧) الآيتين . ونظائر هذا فى غير موضع من القرآن . ويأمركم سبحانه بوالاة المؤمنين حقا . الذين هم حزبه وجنده ، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكفار ولا يوادونهم . والموالاة والمودة وان كانت متعلقة بالقلب ، لكن المخالفة فى الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين .

(١) الانعام : ١٥٦

(٢) التوبة : ٦٧ وأولها « المنافقون والمنافقات » .

(٣) المائدة : ٥١ (٤) المجادلة : ١٤

(٥) المجادلة : ٢٢ (٦) الانفال : ٧٢

(٧) المائدة : ٥٥

ومباينتهم ومشاركتهم في الظاهر . أن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا الى نوع ما من الموالاة والمودة ، فليس فيها مصلحة المقابلة والمباينة ، مع انها تدعو الى نوع ما من المواصله كما تحب الطبيعة ، وتدل عليه أبعاده . ولهذا كان السلف رضى الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات .

فروى الامام أحمد بإسناد صحيح ، عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قلت لعمر رضى الله عنه : ان لى كاتبنا نصرانيا . قال لى : مالك ؟ قالتك الله . اما سمعت قول الله : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخلوا اليهود والنصارى اوليا » (١) الا اتخذت حنيفا ؟ قال : قلت : يا امير المؤمنين . لى كتابته ، وله دينه . قال : لا أكرمهم اذ أهانهم الله . ولا أعزهم اذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله . وكما دل عليه معنى الكتاب ، جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنة خلفائه الراشدين التى أجمع الفقهاء عليها بخالفتهم ، وترك التشبه بهم ، ففى « الصحيحين » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » أمر بمخالفتهم ، وذلك يقتضى أن يكون جنس مخالفتهم أمرا مقصودا للشارع ، لأنه ان كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود ، وان كان الأمر بالمخالفة فى الشعر فقط ، فهو لأجل ما فيه من المخالفة ، فالمخالفة اما علة مفردة ، أو علة أخرى ، أو بعض علة ، وعلى التقديرات تكون مأمورا بها ، مطلوبة من الشارع ، فقال تعالى : « والذين لا يشهدون الزور » (٢) . قال الضحاك : الزور : عيد المشركين ، رواه أبو الشيخ وبإسناده عنه الزور : كلام الشرك ، وبإسناده عن مرة : لا يبالون أهل الشرك على شركهم ، ولا يخالطونهم ، وبإسناده عن عطاء بن يسار ، قال : قال عمر : اياكم ورطانة الأعاجم ، وأن تلخاوا على المشركين يوم عيدهم فى كنائسهم . وقول هؤلاء التابعين انه أعياد الكفار ليس مخالفا لقول بعضهم أنه شرك أو صنم كان فى الجاهلية ، ولقول بعضهم : أنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم : أنه الغناء ، لأن عادة السلف فى تفسيرهم ، هكذا يذكر الرجل نوعا من أنواع المسمى بالحاجة المستمع (اليها) ، أو للتنبيه على الجنس . ووجه تفسير التابعين تارة بما

يظهر حسنه لشبهة ، أو لشهوة ، فالشرك ونحوه يظهر حسنه لشبهة والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة ، وأما أعياد المشركين نجعت الشبهة والتبيرة ، وهي باطلة ، اذ لا منفعة فيها في الدين ، وما فيها من اللذة العاجلة فساقبتها الى ألم : فصارت زورا ، وشهودها معظورا . وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برقية أو سماع ، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده !؟

واعلم أنا لو تعلم أن موافقتهم قد أفضت الى هذه القبائح ، (لما وافقت) الطباع عليه ، واثبت استدلال (على ذلك) بأن اصول الشريعة توجب النهي عن هذه الذريعة . فكيف وقد رأينا من المنكرات التي أفضت اليها المشابهة ما قد يوجب الخروج عن الاسلام بالكلية !؟ وسر هذا أن المشابهة تفضي الى كفر أو معصية غالبا ، أو تفضي اليهما في الجيلة ، وما أفضى الى ذلك كان محرما .

فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي عن مشابهة المشركين والكفار ، ولكن رحم الله من تنبه لسر الذي سبق الكلام لاجله ، وهو أن المشابهة في الظاهر انما هي عنها لأنها تورث نوع مودة ودوالة في الباطن ، وتفضي أيضا الى كفر أو معصية ، وهذا هو السبب في حريتها والنهي عنها . فاذا علمت ذلك ، وتبين لك ما ونفع نية كثير من الناس أو أكثرهم من موالاة الكفار والمشركين ، التي انما هي عن هذه الأمور خوفا من الوقوع فيها ، تبين لك أنهم وقسوا في نفس المحذور ، وتوسطوا منازة المهلكة ، والله الهادي الى سواء الصراط .

* * *

فصل

في ذكر جوابات عن ايرادات أوردها بعض المسلمين على أولاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، فأجابوا عنها رحمهم الله وغفرنا عنهم فمن ذلك : ما قولكم في رجل دخل هذا الدين وأحبه ، لكن لا يماضي المشركين أو عاداتهم ولم يكفرهم ، أو قال : أنا مسلم ولكن (لا أستطيع أن) أكفر أهل لا اله الا الله ولو لم يعرفوا معناها ؟ ورجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن يقول : لا أتعرض القباب ، وأعالم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها ؟

فالجواب : أن الرجل لا يكون مسلماً الا اذا عرف التوحيد ، ودان به ، وعمل بموجبه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، واطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن به وبما جاء به فمن قال : لا أعادي المشركين ، أو عاديهم ولم يكفرهم . أو قال : لا أتعرض أهل لا اله الا الله ولو فعلوا الكفر والشرك ، وعادوا دين الله . أو قال : لا أتعرض القباب ، فهذا لا يكون مسلماً ، بل هو ممن قال الله : « ويقولون تؤمن ببعض وتكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (١) . والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ، ومنابتهم وتكفيرهم . فقال : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أخواتهم أو عشيرتهم » (٢) . وقال تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (٣) . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول » (٤) الآيات . والله اعلم .

نقل من جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخيه عبد الله ، وفي أجوبة أخرى : ما قولكم في الموالاة والمعاداة هل هم من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال والله أعلم : حسب المسلم أن يعلم أن الله اعترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم وأوجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم .

وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عن يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . وأما كون ذلك من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فسرّض ذلك وأوجبه وأوجب العمل به ، فهذا الفرض والحتم الذي لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها ، فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما إذا كان الجدل في ذلك

(١) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ . (٢) الجادلة : ٢٢

(٣) المائدة : ٥١ . (٤) المتحنة : ١

ابن عبد الوهاب في هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ، وحديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استدلل بها أن المسلم إذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير إكراه ، أنه يكون بذلك مرتدا خارجا من الاسلام . وإن كان يشهد أن لا إله الا الله ، ويفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه .

وقال شيخ الاسلام المذكور امام هذه الدعوة الخفيفة في كلامه على آخر سورة « الزمر » . الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، فافهم لم يريدوا من النبي صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته . ففيه بيان لما يكثرون وقوته ممن يتنسب الى الاسلام في اظهار الموافقة للمشركين خوفا منهم ، وبطن أنه لا يكفر اذا كان قلبه كارها له . . الى أن قال : الثالثة : أن الذي يكفر به المسلمين ، ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فإن هؤلاء الذين ذكرهم الله ، لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم ، بل اذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ، مع كونه يعرف كفرهم ويغضهم ، فهذا كافر ، لا من إكراه . . الى أن قال : ولكن رحم الله من تنبه لسر الكلام وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر . مع كونه القلب بخلاف ذلك ، فإن هذا هو الذي أرادوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فافهمه فهما حسنا ، لعلك تعرف شيئا من دين ابراهيم عليه السلام ، بادأ أباه وقومه بالعداوة عنده ، وقال في سورة « الكهف » .

التاسعة : المسألة المشككة على أكثر الناس : أنه اذا وافقهم باسائه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقتهم ، فقد كذب في قول : لا إله الا الله . واتخذ الهين اثنين ، وما أكثر الجبل بهذه والتي قبلها !

العاشرة : أنه لو يصدر منهم ، أعنى موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهريهم مع كراهتهم لذلك ، فهو قوله شطط ، والشطط : الكفر .

واعلم أن اظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتى في المسألة الثالثة ان شاء الله تعالى .

الأمر الثالث مما يضيق به المسلم مرتدا : موالاته للمشركين والدليل

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالين » (١) . وقوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » (٢) . فذكر في الآية الأولى : أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم . ذكر معناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله : « ومن يتولهم منهم فإنه منهم » : ليتق أحدكم ان يكون يهوديا او نصرانيا وهو لا يشعر . وقال ابن جرير في قوله : « فليس من الله في شيء » يعنى فقد رى من الله وبرى الله منه لارتدائه عن دينه . وأما قوله « الا ان تتقوا منهم تقاة » (٣) . فهى تقوله : « الا من اكسره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٤) وسببى ذلك ان شاء الله تعالى .

الإمر الرابع : الجلوس عند المشركين فى مجالس شركهم من غير انكار والدلل قوله تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقمعوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذن مثلهم ، ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا » (٥) .

وفى أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى : سئلوا عن هذه الآية ، وعن دونه صلى الله عليه وسلم : « من جامع لمشرك أو مسكن معه فهو مثله » قالوا : الجواب أن الآية على ظاهرها ، أن الرجل اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزا بها ، فجلس عند الكافرين المستهزين بآيات الله من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فهو كافر مثلهم ، وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر ، والرضا بالكفر كفر .

وهذه الآية ونحوها استدلل العلماء على أن الراضى بالذنب ، كفاعله ، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ، لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافرا .

(٢) آل عمران : ٢٨
(٤) النساء : ١٤٠

(١) المائدة : ٥١
(٣) النحل : ١٠٩

ولهذا لما وقعت الردة وادعى أناس منهم « أنهم » كراهوا ذلك •
لم يقبل منهم الصحابة ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه •
وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فهو مثله ،
على ظاهره ، وهو أن الذي يدعى الإسلام ، ويكون مع المشركين في
الاجتماع والنصرة والمنزل ، بحيث يعنده المشركون منهم ، فهو كافر
مثلهم وإن ادعى الإسلام ، إلا أن يكون يظهر دينه ، ولا يتولى
المشركين • انتهى •

وقلت : ويأتي مخاطبة خالد لمجاعة ، وفيه : يا مجاعة ! تركت
أقرارا له إلى آخره •

وتقدم قول عبد الله بن عمرو • من بنى بيلاذ المشركين ، فصنع
نيروزهم ومهرجاناتهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة •
وقال تعالى : « ولكن من شرع بالكفر صدرا فعليه نكسب من الله
ولهم عذاب عظيم • ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن
الله لا يهدي القوم الكافرين » (١) •

الأمر الخامس : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله • والدليل
على ذلك قوله تعالى : « قل أبله وآياته ورسوله كنتم تستهزون •
لا تعتدوا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعت عن طائفة منكم نصلب
طائفة • بأنهم كانوا مجرمين » (٢) •

واعلم أن الاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كالذي نزلت الآية ، فيه ، وهو قولهم •
ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب لسانا ، ولا أجبن
عند اللقاء ، أو نحو ذلك من أقوال المستهزين ، كقول بعضهم : دينكم
هذا دين خامس ، وقول الآخر : دينكم أخرق • وقول الآخر ، إذا رأى
الأميرين بالمعروف ، والناهي عن المنكر : جاءكم أهل الديك — بالكاف
بدل النون — ، وقول الآخر إذا رأى طلبة العلم : هؤلاء الطلبة — بسكون
اللام — ، وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة ، مما هو أعظم من قول
الذين نزلت فيهم الآية •

النوع الثاني غير الصريح : وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل

الرمز بالعين . واخراج اللسان . ومد الشفة ، والغصة باليد عند كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الأمر السادس : ظهور الكراهة والغضب عند الدعوة إلى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **وَالَّذِي تَتْلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ ، يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ، قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذُكِّرُوا ، النَّارُ وَعِنْدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَبَشَرٌ الْمَصْصِيرُ** » (١) . فذكر الله هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها .

الأمر السابع : كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والسنة والدليل قول الله : « **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَسَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** » (٢) .

الأمر الثامن : عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث . والمجادلة في ذلك . والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَفْقَهُوْهُ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ** » (٣) .

الأمر التاسع : جحد الناس شيئا من كتاب الله ولو آية أو بعضها أو شيئا مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **أَنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكَفِّرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا** » (٤) . وهذا أخص من الذي قبله .

الأمر العاشر : الاعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك ، والدليل قوله تعالى : « **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أَنْزَلُوا مِنْ دُونِ الْوَحْيِ** » (٥) .
الأمر الحادي عشر : كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي**

(٢) محمد : ٩

(٤) النساء : ١٥٠ ، ١٥١

(١) الحج : ٧٢

(٣) غافر : ٤

(٥) الأنعام : ٣

أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن اقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من يشاء (١) فذكر أنه لا يكره إقامة الدين إلا بمشرك ، وقد تبين أن من أشرك بالله فهو كافر .

الأمر الثاني : السحر . تعلمه وتعليمه والعمل به بوجبه ، والدليل قول الله تعالى : « وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر » (٢) .

الأمر الثالث عشر : انكار البعث ، والدليل قول الله تعالى : « وان تعجب فاعجب قولهم أنما كنا تربا اقننا لى خلق جديد ، أولئك الذين كفروا بربهم » (٣) . الى قوله : « خالدون » .

الأمر الرابع عشر : التعاطف الى غير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن كثير : كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكز خان الذى وضع لهم كتابا مجموعا من أحكام اقتبسها من شرائع شتى . لحصار فى بيته يقدموه على الحكم بالكتاب والسنة ، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير .

قال تعالى : « المحكم الجاهلية يفسون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (٤) .

قلت : ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البوادي ومن شأبهم ، من تحكيم عادات آبائهم (وما) وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التى يسمونها شرع الرفاقة ، يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله . ومن فعل ذلك فإنه كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب المحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين

(١) البقرة : ١٠٢
(٢) المائدة : ٥٠

(٣) الشورى : ١٠٣
(٤) الرعد : ٥

الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فانه ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسواليف^(١) البادية وكافوا « الأمراء » المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به ، دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون الا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون .

فهؤلاء اذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار . انتهى من « منهاج السنة النبوية » ذكره عند قوله سبحانه وتعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون »^(٢) . فرحمه الله وعفا عنه ، فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها ، وان كان قد يقال : ان بعضها يفنى عن بعض ، أو يندرج فيه ، فذكرها على هذا الوجه أوضح .

وأما كلام العلماء رحمهم الله تعالى ، فكثير جدا وقد ذكر صاحب « الاقتاع » أشياء كثيرة في باب حكم المرتد ، وهو الذي يكفر بمذاهب اسلامه ، وقد لخصت منه مواضع يسيرة ، فمن ذلك قوله : قال الشيخ : أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به كفر اتفاقا .

ومنها قوله : أو جعل له بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم ، كفر اجماعا . ومنه قوله : أو وجسد منه امتهان القرآن ، أى فيكفر بذلك .

ومنها قوله : وسخر بوعده الله أو وعيده ، أى فيكفر بذلك . ومنها قوله : أو لم يكفر من دان بغير الاسلام ، أو شك في كفرهم ، أى فيكفر بذلك .

ومنها قوله : قال الشيخ : ومن استحل الحشيشة كفر بلا نزاع . قلت : ومن استحل موالاة المشركين ومظاهرتهم واعانتهم على المسلمين ، فكفره أعظم من كفر هذا ، لأن تحريم ذلك أكيد وأشد من تحريم الحشيشة .

(١) أى عادات أهل البادية . (٢) المسألة : ٤٤

ومنها قوله : ومن سب الصحابة أو أحدا منهم ، واقترب منه بدعوى .
أن عليا اله أو نبي أو أن جبريل غلط ، فلا شك في كفر هذا ولا شك
في كفر من توقف في تكفيره .

ومنها قوله : أو زعم أن القرآن تأويلات باطنية تسقط الأعمال
المشروعة ، ونحو ذلك ، فلا خلاف في كفر هؤلاء .

ومنها قوله : أو زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر ، أو أنهم فسقوا ،
فلا ريب أيضا في كفر قائل ذلك ، بل من شك في كفره فهو كافر .
اتتهى ملخصا وعزاء « الصارم المسلول » .

ومنها قوله : ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقد كفر ، لقوله تعالى : « (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) (١) » .
قلت : فإذا كان من جحد مدلول آية كفر . ولم تنفعه الشهاداتان
ولا الاتساع إلى الإسلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية
أو أربعين ؟ أفلا يكون كافرا لا تنفعه الشهاداتان ولا ادعاء الإسلام ؟
بلى والله ، بلى والله ، ولكن نموذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس
اللذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه .

ومنها قوله : أو جحد الخبز أو اللحم والماء ، أى فيكفر بذلك .
ومنها قوله : أو أحل الزنا ونحوه ، أى فيكفر بذلك ، ومن أحل
الركون إلى الكافرين وموادة المشركين ، فهو أعظم كفرا ممن أحل الزنا
بأضعاف مضاعفة .

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب لا يمكن حصره .
حتى أن بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها
بالارتداد عن الإسلام ، وأنه يستتاب منها . فإن تاب والا قتل مرتدا .
ولم يفضل ولم يصل عليه ، ولم يدفن مع المسلمين . وهو مع ذلك
يقول : لا اله إلا الله ، ويفعل الأركان الخمسة ، ومن له أدنى نظر
واطلاع على كلام أهل العلم ، فلا بد أن يكون قد بلغه بعض ذلك .

وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان من المنتسبين إلى
الإسلام ، بل من كثير ممن ينتسب إلى العلم ، فهي من قواصم الظهور في

وأكثرها أعظم وأفحش مما ذكره العلماء من المكفرات ولولا ظهور
الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء ، لما كان أكثرها محتاجا لمن ينبه عليه .

* * *

فصل

وأما المسألة الثالثة وهي ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ،
وأظهار الطاعة لهم ، فاعلم أن اظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :

الحال الأولى : أن يوافقهم في الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره
ويسبل اليهم ويوادهم بباطنه ، فهذا كافر خارج من الاسلام ، سواء
كان مكشرا على ذلك أو لم يكن . وهو ممن قال الله فيه «ولكن من شرح
بالتقوى صدقا فعليه ناصبه من الله ولهم عذاب عظيم» (١) .

الحال الثانية : أن يوافقهم ويسبل اليهم في الباطن مع مخالفته
لهم في الظاهر : فهذا كافر أيضا ، ولكن اذا عمل بالاسلام ظاهرا عصم
ماله ودمه ، وهو المنافق .

الحال الثالث : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن
وهو على وجهين :

أحدهما : أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربه وتقييدهم له ،
ويهددونه بالقتل ، فيقولون له : اما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا ،
والا قتلناك : فانه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون
قلبه مطمئنا بالايمان ، كما جرى لعمار حين انزل الله تعالى : «من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان» (٢) وكما قال تعالى :
«الا ان تتقوا منهم تقاة» (٣) فلايتان تبينان أن من خاف شرهم فله
أن يتقيه بظاهره ، لا بباطنه ويسته كما نبه عن ذلك ابن كثير في تفسير
آية آل عمران .

الوجه الثاني : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ،
وهو ليس في سلطانهم ، وانما حمله على ذلك اما طمع في رئاسة أو مال
أو مشقة بوطن أو عيال ، أو خبوف مما يحدث في المال ، فانه في

هذه الحال يكون مرتدا ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن ، وهو من قال الله فيهم : « ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وأن الله لا يهدي القوم الكافرين » (١) . فآخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه ، ولا محبة الباطل ، وإنما هو أن لهم حظا من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين .

هذا معنى كلام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذرا ، فإنه من تزين الشيطان . وتسويله ، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفا لا حقيقة له ، ظن أنه يجوز له بذلك اظهار الموافقة للمشركين ، والالتقياد لهم . وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعا دنيويا ، تخيل أنه يجوز له موافقته للمشركين لأجل ذلك ، وشبه على الجهال بأنه مكره ، وقد ذكر العلماء صفة الاكراه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف المكروه ، فليس في كلمات الكفر كالاكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الاكراه على الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب أو قيد . ولا يكون الكلام اكراها . وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بسكنه ، فلها أن ترجع على أنها لا تهب له الا اذا خافت أن يطلقها أو يسئ عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة اكراها ولفظه في موضع آخر : لأنه اكراها ، ومثل هذا لا يكون اكراها على الكفر ، فإن الأسير ان خشي الكفار ، أن يحولوا بينه وبين امرأته ، لم يبح له التكلم بكلمة الكفر » اهـ .

والمقصود منه أن الاكراه على كلمة الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب أو قتل ، وأن الكلام لا يكون اكراها ، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين زوجته ، لا يكون اكراها . فاذا علمت ذلك ، وعرفت ما وقع من كثير من الناس ، تبين لك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » ، وقد عاد غريبا ، وأعرب منه من يعرفه على الحقيقة . وبالله التوفيق .

فصل

وأما المسألة الرابعة : وهي مسألة اظهار الدين ، فان كثيرا من الناس قد ظن أنه اذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين ، وأن يصلى الصلوات الخمس ، ولا يرد عن المسجد ، فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين ، أو فى أماكن المرتدين ، وقد غلطوا فى ذلك أقبح الغلط .

فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات ، وقد تقدم بعض ذلك ، وكل طائفة من طوائف الكفران ، اشتهر عندها نوع منه ، ولا يكون المسلم مظهرا لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته والبراءة منه ، فمن كان كفره بالشرك ، فإظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد ، والنهي عن الشرك والتحذير منه . ومن كان كفره بجحد الرسالة ، فإظهار الدين عنده التصريح بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعوة الى اتباعه ، ومن كان كفره بترك الصلاة ، فإظهار الدين عنده فعل الصلاة والأمر بها ، ومن كان كفره بموالاتة المشركين والدخول فى طاعتهم ، فإظهار الدين عنده التصريح بعداوته والبراءة منه ومن المشركين .

وبالجملة فلا يكون مظهرا لدينه الا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه ، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذى صار به كافرا ، وبراءته منه . ولهذا قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : عاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وشتم آلهمنا .

وقال الله تعالى : « قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى توفىكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين . وإن أقسم وجهك للدين حثيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينقصك ولا يضرك ، فإن فعلت فإني من الخاسرين » (١) . فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « يا أيها الناس ... » الى آخره ، أى اذا شككتم فى الدين الذى أنا عليه فدينكم الذى أقسم عليه أنا بربى منه ، وقد أمرنى ربى أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم .

وقال تعالى : « قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا اقيم
عابدون ما اعبد » (١) الى آخر السورة ، فامر الله رسوله صلى الله
وسلم ان يقول للكفار : دينكم الذى اقيم عليه انا برىء منه ، ودعنى
الذى انا عليه اقيم برآء منه ، والراد التصريح لهم بأنهم على الكفر ،
وأنه برىء منهم ومن دينهم .

فمن كان متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم (فعليه) أن يقول
ذلك ، ولا يكون مظهراً لدينه الا بذلك ، ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ،
وآذاهم المشركون ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى
الحبشة ولو وجد لهم رخصة فى السكوت عن المشركين لما أمرهم
(بالهجرة) الى بلد الغربة .

وفى السيرة أن خالد بن الوليد لما وصل الى العرض فى مسيره
الى أهل اليمامة لما ارتدوا ، قدم مائتى فارس وقال : من أصبتم من
الناس فخذوه ، فأخذوا مجاعة فى ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه ، فلما
وصل الى خالد قال له : يا خالد .. لقد علمت أنى قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فبايعته على الاسلام ، وأنا اليوم
على ما كنت عليه أمس ، فإن يك كذاباً قد خرج فينا ، فإن الله يقول :
« ولا تزد وئدة وئدة أخرى » (٢) فقال : يا مجاعة .. تركت اليوم
ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت
أعز أهل اليمامة — وقد بلغك مسيرى — اقراراً له ورضاء بما جاء
به ، فهلا (أبديت) عذراً وتكلمت فيمن تكلم ؟ فقد تكلم ثمانية فرد
وأكرر ، وتكلم اليشكرى .

فان قلت : أخاف قومى ، فهلا عمدت الى أن بعثت الى رسول الله
فقال : ان رأيت يا ابن المغيرة أن تغف عن هذا كله ؟ فقال : قد غفوت
عن دمك ، ولكن فى نفسى حرج من تركك . انتهى .

وسيائى فى ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ : ان الرجل اذا كان
فى بلد كفر ، وكان يقدر على اظهار دينه حتى يتبرأ من أهل الكفر
الذى هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم بأنهم كفار ، وأنه عدو لهم . فان
لم يحصل ذلك ، لم يكن اظهار الدين حاصلًا .

فصل

وأما المسألة الخامسة : وهي مسألة الاستضعاف ، فإن كثيرا من الناس ، بل أكثر من ينتسب إلى العيلم في هذه الأزمان غلطوا في معنى الاستضعاف ، وما هو المراد به .

وقد بين الله ذلك في كتابه بيانا شافيا ، فقال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لئلك وليا واجعل لنا من لئلك نصيرا » (١) .

فبين تعالى مقاتلتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام ، وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم ، فدل على حرصهم على الخروج ، وأنه متعذر عليهم .

ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم ، ومؤالهم رجيم أن يجعل لهم وليا يتولاهم ويتولونه ، وأن يجعل لهم ناصرا ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم . وقال تعالى : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » (٢) . فذكر في هذه الآية حالتهم التي هم عليها : وهي أنهم لا يستطيعون حيلة .

قال ابن كثير : لا يقدرُونَ على التخلص من أيدي المشركين ، ولو قدرُوا ما عرفُوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال : « لا يستطيعون حيلة » . قال عكرمة : يعني نهوضا إلى المدينة « ولا يهتدون سبيلا » . قال مجاهد وعكرمة : يعني طريقا . انتهى .

والحاصل أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين وهم مع ذلك : « يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لئلك وليا واجعل لنا من لئلك نصيرا » (٣) . وهم مع ذلك (يعرفون) الطريق ، فمن كانت هذه حاله ومقاله : « فاولئك صى الله أن يمسوا عنهم ، وكان الله عفوا غفورا » (٤) .

(٢) النساء ٦٨

(٤) النساء ٩٦

(١) النساء : ٧٥

(٣) النساء : ٧٥

وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ، ولم ينمعه من ذلك إلا المشقة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فإن الله تعالى لم يعذر من اعتذر بذلك ، وسماه ظالما لنفسه . فقال تعالى :
 « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا (١) » .

وفى تفسير الجلالين قوله : « ظلالى انفسهم » بالتمام بين المشركين ، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه الآية عامة فى كل من أقام بين ظهرا الى المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متسكنا من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراما بالاجماع وبمنص الآية حيث يقول :
 « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم » أى بترك الهجرة :
 « قالوا فيم كنتم » . أى لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة ؟
 « قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا » .

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب مرفوعا : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » .

وقال السدى : لما أسر العباس وعقيل وفوفل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « أفد نفسك وبر أخويك » قال : يا رسول الله .. ألم نصل الى قبلك ونشهد شهادتك ؟ قال : « يا عباس انكم خاصمتهم فخصمتهم » . ثم تلا هذه الآية : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » (٢) الآية . رواه ابن أبى حاتم . انتهى .

والمقصود منه : بيان مسألة الاستضعاف ، وأن المستضعف هو الذى لا يستطيع حيلة ولا يتهدى سبيلا ، وهو مع ذلك يقول :
 « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لئلك وليا واجعل لنا من لئلك نصيرا » (٣) وبيان أن الذى يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله ، ويدعى أنه يكون بذلك مستضعفا كاذب فى دعواه ، وعذره غير مقبول عند الله تعالى ، ولا عند رسوله ، ولا عند أهل العلم لشريعة الله .

(٢) النساء : ٩٧

(١) النساء : ٩٧

(٣) النساء : ٧٥

فصل

وأما المسألة السادسة : وهي وجوب الهجرة وأنها باقية ، فالدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه أحمد وأبو داود .

وروى أبو يعلى عن أزهر بن راشد قال : حدث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا تستضيئوا بنار المشركين » . قال ابن كثير : معناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم ، بل تباعدوا منهم ، وهاجروا من بلادهم .

ولهذا روى أبو داود : « لا تراءى نارهما » وفي الحديث الآخر : « من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله » . فقال تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم قالوا فيسم كتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا (١) » .

وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر (معبر) فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين واکرموا فاستغفروا لهم ، فنزلت : « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم » الآية .

قال الضحاك : نزلت فى أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبروا . ذكره ابن كثير ثم قال : فهذه الآية عامة فى كل من أقام بين ظهرائى المشركين ، وهو أدر على الهجرة ، وليس متمكنا من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراما بالاجماع ، وبنص الآية حيث يقول : « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم ... » .

وفي أجوبة آل الشيخ لما سئلوا : هل يجوز للانسان أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : ان كان يقدر على اظهار دينه (و) لا يوالى المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة كأيى بكر رضى الله عنه وغيره ، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمد فى مسنده وغيره ، وان كان لا يقدر على اظهار دينه ولا على عدم موالاتهم لم يجز له السفر الى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه نحمل الأحاديث التى تدل على النهى عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسببا الى اسقاط ذلك ، لم يجز ، وأيضا فقد يجزه ذلك الى موافقتهم ورضاهم كما هو الواقع الكثير ممن يسافر الى بلدان المشركين من خفاق المسلمين .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس فى بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب عن هذه المسألة ، والجواب عن التى قبلها سواء ، ولا فرق فى ذلك بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلدة لا يقدر المسلم على اظهار دينه فيها لا يجوز السفر اليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القرية مثل شهر أو شهرين . وبين المدة البعيدة ؟ فكل بلد لا يقدر على اظهار دينه فيها ، ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام ولا يوما واحدا ، اذا كان يقدر على الخروج منها . انتهى .

وفي أجوبة أخرى : ما قولكم فى رجل دخل هذا الدين ، وأجبه ويحب من دخل فيه ، ويبغض اشرك وأهله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة الاسلام ويقاتلون أهله ، ويمتدرون بأن ترك الوطن يشق عليه ، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار ، فهل يكون مسلما هذا أم كافرا ؟

الجواب : أما الرجل الذى عرف التوحيد وآمن به ، وأجبه وأحب الله ، وعاف الشرك وأبغضه ، وبغض أهله ، ولكن أهل بلده على الكفر لشرك ولم يهاجر ، فهذا فيه تفصيل ، فأن كان يتندر على اظهار دينه عنهم ويتبرأ منهم وما هم عليه من الدين ، ويظهر لهم كفرهم (١٩ — مجموعة التوحيد)

وعداوته لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فهذا لا يحكم بكفره ، ولكن إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ، ومات بين أظهر المشركين ، فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية : « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم » (١) الايتان ، فلم يسلم الله الا من لم يستطع حيلة ولم يهتد سبيلا ، ولكن قل أن يوجد اليوم من هو كذلك ، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم ، بل أما قتلوه وأما أخرجوه . وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة ، وجلس بين أظهرهم ، وأظهر لهم أنه منهم ، وأن دينهم حق ، ودين الاسلام حقا ، فهذا كافر مرتد ولو عرف الدين بقلبه ، لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة ، وتكلم بكلام الكفر من غير اكراه ، فدخل في قوله : « ولكن من كفر بالكفر صدرا » (٢) الآيات .

هذا من جواب الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم . وكما سئلوا عن أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة .

وبعضهم يقول : هذا الأمر حق ، ولا أغير منكرا ولا أمر بمعروف ، وينكر على الموحدين إذا قالوا : تبرأنا من دين الآباء والأجداد .

والذى يقول هذا الأمر زين ، لا يمكنه (أن) يقوله جهارا ، أجابوا بأن أهل هذه القرية المذكورة ، إذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التى يكفر من خالفها ، حكمها حكم الكافر والمسلم الذى بين أظهرهم ، ولا يمكنه اظهار دينه ، تجب عليه الهجرة إذا لم يكن ممن عذره الله ، فإن لم يهاجر ، فحكمه حكمهم فى القتل وأخذ المال . انتهى .

وفى هذه الأجوبة مسائل : منها بيان المستضعف ، وأنه الذى لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا وقد تقدم ذلك . ومنها أن المسلم الذى لم يقدر على اظهار دينه واجبة عليه الهجرة ، وقد تقدم أيضا . ومنها صفة اظهار الدين ، وهو أن يصرح للكفار بكفرهم وعداوته لهم ، ولما هم عليه من الدين ، وقد تقدم أيضا . ومنها بيان أنه إذا فعل ذلك أعنى مصرح بكفرهم ، وعداوته لهم ، فإلهم لا يتركونه بين أظهرهم ، بل أما قتلوه أو أخرجوه .

قلت : وقد أخبر الله بذلك جميع الكفار ، فقال تعالى : « وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتتنا ، فاوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » (١) .

وقال تعالى أخبارا عن قوم شعيب : « قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لنعودن في ملتتنا ، قال أو لو كنا كارهين » (٢) .

وقال تعالى أخبارا عن أصحاب الكهف : « أنهم ان يظهروا عليكم » الآية ، وقوله « يرجعوك » (٣) أى يقتلوكم بالرجم .

وهذا الذى أخبر الله به ، وأشار إليه أئمة الأهلان ، وهو الواقع فى هذه الأزمان .

فان المرتدين بسبب موالاتهم المشركين والدخول فى طاعتهم ، لا يرضون الا بمن وافقهم على ذلك ، واذا أنكروه عليهم منكر آذوه أشد الأذى ، وأخرجوه من بين أظهرهم ، بل سعوا فى قتله ان وجدوا الى ذلك سبيلا .

والله المستعان

(١) إبراهيم : ١٣ ، ١٤ (٢) الامراف : ٨٨

(٣) الكهف : ٢٠

الرسالة الثالثة عشرة :

هذا بيان الحجة في الرد على اللجة

تأليف

شيخنا وإمامنا ناصر السنة الشيخ عبد الرحمن بن حسن
ابن شيخ الإسلام ومفتي الأنام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
أسكنهم الله الجنة بغير حساب أمين والمسلمين أجمعين يا رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد
ابن عبد الوهاب أجزل الله لهم الثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب :
اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك
الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت
ملك السموات والأرض . من فيهن ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له « الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك ، وخلق كل شيء ففسدته تقديرا . واتخذوا من دونه
آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ،
ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا » (١) .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي قال الله خطابا له :
« يا أيها النبي أنا أرسلتك شاعدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى
الله بإذنه وسراجا منيرا » (٢) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ، ومن أذهب الله
عنهم الرجس ، وظهرهم تطهيرا .

أما بعد .. فإني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن
وقد سئل عن آيات من « البردة » وما فيها من الغلو والشرك العظيم
المضاهي لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية
والإلهية لغير الله ، كما هو صريح الآيات المذكور في « البردة » .

ولا يخفى على من عرف دين الاسلام أنه الشرك الأكبر الذى لا يغفره لمن لم يتب عنه ، وأن الجنة عليه حرام ، وذكر الشيخ فى جوابه أن الآيات المذكورة تضمنت الشرك ، وصرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله .

فاعترض عليه جاهل ضال فقال مبرئاً لصاحب الآيات من ذلك الشرك بقوله : حماء الله من ذلك ، ويكفيه فى نفى هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

❖ دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ❖

البيت المطابق لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تطرونى كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم » .

الجواب : أن هذه التبرئة انما نشأت عن الجهل وفساد التصرف ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده ، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته . وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله ، لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد ، كما قال تعالى فى حق من هذا وصفه :

« وان كثيراً يضلون باهوائهم بغير علم ، ان ربك هو اعلم بالمعتدين » (١) .

فالجعل بما بعث الله به رسوله قد عم كثيراً من هذه الأمة ، فظهر فيها ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله .. اليهود والنصارى ؟ ... قال : « فمن » ؟ ونحو هذا من الأحاديث . وقوله : ويكفيه فى نفى هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

❖ دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ❖ البيت

الجواب : أن هذا يزيد شناعة ومقتا ، لأن هذا تناقض بين ، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول . فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارى ،

من الغلو العظيم الذي نهى الله عنه ورسوله : ولعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله أو فعل ما يوصل اليه بقوله : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقلوا عبد الله ورسوله » . وقوله لما قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال : « أجمعتني لله ندا ، بل ما شاء الله وحده » . وقال : « أنه لا يستغاث بي » . وإنما يستغاث بالله عز وجل . « فلقد حذر أمته وأنذرهم عن الشرك ووسائله وما دق منه وجل ، ودعا الناس إلى التوحيد ، ونهاهم عن الشرك ، وجاهدتهم على ذلك حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك . وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وأزالها كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير ، كما في حديث أبي الهيثم الأسدي الذي في « الصحيح » قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إلا تدع قبراً مشرفاً إلا هويته ، ولا تمثالا إلا طمسته » .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لهدم مناة ، وبعث خالد بن الوليد يومئذ لهدم العزى ، وقطع السموات التي كانت تميدها قرش وهذيل ، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها ، وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله . والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر ، واعتنوا بأزالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما يقع في أمته من الاختلاف ، كما في حديث العرياض بن سارية قال : « فاته من يعش منكم فسيروا اختلافا كثيرا . . . » الحديث ، فوقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة ، كما هو معلوم عند العلماء . ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرجنا عن المقصود من الاختصار .

فانظر إلى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ، فلقد عت هذه البلية في كثير من البلاد ، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أقاص منسبون إلى العلم .

قال سليمان التميمي : لو أخذت كل عالم لاجتمع فيك السر كله ، فانا لله وانا اليه راجعون . وقوله المطابق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم » .
أقول : لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد ، لكنها في المنهى عنه لا في المنهى ، فالذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من الاطراء طابقته الآيات من قوله :

يا أكرم الخلق مالى من الود به سواك .. الى آخرها

فقد تضمنت غاية الاطراء والفلو الذى وقعت فيه النصارى وأمثالهم ، فانه قصر خصائص الالهية والربوبية التى قصرها الله على نفسه ، وقصرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرفها لغير الله ، فان الدعاء مع العبادة ، واللياذ من أنواع العبادة ، وقد جمع فى آياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والاتجاه والرغبة الى غير الله ، فان غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان ، وهذه هى أنواع العبادة (التى) ذكرها الله تعالى فى مواضع كثيرة من كتابه وشكرها لمن قصرها على الله ، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله تعالى : « هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين » (١) . وقوله : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » (٢) . وقوله : « واته لما قدام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربى ولا أشرك به احدا . قل انى لا املك لكم ضررا ولا رشدا . قل انى لن يجيرنى من الله احد . ولن اجد من دونه ملتحدا » (٣) الآية .

فهذا هو الدين الذى بعث الله (به) نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وامره ان يقول لهم : « (انما) ادعوا ربى ولا أشرك به احدا » (٤) فقصر الدعاء على ربه الذى هو توحيد الالهية . وقال : « قل انى لا املك لكم ضررا ولا رشدا » (٥) الى آخر الآيات .

وهذا هو توحيد الربوبية ، فوجد الله فى الهية وربوبية ، وبين

(١) غافر : ٦٥ (٢) غافر : ٦٠

(٣) الجن : ١٩ - ٢٤ (٤) الجن : ٢٠

للأمة ذلك ، كما أمره الله تعالى . وقال تعالى : « فإذا فرغت فانصب .
والى ربك فارغب » (١) .

أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى . وقال : « انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاضعين » (٢) .

ونهى عن الاستعانة بغيره بقوله تعالى عن مؤمنى الجن :
« وانه كان رجال من الانس يموثقون برجس من الجن فزادوهم
رهقا » (٣) .

واحتج الامام أحمد رحمه الله وغيره على القائلين يخلق القرآن
بحديث خولة بنت حكيم مرفوعا : « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات
الله التامات من شر ما خلق ... » الحديث . على أن القرآن غير
مخلوق ، اذ لو كان مخلوقا لما جاز أن يستعاذ بمخلوق ، لأن الاستعانة
بالمخلوق شرك ، وأمثال ذلك فى القرآن والحديث كثير ، يظهر بالتدبر .

وأما قول المعترض : ان النصارى يقولون : ان المسيح ابن الله ،
نعم قاله طائفة ، وطائفة قالوا : هو الله ، والطائفة الثالثة قالوا :
هو ثالث ثلاثة ، وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ،
فأنكر الله عليهم تلك الأقوال فى المسيح ، وأنكر عليهم ما فعلوه من
الشرك ، كما قال تعالى : « اتخذوا آلهة لهم غيري ، لا اله الا هو ،
سبحانه عما يشركون » (٤) .

فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان . أما المسيح
فعبادتهم له بالتأله ، وصرف خصائص الالهية له من دون الله ، كما
قال تعالى : « واذا قال الله يا عيسى ابن مريم ائتى فقل للناس اتقونى
وامنى إلهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس
لى بحق » (٥) . فأنهى عن العبادة وحقق الحق لله لا يشركه
فيها أولوا العزم ولا غيرهم ، يبين ذلك قوله : « ما قلت لهم الا ما أمرتني
به ، ان اعبدوا الله ربي وربكم » (٦) .

(١) الشرح : ٧ ، ٨	(٢) الانبياء : ٩٠
(٣) الجن : ٦	(٤) التوبة : ٣١
(٥) المائدة : ١١٦	(٦) المائدة : ١١٧

وأما عبادتهم للأجبار والرهبان فانهم أطاعوهم فيما حلوه أو سم من الحرام ، وتحريم ما حرموه عليهم من الحلال .

وأما قدوم عدى بن حاتم رضى الله عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراره الى الشام ، وكان قبل مقدمه على النبي صلى الله عليه وسلم نصرانيا ، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سلم مسلما ، تلا هذه الآية : « اتخللوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (١) .

قال : يا رسول الله . . . لسا نعبدهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أليسوا يحلون لكم ما حرم الله فتحلوه ، ويعرمون عليكم ما أحل الله فتحرموه » ؟ قال : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » ففيه بيان أن من أشرك مع الله غيره فى عبادته ، وأطاع غير الله فى مصيته فقد اتخذ ربا ومعبودا ، وهذا بين والحمد لله . فلو تأمل هذا الجاهل المعارض قول الله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الله » (٢) .

لعلم أن الله تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعلهم ، وعلى كل من عبد معه غيره بأى نوع كان من أنواع العبادة . لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد ، وألقوا الشرك ، وأحبوه ، وأحبوا أهله ، فترى مآب هذا الداء العضال الى ما ترى من التخليط والضلال ، والاستغناء بالجهل ، ووساوس الشيطان . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم الا بالتجرد عن الهوى والعصية ، والاقبال عن تدبير الآيات المحكمات فى بيان التوحيد الذى بعث الله به المرسلين ، كما قال تعالى : « يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » (٣) . ومثل قوله تعالى : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » (٤) .

أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب الى أن يخلصوا العبادة لله وحده .

(٢) المؤمنون : ٩١
(٤) آل عمران : ٦٤

(٢) التوبة : ٣١
(٣) يونس : ٥٧

ولا يشركوا فيها أحدا من خلقه ، فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح ابن مريم ، ويعبدون أخبارهم ورهبانهم .
وتأمل قوله : « كلمة سواء بيننا وبينكم » .

وهذا هو التوحيد الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم الى جميع من ارسل اليه ، كما قال تعالى : « قل إنما امرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أنصوا وإليه مآب (١) » . وقوله : « ولا تشرك به شيئا » بمع كل شرك دق أو جل ، كثر أو قل .

قال العباد بن كثير فى تفسيره : هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن جرى مجراهم ، وقوله : « سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا » (٢) .
لا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوتا ولا تارا ولا شيئا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له .

قلت : وهذا هو معنى : « لا اله الا الله » ، ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل .

قال الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه الله لا اله الا أنا فاعبدون » (٣) .

وقال : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطغوت » (٤) . انتهى المقصود .

وقال رحمه الله فى تفسير قوله : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » (٥) .
آية .

قال محمد بن اسحاق ، حدثنا محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول

(٢) آل عمران : ٦٤
(٤) النحل : ٣٦

(١) الرعد : ٣٦
(٣) الانبياء : ٢٥٠
(٥) آل عمران : ٧٩

الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك
كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقان
له الرئيس : (أو تريد) ذاك منا يا محمد ؟ واليه تدعوننا ؟ أو كما قال .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو
نأمر بعبادة غير الله وما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال صلى
الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل في ذلك : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله » (١) .
الى قوله : « بعد اذ أنتم مسلمون » (٢) . وقوله : « ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي من دون الله » أى ما ينبغي لبشر أنأه الله الكتاب والحكم
والنبوة أن يقول للناس : اعبدوني من دون الله ، أى مع الله . وإذا كان
هذا لا يصح لنبي ولا لمرسل ، فالآن لا يصلح لأحد من الناس بطريق
الأولى والأخرى .

ولهذا قال الحسن البصرى : لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس
بعبادته ، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا ، يعنى أهل الكتاب .
وقوله : « ولا يأمركم » (أى) بعبادة أحد غير الله ، لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل : « أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيامركم بالكفر
بعد اذ أنتم مسلمون » (٣) . أى لا يفعل ذلك لأن من دعا الى عبادة غير
الله فقد دعا الى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرؤتكم بالايسان وعبادة الله
وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٤) . وقال : « واسأل من
أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (٥) .
وقال في حق الملائكة : « ومن يقل منهم ائى اله من دونه فذلك نجسزیه
جهنم ، كذلك نجزي الظالمين » (٦) انتهى وهو فى غاية الوضوح .

وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والالهية ، ونظائر هذه
الآيات كثيرة فى القرآن ، وفى السنة من الأحاديث كذلك .

فاذا كان من المستحيل عقلا وشرعا على رسول الله صلى الله عليه

(٢) آل عمران : ٨٠

(٤) الزخرف : ٤٥

(١) آل عمران : ٧٩

(٣) الانبياء : ٢٥

(٥) الانبياء : ٢٩

وسلم هو جميع الأنبياء والمرسلين أن يأمرُوا أحدا بعبادتهم ، فكيف جاز في عقول هؤلاء الجيلة أن يقبلوا قول صاحب « البردة » :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم ١٩

وقد اخلص الدعاء الذى هو مخ العبادة ، واللياذ الذى هو من أنواع العبادة وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والاتجاء الى غير الله ، وهذه هى معظم العبادة كما أشير الى ذلك ، كما قال تعالى : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » (١) . وقوله : « قل ادعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على عقابنا بعد اذ هدىنا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران . له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا » (٢) الى قوله : « قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير » (٣) .

وعن أنس مرفوعا : « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى (٤) .

وقوله :

ان لم تكن فى معادى آخذا ييدى فضلا والا فقل يا ذلة القدم المنانى لقوله تعالى : « وما ادراك ما يوم الدين . ثم ما ادراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله » (٥) . وقوله : « قل انى لا املك لكم ضررا ولا نصرا » (٦) . وقوله : « قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا » (٧) الآية .

وفى الحديث الصحيح قال لابنته — فاطمة — وأحب الناس اليه : « يا فاطمة بنت محمد اسلينى من مالى ما شئت ، لا اغنى عنك من الله شيئا » فتأمل ما بين هذا ، وبين قول الناظم من التضاد والتباين ، ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى ، وذكره رسوله صلى الله عليه

(١) الرعد : ١٤ (٢) الانعام : ٧١

(٣) الانعام : ٧٤

(٤) وسنده ضعيف ، وانما صح عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ : « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

(٥) الانفطار : ١٧ — ١٩ (٦) الجن : ٢١

(٧) الامراف : ١٨٨

وسلم كقوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » (١) .

وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية . وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير ، ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذباً وأضل الناس بغير علم ، كقوله تعالى : « والله فيب السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون » (٢) .

وهذا يعلم أن الناظم قد زلت قدمه ، اللهم إلا أن يكون قد تاب وأناب قبل الوفاة ، والله أعلم .
وأما قوله :

✽ فإن من جودك الدنيا وضرتها ✽ البيت

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ، وأن أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلها غيرهم ، سبحانه رب العزة عما يصفون .

وفي الحديث الصحيح : « لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » . وقد قال تعالى : « من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » (٣) وقوله : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » (٤) . وقوله : « قل لمن ما في السموات والأرض قل لله ، كتب على نفسه الرحمة » (٥) . وقوله : « وإن لنا للآخرة والأولى » (٦) فلا شريك لله في ملكه ، كما لا شريك له في الهيئته وربوبيته والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

وقوله : ✽ ومن علومك علم اللوح والقلم ✽
وهذا أيضاً كالذي قبله ، لا يجوز أن يقال إلا في حق الله تعالى الذي احاط علمه بكل شيء ، كما قال تعالى : « عالم الغيب والشهادة »

(٢) هود : ١٢٣

(٤) الملك : ١

(٦) الليل : ١٣

(١) آل عمران : ١٢٨

(٣) النساء : ١٣٤

(٥) الانعام : ٢

وهو الحكيم الخبير» (١) . وقال : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » (٢) . وقوله : « قل لا أقول لكم لى خسزائن الله ولا أعلم الغيب » (٣) . وقال تعالى : « ومنعه مفتاح الغيب لا يعطها إلا هو » ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعطها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » (٤) .

وقال تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » (٥) . والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوق الحصر .

وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والالهية التي بعث الله رسله ، وأزل كتبه لبيانها واختصاصها لله سبحانه دون كل من سواه .

وقال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول » (٦) . كقوله في آية الكرسي : « ولا يحيطون بشيء من علمه » (٧) .

فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه اليهم ، فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم .

كما قال تعالى : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » (٨) .

وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك ، أطلع الله عليه رسوله ، والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله ، وآمنوا به .

وأما احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها : وما كان منها ما لم يكن ، فذاك إلى الله وحده ، لا يضاف إلى غيره من خلقه . فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فما أجراً هذا القائل على الله في سلب حقه ، وما أعداء

(١) الأنعام : ٧٣	(٢) يونس : ٦١
(٣) الأنعام : ٥٠	(٤) الأنعام : ٥٩
(٥) النمل : ٦٥	(٦) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(٧) البقرة : ٢٥٥	(٨) هود : ٤٨

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين^(١) .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب .
رضي الله عنه : انما تنقض ترى الاسلام عروة (عروة) اذا نشأ في
الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه . ووقع
فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه
اهل الجاهلية أو نظيره ، أو شر منه أو دونه ، فتنتقض بذلك عرى
الاسلام ، ويعمود المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والبدعة سنة
والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويسدع
بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومفارقة الأهواء والبدع .
ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا ، والله المستعان . هـ .

قلت : وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجلة الذين ابتلينا بهم
في هذه الأزمنة ، أشربت قلوبهم الشرك والبدع ، واستحسنوا ذلك ،
وأفكروا التوحيد والسنة ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فضلوا
وأضلوا .

وأما قول الناظم :

✽ فان لى ذمة منه بتسميتى محمدا ✽ ... البيت

فهذا من جهله ، اذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل ،
أن الاتفاق في الاسم لا ينفع الا بالموافقة في الدين واتباع السنة
(قولاية) الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعه على دينه ، والعمل بسنته ،
كما دل عليه الكتاب والسنة . كما قال تعالى : « ورحمتى وسعت كل
شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون .
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجيئونه مكتوبا عندهم في التوراة
والإنجيل » الى قوله : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١) .

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان
يحوله ويحميه وينصره ، ويجمع القبائل على نصرته صلى الله عليه

وسلم ، وحمايته من أعدائه ، وقد قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم :
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
حدثت بنفسى دونه وحيمته ودافعت عنه بالذرى والكلال

ولم يترأ من دين أبيه عبد المطلب ، ومات على ذلك ، وقال النبي
صلى الله عليه وسلم : « لاستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله
سبحانه : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو
كانوا أولى قربى من بعض ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » (١) .
فلا وسيله للعبد الى نيل شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم الا بالايمان
به ، وبما جاء به من توحيد الله واخلاص العبادة له وحده لا شريك له ،
ومحبته واتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، والدعوة الى ما بعث به من
دين الله ، والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع وما لا نفع
فمكس الملحدون الأمر ، فطلبوا الشفاعه التي بعث الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بالنهي عنها وانكارها وقتال أهلها ، واحلال دماءهم وأموالهم ،
وأضافوا الى ذلك افكار التوحيد ، وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي
صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله من
قوله : ويكره الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد الى آخر كلامه .
وأما قول الناظم :

✽ ولن يضيق رسول الله جاهك بى ✽ ... البيت .

فهذا هو الذى ذكر الله عن المشركين من اتخاذ الشفعاء ليشفعوا
لهم ويقربوهم الى الله زلفى .

قال الله تعالى : « انا أنزلنا السك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا
له الدين . الا الله الدين الخالص » (٢) .

فهذا هو دين الله الذى لا يقبل الله من أحد دينا سواه ، ثم ذكر
بعد ذلك دين المشركين فقال : « والذين اتخسلوا من دونه أولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان
الله لا يهدي من هو كاذب كفار » (٣) .

(٢) الزمر : ٢ ، ٣

(١) التوبة : ١١٣

(٤) الامر : ٣

فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم : « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

وقال في آخر هذه السورة : « ام ادخلوا من دون الله شفعاء ، قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يملكون . قل الله الشفاعة جميعا » (١) .

قلت : وقد وقع من هؤلاء من اتخذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والاتجاء اليهم وهم أموات غافلون عنهم ، لا يقدرول ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه .

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره ، وهو الذي له ملك السموات والأرض ، كما قال تعالى : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » (٢) . فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم الضلال .

ولهذه الآية أيضا نظائر كثيرة ، كقوله : « ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوادعائهم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبتك مثل خبير » (٣) .

فبين أن دعوتهم غير الله شرك بالله ، وأن المدعو غيره لا يملك شيئا ، وأنه لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب ، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ، ويتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة فمن تأمل هذه الآيات اتراحت عنه بتوفيق الله وفتح جميع الشبهات .

ومما يشبه هذه الآية في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله ، واتخذ شفعاء من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه اليه . واعتماده في حصول الشفاعة عليه — كما قد تضمنه بيت الناظم — قول الله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٤) .

(٢) الاحقاف : ٦٥

(٤) يونس : ١٨

(٢٠) — مجموعة التوحيد

(١) الزمر : ٤٣ ، ٤٤

(٣) فاطر : ١٣ ، ١٤

فانظر كيف حرمهم الشفاعة لما طلبوها من غير الله ، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره ، وهذه الشفاعة التي نفاها القرآن ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » (١) . وقال : « وألدر به الذين يخافون أن يحضروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع » (٢) .

فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك ، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن ، فانما ثبتت بقيدتين عظيمين : اذن الرب تعالى للشفيع ، ورضاه عن المشفوع له ، وهو لا يرضى الأديان الستة المذكورة في قوله : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا » (٣) الآية ، الإيمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص ، كما قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » (٤) .

وقال : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيئته مشفقون » (٥) .

وقال : « وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٦) . وقال تعالى : « أن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض » إلى قوله : « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » (٧) .

وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر شفاعته قال : « وهي نائلة أن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا » . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » .

قال شيخ الاسلام في هذا الحديث : فذلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ولا تكون . لمن أشرك بالله وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تليق هذا المعترض الملبس ولجأه واقتراءه على الله ورسوله ،

(٢) الانعام : ٥١

(٤) البقرة : ٢٥٥

(٦) النجم : ٢٦

(١) البقرة : ٢٥٤

(٣) الحج : ١٧

(٥) الانبياء : ٢٨

(٧) يونس : ٣

فإن دعوة غير الله ضلال وشرك ينافى التوحيد . وأن اتخاذ الشفعاء إنما هو بدعائهم ، والاتجاه اليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعى ، وقد نهى الله عن ذلك ، وبين أن الشفاعة له ، فإذا كانت له وحده ، فلا تطلب إلا ممن هي ملكه فيقول : اللهم شفّع نبيك فى ، لأنه تعالى هو الذى يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه : فهو الاخلاص كما تقدم بيانه .

وأما قول المعترض : ان المعتزلة احتجوا بالآيات التى فيها نهى الشفاعة على أنها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين ، فأقول : لا ريب أن قولهم هذا بدعة وضلالة .

وأنت أيها المجادل فى آيات سلطان مع المعتزلة فى طرفى تقيض ، تقول : أن الشفاعة ثبتت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها موجبا لحصولها .

والقرآن قد نهى ذلك وأبطله فى مواضع كثيرة بعهد الله ، والحق أنها لا تقع إلا لمن طلبها من الله وحده ، ورغب اليه فيها . وأخلص له العبادة بجميع أنواعها . فهذا هو الذى تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعد أن دخلها بذنوبه ، فهذا هو الذى يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص ، كما صرح بذلك الأحاديث ، والله أعلم .

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما فى القرآن من ذكر الشفاعة نفيًا وإثباتًا . فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق ، فالشفاعة المنفية إنما هى فى حق المشرك الذى اتخذ له شفيعا يطلب الشفاعة منه ، فيرغب اليه فى حصولها ، كما فى البيت المتقدم . وهو كفر كما صرح به القرآن .

وأما الشفاعة التى أثبتها الكتاب والسنة ، فقد ثبتت للمؤمنين الموحدين المخلصين ، وهذا هو الذى تظاهرت عليه النصوص . واعتقده أهل السنة والجماعة ودانوا به .

والحديث الذى أشار اليه المعترض من قوله : « أنا لها أنا لها » لا ينافى ما تقرر ، وذلك أن الناس فى موقف القيامة إذا فزعوا الى الرسل ليشفعوا لهم الى الله فى اراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب . نبي ذكر عذره . قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث : « فيأتونى ، فأخبر بين يدي الله ساجدا » أو كما قال : « أحمدته بمحمد »

يفتحها على : ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع » ، قال : « فيجد لي حدا فأدخلهم الجنة » .

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع الا بعد السجود لله ، ودعائه وحمده ، والثناء عليه بما هو أهله . وقوله : « فيجد لي حدا » فيه بيان أن الله هو الذي يحد له . وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل ، هو من باب سؤال الحي الحاضر ، والتوسل الى الله بدعائه ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته أن يدعو لهم اذا نابهم شيء ، كما في حديث الاستسقاء وغيره .

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يفعلون عند تبره شيئا من ذلك البتة ، ففرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم الأمة وأفضلها بين حالتى الحياة والمات . وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد والخروج منه ، وفي الصلاة . الخطب ، وعند ذكره امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا قبري عيداً . ولا ييوتكم قبورا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى أينما كنتم » ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقى بالناس أخرج معه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : اللهم انا كنا اذا أجذبنا توسلنا بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقوا .

قلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لما صلح منهم أن يعدلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم الى العباس ، فلما عدلوا عنه الى العباس ، علم أن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لا يجوز في دينهم ، وصار هذا اجباعا منهم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك . فقال أبو الحسن القادوري في شرح « كتاب الكرخي » : قال بشر بن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام .

قال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله فتركه في قولهم • لأنه لا حق لغير الله عليه ، وإنما الحق لله على خلقه •

وقال في « شرح المختار » : ويتركه أن يدعو الله إلا به ، فلا يقول : أسألك بفلان أو بلاكك وأبيائك ونحو ذلك • لأنه لا حق للمخلوق على الخالق •

وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : أكره كذا ، هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، فإذا قرر الشيطان عنده أن الأقسام على الله به • والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه ، وأنجع بقضاء حاجته ، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله • ثم ينقله بعد درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ، ويلق عليه الستور ، ويبني عليه المسجد ، ويعبد به بالسجود له ، والطواف وتقبيله ، واستلامه ، والهج إليه ، والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس لعبادته ، واتخاذ عيدا ومنسكا ، وأن ذلك تقع لهم في دنياهم وآخرتهم •

قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب : أبعدا عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ، ويستغيث به فيها ، كما يفعله كثير من الناس • قال : هؤلاء من جنس عباد الأصنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه ، ويتمثل لهم الشيطان أحيانا • وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة • ثم ذكر المرتبة الثانية وهي : أن يسأل الله به ، وقال : وهو بدعة باتفاق المسلمين •

والثالثة : أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب ، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد ، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين ، وهي محرمة ، وما علمت في ذلك تراعا بين أئمة الدين ، وإن كان كثيرا من الناس يفعل ذلك • انتهى •

فقرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله به ورسوله من اخلاص العبادة لله وحده ، فانه الدين الذي بعث به ، وأن يترك ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم من الشرك فما دونه ، كما قال تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فإني أذن

من الظالمين» (١). وإن لا يدين الله تعالى إلا بما دله الدليل على من دين الله ، ولا يكون أمة يطير مع كل ربح ، فإن الناس من محمد صلى الله عليه وسلم والأمم قبلها قد تنازعتوا في ربهم وأسمائه ، وصفاته ، وما يجب له على عباده ، وقد قال تعالى : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » (٢) .

فيساعدة من تجرد عن العصبية والهوى ، والتجأ إلى حصن الكتاب والسنة ، فإن العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك فجهل وضلال .

وأما قول المعترض : فانظر إلى « الشفا » تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمة ، أى الكلمة التى ذكرها المجيب فى معنى قوله : « قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشداً » (٣) الآيات ذكر مبارات النفسى فى معناها ، وهى قوله : هو اظهار للعبودية ، وبراءة ما يختص بالربوبية من علم الغيب . إى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب فجع ، ولا دفع ضر . إلى آخر كلامه . اذ من عادة هذا المعترض الجاهل رد الحق ، والمكابرة فى دفعه ، والغلو المتناهى ، والاغمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام أن المجيب لما أتى فى جوابه بتحقيق التوحيد ، وفى الشرك بالله ، وذلك تعظيم لجانب الرسالة . وكان النبی صلى الله عليه وسلم ينهى أمته عن كل ما يؤول بهم إلى الغلو . ولما قيل له صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، قال : « يا أيها الناس .. قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، لا يستهوينكم الشيطان ، أنا عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التى أنزلنى الله تعالى » .

والنبي صلى الله عليه وسلم هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفى الحديث : « فأنك إن تكلمت إلى نفسى تكلمت إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وإنى لا أثق إلا برحمتك .. » الحديث .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف

بذلك لربه . وهو الصادق المصدوق ، فاذا قال المسلم مثل هذا في حقه صلى الله عليه وسلم وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصا له ، بل هذا من تصديقه والايمان به .»

قال شيخ الاسلام رحمه الله : اذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفى خصائصه عما سواه ، لم يجوز أن يقال : هذا سوء عبادة في حق من دون الله من الأنبياء والملائكة ، فان المقام أجل من ذلك . وكل ما سوى الله يتلشى عن تجريد توحيده ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه . وان كان نفسه المسلوب ، كما في « الصحيحين » في حديث الافك لما نزلت براءة عائشة من السماء ، وأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، قالت لها أمها : قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والله لا أقوم اليه ولا أحمله ، ولا أياكما ، ولا أحمد الا الله الذي أنزل براءتي . فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم وأبوها على هذا الكلام الذي نفت فيه أن تحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : بحمد الله لا بحمدك ، ولم يقل أحد : هذا سوء أدب عليه صلى الله عليه وسلم .»

وأخرج البيهقي بسنده الى محمد بن مسلم ، سمعت جبان صاحب ابن المبارك يقول : قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم : بحمد الله لا بحمدك اني لأستعظم هذا ، فقال عبد الله : ولت الحمد أهله .»

وكذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد بسنده عن الأسود بن سريح أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم أتوب اليك ولا أتوب الى محمد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عرف الحق لأهله » .»

وهذا المعترض وأمثاله ادعوا تعظيم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد نفي عنه من الغلو والاطراء ، وهضموا ربوبية الله ، وتقصوا الهيته ، وأتوا بخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله من العبادة التي خلق لها عباده نها بين الأحياء والأموات ، هذا يصرفه لنبي ، وهذا ملك ، وهذا لصالح ، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أندادا لله ، وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك بالله ، فان عبادتهم للملائكة

والأنبياء والصالحين إنما تقع في الحقيقة على من زينها لهم من الشياطين. وأمرهم بها ، كما قال تعالى :

« ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون » (١) . ونحو هذه الآية كثير في القرآن .

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ما وقع في زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية ، وتنقص للالهية ، وسوء ظن برب العالمين ، وذكر أنهم سبواهم بالله في العبادة ، كما قال تعالى عنهم وهم في النار : « تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسسبوكم برب العالمين » (٢) .

وأما ما ذكره عن خالد الأزهرى ، فخالد وما خالد ؟ أغرك منه كونه شرح (التوضيح) و (الأجرومية) في النحو ؟ وهذا لا يمنع كونه جاهلا بالتوحيد الذي بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه ممن لهم تصانيف في العقول ، كالفخر الرازى ، وأبى معشر البلخى ونحوهما ممن غلط في التوحيد ، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوى وغيره ، فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ، ولا نقل عنه أحد إنكاره .

فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسرا تزداد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والأحاديث الواضحات البينات ، بقوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » (٣) . وقسوله : « ومن يدع مع الله الها آخر لا يرهان له به فاقما حسابه عند ربه ، الله . لا يفلح الكافرون » (٤) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار » .

وقد استدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات . عقوبة لهم ، وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الانس ،

(٢) الشعراء : ١٧ ، ١٨
(٤) المؤمنون : ١١٧

(١) سبأ : ٤٠ ، ٤١
(٢) النساء : ٣٦

كما قد يقع كثيرا لعباد الأصنام ، وما أحسن ما قال بعضهم شعرا :
تخالف الناس فيما قد راوا ورووا
وكلهم يدعون الفوز بالتفسير

فخذ بقول يكون النص بنصه

أما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف آيات « البردة » عما هو صريح فيها النص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والالهية ، ومشاركة الله في عمله وملكه ، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك والغلو ، فما ظهر هذا المعترض من ذلك بطلان ، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال ، والزور والمحال ، ولو سكت لسلم من الاتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه .

وأما قول المعترض : ورد في الحديث : « لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري » .

فهذا من الموضوعات ، لا أصل له . ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث ، وأني له ذلك ! بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين .

وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن ، كما في الآية التي تأتي بعد ، وهي قول الله تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمس بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما » (١) . ولها نظائر بين حكمة الرب في خلق السموات والأرض . وقوله : وكيف ينكر تصرفه في إعطاء أحد باذن الله من الدنيا في حياته أو في الآخرة بعد وفاته .

أقول : هذا كلام من اجتراً وافترى وأساء الأدب مع الله ، وكذب على رسوله ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة ، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة . وهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه أو من بعدهم من أئمة الإسلام أن أحدا يتصرف يوم القيامة

في ملكه ؟ ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لادعاه كل لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح أنه يشفع له إذا دعاه : « سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء » (١) . وقال تعالى : « يسوم يات لا تكلم نفس إلا بإذنه » (٢) وقال : « لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا » (٣) .

وهذا القول الذي قاله الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله ببصر يقول : الذي يتصرف في الكون سبعة : البدوي ، والامام الشافعي ، والشيخ الدسوقي . حتى أكمل السبعة من الأموات . هذا يقول هذا ولي له شفاعة ، وهذا صالح كذلك ، وقد قال تعالى : « لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ، لا يخفى على الله منهم شيء ، لن الملك اليوم ، لله الواحد القهار » (٤) . الى قوله : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » (٥) .

وأى ظلم أعظم من الشرك بالله ، ودعوى الشريك له في الملك والتصرف ، وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في معنى قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » (٦) .

فهي الله عما سواه (كل ما) يتعلق به المشركون ، فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ولم يبق الا الشفاعة التي يظنها المشركون منتفية كما نقاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده . ولا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطيه ، واشفع تشفع . وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال : لا اله الا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

(٢) هود : ١٠٥
(٤) غافر : ١٥ ، ١٦
(٦) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

(١) الفرقان : ١٨
(٣) النبا : ٢٨
(٥) غافر : ١٨

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص ،
فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام
المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت
الشفاعة بأذنه في مواضع ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها
لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

وقال العلامة ابن القيم في « مدارج السالكين » : وقد قطع الله
الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعا ، فقال تعالى : « قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة
عنده إلا لمن أذن له » (١) .

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ، والنفع
لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : أما مالك لما يريده عابده
منه . فإن لم يكن مالكا كان شريكا ، فإن لم يكن شريكا له كان معينا
له وظهيرا . فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا ، كان شفيعا عنده ، فنفي
سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتبا منتقلا من الأعلى إلى الأدنى ،
فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك ، وأثبت
شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بأذنه .

فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد ، وقطعا لأصول
الشرك (و) مراده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ،
ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في
نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، فهذا هو الذي يحول
بين القلب وفهم القرآن .

ولعمري الله أن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو
دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك إلى أن قال : ومن أنواعه —
أي الشرك — طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه
إليهم ، وهذا أصل شرك يعالِم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا
يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ،
أو سأله أن يشفع له إلى الله ، وهذا جهل بالشافع والمشفوع عنده ،

فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه ، والله أم يجعل استغاثته
وسؤاله سببا لاذنه (في) كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب
يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنح حصولها •
وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ،
ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى تنقص بالأموات ، وهم قد تنقصوا
الخالق بالشرك وأولياء التوحيد له بذمهم وعيبتهم ومعاداتهم ، وتنقصوا
من أشركوا به غاية التنقص ، اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم
يؤالونهم عليه ، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر
المبتجيين لهم قال : وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر الا من جرد
توحيد الله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم الى الله ، واتخذ
الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ،
وذله لله ، وتوكله على الله ، واستغاثته بالله ، والتجاءه الى الله ، وأخلص
قصده لله ، متبعا لأمره ، متطلبا لمرضااته ، اذا سأل سأل الله ، واذا
استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل الله وبالله ومع الله • انتهى •
فرحم الله هذا الامام وشيخه^(١) ، فخلد بينا للناس حقيقة الشرك
وطرقه وما يبطله •

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :
« اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » ولم يقل : فاسألني
واستعن بي ، فقصر السؤال والاستغاثة على الله الذي لا يستحقه
سواه ، كما في قوله : « اياك نعبد واياك نستعين » (٢) •

فمن صرف ذلك لغير الله ، فقد عصى الله ورسوله ، وأشرك بالله •
وللمعتز كلام ركيك لا حاجة لنا الى ذكر ما فيه ، وانما تتبع
من كلامه ما يحتاج الى رده وابطاله كجنس ما تقدم •
واعلم أنه قال لما ذكر قول المجيب : انه لا يجتمع الايمان
بالآيات المحكمات وتلك الآيات ، لما بينهما من التناقض والتضاد •
وقال المعتز : أقول : يجتمعان بأن يفرد الله بالعبادة ، ولا يقدح

(١) أي العلامة ابن القيم ، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ، رحمهما
الله تعالى •

(٢) الفاتحة : ٥

فيه تشفمه بأحباب حبه اليه ، وكيف يحكم بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها ، كما في الحديث : « أنا لها ، أنا لها » ، ومعلوم أن الضلال ضد الحق .

فالجواب : لا يخفى ما في كلامه من التخليط والتلبيس ، والعصية المشوبة بالجهل المركب ، لا يدرك ولا يدرك أنه لا يدرك ، وقد بينا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذين أنكر الله تعالى انما هو بدعائهم والالتجاء اليهم ، والرغبة اليهم فيما اراده الراغب منهم من الشفاعة التي لا يقدر عليها الا الله ، وذلك يناقض الاسلام والايمان بلا ريب ، فان طلبها من الأموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه الا الله ، وهو خلاف لما أمر الله تعالى به ، وارتكاب لما نهى عنه ، كما تقدم بيانه في معنى قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (١) الآية . وقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » (٢) الآية . وقوله : « ما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى » (٣) .

فطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره بعد وفاته ، وبعده عن الداعي ، لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم وشيخه ، وصرحا بأنه شرك ، وللعلامة ابن القيم آيات في (هذا) المعنى ، وهي قوله :

والشرك فهو توسل مقصوده	الزنى من الرب العظيم الشأن
بعبادة المخلوق من حجر ومن	بشر ومن قبر ومن أوثنان
والناس في هذا ثلاث طوائف	ما رابع أبدا بذى امك ان
أحد الطوائف مشرك بالله	ناذا دماء دعاها لها ثان
هذا وثاني هذه الأقسام ذلك	جاحد يدعو سوى الرحمان
هو جاحد للرب يدعو غيره	شركا وتعطيل له قد دمان
هذا وثالث هذه الأقسام خير	الخلق ذات خلاصة الانسان

(٢) الاسراء : ٥٦

(١) يونس : ١٨

(٣) الزمر : ٣

يدعو الله الحق لا يدعو (الى) (أحد) سواء قط في الأكوان
يدعوه في الرغبات والرغبات والحالات من سر ومن إعلان
وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة : وذلك
كما قال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا » (١) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وأمه وعزيرا
والملائكة ، فأنكر الله ذلك وقال : هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون
رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وهؤلاء الذين نزلت
هذه الآية في انكار دعوتهم من أوليائه وأحبابه . وقد تقدم أن الدعاء
وجميع أنواع العبادة حق الله المحض كما تقدم في الآيات .

والحاصل أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شيئا من دونه
يسأله ، ويرغب اليه ، ويلتجئ اليه ، وهذا هو العبادة . ومن صرف من
ذلك شيئا لغير الله فقد أشرك مع الله غيره ، كما دلت عليه الآيات المحكمات ،
وهذا ضد أفراد الله بالعبادة . وكيف يتصور أفراد الله بالعبادة وقد جعل
المبد ملاذا ومفرعا سواء ؟ فإن هذا يناقض الأفراد ، فأين ذهب عقل
هذا وفهمه ؟

قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله
من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . انتهى .

وقد تبين أن الدعاء مخ العبادة ، وهو مما يحبه ويأمر به عباده ،
وأن يخلصوه له . وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل
(ذلك) وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض : ان الشفاعة المنفية
انما هي في حق الكفار ، فنقول : فمن اتخذ معبودا سوى الله يرجوه
أو يخافه فقد كفر .

وناسل قول الله تعالى : « والذين يدعون من دون الله لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون . اموات غير احياء وما يشعرون أبان يعيشون .
الهمم الله واحد » (٢) .

فبين تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله ، وأن من

دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الالهية ، والقرآن من أوله الى آخره . يدل على ذلك • وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الملحدين مجربون عن فهم القرآن ، كما حجبوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم واعراضهم ، كما أنزل في كتابه من يسان دينه الذي رضىه لنفسه ورضيه لعباده •

قال شيخ الاسلام (أحمد) بن تيمية رحمه الله تعالى : وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده ، لا يدعو الا (هـ) ، ولا يخشى ولا يتقى الا (هـ) ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يكون الدين الا له ، وأن لا يتخذ الملائكة والنبين أربابا ، فكيف بالأئمة والشيوخ ، فإذا جعل الامام والشيخ كأنه اله يدعى مع غيبته وموته ، ويستغاث به ، ويطلب منه الحوائج كأنه مشبه بالله ، فيخرجون عن حقيقة التوحيد الذي أصله شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله • اهـ •

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » • فلو جاز أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قصر سؤاله واستعنته على الله وحده •

وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه له منفعة • فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال : واسألني ، واستعن بي ، بل أتى صلى الله عليه وسلم بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد اخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى • فأين ذهب عقول هؤلاء الضلال عن هذه النصوص ••• والله المستعان •

وقال الشيخ رحمه الله : واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، وكل عابد سائل ، وكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، وإذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ، ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب • ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتنال الأمر ، وإن لم يكن هناك صيغة سؤال • ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو مسألة من الرغبة والرغبة والخوف والطمع • اهـ •

فتبين أن آيات « البردة » التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه ، وماذا بعد الحق الا الضلال ؟

وقول المعترض : لا سيما والناظم (على) جائب عظيم من الزهد والورع والصلاح ، بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه . وهذا كله صار هباء منثورا حيث لم يرضوا عنه .

أقول : هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب ، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك ، فإنه لا يعرف الا بهذه « المنظومة » ، فلو قدر أن لذلك أصلا . فلا ينضم ذلك مع تلك الآيات ، لأن الشرك يحبط الأعمال ، كما قال تعالى : « ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » (١) وقد صار العمل مع الشرك هباء منثورا .

قال سفيان بن عيينة : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والمأبد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فإن كان للرجل عبادة ، فقد فتن بآيائه من الجهال ، وعبادته ان كانت ، فلا تمنع كونه ضالا كما يرشد انى ذلك آخر الفتاحة .

قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . فالواجب علينا أن نبين ما في كلامه ما يخطئ الله ورسوله من الشرك والغلو .

وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات ، فيسعدنا السكوت عنه ، لأننا لا ندرى ما آل أمره اليه ، وما مات عليه . وقد عرف أن كلام خاند الأزهرى لا حجة فيه ، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم الا المنامات والأحوال الشيطانية التى يحكيها بعضهم عن بعض ، كما قال لى بعض علماء مضر : ان شيخنا مثنى بأصحابه على البحر . فقال : لا تذكروا غيرى . وفيهم رجل ذكر الله فسقط فى البحر ، فأخذ يده الشيخ فقال : ألم ألكم لا تذكروا غيرى ؟ فقلت : هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما ، أحدهما : أن تكون مكنوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان ، أو أنها حال شيطانية ، وأسألك أبها الحاكي لذلك : أيبكون فيها حجة على حواز دعوة غير الله ؟ فأقر وقال : لا حجة فيها على ذلك .

المقصود بيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة ما زخرغوه أو حرقوه .

أو كذبوه وما قال الله وقال رسوله ، فهذا بحمد الله كله عليهم لا إهم ، وما حرفوه من ذلك رد الى صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمننا والتزاما . قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فلهم وما يفترون » (١) .

وذكر المعارض حكاية ، يقول عن غير واحد من العلماء العظام أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم و « المنظومة » تشدد بين يديه ، الى قوله :

لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله : انهم كفار .

فالجواب أن يقال : ليس هذا وجه المنع وانما وجه أنها حكاية مجهولة عن مجهول . وهذا (من) جنس اسناد الكذابين فلو قيل : من هؤلاء العظام ؟ وما أسماؤهم ؟ وما زمنهم ؟ وما طبقتهم ؟ لم يدر عنهم . وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة ولا رواية يقظة ، فكيف اذا كانت أحلاما ١٢٢ والمعارض كثيرا ما يحكى عن هيان بن يان .

ثم قال المعارض على قول المجيب : وطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم ممتنع شرعا وعقلا . قال المعارض : من أين هذا الامتناع ؟ وما دليله من العقل والسمع ؟

فالجواب أن يقال : معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن مثلك ، وانما معرفتك في اللجاج الذي هو كالججاج الذي يحوم في النجاج . أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات الزمر ويونس وغيرهما ، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغنى عن اعادته فأيرجم اليه .

وأما دليله من العقل ، فلعقل الصحيح يقضى ويحكم بما يوافق النقل ، بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل الا بالتوجه الى الله تعالى وحده ، وإخلاص الدعاء والاتجاه له واليه ، لأن الخير كله بيده ، وهو القادر عليه . وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء ، كما قال تعالى : « ما يكون من ظمير » (٢) .

فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل ، كما قال تعالى :
« **الذين يخلقون كمن لا يخلق ، ألا تذكرون** » (١) .

فالذي له الخلق والأمر والنعم كلها معه ، وكل مخلوق فقير إليه ،
لا يستغنى عنه طرفة عين ، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب
إليه ، ويرهب منه ، ويتخذ معاذاً وملاذاً ويتوكل عليه .

وقد قال تعالى : « **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو
الغنى الحميد** » (٢) .

وقال المنفردون المحققون السلفيون المتبعون في قوله تعالى :
« **وعلى ربهم يتوكلون** » (٣) :

أى لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون
إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ،
ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف فى الملك
وحده لا شريك له ، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الإيمان . ذكره العلماء
فى تفسيره ، وليتأمل ما ذكره الله عن صاحب ياسين من قوله :
« **الأنخذ من دونه الهبة أن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئاً ولا ينقلون** » (٤) **أنى اذن لى ضلال مبين** » (٥) . فهذا دليل فطرى
عقلى سعى .

وأمام قول المعارض : أن قول الناظم :

« **ومن علومك علم اللوح والقلم** » *

أن (من) بيانية . فالجواب : أنه ليس كما قال ، بل هى تبعية ،
ثم لو كانت بيانية ، فما ينفعه والمحذور بحاله ، وهو أنه يعلم ما فى
اللوحة المحفوظ .

وقد صرح المعارض بذلك فقال : ولا شك أنه أوتى علم الأولين
والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون .

(٢) فاطر : ١٥

(٤) يس : ٢٣ ، ٢٤

(١) النحل : ١٧

(٣) الأنفال : ٢

فالجواب : هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب الله : وسنة رسوله ، بأن الإحاطة بما في اللوح المحفوظ علما ليس الا لله وحده ، وكذلك علم الأولين والآخرين ليس الا لله وحده ، الا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه ، كما قال الله تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض » (١) . فالرجل في معنى قول الله تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه » . وقال تعالى : « الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما » (٢) .

وقد تقدم لهذه الآيات نظائر : فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت واستوجدت لله وحده ، لم يجعل ذلك لأحد سواه . وقال تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي ، لا يحيطها الوقتها الا هو » (٣) . فاسند علم وقت الساعة الى ربه بأمره ، كقوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم آتت من ذكرها . الى ربك منتهاها » (٤) . وامثال هذه الآيات ، مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كاه ، الا ما استثناه بقوله : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » (٥) .

و (من) تبعية هاهنا بلا نزاع . وقد قال النضر لموسى عليهما السلام : « ما نقص علمي وعلمك في علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر » ، فتأمل هذا وتدبر .

واما قول المعارض وتاويله لقوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » (٦) . فتأويل فاسد ، ما قاله غيره ولا يقوله مسلم ، من أنه يعاين الغيب بتعليم الله له ، والمنهى في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك . فما أجراً هذا الجاهل على هذا التأويل ، وما أجهله بالله وبكتابه ! فيقال في الجواب : لا يتفكك هذا التأويل الفاسد ، اذ لو كان أحد يعلم جميع الغيب بتعليم الله ، لصدق عليه أن يقال : هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله ، فما بقي

(١) البقرة : ٢٥٥	(٢) الطلاق : ١٢
(٣) الأعراف : ١٨٧	(٤) النازعات : ٤٢ - ٤٤
(٥) البقرة : ٢٥٥	(٦) النمل : ٦٥

على هذا القصر (لعلم) الغيب على الله في هذه الآية معنى ، وحصل الاشتراك ، نعوذ بالله من الاقتراء على الله وعلى كتابه وصرف ما لم ينزل به سلطانا .

وأما قوله في قول الناظم : « ان لم تكن في معادى آخذاً بيدي » . ان الأخذ بأيدي بالشفاعة . فاجواب : أن حقيقة هذا القول وصرحه طلب ذلك من غير الله ، فلو صح هذا الحمل فالمحذور بحاله لما قد عرفت من الاستعانة بالأموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمر هو في الله ممتنع حصوله ، لكونه تألها وعبادة ، وقد أبطله القرآن .

فهذا المعارض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكه وشمول علمه ، وشه يجزيه بعلمه .

وأما قوله : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » (١) . فقيل : المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان فهذا قبل أن يطلع نبيه عليها ، والا فقد ذكر أمة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علمه كل شيء حتى الخمس .

فالجواب : انذر الى هذا المفتري الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب الأبيات بجيب - ح ما اختلقه واتراء ، وأكثر من الأكاذيب على أهل العلم ، فان قوله : ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس . فحاشا أهل العلم الذين يعرفون بأنهم من أهل العلم من هذه المقالة ، وعامة أهل العلم بل كلهم على خلاف ما ادعاه ، سلفا وخلفا .

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله في « تفسيره الكبير » الذي فاق على التفسير : ابتداء تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة . فقال تعالى : « ان الله عنده علم الساعة » (٢) التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره . « ويتزل الغيث » من السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره . « ويعلم ما في الأرحام » أرحام الاناث . « وما تسرى نفس ماذا تكتسب غدا » يقول : وما تعلم نفس حتى ماذا

تعدل في غد . « وما تدري نفس بأي أرض تموت » يقول : وما تعلم نفس حي بأي أرض يكون موتها . « ان الله عليم خبير » يقول : ان الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه . وذكر سنده عن مجاهد . « ان الله عنده علم الساعة » . قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : امرأتى حبلتي ، فأخبرني ماذا تلد ؟ وبلادنا جذبة فأخبرني متى ينزل الفيث ؟ وقد علمت متى ولدت ، فمتى أموت ؟ فانزل الله : « ان الله عنده علم الساعة » الى آخر السورة .

قال : فكان مجاهد يقول : من مفاتيح الغيب التي قال الله : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » (١) . واخرج بسنده عن قتادة : « ان الله عنده علم الساعة » (٢) الآية :

خمس من الغيب استأثر الله بهن ، فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ، ولا نبيا مرسلا .

وبسنده عن عائشة : من قال ان أحدا يعلم الغيب الا الله فقد كذب واعظم الفرية على الله . قال تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » (٣) .

وبالسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله » « ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الفيث ، ويعلم ما في الأرحام ... » . ثم قال : « لا يعلم ما في غد الا الله ، ولا يعلم أحد متى ينزل الفيث الا الله ، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة الا الله ، ولا يعلم أحد ما في الأرحام الا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت » .

وبسنده عن مسروق ، عن عائشة قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : « وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خمس لا يعلمهن الا الله : « ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الفيث » ... الآية (٤) . انتهى ما ذكره ابن جرير .

(٢) لقمان : ٣٤

(٤) لقمان : ٣٤

(١) الأنعام : ٥٩

(٣) النمل : ٦٥

وذكر البغوى فى تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم ، ثم قال :
وقال الضحاك ومقاتل : مفاتيح الغيب : خزائن الأرض • وقال عطاء :
ما غاب عنكم من الثواب • وقيل : انقضاء الأجل • وقيل : أحوال
العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم • وقيل : ما لم يكن
بعد الله يكون أم لا يكون ، وما لا يكون كيف يكون ؟ انتهى •

قلت : ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه
الآيات المحكمات ، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل الله فى كتابه ، وأخبر
به عن نفسه ، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه
العلماء ، فإن الله استأثر بعلمه عن خلقه ، ووصف نفسه بأنه علام
الغيوب ، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب •

وأما قوله : ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوى ،
وأبى السعود ، والقسطلانى وأمثالهم تجدى اليكم شيئاً لذكرناها ،
لكنها تمحى بلفظة واحدة ، وهى أنهم كلهم كفار فلا تقبل منهم أحداً ،
ومن هذه حاله فلا حيلة به ، فالجواب : أنه ليس للبيضاوى ومن ذكر
عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء فى معنى الآيات ، ومعاذ الله
أن يقول المجيب : أن هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين
أنه كفر أحداً قد مات من هذه الأمة ، فمن ظاهره الاسلام ، فلو وجد
فى كلامه زلة من شرك أو بدعة • فالواجب التنبيه عن ذلك والسكوت
عن الشخص ، لما تقدم من أننا لا ندرى ما خاتمه •

وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين ، فانهم من المتأخرين الذين
نشأوا فى اغتراب من الدين ، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على
عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف ، وأئمة الاسلام من
الارعاء ، وفى حكمة الله ، وتأويل صفات الله ، وسلب معانيها ما يقارب
ما فى « كشاف الزمخشري » ، والارعاء والجبر يقابل ما فيه من تقييد
القدر ، وكلاهما فى طرفى تقييد •

وكل واحد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة فى ذلك ، ومعلوم
أن صاحب « الكشاف » أقدم من هؤلاء الثلاثة وأرسخ قديماً منهم فى
قنون السلم ، ومع هذا فقال شيخ الاسلام البلقينى : استخرجت ما فى
« الكشاف » من دسائس الاعتزال بالمناقش •

وقال أبو حيان وقد مدح « الكشاف » وما فيه من لطيف المعنى ،
حجم قال :

لكنه فيه مجال لناقد	وزلات سوء قد أخذن المخاطبا
فيثبت موضوع الأحاديث جاهلا	ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا
وينسب ابداء الممانى لنفسه	ليوهم أغمارا وإن كان سارقا
ويسهب فى المعنى الوجيز دلالة	بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ما ليس قائلها	وكان محبا فى الخطابة وامقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة	ولا سيما أن ولجوه المضائقا

الى أن قال :

لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مرافقا
فاذا كان هذا فى تفسير مشهور ، وصاحبه معروف بالذكاء
والفهم ، فما دونه من المتأخرين أولى بأن لا يتلقى من كلامهم بالقبول
الا ما وافق تفسير السلف ، وقام عليه الدليل .

وهذا المعترض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة ، يعظم المفضول
من الأشخاص والتصانيف ، ولا يعرف ما هو الأفضل .

ولو كان له أدنى مسكة من فهم ، ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم ،
لعلم أن أفضل ما فى أيدي الناس من التفاسير ، هذه الثلاثة التى
قلنا منها : تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وتفسير الحسين
ابن مسعود البغوى ، وتفسير العماد اسماعيل بن كثير ، فهذه أجل
التفاسير ، ومصنفوها أئمة مشهورون ، أهل سنة ، ليسوا بجهمية ،
ولا معتزلة ، ولا قدرية ، ولا جبرية ، ولا مرجئة بحمد الله . وأكثر
ما فى هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة ، وأقوال
التابعين واتباعهم ، فلا يرغب عنها الا الجاهلون الناقصون المنقوصون ،
والله المستعان .

والمصنفون فى التفسير وغيره غير ما ذكر : البيضاوى وأبو السعود
(و) البحر لأبى حيان ، لأن ما ينقله فى تفسيره عن السلف والأئمة ،
وكذلك تفسير الخازن .

وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلمين ، وذكر عباراتهم ، ويعتمد أقوال السلف ، فهو الذى ينبغي النظر اليه ، والرغبة فيه . وعلى كل حال ، فليس فى تفسير البيضاوى وأبى السعود وشرح القسطلانى ومواهبه ما ينفع هذا الجاهل المفتري ، وكل يؤخذ من قوله ويترك ، الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقول المعارض على قول المجيب : علمائهم شر من تحت أديم السماء . فيقال : هل ورد هذا الحديث فى أهل العراق ، فهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كفار مجوس ، أو فيما يأتى ، فهذه شناعة على غالب علماء الأمة ، ومنهم الامام أبو حنيفة ، والامام أحمد ، وأمثالهم .

فالجواب : أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئا ، ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والضلالة . ففى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يعبد قسام من أمتى الأوثان . ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » رواه البرقانى فى صحيحه .

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى ، فاليهود افترقت على احدى وسبعين ، والنصارى على اثنتين وسبعين ، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة . وأول من فارق الجماعة فى عهد الصحابة رضى الله عنهم الخوارج ، قاتلهم على رضى الله عنه بالنهروان ، والقدرية فى أيام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون ، ومن دعاهم معبد الجهنى ، وغيلان القدرى الذى قتله هشام بن عبد الملك . وكذلك الغلاة فى « على » الذين خذلهم « على » الأخاضيد ، وحرقهم بالنار . ومنهم المختار بن أبى عبيد الذى قتله مصعب بن الزبير ، ادعى النبوة وتبعه خلق كثير ثم ظهرت فتنة الجهمية ، وأول من ظهر الجند بن درهم ، قتله خالد بن عبد الله القسرى ، والصحابة رضى الله عنهم والتابعون ، والأئمة متوافرون وقت ظهور مبادئ هذه البدع ، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة لأفهم متمسكون بالكتاب والسنة ، منكرون لما خالف الحق .

وصح من حديث أنس قال : « لا يأتى على الناس زمان (الا)
والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم صلوا الله
عليه وسلم (١) .

وظهرت بدعة (الجهم بن) صفوان فى زمن أبى حنيفة وأتكرها
وناظرهم ، وانتشرت فى زمن الامام أحمد رحمه الله والفقهاء وأهل
الحديث ، وامتنح الامام أحمد فتبسك بالحق وصبر ، وصنف النساء
رحمهم الله المصنفات الكبار فى الرد على الجهمية - القائلين بخلق
القرآن ، المعطلين لصفات الملك الديان - كالامام أحمد فى رده المعروف ،
وابنه عبد الله ، وعبد العزيز الكنانى فى كتاب « الحيدة » وأبى بكر
الأثرم ، والخلال ، وعثمان بن سعيد الدارمى ، وامام الأئمة محمد
ابن خزيمة ، واللالكائى ، وأبى عثمان الصابونى ، وقبلهم وبعدهم
من لا يحصى .

وهذا كله انما هو فى القرون الثلاثة المفضلة ، ثم بعدها ظهرت
كل بدعة : بدعة الفلاسفة ، وبدعة الرافضة ، وبدعة المعتزلة ، وبدعة
المجبرة ، وبدعة أهل الحلول ، وبدعة أهل الاتحاد ، وبدعة الباطنية
الاسماعيلية ، وبدعة النصيرية ، والقرامطة ونحوهم .

وأما أهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء
الطوائف بحمد الله ، فالأئمة متمسكون بالحق فى كل زمان ومكان .

والبلد الواحد من هؤلاء الأمصار يجتمع فيها أهل السنة وأهل
البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ، ويناضلونهم بالحجج والبراهين .

وظهر معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى ،
ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، ثم انما تخلف من بعدهم خلوف
يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدكم بیده فهو
مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو
مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال : « بدأ الاسلام
غريبا وسيكون غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذا
فسد الناس » .

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

وفى رواية : « يصلحون ما أفسد الناس » وقد صنف العلماء رحمهم الله مصنفات ، وبينوا ما تنتحل كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص فى مخالفة هذه الفرق كلها ، وإنما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق ، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة ، والاحتجاج بالحق ونصرته ، وما ظهر فضل الامام أبى حنيفة والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما الا بتمسكهم بالحق ونصرته ، وردهم الباطل . وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن حنبل وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وأذوهم ، بل أظهر الله بهم السنة ، وجعل لهم لسان صدق فى الأمة ، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم ، كشيخنا شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا الى التوحيد ، وبين أدلته ، وبين الشرك وما يبطله .

وفيه قال الامام العلامة الأديب أبو بكر بن غنام رحمه الله تعالى :
وعاد به نهج النواية طامسا وقد كان مسلوما به الناس تربع
وجرت به نجد ذبول افتخارها وحقق لها ما لألمى ترفع
فأثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضى وتسطم
فهذا المعترض لو تصور وعقل ، لتبين له أن ما احتج به ينقلب
بحجة عليه .

وقول المعترض : وان كان قد ورد فى حق أهل الحرمين ، فهذا
ظاهر البطلان ، اذ هى مهبط الوحى ، ومنبع الايمان .
ولو قيل : ان هذا الحديث وأمثاله ورد فى ذم نجد وأهلها ، فقد
ورد فى ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم :
« لا يزالون فى شر من كذابهم الى يوم القيامة » .

فالجواب أن نقول : الأحاديث التى وردت فى غربة الدين ،
وحدوث البدع وظهورها ، لا تختص بمكة والمدينة والا غيرهما من
البلاد ، والغالب أن كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة ، فلا معنى
لقوله : وان كان قد ورد فى حق أهل الحرمين فى أواخر عهد الصحابة
رضى الله عنهم بل فى وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل
العلم ، مشهور فى السير والتاريخ ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين

عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم وقعة الحرة المشهورة ، ومقتل ابن الزبير فى مكة ، وما جرى فى خلال ذلك من الفتن ، وسارت الغلبة فى الحرمين وغيرهما لأهل الأهواء ، فإذا كان هذا وقع فى خير القرون ، فما ظنك فيما بعد ، حين اشتدت غربة الاسلام ، وعاد المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ؟

وأما قوله : اذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان .

فالجواب أن نقول : مهبط الوحي فى الحقيقة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنشرين » (١) . وقال تعالى : « بل هو آيات بينات فى صفور الدين اوتوا العلم » (٢) .

فهذا محل الوحي ومستقرة . وقوله : منبع الايمان ، الايمان ينزل به الوحي من السماء لا ينبع من الأرض ، ومحلّه قلوب المؤمنين : وهذه السور المكية — فى القرآن معلومة — التى نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر من فى مكة المشركون ، وفيها ذمهم والرد عليهم ، بقوله : « وكسلب به قومك وهسو الحق » (٣) . وقال : « وهم ينهون عنه وينبأون عنه » (٤) . وقوله : « فانهم لا يكلمونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » (٥) .

ونحو هذه الآيات كما فى « فصلت » و « المدثر » وغيرهما ، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها ، ومنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخولها بالوحي ، وقتلوهم ببدر ، وأحد ، والخندق ، وهم كانوا من آخر العرب دخولا فى الاسلام ، حاشا من هاجر ، وكل هذا بعد نزول الوحي .

ونحن بحمد الله لا نتكر فضل الحرمين ، بل نتكر على من أنكره ، ولكن نقول : الأرض لا تقديس أحدا ، وإنما يقديس المرء عمله ، فالمحل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيدهم الا شرا ، تعظم فيه

(١) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ (٢) المتكويث : ٤٩
(٣) الانعام : ٦٦ (٤) الانعام : ٢٦
(٥) الانعام : ٣٣

سيئاتهم ، كما قال تعالى في حرم مكة : « ومن يرد فيه بالعناد بلذم نذقه من عذاب اليم » (١) .

فإذا كان هذا الوعيد في الإرادة ، فعمل السوء أعظم ، فالعمل على الإيمان والعمل الصالح ، ومحله قلب المؤمن ، والناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . وقوله : ولو قيل إن هذا الحديث ورد في ذم نجد وأهلها ... إلى آخره ، فأقول : الذم إنما يقع في الحقيقة على الحال لا على المصل ، والأحاديث التي وردت في ذم نجد ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك لنا في سننا ، اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان » قيل : أنه أراد نجد العراق ، لأن في بعض ألفاظه ذكر المشرق (٢) ، والعراق شرقي المدينة ، والواقع يشهد له ، لا نجد الحجاز ، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث ، فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز ، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ ، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكمقتل الحسين ، وقتنة ابن الأشعث ، وقتنة المختار وقد ادعى النبوة ، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله ، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال والسفك ، وغير ذلك مما يطول عده .

وعلى كل حال ، فالذم يكون في حال دون حال ، ووقت دون وقت ، بحسب حال الساكن ، لأن الذم إنما يكون للحال دون المصل ، وإن كانت الأماكن تتفاضل ، وقد تقع المداولة فيها ، فإن الله يداول بين خلقه حتى في البقاع ، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر .

وأما قول المعارض : منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالون في شر من كذابهم » . فالجواب : أن هذا من جملة كذبه على رسول

(١) الحج : ٢٥

(٢) بل ثبت في « المسند » عن ابن عمر في حديث المشرق ، قال ابن عمر : يشير بيده يوم العراق ، كما صبح في حديث نجد بلفظ : قالوا : وفي عراقنا ؟ بدل « نجدنا » فنجدنا هنا هي العراق قطعا ، ومن جهة الزيادة فليراجع هذا الحديث في تخريج « فضائل الشام » للابن أبي رقيم (٨) .

الله صلى الله عليه وسلم وجهله بالعلم . لا يميز بين الحديث وغيره ، وهذا كلام ورد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى نعر من بنى حنيفة ، سكنوا الكوفة فى ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا فى مسجد من مساجدها ، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلة ، فأخذهم عبد الله بن مسعود ، وقتل كبيرهم ابن النواح ، وقال فى الباقين : لا يزالون فى بلية من كذابهم . يعنى ذلك النعر ، يذم نبينا بنصر أحدثوا حدثا فى العراق ، وقد أقنى كل من حضر مسيلة فى القرن الأول ، ولم يبق بنجد من يصدق الكذاب ، بل من كان فى أواخر عهد الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيامة ويكذبونه ، فلم يبق بنجد من فتنة مسيلة لا عين ولا أثر ، فلو ذم نجدا بمسيلة بعد زواله وزوال من يصدقه ، لذم اليمن بخروج الأسود العنسى دعواه النبوة .

وما ضر المدينة سكن اليهود فيها وقد صارت مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومقل الاسلام ، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشدة عداوتهم له ، بل هى أحب أرض الله اليه ، فاذا كان الأمر كذلك ، فأرض اليمامة لم تعص الله ، وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فظهر الله تلك البلاد منهم ، ومن مسلم منهم من القتل دخل فى الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد اسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت الشرائع ، وعبد الله فيها فى عهد الصحابة رضى الله عنهم وبعدهم ، وقرر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام . على أنها تفضل على الكثير من البلاد بالحديث الذى رواه البخارى فى « صحيحه » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو بسكة لأصحابه : « أريت دار هجرتكم » . فوصفها ثم قال : « فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو يثرب » .

ورؤيا النبى صلى الله عليه وسلم هى حق ، وكفى بهذا فضلا لليمامة وشرقا لها على غيرها ، فإن ذهاب وهله صلى الله عليه وسلم فى رؤياه اليها ، لا بد أن يكون له أثر فى الخير يظهر ، فظهر ذلك الفضل بحمد الله فى القرن الثانى عشر ، فقام الداعى يدعو الناس الى ما دعت

اليه الرسل من افراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات ، والنهي عن مواقعة المحرمات ، وظهر فيها الاسلام اعظم من ظهوره في غيرها في هذه الأزمان ، وأولا ذلك ما سب هؤلاء نجدا أو اليمامة بمسيلة . اذ عرف ذلك ، فليعلم أن مسيلة وبنى حنيفة ، انما كفروا بجسودهم بعض آية من كتاب الله جهلا وعنادا .

وهذا المترض وأمثاله جحدوا حقيقة ما بعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوق الحصر ، وعصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتكاب ما نهى عنه من الغلو والشرك ، فجزوا أن يدعى مع الله غيره وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن ، وجزوا أن يستعان بغير الله ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك ، وجزوا الالتجاء الى الغائبين والأموات والرغبة اليهم ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي ، وجعلوا لله شريكا في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكا في الالهية ، وجعلوا له شريكا في احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها .

وقد قال تعالى مينا لما اختص به من شمول علمه : « الله يعلم ما تحصل كل انشئ وما تفيض الأرحام وما تزدد ، وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتضام » . الى قوله : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » (١) وهذه الأصول كلها في الفاتحة ، يبين تعالى أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه . ففي قوله : « الحمد لله رب العالمين » (٢) اختصاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته والهيته وملكه وشموله وعلمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته ، رب العالمين هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكمهم . والمتصرف فيهم بحكمته ومشينته ليس ذلك الا له « مالك يوم الدين » فيه تفرد بالملك كقوله : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله » (٣) . وقوله : « اياك نعبد واياك نستعين » (٤) . فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها ، وكذلك الاستعانة . وفي : « اياك نستعين » ايضا توحيد الربوبية ، وهذه الأصول ايضا في :

(٢) الفاتحة : ٢
(٤) الفاتحة : ٥

(١) الرعد : ٨ - ١٤
(٣) الانقطار : ١٩

« قل أعوذ برب الناس » (١) . فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم ، والمدير لهم « ملك الناس » . هو الذي له الملك . كما في الحديث .
النوارى في الأذكار : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وقوله : « الله الناس » (٢) .

هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه ، فأهل الإيمان خصوه بالالهية ، وأهل الشرك جعلوا له شريكاً يؤلهوه بالعبادة ، كالنداء والاستغاثة والاستغاثة والاتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك . وفي :
« قل يا أيها الكافرون » (٣) . براءة النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك والمشركين « قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . . . »
إلى قوله : « لكم دينكم ولي دين » . فهذا هو التوحيد العملي ، وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطنا وظاهرا .

وفي « قل هو الله أحد » (٤) توحيد العلم والعمل « قل هو الله أحد » .

يعنى هو الله الواحد الأحد ، الذى لا نظير له ، ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عدل ، ولا يطلق هذا اللفظ فى الإثبات إلا على الله عز وجل . لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله . وقوله : « الله الصمد »
قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه : يعنى الذى يصمد الخلائق إليه فى حوائجهم ومسائلهم . قلت : وفيه توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية .

وقال الأعشى : عن شقيق ، عن أبي وائل : الصمد : السيد الذى قد انتهى شؤده .

وقال الحسن أيضا : الصمد : الحى القيوم الذى لا زوال له .
وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد ، كأنه جعل ما بعده تفسيراً له .

وقال سفيان بن منصور ، عن مجاهد : الصمد : المصمت الذى لا جوف له .

(٢) الناس : ٣
(٤) الإخلاص : ١

(١) الناس : ١
(٣) الكافرون : ١

قال أبو القاسم الطبراني في كتاب « السنة » : وكل هذه صحيحة ،
وهي صفات ربنا عز وجل •

وقال مجاهد : « ولم يكن له كفوا أحد » (١) . يعني لا صاحبة له ،
وهذا كما قال تعالى : « بديع السموات والأرض ، أتى يكون له ولد ولم
تكن له صاحبة وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم » (٢) •

أي هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظير
يساميه ، أو قريب يدانيه ؟! تعالى وتقدس وتنزه •

قلت : فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الالهية والربوبية ،
وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير ، وما فيها من مجامع صفات
كماله ، ونعوت جلاله ، ومن له بعض تصور فتوفيق الله « ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور » (٣) •

وأما قول المعترض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى في زمن
شيخ الاسلام ابن تيمية • أقول هذه (لم) ينقل عنه فيها كلمة واحدة •

فالجواب نقدم « البردة » على زمن شيخ الاسلام ، ان كان
كذلك ، فماذا يجدي عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟

وأيا فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا نقبل ،
ولم يطلع الا على التزير اليسير من كلام شيخ الاسلام ، ولم يفهم
معنى ما اطلع عليه ، وهو في ثق وشيخ الاسلام في ثق • وليس في
كلام شيخ الاسلام الا ما هو حجة على هذا المعترض ، لكنه يتلاق
في باطله بمثل خيط الشكوت ، فان كان يقتعه كلام شيخ الاسلام
رحمه الله المؤيد بالبرهان ، فقد تقدم (في) كلامه ما يكفي ويشفي
في تميز الحق من الباطل •

وكلامه رحمه الله في أكثر كتبه بين هذا الشرك وينكره ، ويرده
كما رد على ابن البادي حين جوز الاستغاثة بغير الله ، ولا يشك من
له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب « البردة » داخل تحت
كلام شيخ الاسلام في الرد عليه والانتكار ، وأنا أورد هنا جوابا لشيخ

الاسلام عن سؤال من سألته عن نوع هذا الشرك وبعض أفراده ،
فأتى بجواب عام شامل كاف واف .

قال السائل : ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ،
ويطلب منهم إزالة الألم ، ويقول : يا سيدي ! أنا في حبيبك ؟ وفيمن
يستلم القبر ، ويمرغ وجهه عليه ويقول : قضيت حاجتي ببركة الله
وبركة الشيخ . ونحو ذلك ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين ، الدين الذي بعث الله به رسله ،
وأنزل به كتبه ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، واستماتته ، والتوكل
عليه ، ودعاؤه بجلب المنافع ، ودفع المضار ، كما قال تعالى :
« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين . الا الله
الدين الخالص » (١) . وقال : « وان الساجد لله فلا تدعوا مع
الله أحدا » (٢) وقال : « وادعوه مخلصين له الدين » (٣) . وقوله :
« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا » (٤) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المنيخ وعزيرا والملائكة
قال الله تعالى : « هؤلاء الذين تدعون عبادى ، يرجون رحمتى ويخافون
عذابى كما تخافون عذابى » .

فاذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة ، فكيف بمن دونهم ؟
قال تعالى : « انصت الذين كفروا ان يتخلوا عبادى من دونى
اولياء » (٥) الآية . وقال : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ،
لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من
شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (٦) .

فبين سبحانه أنه من دعا من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة
والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة فى ملكه ، وأنه ليس له
شريك فى ملكه : « له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » (٧) .

(١) الزمر : ٢ ، ٣	(٢) الجن : ١٨
(٣) الأعراف : ٢٩	(٤) الاسراء : ٥٦
(٥) الكهف : ١٠٢	(٦) سبأ : ٢٢ ، ٢٣
(٧) التفاين : ١	

وأنه ليس له عون كما يكون للملك أجوان وظهراء ، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك ، وذلك أن من دعا من دونه إما أن يكون مالكا ، وإما أن لا يكون مالكا ، وإذا لم يكن مالكا فإما أن يكون شريكا وإما أن لا يكون شريكا ، وإذا لم يكن مشركا فإما أن يكون معاونا ، وإما أن يكون سائلا طالبا .

فأما الرابع : فلا يكون إلا من بعد إذنه ، كما قال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » (١) . كما قال تعالى : « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٢) . وقال : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل الله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ، ثم إليه ترجعون » (٣) . وقال : « ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع » (٤) . وقال : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » . إلى قوله : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » (٥) .

فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كان كافرا ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أربابا ؟ فلا يجوز أن يقول للملك ولا لنبى ولا لشيخ سواء أكان حيا أو ميتا : اغفر ذنبى ، وانصرنى على عدوى ، أو اشف مريضى أو ما أشبه ذلك .

ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان ، فهو مشرك بربه ، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتمائيل التى يصورونها على صلورهم ، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه .

قال الله تعالى : « وإنا قلنا يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأسمى الهين من دون الله ، قال سبحانه » (٦) . وقال : « اتخذوا أربابهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله إلا هو ، سبحانه عما يشركون » (٧) .

(٢) النجم : ٢٦
(٤) الأنعام : ٥١
(٦) المائدة : ١١٦

(١) البقر : ٢٥٥
(٣) الزمر : ٤٣ ، ٤٤
(٥) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠
(٧) التوبة : ٣١

فان قال : أنا أسأله لأنه أقرب منى الى الله ليشفع لى لأنى أتوسل الى الله كما أتوسل الى السلطان بخواصه وأعواته ، فهذا من أفعال المشركين والنصارى . فانهم يزعمون أنهم يتخذون أجارهم ورهبانهم شفعاء يتشفعون بهم فى مطالبهم ، ولذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا : « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى » (١) . وقد قال سبحانه : « ام اتخللوا من دون الله شفعاء » الى قوله : « ترجعون » (٢) وقال : « ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون » (٣) . وقال : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » (٤) .

فبين الفرق بينه وبين خلقه ، فان من عادة الناس من يستشفع الى الكبير بن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشافع فيقضى حاجته اما رغبة ، واما رهبة ، واما حياء ، واما غير ذلك ، فانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل الا ما يشاء : وشفاعته الشافع عن اذنه ، والأمر كله لله .

فالرغبة يجب أن تكون اليه كما قال تعالى : « فإذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » (٥) . والرهبة تكون منه ، قال تعالى : « وإياى فارهبون » (٦) . وقال : « فلا تخشوا الناس واخشون » (٧) . وقد أمرنا أن نصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء ، وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا .

وقول كثير من الضلال : هذا أقرب الى الله منى وأنا بعيد منه ، لا يمكن أن ندعوه الا بهذه الوسطة ونحو ذلك ، هو من قول المشركين ، والله تعالى يقول : « وإذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، أجبب دعوة الداع إذا دعان » (٨) .

وقد روى أن الصحابة رضى الله عنهم قالوا : يا رسول الله . ربنا قريب فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية ، وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة له ، ومناجياته ، وأمر كلا منهم أن يقول : « أياك نعبد وأياك نستعين » (٩) .

(١) الزمر : ٣	(٢) الزمر : ٤٣ ، ٤٤
(٣) السجدة : ٤	(٤) البقرة : ٢٥٥
(٥) الشرح : ٧ ، ٨	(٦) البقرة : ٤٠
(٧) المائدة : ٤٤	(٨) البقرة : ١٨٦
(٩) الفاتحة : ٥	

ثم يقال لهذا المشرك : أنت اذا دعوت هذا ، فان كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدر على سؤالك ، أو أرحم بك من ربك ، فهذا جهل وضلال وكفر . وإن كنت تعلم أن الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم ، فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره ؟! وإن كنت تعلم أنه أقرب الى الله منك ، وأعلى منزلة عند الله منك ، فهذا حق أريد به باطل فإنه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة ، فان معناه أن يشبه ويعطيه ، ليس معناه أنك اذا دعوته أنت ، فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء ، فالنبي والصالح لا يمين على ما يكرهه الله ، ولا يسعى فيما ينفذك اليه ، وإن لم يكن كذلك ، فإله أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت . لماذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا ، فهذا سر القسم الثاني وهو أن يطلب منه الفعل ولا يدعو ، ولكن يطلب أن يدعو له ، كما يقال للحى : ادع لى ، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء ، فهذا مشروع فى الحى ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا واسأل لنا ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل هذا أحد فى الصحابة ولا التابعين ، ولا امر به أحد من الأئمة ، ولا ورد فى ذلك حديث ، بل الذى ثبت فى « الصحيح » : أنهم لما أجذبوا زمن عمر استسقى بالعباس ، رضى الله عنهما ، فقال : اللهم إنا كنا اذا أجذبنا توسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . فلم يجئوا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم قائلين : يا رسول الله . ادع الله ، أو استسق لنا ونحن نشكو اليك ما أصابنا ونحو هذا ، ولم يقله أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يسلمون عليه ، ثم اذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر ، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ، ويدعون الله وحده لا شريك له ، كما كانوا يدعونه فى سائر البقاع .

وفى « الموطأ » وغيره : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وفى السنن أيضا أنه قال : « لا تتخذوا تبرى عيدا ، وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » .

وفى « الصحيح » : أنه قال فى مرضه الذى لم يقم منه : « لمن لله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، لكن خشى أن يتخذ مسجدا .

وفى « سنن أبى داود » عنه أنه قال : « لمن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » (١) .

ولهذا قال العلماء : لا يجوز بناء المساجد على القبور . وقالوا أنه لا يجوز أن ينذر لقبر ، ولا للمجاور عند القبر ، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك ، كله نذر معصية . ولم يقل أحد من أئمة المسلمين : إن الصلاة عند القبور فى المشاهد مستحبة ، ولا أن الدعاء هناك أفضل ، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة فى المساجد وفى البيوت أفضل من الصلاة عند القبر ، لا قبر نبي ولا صالح ، سواء سميت مشاهد أم لا .

وقد شرع الله ذلك فى المساجد دون المشاهد . وقال : « ومن الظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها » (٢) . ولم يقل (فى المشاهد) ، وقال تعالى : « قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » (٣) . وقال تعالى : « أتدعون مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » (٤) .

وذكر البخارى فى « صحيحه » والطبرى وغيره فى تفاسيرهم قوله تعالى : « وقالوا لا تلن آلهتكم ولا تلن ودا ولا سسواما » (٥) . قال : هذه أسماء قوم صالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الأمد ، فاتخذوا تماثيلهم أصناما . فالمكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء ، هو أصل الشرك وعبادة الأوثان .

(١) إسناده ضعيف ، لكن للجملة الاولى والثانية شواهد كثيرة

(٢) الامراف : ٢٩

(٣) البقرة : ١١٤

(٤) نوح : ٢٣

(٥) التوبة : ١٨

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ، فإنه لا يتسبح به ولا يقبل ، وليس في الدين ما شرع تقييله إلا الحجر الأسود .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ويستلم ركنى البيت اللذين يليان الحجر ، ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين . انتهى .

وقال رحمه الله في الرد على ابن البكرى بعد كلام له سبق ذلك من هو الذى جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببا فى الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله ؟ ومن الذى قال : أنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر ، نبيا كان أو غير نبى ، كان ذلك سببا فى حصول الرزق والنصر والهدى ، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ؟ ومن الذى شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذى فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان ؟ فإن هذا المقام يحتاج الى مقدمتين :

أحدهما : أن هذه أسباب لحصول المطالب التى لا يقدر عليها إلا الله .

والثانية : أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فإنه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه . . الى أن قال : وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وأمرا ، فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوه ميتا أو غائبا ، وأن يستغيثوا به سواء أكان عند قبره ، أو لم يكن عند قبره ، بل تقول : سسؤال الميت والغائب نبيا كان أو غير نبى من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ، ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما ضلّم بالاضطرار من دين المسلمين ، فإن أحدا منهم ما كان يقول — إذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة — ليت : يا سبينى فلان . .

أنا في حسبك أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعوهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ، ولا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ، بل ولا أقسم بسخلاق على الله أصلا ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا قبور غير الأنبياء ، ولا الصلاة عندها .

وقد ذكره العلماء كمالك وغيره : أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه ، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف .

وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الترياق المجرب . وقول بعضهم : فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ : إذا (كانت) حاجة فاستغث بي ، أو قال : استغث عند قبري ونحو ذلك ، فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون المفضلة ، وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد ، محدثة في الإسلام ، والسفر إليها محدث في الإسلام ، لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كثره أن يتخذ مسجدا .

وثبت في « الصحيح » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك » .

وقد تقدم أن عمر لما أتجدبوا استسقى بالعباس فقال : « اللهم إنا كنا إذا أتجدبنا توصلنا إليك بنينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فاستقنا — فيسقون » . فلم يذهبوا إلى القبر ، ولا توسلوا ببيت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس ، وكان توسلهم به توسلا بدعائه ، كالامام مع المأموم ، وهكذا تفعل لموته .

• فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين : اللهم انا أسألك بفلان ، أو بجاه فلان ، أو بحرمة فلان ، فهذا لم ينقل لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التابعين •

وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز ، فكيف بقول القائل للميت : أنا استغيث بك واستجير (بك) ، وأنا في حسبك ، أرسل الله لي ، ونحو ذلك ، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قدر أن له تأثيرا ، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح ، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت من تمثل له الشياطين ، وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمته ، وربما قضت له أحيانا بعض حوائجه ، كما تفعل شياطين الأصنام ، فإن أحدا من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته ، إذ هو ينهى عن ذلك ، وأما بعد الموت فهو لا ينهى فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثنا ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تتخذوا قبري عيدا » ، وقال : « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » •

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى : « وقالوا لا تلقوا الموتى » (١) •

ان هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم فوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، ولهذا المعنى لعن النبي الله عليه وسلم الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد • انتهى ملخصا •

وأخرج ابن أبي شيبة ، عن الزبير : أنه رأى قوما يمسحون المقام ، فقال : لم تؤمروا بهذا ، إنما أمرتم بالصلاة عنده •

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة في قول الله تعالى : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » (٢) •

قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه •

ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها • فإن كان المترض يستدل بكلام شيخ الإسلام ، فهذا صريح كلامه المؤيد •

بالأدلة والبراهين ، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ في هذا كثير جدا ،
لو ذكرناه لطل الجواب .

وأما قول المعترض : بل مدح الصرصى - وأثنى عليه بقوله :
قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصى في نظم المشهور ،
فالجواب : أن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره
وقد كذب على « الاقتاع » و « الشفا » ليس في الكتابين الا ما يطل
قوله . وفي الحديث : « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى :
إذا لم تستح فاصنع ما شئت » والا فكلام الشيخ في رد ما يقوله
الصرصى وانكاره موجود بحمد الله .

قال رحمه الله^(١) في رده على ابن البركى بعد وجوب ذكرها :
الثالث أنه أدرج سؤاله أيضا في الاستغاثة به ، وهذا جائز في حياته ،
لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والمات ، وهذا ما علمته لم ينقل
عن أحد من العلماء ، ولكنه موجود في كلام بعض الناس ، مثل الشيخ
يحيى الصرصى ، ففي شعره قطعة ، وكمحمد النعمان ، وهؤلاء لهم
دين وصلاح ، لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام
الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ، وليس معهم دليل شرعى ،
ولا قفل عن عالم مرضى ، بل عادة جبروا عليها كما جرت عادة كثير
من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد فيدعوه ، أكثر منه من
يأتى الى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده ، وهؤلاء ليس لهم
مستند شرعى من كتاب (الله) أو سنة رسوله ، أو قول عن الصحابة
والأئمة ، وليس عندهم الا قول طائفة أخرى : قبر معروف تزياد
مغرب ، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ، ونحو ذلك ، ومعهم أن طائفة
استغاثوا بحى أو ميت ، فأروه قد أتى فى الهواء وقضى بعض الحوائج ،
وهذا كثير واقع ان المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ،
أو الكواكب والأوثان ، فان الشياطين كثيرا ما تتمثل لهم فيه ، وأنها
تخاطب أحدهم ولا يراها .

ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة فى زماننا لطل المقال ،
وكلما كان القوم أعظم جهلا وضلالا ، كانت هذه الأحوال الشيطانية

(١) أبى شيخ الاسلام ابن تيمية .

عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لا يرى أحدا أثناء به ، فتحسب ذلك كراهه ، وإنما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله ، وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان : فأضلهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عباد الأصنام . انتهى ما ذكره شيخ الإسلام — رحمه الله — من إنكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية ، وبين أسبابها .

وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم أن لم يزد على قول صاحب « البردة » لم ينقص عنه . فالجواب : أن هذا من عدم بصيرته ، وكبير جهله ، فإن من له أدنى معرفة وفهم يعلم أن بين قول صاحب « البردة » وقول الصرصري في آياته تماوتا بعيدا ، فقد بهنا على ما يقتضيه كلام صاحب « البردة » من قصر الالهية والربوبية والملك ، وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته ، ودعوة الخلق إلى عبادته وحده ، وجهاد الناس على ذلك ، وبلغ الأمة ما أنزل الله تعالى عليه في الآيات المحكمات في تجريد التوحيد ، والنهي عن الشرك ووسائله كما قدمنا الإشارة إليه .

وأما الصرصري ففي كلامه توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغاثة به بلا قصر ولا حصر للاستغاثة ، والاستغاثة في جناب المخلوق : وقد أنكره شيخ الإسلام — رحمه الله — وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنة ، ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد بين رحمه الله أن استغاثة الحي بالحي إنما هو بدعائه وشفاعته ، وأما الميت الغائب فلا يجوز أن يستغاث به ، وكذلك الحي فينا لا يقدر عليه إلا الله ، وأن أهل الإشراك ليس معهم إلا الجهل والهوى وغشوائد تشبها عليها بلا يرها ، وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية ، وحكاية توفستائية أو منامات فضيلية ، كما قال كعب بن زهير :

فلا يفرئك ما منت وما وعدت أن الأمانى والأفلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوى مجردة فحشوة بالكاذب وليس منهم من يثبت لله — دليل من كتاب أو سنة أو قول واختد من سلف الأمة وأئمتها ، وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والأئمة .

ولو استقصينا ذكر الأدلة : وبسط القول : لاحتمل مجلدا ضخما ،
ومبب الفتنة بقصائد المتأخرين كقصائد البوسيرى والبرعى ، واختيارها
على قصائد شعراء الصحابة ، كحسان بن ثابت . وكعب بن مالك ،
وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضى الله عنهم ، وفيها من
شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر المعشار ،
وما ذلك إلا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد إلى ما
يكرهه الله ورسوله ، فزيناها الشيطان في نفوس الجاهل والضلال ، فمالت
إليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق ،
وما قصروا فيها جهدهم عما يصلح أن يمدح به رسوله صلى الله عليه
وسلم ، وتحروا فيها ما يرضيه ، وتجنبوا ما يسخطه صلى الله عليه وسلم
وما نهى عنه من الغلو .

فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء بن عقيل ، وهو في القرن الخامس .
لما صعبت التكاليف على الجاهل والطفام^(١) ، عدلوا عن أوضاع الشرع
إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ، إذ لم يدخلوا بها تحت
غيرهم قال : وهم عندي كفار بهذه الأوضاع . إلى آخره .

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكره العلامة ابن القيم
رحمه الله ونفعنا بعلومه قال — بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور ، وأن
مقصودها ثلاثة أشياء :

أحدها : تذكر الآخرة والاعتبار والامتياز .

الثاني : الاحسان إلى الميت ، وأن لا يطول عهده به فيتناساه ،
فإذا زاره أو أهدى إليه هدية من دواء أو صدقة ، ازداد بذلك سروره
وفرحه ، ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائر أن يدعو لأهل
القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم
ولا يدعو بهم ولا يصلي عنهم .

الثالث : احسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة ، والوقوف عند
ما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم . وأما الزيارة الشركية فأصلها
مأخوذ من عبادة الأصنام ، قالوا : الميت المعظم الذي لروحه قرب

(١) الطفام : أوغاد الناس ، جمع وفد .

ومزبة عند الله لا يزال تأتية الألطاف من الله ، وتفيض على روحه
الغشيرات ، فإذا علق الزائر روحه به وادناها ، فاض من روح المزور
على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها ، كما ينعكس الشعاع من
المرآة الصافية ، والماء على الجسم المقابل ، قالوا : فتمام الزيارة أن
يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويعكف بهمة عليه ، ويوجه
قصده كله واقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره ، وكلما
كان جمع القلب والهمة عليه أعظم ، كان أقرب الى الاتقاع به .

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والقارابي وغيرهما ، وصرح بها
عباد الكواكب في عبادتها ، وهذا بعينه هو الذي لعباد القبور : (من)
اتخاذها أعيادا ، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج ، وبناء المساجد
عليها ، وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبطاله ومحوه
بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه .
وناقضوه في قصده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شق ،
وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي
ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشفع لهم عند الله ، قالوا فإن العبد
اذ تعلق روحه بروح الوجه المقرب عند الله ، وتوجه بهمة اليه ، وعكف
بقلبه عليه ، صار بينه وبينه اتصال ، يفيض عليه نصيب مما يحصل
له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة ، وقرب من السلطان ،
وهو شديد التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام
والأفضال ، ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به . فهذا سر عبادة
الأصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله ، وتكفير أصحابه
ولعنهم ، وإباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذرارهم ، وأوجب لهم
النار ، والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال
مذهبهم .

قال الله تعالى : « ام اتخلوا من كون الله شفعا ، قل او لو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل الله الشفاعة جميعا له ملك السموات
والأرض ، ثم اليه ترجعون » (١) .

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده ،

وهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه ، فصارت الشفاعة فى الحقيقة المأهولة ، والذى يشفع عنده إنما يشفع بأذنه وأمره بعد شفاعة سبحاته الى نفسه . وهى ارادته من نفسه أن يرحم عبده .

وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهى التى أبطلها الله سبحانه وتعالى بقوله : « **وَالْقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ** » (١) . وقوله : « **مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبْسُغُ فِيهِ وَلَا خَسْلَةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ** » (٢) .

وقال : « **وَاتْلُوهَ الْكِتَابَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يَحْشُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** » (٣) .

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد سبحانه رحمته بعبده اذن هو لمن يشفع فيه . كما قال تعالى : « **مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مَنْ عِنْدَ أَذْنِهِ** » (٤) وقال : « **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** » (٥) .

فالشفاعة بأذنه ليست شفاعة من دونه ، ولا الشافع شفيع من دونه ، بل يشفع بأذنه . والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التى أبطلها شفاعة الشريك ، فانه لا شريك له ، والتى أثبتتها شفاعة العبد المأمور الذى يشفع ، ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول : اشفع فى فلان . ولهذا كان أممنا الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه . وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قوله تعالى : « **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى** » (٦) . وقال تعالى : « **يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا** » (٧) . فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضى قول المشفوع له وأذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة .

(٢) البقرة : ٢٥٤

(٤) يونس : ٣

(٦) الانبياء : ٢٨

(١) البقرة : ٤٨

(٣) الانعام : ٥١

(٥) البقرة : ٢٥٥

(٧) طه : ١٠٩

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الأمر شيء .
وأعلى الخلق وأفضاهم وأكرمهم عندهم هم الرسل والملائكة المقربون ،
وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ، لا يفعلون
شيئا إلا من بعد أذنه لهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ،
فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره وأذنه ، فإذا أشركهم
به المشرك واتخذهم شفعا من دونه ، ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا
وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه ، وما يجب
له ويمتنع عليه ، فإن هذا محال متنع يشبه قياس الرب سبحانه على
الملوك والكبراء . حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له
عندهم في الحوائج .

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون
الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ،
والرب والمربوب ، والسيد والعبد ، والمالك والمملوك ، والغنى والفقر ،
والذى لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره ، فالشفعا
عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فإن قياس مصالحهم ، وهم أعوانهم
وأصيارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم ، ولولاهم لما انسلطت
أيديهم وأستهم في الناس ، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول
شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ، ولم يرضوا عن الشافع ، لأنهم يخافون
أن يردوا شفاعتهم ، فينتقض طاعتهم لهم ويذهبون إلى غيرهم فلا
يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى . فأما الذى غناه من
لوازم ذاته ، وكل ما سواه فقير إليه لذاته ، وكل من فى السموات
والأرض عبيد له ، مهضون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم
جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة .
قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن
يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض
جميعا ، والله ملك السموات والأرض » (١) . قال فى سيدة آى القرآن
آية الكرسي : « له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده
إلا بأذنه » (٢) . وقال : « قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات
والأرض » (٣) .

(١) المائدة : ١٧

(٢) البقرة : ٢٥٥

(٣) الزمر : ٤٤

فاخبر أن ملكه السموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وأن أحدا لا يشفع عنده إلا بأذنه ، فإنه ليس بشريك ، بل سلوك محض ، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم بعض .

فتبين أن الشفاعة التي نقابها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشريكية التي يفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق فيها تارة بناء على أنها هي المعروفة عند الناس ، ويقيدها تارة (بأنها) لا تنفع إلا بأذنه ، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه ، فإنه هو الذي أذن له ، والذي قبل ، والذي رضى عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة . وقوله : فيتخذ الشافع لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ، ومحبوبه ومرجوه ، ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه ، فهو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له .

قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قل اتَّبِعُونِ اللَّهَ بما لا يصلح في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون (١) .

فبين أن متخذي الشفعاء مشركون ، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم .

وسر الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا اذنا ، بل هو سبب محرك له من خارج ، كسائر الأسباب .

وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجل ما يوافق كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه : وقد يكون عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض ، فيقبل شفاعة الشافع ، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الأمران ، فيبقى مترددا بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد ، وبين الشفاعة التي تقتضي القبول ، فيتوقف.

نالى أن يترجى عنه أحد الأمرين بمرجى ، وهذا بخلاف الشفاعة عند
الرب سبحانه ، فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ، وأذن له فيها
ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يمكن أن توجد . والشافع لا يشفع
عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له ، فهو مأمور بالشفاعة ، مطيع بامتثال
الأمر ، فإن أحدا من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك
بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله وخلقته ، فالرب تعالى هو الذى
يحرك الشافع حتى يشفع ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه فى أكثر
أموره ، وهو فى الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبدته ، فالشفوع عنده
محتاج اليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغير ذلك ، كما أن
الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره ، فكل منهما محتاج
نالى الآخر . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد
والشرك ، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعة وما تفاه وأبطله ، ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور . ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله
وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم ، علم أن بين السلف وبين هؤلاء
الخلوف أبعد ما بين المشرق والمغرب ، وأنهم على شيء والسلف على
شيء كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

والأمر أعظم مما ذكرنا . انتهى .

وبه كمل الجواب . والحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على محمد النبى الأمى
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا جزيلا وافيا واقرا .

* * *

الرسالة الرابعة عشرة :

قاعدة جلية في العبادة

تفسيرا لقوله عز وجل : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » تسمى :

العبودية

تأليف الشيخ الامام العالم الرباني ، لوحد العلماء الزهاد

تقى الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام

رحمه الله ، أملاها بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أما بعد .. فقد سئل شيخ الاسلام وعلم الأعلام ، ناصر السنة ،
وقامع البدعة : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله عن قوله عز وجل :
« يا أيها الناس اعبدوا ربكم » (١) .

فما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟
وما حقيقة العبودية ؟ وهل هي أعلى المقامات (في الدنيا والآخرة) ،
أم فوقها شيء من المقامات ؟

والمتوول أن تبسطوا لنا القول في ذلك مأجورين برحمة الله
بوفضه .

فأجاب رحمه الله ورضي عنه : الحمد لله رب العالمين .

العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
والأعمال الباطنة والظاهرة .

فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء
الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والامر
بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكمار والمنافقين ، والاحسان
للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ،
والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك ، من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإلتفات إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وأمثال ذلك : هي من العبادة لله .

وذلك : أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له ، والمرضية له ، التي خلق الخلق لها . . قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (١) .

وبها أرسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه : « اعبدوا الله ما لكم من الله غيره » (٢) .

وكذلك قال هود وصالح وشميب وغيرهم لقومهم وقال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغافوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » (٣) . وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٤) وقال تعالى : « أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٥) .

كما قال في الآية الأخرى : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، إني بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (٦) .

وجعل ذلك لازما لرسوله إلى الموت كما قال : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (٧) . وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : « وإله من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستعصرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٨) . وقال تعالى : « أن الدين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » (٩) وذن المستكبرين عنها بقوله : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (١٠) . ونعت صفوة خلقه بالمبودية له ، فقال تعالى :

(١) الداريات : ٥٦	(٢) الأعراف : ٥٩
(٣) النحل : ٣٦	(٤) الأنبياء : ٢٥
(٥) الأنبياء : ٩٢	(٦) المؤمنون : ٥١ ، ٥٢
(٧) الحجر : ٩٩	(٨) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠
(٩) الأعراف : ٢٠٦	(١٠) غافر : ٦٠

« عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » (١) . وقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » (٢) . ولما قال الشيطان : « رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادة منهم المخلصين » (٣) قال الله تعالى : « هذا صراط على مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من التائبين » (٤) . وقال في وصف الملائكة بذلك :

« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون إلا أن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » (٥) .

وقال تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبئ للرحمن أن يتخذ ولدا . أن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آية يوم القيامة فردا » (٦) .

وقال تعالى عن المسيح الذي ادعت فيه الالهية والنبوة :

« أن هو إلا عبد آتينا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل » (٧) .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « لا تطروني كما أطرات النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » (٨) .

وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله . فقال في الاسراء :

(١) الانسان : ٦ (٢) الفرقان : ٦٣ ، ٦٤

(٣) الحجر : ٣٩ ، ٤٠ (٤) الحجر : ٤١ ، ٤٢

(٥) الانبياء : ٢٦ — ٢٨ (٦) مريم : ٨٨ — ٩٥

(٧) الزخرف : ٥٩

(٨) رواه البخارى في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

« سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا » . وقال فى الإحصاء : « فلو حى الى عبده ما أوحى » (٣) .

وقال فى الدعوة : « وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عاييه لبنا » (٣) .

وقال فى التحدى : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله » (٤) .

فالدين لله ، دخل فى العبادة . وقد ثبت فى « الصحيح » أن جبريل لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة أعرابى وسأله عن الاسلام والايان والاحسان . فقال : « الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » قال : فما الايمان ؟ قال . « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : فما الاحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » . ثم قال فى آخر الحديث : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » . فجعل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دته ، فدان . أى أذلتته فذل . ويقال : تدين الله وتدين لله . أى تعبد الله ونطيعه ، ونخضع له .

فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له .

والعبادة أصل معناها : الذل أيضا . يقال : طريق معبد ، اذا كان مذكلا قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها ، تتضمن معنى الذل ومعنى الحب : فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى ، بغاية المحبة له .

فان آخر مراتب الحب : هو التميم ، وأوله : العلاقة ، لتعلق القلب بالمحجوب ، ثم الصباية ، لانصباب القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو

(٢) النجم : ١٠

(٤) البقرة : ٢٣

(١) الاسراء : ١

(٣) الجن : ١٩

الحب الملازم للقلب ، ثم العشق . وآخرها : التتبع . يقال : تبم الله ، أى عبد الله فالتتبع : المعبد لحيوبه .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدا له . ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وحديثه ولهذا لا يكفي أحدهما فى عبادة الله تعالى . بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع إلا الله ، وكل ما أحب لغير الله فمحبتة فاسدة ، وما عظم بغير أمر الله فعتيية باطل . قال الله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وإبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فترى صوابا حتى يأتى الله بأمره » (١) .

فجنس المحبة ، تكون لله ولرسوله (كالطاعة ، فإن الطاعة لله ولرسوله) والارضاء لله ولرسوله : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » (٢) والابتاء لله ولرسوله : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله » (٣) .

وأما العبادة وما يناسبها : من التوكل والخوف . ونحو ذلك ، فلا تكون إلا لله وحده كما قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقلوا أشهدوا بأننا مسلمون » (٤) . وقال تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقاتوا حسبا لله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون » (٥) فلا يبتاء لله وللرسول ، كقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » (٦) .

وأما الحسب — وهو الكافى — فهو الله وحده ، كما قال تعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبا لله ونعم الوكيل » (٧) . وقال تعالى : « يا أيها

(١) التوبة : ٢٤	(٢) التوبة : ٦٢
(٣) التوبة : ٥٩	(٤) آل عمران : ٦٤
(٥) التوبة : ٥٩	(٦) الحشر : ٧
(٧) آل عمران : ١٧٣	

النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» (١) . اى حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين . الله . ومن منى ان المعنى . حسبك الله والمؤمنون معه ، فقد غلط غلطا فاحشا ، كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع . وقال تعالى : « اليس الله بكاف عبده » (٢) .

وتحرير ذلك : ان العبد يراد به المعبود الذى عبده الله ، فذله ودبره وصرفه ، وبهذا الانتصار : فالمخاوكون كايام عباد الله : الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والكفار ، وأهل الجنة وأهل النار ، اذ هو ، ربهم كلهم ومليكهم ، لا يخرجون عن مشيئة وقدرته . وكلماته التامات التى لا يجاوزها بر ولا فاجر ، فما شاء كان وان لم يشاءوا ، وما شاءوا ان لم يشاء لم يكن ، كما قال تعالى : « افقر دين الله ببغون وله اسما من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » (٣) .

فهو سبحانه رب العالمين ، وخالقهم ورازقهم ، ومحييهم ومميتهم ، ومقلب قلوبهم ، ومصرف أمورهم ، لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ، ولا خالق (لكل شيء ومديره ومسخره) الا هو ، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه ، لكن أهل الايمان منهم عرفوا ذلك (وآمنوا به ، وشكروه بعبودية الالهية : رغبا ورهبا) بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له ، مستكبرا على ربه ، لا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق اذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له ، كان عذابا على صاحبه ، كما قال تعالى : « وجعلوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة الفاسقين » (٤) . وقال تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (٥) . وقال تعالى : « فانهم لا يكتبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » (٦) . فاذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه ، وأنه مفتقر اليه محتاج اليه ، عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ، ويتضرع

(٢) الزمر : ٣٦

(٤) النمل : ١٤

(٦) الانعام : ٣٣

(١) الانفال : ٦٤

(٣) آل عمران : ٨٣

(٥) البقرة : ١٤٦

اليه ويتوكل عليه . لكن تد يطيع أمره وقد يعصيه . وقد يعبد مع ذلك . وقد يعبد الشيطان والأصنام ، ومثل هذه اليهودية لا تسرق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها الرجل مؤمناً ، كما قال تعالى :
« وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » (١) .

فان المشركين كانوا يقولون أن الله خالقهم (ورازقهم) وهم يعبدون غيره قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٢) . وقال تعالى : « قل إن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون » (٣) .

وكثير من يتكلم فى الحقيقة : فيشهدها ، لا يشهد الا هذه الحقيقة وهى الحقيقة الكونية التى يشترك فيها ونفى شهودها وفى معرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر . بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة : وأهل النار . قال إبليس : « رب فانظرنى الى يوم يبعثون » (٤) . وقال : « رب بما أغسويتنى لازين لهم فى الأرض ولاغسويتهم اجمعين » (٥) . وقال : « فبعزتك لأغسويتهم اجمعين » (٦) . وقال « أرايتك حسداً الذى كرمت على لئن أخترتن » (٧) .

وأمثال هذا من الخطاب الذى يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره . وكذلك أهل النار قالوا : « ربنا قلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين » (٨) . وقال تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، قال ليس هذا بالحق ، قالوا بلى وربنا » (٩) .

-
(١) يوسف : ١٠٦	(٢) الزمر : ٣٨
(٣) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩	(٤) سورة ص : ٧٩
(٥) الحجر : ٣٦	(٦) سورة ص : ٨٢
(٧) الاسراء : ٦٢ ، وتامها : « ... الى يوم القيامة لاحتكن ذريته . الا قليلا » .	(٨) المؤمنون : ١٠٦
(٩) الانعام : ٢٠	

فمن وقف عند هذه الحقيقة (وعند شهودها ، ولم يتم بها أمر الله به من الحقيقة الدينية) التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعته أمره ، وأمر رسوله ، وكان من جنس إبليس ومن أهل النار ، فإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان ، كان من شر أهل الكفر والالحاد .

ومن ظن أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك ، كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد ، وهو العبد بمعنى العابد ، فيكون عابداً لله ، ولا يعبد إلا إياه ، فيطيع أمره وأمر رسوله ، ويوالي أوليائه المؤمنين المتقين ، ويمادى أعداءه (الكافرين والفاسقين) .

وهذه العبادة متعلقة بالالهية لله تعالى ، ولهذا كان عنوان التوحيد : « لا إله إلا الله » بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده ، أو يعبد معه الها آخر .

فالاله : هو الذي يألوه القلب بكمال الحب والتعظيم ، والاجلال والاكرام ، والخوف والرجاء ، ونحو ذلك .

وهذه العبادة : هي التي يحبها الله ويرضاها ، وبها وصف المصطفين من عباده ، وبها بعث رسوله . وأما العبد : بمعنى المعبود ، سواء أقر بذلك أو أنكره ، فذلك المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر .

وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته ، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية ، كان من اتباع إبليس اللعين ، والكافرين برب العالمين ، ومن اكتفى فيها ببعض الأمور دون بعض ، أو في مقام (دون مقام) أو حال (دون حال) ، نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية ، وهذا مقام عظيم غلط فيه الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه أكابر الشيوخ المدعين للتحقيق والتوحيد والعرفان ، ما لا يحصيه إلا الله الذي يعلم السر والاعلان .

والى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه . فينبغي

أن كثيرا من الرجال اذا ردوا الى القضاء والقدر أمسكوا . الا اذا الفاني انفتحت لي فيه روزرة^(١) . فنازعت اقدار الحق بالحق الذي : والرجل من يكون منازعا للقدر ، لا من يكون موافقا للقدر .

والذي ذكره الشيخ رحمه الله هو الذي امر الله به ورسوله . ولعن كثيرا من الرجال غلطوا فيه ، فاتهم قد يشهدون ما يقدر على أنفسهم من المعاصي والذنوب ، أو ما يقدر على الناس من ذلك ، بل من الكفر ، ويشهدون أن هذا جار بشيئة الله وقضائه وقدره ، داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته ، فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك ، دين وطريق وعبادة ، فيضاهون المشركين الذين قالوا : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء »^(٢) . وقالوا : « أنظعم من لو يشاء الله أطعمه »^(٣) . وقالوا : « لو شاء الرحمن بما عبناهم »^(٤) .

ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به ، ونصبر على موجه في المصائب التي تصيبنا ، كالكفر والمرض والخوف قال تعالى : « ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه »^(٥) .

قال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم . وقال تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، أن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »^(٦) .

وفي « الصحيحين » : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احتج آدم وموسى ، فقال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ؟ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك

(١) الروزنة : الكوة ، وهي خرق في الحائط ، كالنافذة .

(٢) الانعام : ١٤٨ (٣) يس : ٤٧

(٤) الزخرف : ٢٠ (٥) التغابن : ١١

(٦) الحديد : ٢٢ ، ٢٣

الله برسالاته وبكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل أن أخلق آدم قال : نعم . قال فحجج آدم موسى .

وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر فلنا أن المذنب يحتج بالقدر . فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ، ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس . وقوم نوح ، وقوم هود ، وكل كافر . ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب ، فان آدم قد تاب الى ربه فاجتبه وهدي ، ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة . ولهذا قال : « فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ » فأجابه آدم أن هذا كان مكتوبا على قبل أن أخلق .

فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرا ، وما قدر من المصائب يجب الاستسلام ، فانه من تمام الرضاء بالله ربا .

وأما الذنوب ، فليس للعبد أن يذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من صنوف المعاييب ويصبر على المصائب . قال تعالى : « فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك » (١) وقال تعالى : « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » (٢) . وقال : « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (٣) . وقال يوسف عليه السلام : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين » (٤) . وكذلك ذنوب العباد ، يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين ، يصادى أعداء الله ، ويحب في الله ويبغض في الله ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالوعدة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وأياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالوعدة وانا اعلم بما اخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعل ذلك فليس منى فله نصيب مما نكسب » (٥) . ان يتفقواكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القياسة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير .

(٢) آل عمران : ١٢٠

(٤) يوسف : ٩٠

(١) غافر : ٥٥

(٣) آل عمران : ١٨٦

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقسومهم أنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم المداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده (١) .

وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » (٢) . وقال : « أفجعل المسلمين كالجرمين » (٣) . وقال : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (٤) . وقال تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » (٥) . وقال تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا النور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٦) . وقال تعالى : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا » (٧) وقال تعالى : « ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ، هل يستويان ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يات بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » (٨) . وقال تعالى : « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » (٩) .

ونظائر ذلك ما يفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل ، وأهل الطاعة والمصية ، وأهل البر والفجور ، وأهل الهدى والضلال ، وأهل النى والرشاد ، وأهل الصدق والكذب .

فمن شهد الحقيقة الكونية دون (الحقيقة) الدينية ، سوى بين هذه الأصناف المختلفة التي فرق الله بينها غاية التفريق حتى تؤول

(١) المتحنة : ١ - ٤	(٢) المجادلة : ٢٢
(٣) القلم : ٣٥	(٤) سورة ص : ٢٨
(٥) الجاثية : ٢١	(٦) فاطر : ١٩ - ٢٢
(٧) الزمر : ٢٩	(٨) النحل : ٧٥ ، ٧٦
(٩) الحشر : ٢٠	

به هذه التسوية الى أن يسوى بين الله وبين الأصنام . كما قال تعالى عنهم : « تالله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب المصالحين » (١) .

بل قد آل الأمر بهؤلاء الى أن سبوا الله بكل موجود وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقاً لكل موجود ، اذ جعلوه هو وجود المخلوقات ، وهذا من أعظم الكفر والالحاد برب العباد ، وهؤلاء يصل بهم الكفر الى أنهم لا يشهدون أنهم عباد الله ، لا بمعنى أنهم معبودون ، ولا بمعنى أنهم عابدون ، اذ يشهدون أنفسهم هي الحق ، كما صرح بذلك طواغيتهم ، كابن عربي صاحب « الفصوص » وأمثلة الملحدين المقترين ، كابن سبعين وأمثلة ، ويشهدون أنهم هم المعابدون والمعبودون .

وهذا ليس بشهود للحقيقة ، لا الكونية ولا الدينية ، بل هو ضلال وعنى عن شهود الحقيقة الكونية ، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق ، وجعلوا كل وصف مذموم ومندوح نفساً للخالق والمخلوق ، اذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم .

وأما المؤمنون بالله ورسوله ، عوامهم وخواصهم ، الذين هم أهل القرآن ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان لله أهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصته » (٢) .

فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأن الخالق سبحانه مبين للمخلوق ليس هو حال فيه ، ولا متحد به ، ولا وجوده وجوده . والنصارى انما كفرهم الله اذ قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خاصة . فكيف من جعل ذلك عاماً في كل مخلوق ؟ ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، وأنه لا يجب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن على الخلق

(١) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨

(٢) رواه أحمد في المسند ، وسنده حسن .

أن يعبدوه فيطيعوا أمره ، ويستعينوا به على كل ذلك ، كما قال في فاتحة الكتاب : « أياك نعبد وأياك نستعين » (١) .

ومن عبادته وطاعته : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان ، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق ، فيجتهدون في اقامة دينه ، مستعينين به ، رافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات ، دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع العاثر بالاكل ، ويدفع به الجوع المستقبل ، وكذلك اذا آن أوان البرد دفعه باللباس ، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه ، كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. أرايت أدوية تداوى بها ، ورقى نترقى بها ، وتقى تتقى بها : هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : « هي من قدر الله . وفي الحديث : « أن الدعاء والبلاء يلتقيان ، فيعتلجان بين السماء والأرض » .

فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله ، العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة .

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية — وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ، ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الدينى الشرعى على مراتب فى الضلال .

فعلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما ، فيحتجون بالقدر فى كل ما يخالفون فيه الشريعة .

وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء » (٢) . وقالوا : « لو شاء الرحمن ما عبدناهم » (٣) .

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا ، بل كل من احتج بالتندر فاته تناقض . فانه لا يمكن أن يقر كل آدمى على ما يفعل ، فلا بد اذا ظلمة ظالم ، أو ظلم الناس ظالم ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وأخذ يفسك دماء الناس ، ويستحل الفروج ، ويهلك الحرث والنسل ونحو

(٢) الانعام : ١٤٨

(١) الفاتحة : ٥

(٣) الزخرف : ٢٠

ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها ، أن يدفع هذا القدر ، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله . فيقال له : إن كان القدر حجة ، فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك ، وإن لم يكن حجة بطل قولك : « إن القدر حجة » .

وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية ، لا يترددون هذا القول ولا يلتزمونه ، وإنما هم يتبعون آراءهم وأهواءهم ، كما قال فيهم بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصية جبرى ، أى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة ، ويزعمون أن الأمر والنهى لازم لمن شهد لنفسه أفعالا ، وأثبت له صفات ، أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور على ذلك ، وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات ، فإنه يرتفع عند الأمر والنهى ، والوعد والوعيد .

وقد يقولون : من شهد الإرادة سقط عنه التكليف . ويزعمون أن الخضر سقط عنه التكليف لشهود الإرادة .

فهؤلاء : يفرقون بين العامة ، والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية . فشهدوا أن الله خالق العباد ، وأنه مريد ومدبر لجميع الكائنات . وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما . وبين من يراه شهودا . فلا يسقطون التكليف ممن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ، ولكن (يسقطونه) ممن يشهده ، فلا يرى لنفسه فعلا أصلا .

وهؤلاء (لا) يجتأون التجبر وإثبات القسدر مانعا من التكليف على هذا الوجه .

وقد وقع فى هذا طوائف من المنتسبين الى التحقيق والمعرفة والتوحيد .

وسبب ذلك : أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد (لا) يؤمر بما يقدر عليه . كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك .

ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهى الشرعيين دون القضاء والقدر ، اللذين هما إرادة الله العامة وخلقه لأفعال العباد . وهؤلاء أثبتوا القضاء

والقدر ، ونفوا الأمر والنهى نى حىق من شوا القدر ، اذ لم يكنهم
نهى ذلك مطلقا .

وقول هؤلاء شر من تول المعتزلة ، ولهذا لم يكن نى السلف من
هؤلاء أحد وهؤلاء يجاون الأمر والنهى للمجوين الذين لم يشهدوا
هذه الحقيقة الكونية ، ولهذا يسقطون عن وصل الى شهود هذه
الحقيقة الأمر والنهى ، ويقولون : انه صار من الخاصة ، وربما تأولوا
على ذلك قوله تعالى : « واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » (١) .
فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة .

وقول هؤلاء كفر صريح ، وان وقع فيه (بالتقليد) طوائف لم يعلموا
انه كفر ، فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن الأمر والنهى
لازمان لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى أن يموت ، لا يسقطان عنه ،
لا بشهوده القدر ، ولا بغير ذلك . فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له ،
فان أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهى ، فانه يقتل (كبرا) ، وقد كثرت
مثل هذه المقالات فى المستأخرين .

وأما المتقدمون من هذه الأمة ، فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم
وهذه المقالات هى معادة الله ورسوله ومعاداة له . وصعد عن سبيله
ومشاقة له ، وتكذيب لرسله ، ومضادة له فى حكمه ، وان كان من يقول
هذه المقالات قد يجعل ذلك ، ويعتقد أن هذا الذى هو عليه ، هو طريق
الرسول ، وطريق أولياء الله المحققين ، فهو فى ذلك بمنزلة من يعتقد أن
الصلاة لا تجب عليه ، لاستغناؤه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية ،
أو أن الخمر حلال له ، لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر ،
أو أن الفاحشة حلال له ، لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك .

فلا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسول يترددون بين البدعة
المخالفة لشرع الله ، وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله ،
فهذه الأصناف فيهم شبهة من المشركين (لأنهم) اما أن يبتدعوا ،
واما أن يحتجوا بالقدر ، واما أن يجمعوا بين الأمرين ، كما قال تعالى

عن المشركين : « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ، اتقولون على الله ما لا تعلمون » (١) ، وكما قال تعالى عنهم : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء » (٢) .

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام وعبادة الله بما لم يشرع الله ، في مثل قوله تعالى : « وقالوا هذه أنعام وحرت حجر لا ينلمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه » (٣) إلى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله : « يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة » إلى قوله : « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ، اتقولون على الله ما لا تعلمون . قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » إلى قوله : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، ألا لا يحب المرففين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » إلى قوله : « إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والآنم والبغى بغير الحق وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (٤) .

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع : حقيقة ، كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم : هو (الرياضة) والسلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع وفيه ، ولكن بما يراه هو ويذوقه ، ويجده (في قلبه النافل الضال عن الله) ونحو ذلك .

وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا ، بل عديتهم اتباع آرائهم وأهوائهم ، وجعلهم ما يرونه وما يهوونه حقيقة وبأمروا باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله ، نظير بدع أهل الكلام من الجبهة وغيرهم ، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها ، دون ما دلت عليه السميات ثم الكتاب والسنة ، أما أن يحرفوا القول فيهما عن مواضعه ، وأما أن يعرضوا عنه بالكلية ،

(١) الأعراف : ٢٨ (٢) الأنعام : ١٤٨
(٣) الأنعام : ١٣٨ (٤) الأعراف : ٢٧ — ٣٢

فلا يتدبرونه ولا يعقلونه ، بل يقولون : تفوض معناه الى الله ، مع اعتقادهم تقضى مدلوله .

واذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقلية المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة ، وكذلك أولئك (الصوفية) اذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله ، المخالفة للكتاب والسنة ، وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أوليائه .

وأصل كل ضلال من ضل ، انما هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله ، وتقديم اتبع الهوى على أمر الله . فان الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد ويصواه . فكل محب له ذوق ووجد بحسب معتبه ومواه .

فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد ، مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه ما سواه ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « ذاق لحيم الايمان : من رضى بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً » (٢) . وأما أهل الكفر والبدع والشهوات ، فكل بحسبه .

قيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم ؟ فقال : انسييت قوله تعالى : « واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم » (٣) ، أو نحو هذا من الكلام .

فعباد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله آئداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » (٤) . وقال : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون

(١) رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه .

(٢) رواه مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

(٣) البقرة : ٩٣ . (٤) البقرة : ١٦٥ .

(٢٤ — مجموعة التوحيد)

اهواءهم ، ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله (١) . وقال :
« ان يتعبون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم
الهدى (٢) » .

وليدا يسل هؤلاء ، ويفربون بسماع الشعر والأصوات (والآلات
الموسيقية) التي تهيج المحبة المطلقة ، التي لا تختص بأهل الايمان ،
بل يشترك فيها محب الرحمن ، ومحب الأوتان ، ومحب الصلبان ،
ومحب الأوطان ، ومحب الاخوان ، ومحب المردان ، ومحب النسوان ،
وهؤلاء (هم الذين) يتبعون أذواتهم ومواجيدهم ، من غير اعتبار
لذلك بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة .

فالخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده ، وطاعته
وطاعة رسوله ، لا يكون متبعا لدين شرعه الله أبدا ، كما قال تعالى :
« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين
لا يعلمون . انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم
أولياء بعض ، والله ولي المتقين (٣) » بل يكون متبعا لهواه بغير هدى
من الله ، قال تعالى : « ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
يأذن به الله (٤) » .

وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة ، ويقدمونها
على ما شرعه الله . وتارة يحتجون بالقدر الكونى على الشريعة ، كما
أخبر الله عن المشركين كما تقدم .

ومن هؤلاء طائفة هم أعلامهم عندهم قدرا ، وهم مستسكون
بما اختاروا بهواهم من الدين في أداء الفرائض المشهورة ، واجتناب
المحرمات المشهورة ، لكن يضلون بترك ما أمروا به من الأسباب التي
هي عبادة ، ظانين العارف اذا شهد القدر أعرض عن ذلك ، مثل من
يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة ،
بناء على أن من شهد القدر ، علم أن ما قدر سيكون ، فلا حاجة الى ذلك
وهذا ضلال مبين .

فان الله قدر الأشياء بأسبابها ، كما قدر السعادة والشقاوة

(١) القصص : ٥٠ (٢) النجم : ٢٣
(٣) الجاثية : ١٨ ، ١٩ (٤) الشورى : ٢١

بأسبابها ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق للجنة أهلا خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون ، وخلق للنار أهلا ، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ، ويعمل أهل النار يعملون » (١) .

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم : بأن الله كتب المقادير ، فقالوا : يا رسول الله .. أنفلا ندع العمل ، وتكمل على الكتاب ؟ فقال : « لا ، اسعوا ، فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة » (٢) .

فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة ، كما في قوله تعالى : « فاعبده وتوكل عليه » (٣) . وفي قوله : « قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب » (٤) .

وقول شعيب عليه السلام : « عليه توكلت واليه أنيب » (٥) .
ومنهم طائفة قد تركت المستحبات من الأعمال دون الواجبات ، فتقص بقدر ذلك .

ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة ، ونحو ذلك ، فيشتغل أحدهم بهذه الأمور عما أمر به من العبادة والشكر ، ونحو ذلك . فهذه الأمور : ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه ، وإنما ينجو العبد منها بسلازمة أمر الله الذي بعث به رسوله ، في كل وقت ، كما قال الزهري : كان من مضى من ملئنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة . وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان :
أحدهما : أن لا يعبد الا الله .

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) هود : ١٢٣ .
(٤) الرعد : ٣٠ .
(٥) هود : ٨٨ .

الثاني : أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع ، لا يعبد بشيء غير ذلك من
الاهواء والظنون والبدع ، قال تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
علا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (١) .

وقال تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره
عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) . وقال تعالى :
« ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم
حنيفاً ، واتخذ الله إبراهيم خليلاً » (٣) .

فالعمل الصالح : هو الاحسان وهو فعل الحسنات ، والحسنات :
هي ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب .

فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ، ولا في صحيح
السنة ، فأنها — وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل — ليست
مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من
العمل الصالح كما أن من يعمل ما لا يجوز ، كالفواحش والظلم ليس من
الحسنات ولا من العمل الصالح .

وأما قوله : « ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٤) . وقوله :
« أسلم وجهه لله » (٥) . فهو اخلاص الدين لله وحده ، وكان عمر

ابن الخطاب يقول : اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله لوجهك
خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا . وقال الفضيل بن عياض في قوله
تعالى : « ليلبسواكم أيكم أحسن عملا » (٦) ، قال : اخلصه وأصوبه ،
قالوا : يا أبا علي ، اخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا
ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ،
حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص : أن يكون لله . والصواب :
أن يكون على السنة .

فإن قيل : فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة
فلماذا عطف عليها غيرها ؟ كقوله في فاتحة الكتاب : « إياك نعبد

(٢) البقرة : ١١٢

(٤) الكهف : ١١٠

(٦) الملك : ٢

(١) الكهف : ١١٠

(٣) النساء : ١٢٥

(٥) البقرة : ١١٢

واياله نستعين» . وقوله لنبيه : « فاعبدنه وتوكل عليه » (١) .
 وقول نوح : « اعبدوا الله واتقوه واطيعون » (٢) . وكذلك قول غيره
 من الرسل ؟ قيل : هذا له نظائر ، كما في قوله : « ان الصلاة تنهى
 عن الفحشاء والمنكر » (٣) والفحشاء من المنكر ، وكذلك قوله :
 « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
 والمنكر والبغى » (٤) .

وايتاء ذى القربى : هو من العدل والاحسان ، كما أن الفحشاء
 والبغى من المنكر ، وكذلك قوله : « والذين يمسكون بالكتاب واقيموا
 الصلاة » (٥) . واقامة الصلاة من اعظم التمسك بالكتاب . وكذلك
 قوله عن انبيائه : « انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
 ورهبا » (٦) . ودعائهم رغبا ورهبا من الخيرات ، وامثال ذلك
 في القرآن كثير .

وهذا الباب : يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر ، فيعطف
 عليه تخصيصا له بالذكر ، لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص .

وتارة تنوع دلالة الاسم بحال الافراد والاقتران . فاذا أفرد عم ،
 واذا قرن بغيره خص ، كاسم « الفقير » و « المسكين » لما أفرد
 أحدهما في مثل قوله : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » (٧)
 وقوله : « اطعموا عشرة مساكين » (٨) دخل في الآخر . ولما قرن
 بينهما في قوله : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » (٩) صاروا نوعين .
 وقد قيل : ان الخاص المعطوف على العام ، لا يدخل في العام
 حال الاقتران ، بل يكون من هذا الباب .

والتحقيق ان هذا ليس لازما . قال تعالى : « من كان عسودا لله
 وملائكته ورسوله وجبريل وميكال » (١٠) . وقال تعالى : « واذا اخذنا

(١) هود : ١٢٣	(٢) نوح : ٣
(٣) المنكبات : ٤٥	(٤) النحل : ٩٠
(٥) الاعراف : ١٧٠	(٦) الانبياء : ٩٠
(٧) البقرة : ٢٧٣	(٨) المائدة : ٨٩
(٩) التوبة : ٦٠	(١٠) البقرة : ٩٨

من النبيين ميشاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم (١) .

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة ، تارة لكونه
خاصية ليست لسائر أفراد العام ، كما فى نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى ، وتارة لكون العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم ،
كما فى قوله : « هدى للمقتين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون . » والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك (٢) . فقول : « يؤمنون بالغيب » يتناول كل الغيب الذى
يجب الايمان به . لكن فيه اجمال . فليس فيه دلالة على أن من الغيب :
ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون
بالمخبر به ، وهو الغيب ، وبالاخبار بالغيب ، وهو ما أنزل عليك
وما أنزل من قبلك .

ومن هذا الباب : قوله تعالى : « أتى ما أوحى إليك من الكتاب
واقم الصلاة » (٣) . وقوله : « والذين يمسكون بالكتاب واقاموا
الصلاة » (٤) . وتلاوة الكتاب : هى اتباعه والعمل به ، كما قال
ابن مسعود فى قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته » (٥) . قال : يحلون حسله ويحرمون حرامه ، ويؤمنسون
بمشاربه ، ويعملون بمحكمه . فاتباع الكتاب : يتناول الصلاة وغيرها
لكن خصها بالذكر لمزيتها . وكذلك قال موسى : « اننى انا الله لا اله الا انا
فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى » (٦) . واقام الصلاة للذكره : من اجل
عبادته . وكذلك قوله تعالى : « اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » (٧) .
وقوله : « اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » (٨) . وقوله :
« اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٩) فان هذه الامور هى ايضا من
تمام تقوى الله ، وكذلك قوله : « فاعبدوه وتوكل عليه » (١٠) .

(٢) البقرة : ٢ - ٤

(٤) الاحزاب : ١٧٠

(٦) طه : ١٤

(٨) المائدة : ٣٥

(١٠) هود : ١٢٣

(١) الاحزاب : ٧

(٣) العنكبوت : ٤٥

(٥) البقرة : ١٢١

(٧) الاحزاب : ٧٠

(٩) التوبة : ١١٩

فإن التوكل هو الاستعانة : وهي من عبادة الله ، لكن خصت بالذكر ،
ليقصدها المتعبد بخصوصها . فأنها هي العون على سائر أنواع العبادة ،
أذ هو سبحانه لا يعبد إلا بمعونته .

إذا تبين هذا فكمال المخلوق : في تحقيق عبوديته لله ، وكلما ازداد
العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته . ومن توهم أن المخلوق
يخرج من العبودية بوجه من الوجوه ، أو أن الخروج عنها أكمل ،
فهو من أجل الخلق بل من أجلهم . قال تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من
خشيته مشفقون » (١) . وقال تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا .
لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال خبا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا .
أن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم
وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا » (٢) وقال تعالى في المسيح :
« أن هو إلا عبد آتينا عليه وجمالنا مثلا لبنى إسرائيل » (٣) .
وقال تعالى : « وله من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستعصرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٤) .
وقال تعالى : « أن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ،
ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيسوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله ،
واما الذين استكفوا واستكبروا فيعلمهم عذابا اليما ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا » (٥) . وقال تعالى : « وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ، أن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
ناخرين » (٦) . وقال تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس
والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن أن كنتم
إياه تعبدون . فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار

(٢) مريم : ٨٨ — ٩٥

(٤) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠

(٦) غافر : ٦٠

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٨

(٣) الزخرف : ٥٩

(٥) النساء : ١٧٢ ، ١٧٣

وهم لا يسمعون (١) . وقال تعالى : « واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغضو والأصم ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبغونه وله يسجنون » (٢) .

وهذا ونحوه مما فيه وصف آكابر الخلق بالعبادة ، وذنم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن ، وقد أخبر أنه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٣) . وقال : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت » (٤) .

وقال تعالى لبنى اسرائيل : « يا عبادى الذين آمنوا ان ارض واسمة فايها فاعبدون » (٥) . « وايها فاتقون » (٦) . وقال : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٧) . وقال : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٨) . وقال تعالى : « قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين . وامرت لان اكون اول المسلمين . قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله اعبد مخلصا له دينى . فاعبدوا ما شئتم من دونه » (٩) .

وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله ، كقول نوح ومن بعده عليهم السلام في سورة الشعراء وغيرها : « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (١٠) .

وفى « المسند » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري » (١١) .

-
(١) فصلت : ٣٧ ، ٣٨	(٢) الأعراف : ٢٠٥ ، ٢٠٦
(٣) الأنبياء : ٢٥	(٤) النحل : ٣٦
(٥) العنكبوت : ٥٦	(٦) البقرة : ٤١
(٧) البقرة : ٢١	(٨) الداريات : ٥٦
(٩) الزمر : ١١ - ١٥	(١٠) المؤمنون : ٣٢
(١١) رواه البخارى تعليقا ، وابن داود . قال الحافظ ابن حجر : اسناده حسن .	

وقد بين أن عباده المخلصين . وهم الذين ينجون من السيئات التي زينها الشيطان . قال الشيطان : « رب بما اغويتني لأزين لهم في الأرض ولاغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين » (١) . وقال تعالى : « هذا صراط على مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الفاوين » (٢) . وقال : « فبمزتك لاغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين » (٣) .

وقال في حق يوسف : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، أنه من عبادنا المخلصين » (٤) . وقال تعالى : « سبحان الله عما يصفون ، إلا عباد الله المخلصين » (٥) .

وقال : « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » (٦) .

وبالعبودية نعت كل من اصطفى من خلقه في قوله : « والذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا اخالصناهم بخالصة ذكرى الدار . وأنهم عندنا من المصطفين الأخيار » (٧) .

وقوله : « والذكر عبادنا داوود ذا الأيد إنه أواب » (٨) . وقال عن سليمان : « نعم العبد ، إنه أواب » (٩) . وعن أيوب : « نعم العبد » (١٠) . وقال عنه : « والذكر عبادنا أيوب إذ نادى ربه » (١١) . وقال من نوح عليه السلام : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » (١٢) .

وقال من خاتم رسله : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » (١٣) . وقال : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » (١٤) .

(٢) الحجر : ٤١ ، ٤٢	(١) الحجر : ٣٩ ، ٤٠
(٤) يوسف : ٢٤	(٣) سورة ص : ٨٢ ، ٨٣
(٦) النحل : ٩٩ ، ١٠٠	(٥) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠
(٨) سورة ص : ١٧	(٧) سورة ص : ٤٥ - ٤٧
(١٠) سورة ص : ٤٤	(٩) سورة ص : ٣٠
(١٢) الاسراء : ٣	(١١) سورة ص : ٤١
(١٤) الجن : ١٩	(١٣) الاسراء : ١

وقال : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » (١) . وقال
« فإوحى إلى عبده ما أوحى » (٢) . وقال : « عينا يشرب بها
عباد الله » (٣) . وقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على
الأرض هونا » (٤) . ومثل هذا كثير متعدد في القرآن .

* * *

فصل

إذا تبين ذلك ، فمعلوم أن الناس يتفاضلون في هذا الباب تفاضلا
عظيما ، وهو تفاضلهم في حقيقة الايمان ، وهم ينقسمون فيه الى عام
وخاص ، ولهذا كانت الهية الرب لهم فيها عموم وخصوص ، ولهذا كان
الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل . وفي « الصحيح » عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تمس عبد الدرهم ، تمس
عبد الدينار ، تمس عبد القطيفة ، تمس عبد الخميصة ، تمس واتكس ،
وإذا شيك فلا انتقش » . ان أعطى رضى ، وان منع سخط » (٥) .
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم : عبد الدرهم ، وعبد الدينار ،
وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة ، وذكر ما فيه دعاء وخبرا ، وهو قوله :
« تمس واتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » والنقش : اخراج الشوكة
من الرجل ، والمنتقش : ما يخرج به الشوكة ، وهذه حال من اذا أصابه
شر لم يخرج منه ، ولم يفلح لكونه تمس واتكس . فلا نال المطلوب ،
ولا خلاص من المكروه ، وهذه حال من عبد المال ، وقد وصف ذلك
بأنه اذا أعطى رضى ، واذا منع سخط . كما قال تعالى : « ومنهم من
يلزمك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون » (٦) .

فرضاهم لغير الله ، وسخطهم لغير الله ، وهكذا حال من كان

(١) البقرة : ٢٣
(٢) الانسان : ٦
(٣) النجم : ١٠
(٤) الفرقان : ٦٣
(٥) رواه البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٦) التوبة : ٥٨

متعلقا برئاسة أو بصورة ، ونحو ذلك من أهواء نفسه ، ان حصل له رضى ، وان لم يحصل له ، يخط . فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، اذ الرق والعبودية فى الحقيقة : هو رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فالقلب عبده ولهذا يقال :

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع

وقال القائل :

أطعت مطامعى فاستعبدتنى ولو أنى قنعت لكنت حرا

ويقال : الطمع غل فى العنق . وقيد فى الرجل ، فاذا زال الغل من العنق ، زال القيد من الرجل . ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قال : « الطمع فقير ، والياس غنى ، وان أحدكم اذا يئس من شيء استغنى عنه » . وهذا أمر يبعده الانسان من نفسه ، فان الأمر الذى يئس منه لا يطلبه ، ولا يطعم فيه ، ولا يبقى قلبه فقيرا اليه ، ولا الى من يفعله . وأما اذا طمع فى أمر من الأمور ورجاه ، فان قلبه يتعلق به ، فيصير فقيرا الى حصوله ، والى من يظن أنه سبب فى حصوله ، وهذا فى المال والجاه والصور وغير ذلك . قال الخليل صلى الله عليه وسلم : « فابتغوا عند الله الرزق وامبدوه واشكروا له ، اليه ترجعون » (١) .

فالعبد لا بد له من رزق ، وهو محتاج الى ذلك ، فاذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله ، فقيرا اليه ، واذا طلبه من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه . ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة فى الأصل ، وانما أبيحت للضرورة . وفى النهى عنها أحاديث كثيرة فى « الصحاح » و « السنن » و « المسانيد » . كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة من لحم » (٢) . وقال : « من سأل الناس وله ما يفتنيه جاءت مسأله يوم القيامة خدوشا - أو خموشا ، أو كدوشا - فى وجهه » (٣) .

(١) العنكبوت : ١٧

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بمعناه عن جابر رضى الله عنه . قال

الحافظ المنذرى : بلسناد لا بأس به .

وقوله : « لا تحل المسألة الا لذي غرم منقطع ، أو دم موجه ، أو فقر مدقع »^(١) . وهذا المعنى فى « الصحيح » وفيه ايضا : « لأن يأخذ أحدكم (أ) حبله فيذهب فيعتطب . خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه »^(٢) . وقال : « ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ، ولا مستشرف فخذ ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك »^(٣) . فكره أخذه مع سؤال اللسان ، واستشرف القلب ، وقال فى الحديث الصحيح : « من يستغن يغنه الله . ومن يستعفف يعنه الله . ومن يتصبر يصبره الله . وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر »^(٤) . وأوصى خواص أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا . وفى « المسند » : أن أبا بكر كان يسقط السوط من يده ، فلا يقول لأحد فاولنى إياه ، ويقول : « ان خيلى أمرنى أن لا أسأل الناس شيئا »^(٥) . وفى « صحيح مسلم » وغيره ، عن عوف بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم بآيمه فى طائفة ، وأسر اليهم كلمة خفية : « أن لا تسألوا الناس شيئا » . فكان بعض أولئك نفر يسقط السوط من يد أحدهم ولا يقول لأحد فاولنى إياه .

وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق ، والنهى عن مسألة المخلوق فى غير موضع . كقوله تعالى : « فإذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب »^(٦) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « اذا سألت فاسأل

-
- (١) رواه أبو داود والبيهقى عن انس بن مالك رضى الله عنه .
 (٢) رواه البخارى وابن ماجه وغيرهما عن الزبير بن العوام رضى الله عنه .
 (٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
 (٤) رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .
 (٥) وفى سنده انقطاع . قال الحافظ المنذرى : ابن أبى مليكة — يعنى يروى الحديث — لم يدرك أبا بكر .
 (٦) الشرح : ٧ ، ٨

الله ، واذا استعنت فاستعن بالله « (١) . ومنه قول الخليل :

« فابتنوا عند الله الرزق » (٢) .

ولم يقل : فابتنوا الرزق عند الله ، لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر ، كأنه قال : « لا تبتنوا الرزق الا عند الله » . وقد قال تعالى : « واسألوا الله من فضله » (٣) .

والانسان لا بد له من حصول ما يحتاج اليه من الرزق ونحوه ، ودفع ما يضره ، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله ، فلا يسأل رزقه الا من الله ، ولا يشتكى الا اليه ، كما قال يعقوب عليه السلام : « انما اشكوا بشي وحزنى الى الله » (٤) .

والله تعالى ذكر في القرآن الهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل ، وقد قيل : ان الهجر الجميل : هو هجر بلا أذى ، والصفح الجميل : صفح بلا معاتبة ، والصبر الجميل : صبر بغير شكوى الى المخلوق . ولهذا قرىء على أحمد بن حنبل في مرضه : أن طاووسا كان يكره أنين المريض ويقول : أنه شكوى . فما أن أحمد حتى مات . أما الشكوى الى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل ، فان يعقوب قال : « فصبر جميل » (٥) وقال : « انما اشكوا بشي وحزنى الى الله » .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل ، فمر بهذه الآية في قراءته ، فبكى حتى سمع نسيجه من آخر الصفوف .

ومن دعاء موسى : « اللهم لك الحمد واليك المشتكى : وأنت المستعان (وبك المستغاث) وإليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك » . وفي الدعاء الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا : « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربى ورب المستضعفين ، اللهم الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمري ؟

(١) رواه الترمذى وأحمد ، وهو حسن لغيره .

(٢) النساء : ٣٢

(٣) العنكبوت : ١٧

(٤) يوسف : ٨٣

(٥) يوسف : ٨٦

ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ،
أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا
والآخرة : أن ينزل بي سخطك ، أو يحل علي غضبك ، لك العتبى حتى
ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله — وفي بعض الروايات — الا بك « (١) » .

وكلما قوى طمع العبد في فضل الله ورحمته ، ورجاؤه لتضاء حاجته
ودفع ضرورته ، قويت عبوديته له ، وحرية مما سواه ، فكما أن طمعه
في المخلوق يوجب عبوديته له ، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه ،
كما قيل : استغن عن شئت تكن نظيره ، وأفضل على من شئت تكن
أميره ، واحتج الي من شئت تكن أسيره . فكذلك طمع العبد في ربه
ورجاؤه له يوجب عبوديته له ، واعراض قلبه عن الطلب من الله
والرجاء له ، يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما من كان يرجو
المخلوق ولا يرجو الخالق ، بحيث يكون قلبه معتمدا اما على رئاسته
وجنوده وأتباعه ومماليكه ، واما على أهله وأصدقائه ، واما على أمواله
وذخائره ، واما على ساداته وكبرائه ، كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه
وغبرهم ، ممن هو قد مات أو يموت ، قال تعالى : « وتوكل على الحي
الذي لا يموت وسبح بحمده ، وكفى به بلذوب عباده خبيرا » (٢) .

وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه ، أو أن يهدوه ،
خضع قلبه لهم ، مديرا لأموالهم ، متصرفا بهم . فالعاقل ينظر الي
الحقائق لا الي الظواهر . فالرجل اذا تعاق قلبه بامرأة — ولو كانت
مباحة له — يبقى قلبه أسيرا لها تتحكم فيه وتنصرف بما تريد ، وهو في
الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكةا ، ولكنه في الحقيقة هو أسيرها
ومسلوكها ، ولا سيما اذا علمت بنقره اليها وعشقه لها ، وأنه لا يعتاض
عنها بغيرها ، فانها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم في
عبد المقيهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ، بل أعظم ، فان أسر القلب
أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ،

(١) اسناده ضعيف معضل . انظر « فقه السيرة » بتخريج محمد
ناصر الدين الألباني ، ص ١٧٧ .
(٢) الفرقان : ٥٨

فان من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي ما دام قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتياط في الملاصق ، وأما اذا كان القلب — الذى هو ملك الجسم — رقيقاً مستعبداً ، متيماً لغير الله ، فهذا هو الذل والأسر المحض ، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب .

وعبودية القلب وأسرده هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب فان المسلم لو أسره الكافر أو استرقه فاجبر بغير حق لم يضره ذلك اذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات . ومن استعبد بحق ، اذا أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك ، وأما من استعبد قلبه فصار عبد لغير الله ، فهذا يضره ذلك كل الضرر ، ولو كان في الظاهر ملك الناس .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وإنما الغنى غنى النفس » (١) .

وهذا لعمر الله اذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة . فأما من استعبد قلبه صورة محرمة : امرأة أو صبي . فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب .

وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً ، فان العاشق لصورة اذا بقي قلبه متعلقاً بها ، مستعبداً لها ، اجتمع له من أنواع الشر والخسران والفساد ما لا يحصيه الا رب العباد ولو سلم بمن فعل لفاحشة الكبرى ، فداوم تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة ، أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه ، ويحول أثره من قلبه وهؤلاء يشبهون بالسكران والمجانين ، كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى افاقة من به سكران ؟

وقيل :

قالوا جنت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين

(١) رواه الشيخان من أبي هريرة .

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في حين :
ومن أعظم أسباب هذا البلاء : اعراض القلب عن الله ، فان القلب
إذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له ، لم يكن عنده شيء قط أحلى من
ذلك ، ولا أذ ولا أمتع ولا أطيب .

والانسان لا يترك محبوبا الا بمحسوب آخر يكون أحب اليه منه ،
أو خوفا من مكروه ، فالحب الفاسد انما ينصرف انقلب عنه بالحب
الصالح ، أو بالخوف من الضرر .

قال تعالى في حق يوسف : « **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء** ،
انه من عبادنا المخلصين » (١) .

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل الى الصورة والتعلق بها .
ويصرف عنه الفحشاء باخلاصه لله .

و (هذا) يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله ، والاخلاص
له ، بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها ، فإذا ذاق طعم الاخلاص
له ، وقوى في قلبه ، انقهر له هواه بلا كبير علاج .

قال تعالى : « **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » ولذكر
الله أكبر » (٢) .

فان الصلاة فيها دفع لشر مكروه ، وهو الفحشاء والمنكر ، وفيها
تحصيل لخير محبوب ، وهو ذكر الله . وحصول هذا المحبوب أكبر من
دفع ذلك المكروه ، فان ذكر الله : عبادة الله ، وعبادة القلب لله مقصودة
لذاتها .

وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على «سبيل التبع» وانقلب
خلق يحب الحق ويريد به ويطلبه ، فلما عرضت له ارادة الشر طلب دفع
ذلك ، فانها تفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل .

ولهذا قال تعالى : « **قد افلح من زكاه** » وقد خاب من دساها » (٣)

(٢) العنكبوت : ٤٥

(١) يوسف : ٢٤

(٣) الشمس : ٩ ، ١٠

وقال تعالى : « قد افلح من تزكى • وذكر اسم ربه فصلى » (١) .
وقال : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم •
ذلك اذكى لهم » (٢) . وقال تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم احدا ابدا » (٣) .

فجعل سبحانه غض البصر ، وحفظ الفرج ، هو أقوى تزكية لنفس ،
وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس ، وزكاة النفوس تتضمن زوال
جميع الشرور : من الفواحش والظلم ، والشرك والكذب وغير ذلك •
وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض ، قلبه رقيق لمن يعينه
عليها ، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم ، فهو في الحقيقة
يرجوهم ويخافهم ، فيبذل لهم الأموال والولايات ، ويعفو عما يجترحوه
ليطيعوه ويمينوه ، فهو في الظاهر رئيس مطاع ، وفي الحقيقة عبد
مطيع لهم •

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر ، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة
الله • وإذا كان تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق ، كانا بمنزلة
المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين لهواه
الذى يستعبده واسترقه — مستعبد للآخر ، وهكذا أيضا طالب المال ،
فإن ذلك المال يستعبده ويسترقه •

وهذه الأمور نوعان :

منها : ما يحتاج العبد اليه ، ككل ما يحتاج اليه من طعامه وشرابه
ومسكنه ومنكحه ، ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ، ويرغب اليه فيه فيكون
المال عنده — يستعمله في حاجته — بمنزلة حمارة الذى يركبه ،
وبساطه الذى يجلس عليه ، بل بمنزلة الكنيف الذى يقضى فيه حاجته ،
من غير أن يستعبده ، فيكون هلوعا : إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه
الخير منوعا •

ومنها : مالا يحتاج العبد اليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به ،
فإذا علق قلبه به صار مستعبدا له • وربما صار معتمدا على غيره الله ،

(٢) النور : ٣٠

(١) الاعلى : ١٤ ، ١٥

(٣) النور : ٢١

فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ، ولا حقيقة التوكل على الله ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله ، وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخيصة » (١) . وهذا هو عبد هذه الأمور ، فانه لو طلبها من الله ، فان الله اذا أعطاه اياها رضى ، واذا منعه اياها سخط ، وانما عبد الله من يرضيه ما يرضى الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويجب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويعادى أعداء الله تعالى . وهذا هو الذى استكمل الايمان ، كما فى الحديث : « من أحب الله وأبغض الله ، وأعطى الله ومنع الله ، فقد استكمل الايمان » (٢) وقال : « أوثق عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله » (٣) .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ، ومن كان يكره أن يعود الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » (٤) . فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه . فكان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأحب المخلوق لله ، لا لغرض آخر . فكان هذا من تمام حبه لله ، فان محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فاذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمجربات الحق ، لا لشيء آخر ، فقد أحبه الله لا لغيره . وقد قال تعالى : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه آية على المؤمنين آية على الكافرين » (٥) . ولهذا قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله » (٦) .

فان الرسول لا يأمر الا بما يحب الله ، ولا ينهى الا عما يبغضه الله ، ولا يفعل الا ما يحبه الله ، ولا يخبر الا بما يحب الله التصديق

(١) رواه البخارى وابن ماجه ، وقد تقدم .

(٢) رواه أبو داود بسند حسن .

(٣) حديث حسن ، أخرجه أحمد عن البراء ، والطبرانى فى « الكبير » .

عن ابن عباس ، وفى « الصغير » عن ابن مسعود .

(٤) المائدة : ٤٤

(٥) متفق عليه .

(٦) آل عمران : ٣١

به ، فمن كان محبا لله ، لزم أن يتبع الرسول : فيصدقه فيما أخبر ،
ويطيعه فيما أمر ، ويتأسي به فيما فعل ، ومن فعل هذا . فقد فعل
ما يحبه الله ، فيحبه الله .

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ، والجهاد
في سبيله ، وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله
من الايمان ، والعمل الصالح ، وفي دفع ما يبغضه الله : من الكفر والفسوق
والعصيان .

وقد قال تعالى : « قل ان كان آبائكم وابطالكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم » الى قوله : « حتى ياتي الله بامر » (١) .

فتوعد من كان أهله وماله أحب اليه من الله ورسوله . والجهاد
في سبيله بهذا الوعيد الشديد ، بلى قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في
الصحيح أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » (٢) . وفي الصحيح :
أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله .. والله لأنت أحب الي من كل
شيء الا من نفسي . فقال : « لا يا عمر .. حتى أكون أحب اليك من
نفسك » فقال : فوالله لأنت أحب الي من نفسي . فقال : « الآن
يا عمر » (٣) .

فحقيقة المحبة لا تتم الا بموالاة المحبوب ، وهو موافقته في حب
ما يحب ، وبغض ما يبغض ، والله يحب الايمان والتقوى ، ويبغض
الكفر والفسوق والعصيان .

ومعلوم أن الحب يحرك ارادة القلب ، فكلما فويت المحبة في
القلب طلب القلب فعل المحبوبات ، فاذا كانت المحبة تامة استلزمت
ارادة حازمة في حصول المحبوبات ، فاذا كان العبد قادرا عليها حصلها ،
وان كان عاجزا عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك ، كان له أجر كأجر
الفاعل . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من دعا الى هدى كان
له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء » .
ومن دعا الى ضلالة ، كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه ، من غير

(٢) رواه الشيخان .

(١) التوبة : ٢٤

(٣) رواه الشيخان .

أن ينقص من أوزارهم شيء» (١) . وقال : « ان بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم » . قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » .

والجهاد : هو بذل الوسع — وهو كل ما يملك من القدرة — في حصول ، محبوب الحق . فاذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد ، كان تركه دليلا على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه .

ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالبا الا باحتمال المكروهات ، سواء كانت محبة سالحة أو فاسدة ، فالمحبون للمال والرئاسة والصور ، لا ينالون مطالبهم الا بضرر يلحقهم في الدنيا ، مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة . فالمحب لله ورسوله اذا لم يحتل ما يرى من تحمل المحبين لغير الله ما يهتمون في سبيل حصول محبوبهم ، دل ذلك على ضعف محبته لله ، اذ كان ما يسلكه أولئك في نظرهم ، هو الطريق الذي يسير به العقل .

ومن العاوم ان المؤمن اشد حبا لله ، كما قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا اشد حبا لله » (٢) .

نعم قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقا لا يحصل له بها المطلوب ، فمثل هذه الطريق لا تحمد اذا كانت المحبة سالحة محمودة .

فكيف اذا كانت المحبة فاسدة ، والطريق غير موصل ؟؟ كما يفعله المتهورون في طلب المال والرئاسة والصور ، من حب أمور توجب لهم ضررا ، ولا تحصل لهم مطلوبا ، وانما المقصود : الطرق التي يسلكها ذو العقل السليم لحصوله مطلوبه .

واذا تبين هذا ، فكلما ازداد القلب حبا لله ، ازداد له عبودية ، وكلما ازداد له عبودية ، ازداد له حبا وحرية عما سواه .

والقلب فقير بالذات الى الله من جهتين : من جهة العباداة ، وهي العلة الغائبة ، ومن جهة الاستعانة والتوكل ، وهي العلة الفاعلة .

فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسر ، ولا يلتذ ، ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن ، الا بعبادة ربه وحده . وحبه والانابة اليه ، ولو حصل له كل ما يلتزم به من المخلوقات ، لم يطمئن ، ولم يسكن ، اذ فيه فقر ذاتي الى ربه بالفطرة ، من حيث هو معبوده ومحبوبه ، ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة .

وهذا لا يحصل له الا باعانة الله له ، فانه لا يقدر على تنصيل ذلك السرور والسكون الا الله ، فهو دائما مفتقر الى حقيقة : « اياك نعبد واياك نستعين » (١) .

فانه لو أعين على حصول كل ما يحبه وبطلبه ويشتهي ويريد ، ولم يحصل له عبادة الله ، فلن يحصل الا على الألم والحسرة والمذابح ، ولن يخلص من آلام الدنيا ولكد عيشها ، الا باخلاص الحب لله ، بحيث يكون الله هو غاية مراده ، ونهاية مقصوده ، وهو المحبوب له بالقصد الأول ، وكل ما سواه انما يحبه لأجله ، لا يحب شيئا لذاته الا الله ، ومتى لم يحصل له هذا ، لم يكن قد حقق حقيقة : « لا اله الا الله » ولا حقق التوحيد والمعبودية والمحبة لله ، وكان فيه من نقص التوحيد والايمان ، بل من الألم والحسرة والمذابح بحسب ذلك ولو سعى في هذا المطلوب ، ولم يكن مستعينا بالله متوكلا عليه ، مفتقرا اليه في حصوله ، لم يحصل له ، فانه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فالعبد مفتقر الى الله ، من حيث هو المطلوب المحبوب ، المراد المعبود ، ومن حيث هو المستول المستعان به ، المتوكل عليه ، فهو اله الذي لا اله له غيره ، وهو ربه الذي لا رب له سواه ، ولا تتم عبوديته لله الا بهذين .

فمتى كان يحب غير الله لذاته ، أو يلتفت الى غير الله أنه يعينه ، كان عبدا لما أحبه ، وعبدا لما رجاه ، بحسب حبه له ورجائه اياه ، واذا لم يحب أحدا لذاته الا الله ، وأي شيء أحبه سواه ، فانما أحبه له ،

ولم يرج قط شيئا الا الله ، واذا فعل ما فعل من الأسباب ، أو حصل ما حصل منها ، مشاهدا أن الله هو الذى خلقها وقدرها وسخرها له ، وأن كل ما فى السموات والأرض فإله ربه ومليكه وخالقه ومسخره ، وهو مفتقر اليه ، كان قد حصل له من تمام عبوديته لله بحسب ما قسم له من ذلك .

والناس فى هذا على درجات متفاوتة ، لا يحصى طرقها الا الله .
فاكمل الخاق وأفضاهم ، وأعلاهم وأقربهم الى الله ، وأقراهم وأهداهم : أنهم عبودية لله من هذا الوجه .

وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذى أرسل الله به رسلك ، وأنزل به كتابه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له ولغيره مشرك ، والمتنع عن الاستسلام له مستكبر .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن الجنة لا يدخلها من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر »^(١) . كما أن النار لا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فجعل الكبر مقابلا للإيمان ، فإن الكبر يناقض حقيقة العبودية ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله : العظمة ازارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى واحدا منهما عذبت »^(٢) ، فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة ، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما جعل العظمة بمنزلة الازار .

ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والأعياد : هو التكبير ، وكان مستحبا فى الأمكنة العالية ، كالصفا والمروة ، واذا علا الانسان شرفا ، أو ركب دابة ونحو ذلك ، وبه يطفأ الحريق وإن عظم ، وعند الأذان يهرب الشيطان ، قال تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين »^(٣) .
وكل من استكبر عن عبادة الله ، فلا بد أن يعبد غيره ، ويذل له ، فإن الانسان حساس يتحرك بالارادة .

(١) رواه مسلم وأبو داود . (٢) رواه مسلم وأبو داود .

(٣) غافر : ٦٠ .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصدق الأسماء : حارث وهام »^(١) فالحارث : الكاسب الفاعل ، والهام : فعال من الهم ، والهم أول الإرادة ، فالإنسان له إرادة دائما . وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه ، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته . بل استكبر عن ذلك ، فلا بد أن يكون له مراد محبوب . يستعبده ويستذله غير الله ، فيكون عبدا ذليلا لذلك المراد المحبوب إما المال ، وإما الجاه . وإما الصور ، وإما ما يتخذه لها من دون الله ، كالشس ، والقمر . والكواكب ، والأوثان ، وقبور الأنبياء والصالحين ، والملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، الذين يتخذهم أربابا ، وغير ذلك مما عبد من دون الله .

وإذا كان عبدا لغير الله كان لابد مشركا ، وكل مستكبر فهو مشرك ، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله ، وكان مشركا قال تعالى : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ... » إلى قوله : « وقال موسى أتى عبثت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ... »^(٢) إلى قوله : « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار »^(٣) . وقال تعالى : « وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين »^(٤) . وقال تعالى : « أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستتحي نساءهم »^(٥) . وقال : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة الفاسقين »^(٦) . ومثل هذا في القرآن كثير . وقد وصف فرعون بالشرك في قوله : « وقلل الخلا من قوم فرعون اتعذر موسى وقومه ليفسكوا في الأرض »

(١) الذي في صحيح مسلم : « أحب الأسماء إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن » وحديث : « وأصدقها : حارث وهام » رواه أبو داود ، والنسائي ، وليس هو في الصحيح .
(٢) غافر : ٣٥ .
(٣) غافر : ٣٦ .
(٤) المنكوت : ٣٩ .
(٥) القصص : ٤ .
(٦) النمل : ٢٤ .

ويلزمك والهلك» (١) . بل الاستقراء يدل على انه كلما كان الرجل .
أعظم استكبارا عن عبادة الله ، كان أعظم اشراكا بالله لأنه كلما استكبر
عن عبادة الله ، ازداد فقرا وحاجة الى مراده المحبوب الذي هو مقصود
قلبه بالقصد الأول ، فيكون مشركا لما استعبدته من ذلك .

ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات ، الا بأن يكون الله هو
مولاه الذي لا يعبد الا اياه ، ولا يستعين الا به ، ولا يتوكل الا عليه ،
ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره الا ما يبغضه الرب ويكرهه ،
ولا يوالى الا من والاه الله ، ولا يعادى الا من عاداه الله ، ولا يجب
الا لله ، ولا يبغض شيئا الا لله ، ولا يعطى الا لله ، ولا يمنع الا لله .
فكلما قوى اخلاص حبه ودينه لله كملت عبوديته ، واستغناؤه عن
المخلوقات . وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر والشرك ،
والشرك غالب على النصرى ، والكبر غالب على اليهود ، قال تعالى
في النصرى : « اتخللوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله »
والنصرى ابن مريم ، وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ،
سبحانه عما يشركون» (٢) . وقال في اليهود : « افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففرقنا فريقا كذبتم وفريقا تقتلون» (٣) .
وقال تعالى : « سافر عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ،
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيلا للرشد لا يتخذوه
سبيلا ، وان يروا سبيلا الفى يتخذوه سبيلا» (٤) .

ولما كان الكبر مستلزما للشرك ، والشرك ضد الاسلام ، وهو
الذنب الذي لا يغفره الله ، قال تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ،
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ومن يشرك بالله فقد افترى اثما
عظيما» (٥) . وقال : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا» (٦) .

كان الأفياء جميعهم مبعوثين بدين الاسلام ، فهو الدين الذي .

(٢) التوبة : ٣١
(٤) الأعراف : ١٤٦
(٦) النساء : ١١٦

(١) الأعراف : ١٢٧
(٣) البقرة : ٨٧
(٥) النساء : ٤٨

لا يقبل لله غيره ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين : قال نوح :
 « فان توليتم فما سالتكم من اجر ، ان اجزى الا على الله وامريت ان
 اكون من المسلمين » (١) . وقال في حق ابراهيم : « ومن يرغب عن
 ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وانه في
 الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين »
 الى قوله : « فلا تموتن الا وانتم مسلمون » (٢) . وقال عن يوسف :
 « توفني مسلما والحقني بالصالحين » (٣) . وقال عن موسى :
 « ان كنتم آمتم بالله فطيعه توكلوا ان كنتم مسلمين . فقلوا على
 الله توكلنا » (٤) . وقال تعالى : « اما انزلنا التوراة فيها هدى ونور ،
 يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا » (٥) . وقال عن بلقيس :
 « رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (٦) .
 وقال : « واذا اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى ورسولى قالوا
 آمنا واشهد باننا مسلمون » (٧) . وقال : « ان الدين عند الله
 الاسلام » (٨) . وقال : « ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فلن
 يقبل منه » (٩) . وقال تعالى : « الففسير دين الله يفنون وله اسلم
 من في السموات والارض طوعا وكرها » (١٠) .

فذكر اسلام الكائنات طوعا وكرها ، لأن المخلوقات جميعها متعبدة
 له التعبد العام ، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره ، وهم يدينون له
 مديرون ، فهم مسلمون له طوعا وكرها ، ليس لأحد من المخلوقات
 خروج عما شاءه وقدره وقضاء ، ولا حول ولا قوة الا بالله . وهو رب
 العالمين ومليكهم ، يصرنهم كيف يشاء ، وهو خالقهم كلهم ، وبارئهم
 ومصورهم وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفضل ، فقير محتاج
 معبد مقهور ، وهو سبحانه الواحد القهار ، الخالق البارئ المصور ،
 وهو وان كان قد خلق ما خلقه لأسباب ، فهو خالق السبب والمصدر
 له ، والسبب مقتدر اليه كافتقار السبب ، وليس فى المخلوقات سبب

(٢) البقرة : ١٣٠ - ١٣٢

(٤) يونس : ٨٤ ، ٨٥

(٦) النمل : ٤٤

(٨) آل عمران : ١٩

(١٠) آل عمران : ٨٣

(١) يونس : ٧٢

(٣) يوسف : ١٠١

(٥) المائدة : ٤٤

(٧) المائدة : ١١١

(٩) آل عمران : ٨٥

مستقل بفعل خير ولا دفع ضرر ، بل كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب آخر يعاونه ، والى ما يدفع عنه الضرر الذى يعارضه ويمانهه وهو سبحانه وحده الغنى عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه ، ولا ضد يناوئه ويعارضه ، قال تعالى : « قبل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضرره ، او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون » (١) . وقال تعالى : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » (٢) . وقال تعالى عن الخليل : « يا قوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين - وحاجه قومه ، قال اتعاجزوني فى الله وقد هدان ، ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا » الى قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون » (٣) .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله .. اينما لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال : « انما هو الشرك » ثم تسمعوا الى قول العبد الصالح : « ان الشرك لظلم عظيم » (٤) وايراهيم الخليل امام الحنفاء المخلصين ، حيث بعث وقد طبق الارض دين المشركين . قال الله تعالى : « ولاد ايتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين » (٥) . فبين ان مهده بالامامة لا يتناول الظالم ، فلم يأمر الله سبحانه ان يكون الظالم اماما ، وأعظم الظلم الشرك . وقال تعالى : « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين » (٦) .

والأمة : هو معلم الخير الذى يؤتم به ، كما أن القدوة الذى يقتدى به . والله تعالى جعل فى ذريته النبوة والكتاب ، وانما بعث الأنبياء

(١) الزمر : ٣٨	(٢) الانعام : ١٧
(٣) الانعام : ٧٨ — ٨٢	(٤) لقمان : ١٣
(٥) البقرة : ١٢٤	(٦) النحل : ١٢٠

بعده بملته . قال تعالى : « ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » (١) . وقال تعالى : « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ، والله ولي المؤمنين » (٢) . وقال تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (٣) . وقال تعالى : « وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ، قل بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما اُنزل الينا وما اُنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط » الى قوله : « ونحن له مسلمون » (٤) .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان ابراهيم خير البرية » (٥) . فهو افضل الانبياء بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو خليل الله تعالى .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال : « ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا » (٦) . وقال : « لو كنت متخذنا من اهل الأرض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله » (٧) — يعنى نفسه — وقال : « لا تبقين فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر » (٨) وقال : « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني اهاكم عن ذلك » (٩) . وكل هذا فى الصحيح وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام ، وذلك من تمام رسالته ، فان فى ذلك تمام تحقيق مخالته لله التى أصلها محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله ، خلافا للجهمية .

وفى ذلك تحقيق توحيد الله ، وأن لا يعبدوا الا اياه ، ردا على أشباه المشركين ، وفيه رد على الرافضة الذين يخسئون الصديق رضى الله عنه حقه ، وهم أعظم المنتسبين الى القبلة اشراكا بعبادة على وغيره من البشر .

(٢) آل عمران : ٦٨
(٤) البقرة : ١٢٥ ، ١٣٦
(٦) رواه مسلم .
(٨) متفق عليه .

(١) النحل : ١٢٣
(٣) آل عمران : ٦٧
(٥) رواه مسلم .
(٧) متفق عليه .
(٩) رواه مسلم .

والنحلة : هي كمال المحبة المستنزعة من العبد كمال العبودية لله .
ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه .

ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب ، فانهم يقولون :
قلب متيم اذا كان معبدا للمحبوب . والمتيم : المعبود ، وتيم الله :
عبد الله ، وهذا على الكمال حصل لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما
وسلم .

ولهذا له يكن له صلى الله عليه وسلم من أهل الأرض خليل ، اذ
الخلة لا تحتمل الشراكة ، فانه كما قيل في المعنى :

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
بخلاف أصل الحب ، فانه صلى الله عليه وسلم قد قال في الحديث .
الصحيح في الحسن وأسماء : « اللهم اني أحبهما فأحبهما ، وأحب
من يحبهما »^(١) وسأله عمرو بن بن العاص : أي النساء أحب اليك ؟
فقال : « عائشة » قال : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » وقال لعلي
رضي الله عنه : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه
الله ورسوله »^(٢) وأمثال ذلك كثير .

وقد أخبر تعالى انه : « يحب التقين »^(٣) و « يحب
الحسينين »^(٤) و « يحب القسيسين »^(٥) و « يحب التوابين
ويحب المطهرين »^(٦) و « يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم
بنيان مرصوص »^(٧) وقال : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه »^(٨) .

(١) رواه البخاري بلفظ : « اللهم أحبهما » . وما أورده المؤلف .
فهو من رواية الترمذي في حق الحسن والحسين ، وفي سنده عبد الله بن
أبي بكر بن زيد بن المهاجر ، وهو مجهول ، كما في « التقریب » .

(٢) متفق عليه . (٣) آل عمران : ٧٦

(٤) البقرة : ١٩٥ ، المائدة : ١٣

(٥) الحجرات : ٩ ، المتحنة : ٨

(٦) البقرة : ٢٢٢ (٧) الصف : ٤

(٨) المائدة : ٥٤

فقد أخبر بسببته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له ، حتى قال :
« والذين آمنوا أشد حبا لله » (١) .

أما الخلقة فخاصة ، وقول بعض الناس : ان محمدا حبيب الله
وابراهيم خليل الله . وظن ان المحبة فوق الخلقة ، فقول ضعيف ، فان
محمدا أيضا خليل الله ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة .
وما يروى أن العباس يحضر بين حبيب و خليل ، ومثال ذلك ،
فأحاديث موضوعه لا تصلح ان يعتمد عليها .

وقد قدمنا أن محبة الله تعالى هي محبة ومحبة ما أحب ، كما في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ،
ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ، ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر
بعد اد اتقذه الله منه ، كما يكره أن يلتقى في النار » (٢) . أخبر النبي
صلى الله عليه وسلم أن من كان فيه هذه الثلاث ، وجد حلاوة الايمان ،
لأن وجود الحلاوة بالشئ يتبع المحبة له . فمن أحب شيئاً أو أشياء ،
إذا حصل له به مراده ، فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ،
واللذة أمر يحصل عقيب ادراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتى .

ومن قال : ان اللذة ادراك الملائم — كما يقوله من يقوله من
المفلسفة والأطباء — فقد غلط في ذلك غلطا بينا ، فان الادراك يتوسط
بين المحبة واللذة ، فان الانسان مثلا يشتهي الطعام ، فاذا أكله حصل
له عقيب ذلك اللذة ، فاللذة تتبع النظر الى الشئ ، فاذا نظر اليه
التذ به ، واللذة التي تتبع النظر ليست نفس النظر ، وليست هي رؤية
الشئ بل تحصل عقيب رؤيته .

قال تعالى : « وفيها ما تشتهي الانفس وتلد الاعين » (٣) .

وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام : من فرح ،
وحزن ، ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب ، أو الشعور بالمكروه ،
وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن .

(١) البقرة : ١٦٥

(٢) رواه الشيخان من أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) الزخرف : ٧١

فحلاوة الايمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجنده المؤمن
الواجد حلاوة الايمان ، تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور :
تكميل هذه المحبة ، وتعريفها ، ودفع ضدها .

فتكملها : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، فإن
محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله
ورسوله أحب اليه مما سواهما كما تقدم .

وتعريفها : « أن يحب المرء لا يحبه الا لله » .

ودفع ضدها : أن يكره ضد الايمان أعظم من كراهته الالقاه
في النار .

فاذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله ، وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحب المؤمنين الذين يحبهم الله ، لأنه أكمل
الناس محبة لله ، وأحقهم بأن يحب ما يحبه الله ، ويغض ما يبغيضه
الله ، والخلة ليس لغير الله فيها نصيب ، بل قال : « لو كنت متخذًا
من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا » (١) . علم مزيد مرتبة
الخلة على مطلق المحبة .

والمقصود : هو أن الخلة والمحبة لله : تحقيق عبوديته ، وانما يغلط
من يغلط في هذه من حيث يتوهمون العبودية مجرد ذل وخضوع فقط
لا محبة معه ، وأن المحبة فيها انبساط في الأهواء ، أو اذلال لا تحتمله
الربوبية ، ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة
فقال : أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها . وكره من
كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة
بلا خشية . وقال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو
زنديق (٢) ، ومن عبده بالرجساء وحده فهو مرجى (٣) ، ومن عبده

(١) متفق عليه .

(٢) الزنديق : هو من يطن الكفر ويظهر الايمان .

(٣) المرجئة : قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية ، كما
لا ينفع مع الكفر طاعة .

بالخوف وحده فهو حرورى^(١) ومن عبده بالحب والخشوف والرجاء فهو مؤمن موحد . ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة ، حتى أخرجهم ذلك الى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية ، وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح الا لله ، فيدعى أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين ، أو يطلب من الله ما لا يصلح بكل وجه الا لله ، لا يصلح للأنبياء ولا للمرسلين (فضلا عن هم دونهم) .

وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ . وسببه : ضعف تحقيق العبودية التي بينها الرسل ، وحررها الأمر والنهي الذي جاءوا به ، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته . وإذا ضعف العقل : وقل العلم بالدين ، وفي النفس محبة (طائفة جاهلة) ، انبسطت النفس بحمقها في ذلك ، كما ينسبط الانسان في محبة الانسان مع حمقه وجهله . ويقول : أنا محب ، فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل فهذا عين الضلال ، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : « نحن أبناء الله وأحباؤه » (٢) . قال الله تعالى لهم : « قل فلم يطلبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويمسك من يشاء » (٣) .

فإن تعذبه لهم بذنوبهم يقتضى أنهم غير محبوبين : ولا منسوين اليه بنسبة البنوة ، بل يقتضى أنهم مريبون مخلوقون . فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه . ومحبوبه لا يفعل ما ييغضه الحق ويسخطه من : الكفر ، والفسوق ، والعصيان . ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن الله ييغضه ويغض منه ذلك ، كما يجب عبده المؤمن ويجب منه ما يفعله من الخير : إذ أن حبه للعبد بحسب إيماله وتقواه . ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع اصراره عليها ، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه . وعدم تداويه منه لصحة مزاجه ولو تدبر الأحق ما قص الله في كتابه من قصص أنبيائه ، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار ، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي كان فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم ،

(١) الحرورية : الذين خرجوا على « على » رضى الله عنه ، وحاربوه عند قرية اسمها حروراء .

(٢) المائدة : ١٨

علم ضرر الذنوب بأصحابها ، ولو كان أرفع الناس مقاماً . فإن الحب للمخلوق إذا لم يكن عارفاً بمحابه ولا مریداً لها ، بل يعمل بمقتضى الحب ، وإن كان جهلاً وظلماً . كان ذلك سبب بغض المحبوب له ، وتقوره عنه ، بل سبباً لمقوته .

وكثير من السالكين سلكوا فى دعوى حب الله أنواعاً من الجهل بالدين : أما من تعدى حدود الله ، وأما من تضييع حقوق الله ، وأما من ادعاء الدعوى الباطلة التى لا حقيقة لها ، كقول بعضهم : أى مرید لى ترك فى النار أحداً فأنا برىء منه . فقال الآخر : أى مرید لى ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا برىء منه .

فالأول : جعل مریده يخرج كل من فى النار . والثانى : جعل مریده يمنع من دخول النار .

ويقول بعضهم : إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتى على جهنم حتى لا يدخلها أحد .

وأما ذلك من الأقوال التى تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين . وهى إما كذب عليهم ، وإما غلط منهم .

ومثل هذا قد يصدر فى حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الإنسان ، أو يضعف حتى لا يدرك ما قال . والسكر لذة مع عدم تمييز ، ولهذا كان من هؤلاء من إذا صبحا استغفروا من ذلك الكلام ، والذين توسعوا من الشيوخ فى سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق والتلوم والعذل والغرام ، كان هذا أصل مقصدهم ، فإن هذا الجنس يحرك ما فى القلب من الحب كائن ما كان ، ولذا أنزل الله محبته يتحن بها المحب ، فقال : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (١) .

فلا يكون محباً لله إلا من يتبع رسوله . وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية . وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته صلى الله عليه وسلم ، ويدعى من الحالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره ، حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته ، بل قد

جعل الله أساس محبته ومحبته رسوله ، الجهاد في سبيله ، والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به وكمال بغض ما نهى الله عنه ، ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : « أدلة على المؤمنين أئمة الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (١) .

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها ، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم . وأكمل هذه الأمة في ذلك : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فأين هذا من قوم يدعون المحبة ؟ وسموا كلام بعض الشيوخ : المحبة فار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب ، وأرادوا أن تكون كله . قد أراد الله وجوده ، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء . حتى الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يمكن لأحد أن يحب كل موجوده بل لا يمكن أن يحب إلا ما يلائمه وينفعه ، وأن يبغض ما ينافيه ويضره . ولكن استفادوا هذا الضلال من اتباع أهوائهم ، ثم زادهم انغماسا في أهوائهم وشهواتهم ، فهم يحبون ما يهوون ، كالصور ، والرئاسة ، وفضول المال ، والبدع المضلة ، زاعمين أن هذا من محبة الله ، وكذبوا وسلبوا ، فإن محبة الله لا تكون إلا ببغض ما يبغضه الله ورسوله ، وجهاد أهله بالنفس والمال .

وأصل ضلالهم : أن هذا القائل الذي قال : إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب ، قصد بمراد الله تعالى ، الإرادة الكونية في كل الموجودات .

أما لو قال مؤمن بالله وكتبه ورسله ، من غير هؤلاء الصوفية مثل هذه المقالة ، فإنه يقصد الإرادة الدينية الشرعية التي هي بمعنى محبته ورضاه ، فكأنه قال : تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله ، وهذا معنى صحيح ، فإن من تمام الحب لله أن لا يحب إلا ما يحبه الله ، فإذا أحببت ما لا يحب ، كانت المحبة ناقصة . وأما ما قضاه وقدره وهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه ، فإن لم أوافق في بغضه وكرهه وسخطه ، لم أكن محبا له ، بل محبا لما يبغضه .

فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل

محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه ، وبين من يدعى محبة الله .
ناظرا الى عموم ربوبيته ، أو متبعيا لبعض البدع المخالفة لشريعته ،
فإن ندعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة
له ، بل قد تكون دعوى هؤلاء شرا من دعوى اليهود والنصارى ،
لما فيهم من النفاق الذي هم به في الدرك الأسفل من النار ، كما قد
تكون دعوى اليهود والنصارى شرا من دعواهم إذا لم يصلوا الى مثل
تكفرهم .

وفي التوراة والانجيل من الترغيب في محبة الله ما هم مشفقون
عليه ، حتى أن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس .

ففي الانجيل أعظم وصايا المسيح ، أن تحب الله بكل قلبك وعقلك
وقسك ، والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة ، وأن ما هم فيه من
الزهد والعبادة ، هو من ذلك ، وهم براء من محبة الله ، إذ لم يتبعوا
ما أحبه ، بل اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم .
والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم ، وهو سبحانه يحب من يحبه .
لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له ، بل بقدر
محبة العبد لله يكون حب الله له ، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم .
كما في الحديث الصحيح الالهى عن الله تعالى أنه قال : « من تقرب الى
شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعاً ، ومن
أتانى يشئ أميته هرولة » (١) .

وقد أخبر الله سبحانه أنه يحب المتقين المحسنين ، والصائرين ،
ويحب التوابين ، ويجب المتطهرين ، بل هو يحب من فعل ما أمر به من
واجب ومستحب ، كما في الحديث الصحيح : « لا يزال عبدي يتقرب
الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ،
وبصره الذى يبصر به .. » (٢) الحديث . وكثير من المخطئين الذين
ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقصروا فيما وقع فيه النصارى من
دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته : وترك المجاهدة في سبيله ، ونحو

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وقد تكلم عليه
الحافظ ابن رجب الحنبلى في « جامع العلوم والحكم » قلمراجع .

ذلك ، ويتسكون في الدين الذي يتقربون به الى ربهم بنحو ما تسلك به
النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ،
ولو صدق لم يكن قائلها معصوما ، فيجعلون منبوعهم وشيوخهم
شارعين لهم ديناً ، كما جعل النصارى قسيسهم ورهبانهم شارعين لهم
ديناً . ثم أنهم ينتقصون العبودية ، ويدعون أن الخاصة يتعدونها ،
كما يدعى النصارى في المسيح والتقاسوة ، ويثبتون لخاصتهم من
المشاركة في الله ، من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه والقسيسين
والرهبان : الى أنواع آخر يطول شرحها في هذا الموضع .

وانما الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجهه ، وهو تحقيق
محبة الله بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ،
وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ، وكلما
كان في القلب حب لغير الله ، كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ،
وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة ، وكل عمل لا يراى به وجه الله فهو
باطل . فالدنيا ملمسونة ملمون ما فيها الا ما كان لله ، ولا يكون لله
الا ما أحبه الله ورسوله ، وهو المشروع .

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لا يوافق الله لم يكن
لله بل لا يكون لله الا ما جمع الوصفين : أن يكون لله ، وأن يكون موافقا
لمحبة الله ورسوله ، وهو الواجب والمستحب ، كما قال تعالى : « فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (١) .

فلا بد من العمل الصالح ، وهو الواجب والمستحب ، ولا بد أن يكون
خالصا لوجه الله تعالى ، كما قال تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن
فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملا ليس عليه امرنا
فهو رد » (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل
امرى ما نوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله

(١) الكهف : ١١٠ . (٢) البقرة : ١٧٧ .

(٣) رواه أحمد ومسلم عن عائشة رضى الله عنها .

ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه « (١) .

وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين ، وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، واليه دعا الرسول ، وعليه جاهد ، وبه أمر ، وفيه رغب ، وهو قلب الدين الذي يدور عليه رحاه .

والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء في الحديث : « هو في هذه الأمة أخفى من ديب النمل » (٢) وفي حديث آخر : قال أبو بكر : يا رسول الله .. كيف تنجو منه ، وهو أخفى من ديب النمل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « الا أعلمك كلمة اذا قلتها نجوت من دقه وجله . قل : اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » (٣) ، وكان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا .

وكثيرا ما يخاطب النفوس الجاهلة من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له ، كما قال شداد ابن أوس : يا بقايا العرب ! يا بقايا العرب ! ان أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . وقيل : لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة .

وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (٤) .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح . فبين صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري ومسلم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) رواه البراء بلفظ : « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا » . وفي سننه مبد الأعلى بن أميين ، وهو ضعيف .

(٣) رواه أبو يعلى بمعناه من شيخه عمرو بن الحصين العقيلي ، وهو متروك ، كما قال الهيثمي في « المجمع » .

(٤) رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى . وقال المنذرى : إسناده جيد ، وقد كتب الحافظ ابن رجب في هذا الحديث رسالة قيمة أدرجت في كتاب « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر .

أن الحرص على المسال والشرف (في افساد الدين) ، لا ينقص عن افساد الذئبين الجائسين لزوية الغنم . فان الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص ، وذلك أن القلب اذا ذاق حلاوة عبودية الله ومحبه له ، لم يكن شيء أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف — عن أهل الاخلاص لله — السوء والفحشاء ، كما قال تعالى .

« كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين » (١)

فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبه الله ما يمنعه عن محبه غيره ، اذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته لله ومحبه له ، واخلاصه الدين كله له ، وذلك يقتضى انجذاب القلب الى الله ، فيصير القلب منيبا الى الله ، خائفا منه ، راغبا راهبا ، وكما قال تعالى : « من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » (٢) .

اذ المحب يخاف من زوال مطلوبه ، أو حصول مرهوبه ، فلا يكون عبد الله ومحبه ، الا بين خوف ورجاء ، كما قال تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخشون عذابه ، ان عذاب ربك كان معظورا » (٣) .

واذا كان العبد مخلصا لله اجتباؤه ربه . فأحيا قلبه واجتذبه اليه ، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك ، بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فان فيه طلبا وارادة وحبا مطلقا ، فيهوئ كل ما يستحق له ويتشبه بما يهواه ، كالقصد ، أى لتسليم مر به عطفه وأماله . فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة ، فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذه هو عبدا له لكان ذلك عيبا وتقصا وذما . وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة ، فترضيه الكلمة وتفضيه الكلمة . ويستعبده من يشئ عليه ولو بالباطل ، ويمادى من يذمه ولو بالحق .

وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك من الأمور التى

(٢) سورة ق : ٢٣

(١) يوسف : ٢٤

(٣) الاسراء : ٥٧

تستبعد القلوب ، والقلوب تهواها ، فيتخذ الهه هواه ، ويتبع هواه
بغير هدى من الله .

ومن لم يكن محبا مخلصا لله ، وعبدا له ، قد صار قلبه معبدا لربه
وحده لا شريك له ، بحيث يكون الله أحب اليه من كل ما سواه ، ويكون
ذليلا له خاضعا ، والا استعبده الكائنات ، واستولت على قلبه الشياطين ،
وكان من الغاوين اخوان الشياطين ، وصار فيه من السوء والفحشاء
ما لا يعلمه الا الله ، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه .

فالقلب ان لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه ، كان
مشركا : « فاقسم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ،
لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
منيبين اليه وانقوهوا الصلوة واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين . من الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون » (١) .

وقد جعل الله سبحانه ابراهيم وآل ابراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء
المخلصين أهل محبة الله وعبادته ، واخلاص الدين له ، كما جعل فرعون
وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم . قال تعالى في ابراهيم :
« ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم
أئمة يهدون بأمراءنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وابتاء
الزكاة وكانوا لنا عابدين » (٢) . وقال في فرعون وقومه : « وجعلناهم
أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون . وأنبئناهم في هذه
العنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من الملقوحين » (٣) .

ولهذا يصير أتباع فرعون أولا الى أن لا يميزوا بين ما يحبه الله
ويرضاه ، وبين ما قدره وقضاه ، بل ينظرون الى المشيئة المطلقة
الشاملة ، ثم في آخر الأمر يميزون بين الخالق والمخلوق ، بل يجعلون
وجود هذا وجود هذا . ويقول محققوهم : الشريعة فيها طاعة ومعصية ،
والحقيقة فيها معصية بلا طاعة ، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية ،
وهذا التحقيق هو مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا
تكليمه لعبده موسى ، وما أرسله به من الأمر والنهي .

(١) الروم : ٣٠ — ٣٢ (٢) الانبياء : ٧٢ ، ٧٣

(٣) القصص : ٤١ ، ٤٢

وأما إبراهيم وآل إبراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم ، فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية ، وأن العبد كلما ازداد تحقيقاً لهذا الفرق ، ازدادت محبته لله وعبوديته له ، وطاعته له ، وامراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره ، وطاعة غيره . وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه . والخليل يقول : « افرايتم ما كنتم تعبدون . انتم وآبائكم الاقدمون . فإلههم عدو لى الا رب الصالحين » (١) . ويتمسكون بالمشابهة من كلام المشايخ كما فعلت النصارى .

مثال ذلك : اسم « الفناء » فان البناء ثلاثة أنواع : نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين ، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين .

فأما الأول : فهو الفناء عن ارادة ما سوى الله ، بحيث لا يحب الا الله ، ولا يعبد الا اياه ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يطلب من غيره . وهو المعنى الذى يجب أن يقصد بقول الشيخ أبى يزيد حيث قال : أريد أن أريد الا ما يريد ، أى المراد المحبوب المرضى . وهو المراد بالارادة الدينية . وكمال العبد انه لا يريد ولا يحب ولا يرضى . الا ما أراده الله ورضيه وأحبه ، وهو ما أمر به أمر ايجاب أو استحباب . ولا يحب الا ما يحبه الله ، كالملائكة والأنبياء والصالحين ، وهذا معنى قولهم فى قوله تعالى : « الا من اتى الله بقلب سليم » (٢) . قالوا : هو السليم مما سوى الله ، أو مما سوى عبادة الله ، أو مما سوى ارادة الله . أو مما سوى محبة الله ، فالمعنى واحد . وهذا المعنى ان سمي فناء ، أو لم يسم ، هو أول الاسلام وآخره ، وباطن الدين وظاهره .

وأما النوع الثانى : فهو الفناء عن شهود السوى ، وهذا يحصل لكثير من السالكين ، فانهم لفرط اجتذاب قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته ، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد ، وترى غير ما تقصد ، لا يخطر بقلوبهم غير الله ، بل ولا يشعرون به . كما قيل فى قوله تعالى : « واصبح فؤاد ام موسى فارغباً ، ان كادت لتسدى به فؤاد ان وبطننا على قلبها » (٣) . قالوا : فارغباً من كل شىء : الا من ذكر موسى . وهذا

(١) الشعراء : ٧٥ - ٧٧ (٢) الشعراء : ٨٩

(٣) القصص : ١٠

كثيرا ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور ، اما حب ، واما خوف ، واما رجاء ، يبقى قلبه منصرفا عن كل شيء ، الا عما قد أحبه أو أخافه . أو طلبه ، بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره ، فاذا قوى على صاحب الفناء هذا ، فانه يغيب بسجوده عن وجوده ، وبمشهوده عن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، حتى يفنى من لم يكن ، وهي المخلوقات ، العبد فمن سواء ، ويبقى من لم يزل ، وهو الرب تعالى ، والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره ، وفناؤه عن أن يذكرها أو يشهدا ، واذا قوى هذا ، ضعف المحب حتى يضطرب في تمييزه . فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلا ألقى نفسه في اليم ، فألقى محبه نفسه خلفه فقال : أنا وقعت ، فما أوقعك خلفي ؟ قال غبت بك عنى ، فظننت أنك أنى . وهذا الموضع زلت فيه أقدام أقوام ، وظنوا أنه اتحاد ، وأن المحب يتحد بالمحبيب ، حتى لا يكون بينهما فرق في نفس وجودهما . وهذا غلط ، فإن الخالق لا يتحد به شيء أصلا ، لانه « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (١) .

وهو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . بل لا يمكن أن يتحد شيء بشيء ، الا اذا استحال وفسدت حقيقة كل منهما ، وحصل من اتحادهما أمر ثالث لا هو هذا ولا هذا ، كما اذا اتحد الماء واللبن ، والماء والخمر ، ونحو ذلك . ولكن يتحد المراد والمحبوب والمراد والمكروه ، ويتفقان في نوع الارادة والكراهة فيجب هذا ما يحب هذا ، ويغض هذا ما يغض هذا ، ويرضى ما يرضى ويسخط ما يسخط ، ويكره ما يكره ، ويوالى من يوالى ، ويمادى ما يمادى . وهذا الفناء كله فيه نقص .

وأكابر الأولياء ، كأبي بكر وعمر ، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، لم يقيموا في هذا الفناء ، فضلا عن هو فوقهم من الأنبياء ، وانما وقع شيء من هذا بعد الصحابة وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل وعدم التمييز لما يرد على القلب من الأحوال . الإيمان ، فإن الصحابة رضى الله عنهم كانوا أكمل وأقوى عقولا ، وأثبت في الأحوال الايمانية من أن تغيب عقولهم ، أو يصل لهم غشى .

أو صبق أو سكر ، أو فناء ، أو وله ، أو جنون ، وإنما كان بادياً هذه الأمور في التابعين من عباد البصرة ، فانه كان فيهم من يغشى عليه اذا سمع القرآن ، ومنهم من يموت ، كأبي جهير الضرير ، وزرارة بن أبي أوفى قاضي البصرة . وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تمييزه ، حتى يقعون في تلك الحال من الأقوال ما اذا صحا عرف أنه غالط فيه . كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبي يزيد وأبي الحسن النوى ، وأبي بكر الشبلي . وأمثالهم ، بخلاف أبي سليمان الدرائي ومعروف الكرخي والفضيل ابن عياض ، بل وبخلاف الجنيـد وأمـثاله ، ممن كانت عقولهم وتـمييزهم يصحبهم في أحوالهم ، فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه ، بل الكمل (من المؤمنين الذين لا يهتدون الا بهدى الكتاب والسنة) لا يكون في قلوبهم سوى محبة الله واراـدته وعبادته ، لأن عندهم من سعة العلم والتمييز ما يشهدون به الأمور على ما هي عليه . بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله ، مدبرة بمشيئته ، بل مسبحة له : قاتة له . فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيداً ومداً لما في قلوبهم من اخلاص الدين ، وتجريد التوحيد لله ، والعبادة له وحده لا شريك له .

وهذه هي الحقيقة التي دعا اليها القرآن ، وقام بها أهل تحقيق الايمان والكمل من أهل العرفان ونبينا صلى الله عليه وسلم امام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لما عرج به الى السموات وعان ما هنالك من الآيات . وأوحى اليه ربّه من أنواع المناجاة ما أوحى ، أصبح فيهم وهو له يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك . بخلاف ما كان يظهر على موسى من التخشى صلى الله (وسلم) عليهم أجمعين .

وأما النوع الثالث ، مما قد يسمى فناء فهو ان يشهد أن لا موجود الا الله ، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق ، فلا فرق بين الرب والمبد ، فهذا فناء أهل الضلال والالحاد ، الواقفين في الحلول والاتحاد ، وهذا يرا منه المشايخ (المستقيمون على هدى الكتاب والسنة ، كالصحابة والأئمة المهتدين ، فانهم) اذا قال أحدهم ما أرى غير الله ، أو لا أنظر الى غير الله ونحو ذلك ، فرادهم بذلك ما أرى رباً غيره ، ولا الها لى غيره ، ولا أنظر الى غيره محبة له أو خوفاً

منه أو رجاء له ، فإن العين تنظر الى ما يتعلق به القلب فمن أحب شيئاً أو رجاه أو خافه التفت اليه . وإذا لم يكن في القلب محبة له ولا رجاء له ، ولا خوف منه ، ولا بغض له ، ولا غير ذلك من تعلق القلب له ، لم يقصد القلب أن يلتفت اليه ، ولا أن ينظر اليه ، ولا أن يراه ، وإن رآه اتفاقاً رؤية مجردة ، كما لو رأى حائطاً ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به .

والمشايخ والصالحون رضى الله عنهم يذكرون شيئاً من تجريد التوحيد الربانية وتحقيق اخلاص الدين كله ، بحيث لا يكون العبد ملتفتاً الى غير الله ولا ناظراً الى ما سواه ، لا حبا له ولا خوفاً منه ولا رجاء له ، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات ، خالياً منها لا ينظر اليها الا بنور الله .

فبالحق يسمع ، وبالحق يبصر ، وبالحق يبطش ، وبالحق يمشى . فيحب منها ما يحبه الله ، ويبغض منها ما يبغضه الله ، ويوالي منها ما والاه الله ، ويمادى منها ما عاداه الله ، ويخاف الله فيها ، ولا يخافها في الله ، ويرجو الله فيها ، ولا يرجوها في الله ، فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين ، وبحقيقتهم وتوحيدهم .

فهذا النوع الثالث — الذى هو الفناء فى الوجود — هو تحقيق آل فرعون ومعرفتهم وتوحيدهم ، كالقرامطة وأمثالهم (من كل من يدين بوحدة الوجود الذين نطق عنهم الحلاج وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمسانى) .

وأما النوع الذى عليه أتباع الأنبياء فهو التحقيق المحمود ، الذى يكون صاحبه به ممن أثنى الله عليهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين ، وجنده الغالبين .

وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول ، أن الذى أراه بعينى من المخلوقات : هو رب الأرض والسموات ، فإن هذا لا يقوله الا من هو فى غاية الضلال والفساد : أما فساد العقل ، وأما فساد الاعتقاد : فهو متردد بين التجنون والالحاد وكل المشايخ الذين يقتدى بهم فى الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، من أن الخالق

سبحانه مبين للخلوقات ، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته . ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وأنه يجب افراد القديم عن الحادث ، وتميز الخالق عن المخلوق ، وهذا في كلامهم أكثر من أن يسكن ذكره هنا . وهم قد تكلموا على ما يعرض للقلوب من الأمراض والشبهات . فإن بعض الناس قد يشهد وجود المخلوقات . فيظنه خالق الأرض والسماوات ، لعدم التمييز والفرقان في قلبه . - بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء . وهم قد يتكلمون في الفرق والجمع ، ويدخل في ذلك من العبارات المختلفة نظير ما دخل في الفناء .

فإن العبد إذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات ، يبقى قلبه متعلقا بها مشتتا فافرا اليها ، وتعلقه بها ، اما محبة ، واما خوفا ، واما رجاء . فإذا انتقل الى الجمع اجتمع قلبه على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فالتفت قلبه الى الله بعد التفاته الى المخلوقين ، فصارت محبته لربه ، وخوفه من ربه ، ورجاؤه لربه ، واستعانت به . وهو في هذا الحال قد لا يتسع قلبه للنظر الى المخلوق ، ليفرق بين الخالق والمخلوق (فقد يكون مجتمعا على الحق معرضا عن الخلق . نظرا وقصدا) وهو نظير النوع الثاني من الفناء ، ولكن بعد ذلك الفرق الثاني ، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة بالله ، مدبرة بأمره ، ويشهد كثرتها معسومة بوحداية الله سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه رب المصنوعات والهيأ ، وخالقها ومالكها ، فيكون مع اجتماع قلبه على الله اخلاصا ومحبة وخوفا ورجاء واستعانة وتوكلا على الله وموالاة فيه . وأمثال ذلك - ناطرا الى الفرق بين الخالق والمخلوق ، ميزا بين هذا وهذا ، يشهد في تفرق المخلوقات كثرتها ، مع شهادته أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه هو الذي لا اله الا هو .

وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم ، وذلك واجب في عالم القاب وشهادته وذكره ومعرفته ، وفي حال القلب وعبادته ، وقصده وأرادته ، ومحبته وموالاته وطاعته ، وذلك تحقيق شهادة أن « لا اله الا الله » . فانها تنفي عن القلب ألوهية ما سوى الحق ، وثبتت في قلبه ألوهية الحق .

فيكون نافيا لألوهية كل شيء من المخلوقات ، مثبتا لألوهية رب العالمين ، رب الأرض والسماوات ، وذلك يتضمن اجتماع القلب على

الله ، وعلى مفارقة ما سواه ، فيكون مفرقا في علمه وقصده ، في شهادته وأرادته ، في معرفته ومحبه : بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون دائما بالله تعالى ، ذاكرا له ، عارفا به ، وهو مع ذلك عالم بمبايسته لخلقه ، واقتراده عنهم ، وتوحيده دونهم ويكون محبا لله ، معظما ، عابدا له ، راجيا له ، خائفا منه ، محبا فيه ، مواليا فيه ، معاديا فيه ، مستعينا به ، متوكلا عليه ، مستنما عن عبادة غيره ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والخوف منه ، والرجاء له ، والموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، والطاعة لأمره ، وأمثال ذلك مما هو خصائص الهية الله سبحانه وتعالى .

واقتراره بالوهية الله تعالى دون ما سواه ، يتضمن اقراره بربوبيته وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ، فحيث أن يكون موحدا لله .

وذلك بين أن أفضل الذكر « لا اله الا الله » كما رواه الترمذي ، وابن أبي الدنيا ، وغيرهما مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » (١) .

وفي « الموطأ » وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كثير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » (٢) .

ومن زعم أن هذا ذكر العامة ، وأن ذكر الخاصة : هو الاسم المفرد ، وذكر خاصة : هو الاسم المضممر ، فهم ضالون غالطون ، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله : « قل الله » ، ثم ذرهم في خوفهم يلعبون (١) من أبين غلط هؤلاء ، فإن الاسم (الله) مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله : « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس » (٢) الى قوله : « قل الله » أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، فالاسم (الله)

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وهو حديث حسن وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه مالك في « الموطأ » مرسلا ، ورواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

(٣) الانعام : ٦١

مبتدأ ، خبره قد دل عليه الاستفهام ، كما في نظائر ذلك ، يقال : من جاءك ؟ فتقول : زيد .

وأما الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا ، فليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهي .

ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة . ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطى القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالا نافعا وإنما يعطيه تصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفى ولا اثبات .

فإن لم يقرن به معرفة القلب ، وحاله ما يفيد بنفسه ، والا لم يكن فيه فائدة ، والشرعية إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره .

وقد وقع بعض من واطب على هذا الذكر بالاسم المفرد ، وبـ (هو) ، في فنون من الالحاد ، وأنواع من الاتحاد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال : « أخاف أن أموت بين النفي والاثبات » حال لا يقتدى فيها بصاحبها ، فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به ، إذ لو مات العبد في هذه الحال ، لم يمت إلا على ما تقدمه ونواه ، إذ الأعمال بالنيات ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت : « لا إله إلا الله »^(١) . وقال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »^(٢) ، ولو كان ما ذكره محذورا ، لم يلحق الميت كلمة يخاف أن يموت في أثناءها موقفا غير محمود ، بل كان يلحق ما اختاره من ذكر الاسم المفرد .

والذكر بالاسم المضمن (أو) المفرد . أبعد عن السنة ، وأدخل في البدعة ، وأقرب إلى ضلال الشيطان ، فإن من قال : يا هو يا هو . أو هو هو ، ونحو ذلك ، لم يكن الضمير عائدا إلا إلى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يجتدى وقد يضل .

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) رواه أبو داود ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد

وقد صنف صاحب « الفصوص » كتاباً سماه كتاب (هو) وزعم بعضهم ان قوله : « وما يعلم تأويله الا الله » (١) . معناه : وما يعلم تأويل هذا الاسم الذى هو الهو ، وهذا وان كان ما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل ، فقد يظن ذلك ، من يظنه من هؤلاء ، حتى قلت مرة لبعض من قال شيئاً من ذلك : لو كان هذا كما قلته لكتبت الآية : وما يعلم تأويل (هو) « منفصلة » .

ثم كثيراً ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل « الله » بقوله : « قل الله » ثم ذرهم (٢) . ويظن ان الله امر نبيه بأن يقول الاسم المفرد ، وهذا غلط باتفاق أهل العلم ، فان قوله « قل الله » . معناه : الله الذى انزل الكتاب الذى جاء به موسى ، وهو جواب لقوله : « قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس ، يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ، وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم » قل الله (٣) . أى الله الذى انزل الكتاب الذى جاء به موسى ، والكلام رد لقول من قال من المكذبين لرسول الله : « ما انزل الله على بشر من شيء » . فقال : « من انزل الكتاب الذى جاء به موسى » . ثم قال : « قل الله » انزله ، ثم ذر هؤلاء المكذبين فى خوضهم يلعبون .

ومما يبين ما تقدم ، ما ذكره سييويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاماً ، لا يحكون به ما كان قولاً . فالقول لا يحكى به الا كلام تام ، أو جملة اسمية ، أو جملة فعلية ، ولهذا يكسرون « ان » اذا جاءت بعد القول ، فالقول لا يحكى به اسم ، والله تعالى لا يأمر أحداً بذكر اسم مفرد ، ولا شرع للسليين ذكرنا باسم مفرد مجرد والاسم المجرد لا يفيد شيئاً من الايمان باتفاق أهل الاسلام ، ولا يؤمر به فى شيء من العبادات ، ولا فى شيء من المخاطبات .

ونظير من اقتصر على الاسم المفرد : ما يذكر أن بعض الأعراب مر بمؤذن يقول : « أشهد أن محمداً رسول الله » فقال : ماذا يقول

هذا ؟ .. هذا الاسم ، فأين الخبر عنه الذى يتم به الكلام ؟ وما فى القرآن من قوله : « والذكر اسم ربك وتبطل اليه نبتيلا » (١) . وقوله : « سبح اسم ربك الأعلى » (٢) . « قد افلح من تركى » وذكر اسم ربه صلى (٣) . « فسبح باسم ربك العظيم » (٤) . ونحو ذلك لا يقتضى ذكره مفردا . بل فى السنن انه لما نزل قوله : « فسبح باسم ربك العظيم » (٥) .

قال صلى الله عليه وسلم : « اجعلوها فى ركوعكم » ، ولما نزل قوله : « سبح اسم ربك الأعلى » (٦) .

قال : « اجعلوها فى سجودكم » (٧) . فشرع لهم أن يقولوا فى الركوع : « سبحان ربى العظيم » وفى السجود : « سبحان ربى الأعلى » .

وفى الصحيح : أنه كان يقول فى ركوعه : « سبحان ربى العظيم » وفى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » (٨) . وهذا معنى قوله : « اجعلوها فى ركوعكم وسجودكم » . باتفاق المسلمين . فتسبح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك : هو بالكلام التام المفيد ، كما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » (٩) .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلمتان خفيفتان

(١) المزمل : ٨ (٢) الأعلى : ١

(٣) الأعلى : ١٤ ، ١٥ (٤) الواقعة : ٧٤

(٥) الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ ، الحاقة : ٥٢

(٦) الأعلى : ١

(٧) رواه أحمد فى « المسند » وأبو داود وابن ماجه .

(٨) الذى فى الصحيح بلفظ : « سبح قدوس رب الملائكة والروح » .

وأما هذا فرواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وهو صحيح .

(٩) رواه مسلم بلفظ : « أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ... » .

ورواه ابن حبان بلفظ : « أفضل الكلام » وجمله : « بعد القرآن » ليست عندهم .

على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حييتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » (١) .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال في يومه مائة مرة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، نه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك ، حتى يسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه » (٢) . و « من قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر » (٣) .

وفي « الموطأ » وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » (٤) . وفي سنن ابن ماجه وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » (٥) . ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء ، وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » (٦) وقوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه » (٧) .

انما هو قول : باسم الله . . باسم الله وهذا جملة تاما ، اما اسمية ، على أظهر قولى النحاة ، أو فعلية ، والتقدير : ذبحى باسم الله أو أذبح باسم الله . وكذلك قول القارىء : « بسم الله الرحمن الرحيم » . فتقديره : قراءتى باسم الله ، أو أقرأ باسم الله . ومن الناس من يضم في مثل هذا : ابتدائى باسم الله ، أو ابتدأت باسم الله ، والأول أحسن ، لأن الفعل كله مفعول باسم الله ، ليس مجردا ابتدائه ، كما أظهر

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٢) رواه البخارى ومسلم (٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) رواه مالك مرسلًا والترمذى ، وتقدم .

(٥) رواه الترمذى ، وهو حديث حسن .

(٦) الانعام : ١٢١ (٧) المائدة : ٤

المضمر في قوله : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (١) . وفي قوله :
« باسم الله مجراها ومرساها » (٢) .

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كان ذبح قبل الصلاة
فليذبح مكانها أخرى : ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله » (٣) ومن
هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لرئيسه
عمر بن أبي سلمة : « يا غلام .. سم الله ، وكل يسينك ، وكل مما
يليك » (٤) . فالمراد أن يقول : باسم الله ، ليس المراد أن يذكر الاسم
مجردا . وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم : « إذا
أرست كلبك المظلم وذكرت الله فمكك » (٥) . وكذلك قوله صلى الله عليه
وسلم : « إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله ، وعند
خروجه ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء » (٦) .
وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وآذانهم وحجهم وعتادهم :
من ذكر الله تعالى ، إنما هو بالجملة التامة كقول المزدن : « الله أكبر ،
الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أنشهد أن محمدا رسول الله »
وقول المصلي : « الله أكبر ، سبحان ربى العظيم ، سبحان ربى الأعلى ،
سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، التحيات لله وقول الملبى :
« لبيك اللهم لبيك » وأمثال ذلك » .

فجميع ما شرعه الله من الذكر ، إنما هو كلام تام ، لا اسم منفرد ،
لا مظهر ولا مضمر .

وهذا هو الذى يسمى في اللغة : كلمة كقوله : « كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله
و بحمده ، سبحان الله العظيم » (٧) وقوله : « أفضل كلمة قالها الشاعر
— كلمة ليبد — ألا كل شيء ما خلا الله باطل .. » (٨) .

(١) الملق : ١

(٢) هود : ٤١

(٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) رواه البخارى ومسلم

(٥) رواه البخارى ومسلم

(٦) رواه مسلم

(٧) رواه البخارى ومسلم

(٨) رواه البخارى

(٢٧ — مجموعة التوحيد)

ومنه قوله تعالى : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » (١) .
وقوله : « وتنت كلمة ربك صدقا وعدلا » (٢) .

وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ : « الكلمة » . من الكتاب والسنة ، بل وسائر كلام العرب ، إنما يراد به الجملة التامة ، كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم ، فيقولون : هذا حرف غريب ، أى : لفظ الاسم غريب .

وقسم سيويه الكلام الى : اسم وفعل وحرف . جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا . لكن خاصة الثالث . أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وسمى حروف الهجاء باسم الحروف ، وهى أسماء .

ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنة » ، أما أنى لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف » (٣) . وقد سأل الخليل بن أحمد أصحابه عن النطق بحرف « الزاي » من زيد ، فقالوا : زاي . فقال : جئتم بالاسم ، والمما الحرف « ز » .

ثم ان النحاة اصطالحوا على أن هذا المسمى فى اللغة بالحرف ، يسمى كلمة ، وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، كحروف الجر ونحوها .

وأما ألفاظ حروف الهجاء ، فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ ، وتارة باسم الحرف ، ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده أنه هكذا فى لغة العرب ، ومنهم من يجعل لفظ الكلمة فى اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا ، وبين الجملة ، ولا يعترف فى صريح اللغة من لفظ « الكلمة » الا الجملة التامة .

والمقصود هنا : أن المشروع فى ذكر الله سبحانه ، هو ذكره بجملة

(١) الكهف : ٥

(٢) الانعام : ١١٥

(٣) رواه الترمذى بلفظ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ... » وقال : حديث حسن صحيح غريب .

تامة ، وهو المسمى بالكلام ، والواحد منه بالكلية ، وهو الذى ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب والأجر ، ويجذب القلوب الى الله ومعرفته ، ومحبه وخشيته ، وغير ذلك من المطالب العالية ، والمقاصد السامية .

وأما الاقتصار على الاسم المفرد ، مظهرا أو مضرا ، فلا أصل له ، فضلا عن أن يكون ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة فى أنواع من البدع والضلالات ، وذريعة الى تصورات وأحوال فاسدة ، من أحوال أهل الألحاد وأهل الاتحاد ، كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع .

وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد الا الله ، ولا نعبد الا بسا شرع ، لا نعبد بالبدع ، كما قال تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (١) .
وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن « لا اله الا الله » ، وشهادة أن « محمدا رسول الله » .

ففى الأولى : أن لا نعبد الا اياه .

وفى الثانية : أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه ، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره .

وقد بين صلى الله عليه وسلم لنا ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الأمور ، وأخبر انها ضلالة ، قال تعالى : « بلى من أسسهم وجهه الله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .
وكما أننا مأمورون أن لا نخاف الا الله ، ولا نتوكل الا على الله ، ولا نرغب الا الى الله ، ولا نستعين الا بالله ، وأن لا تكون عبادتنا الا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن تتبع الرسول ونطيعه ، وتأسى به ، فالحلال ما حله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، قال تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون » (٣) . فجعل الإيتاء لله والرسول ، كما قال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٤) . وجعل التوكل

(٢) البقرة : ١١٢

(٤) الحشر : ٧

(١) الكهف : ١١٠

(٣) التوبة : ٥٩

على الله وحده بقوله : « وقالوا حسبنا الله » ولم يقل : ورسوله ، كما قال في وصف الصحابة رضى الله عنهم : « الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (١) . ومثله قوله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٢) أى حسبك وحسب المؤمنين ، كما قال : « اليس الله بكاف عبده » (٣) ثم قال : « وقالوا حسبنا الله سبحانه الله من فضله ورسوله » (٤) . فجعل الإتياء لله والرسول ، وقد ذكر الفضل لله ، لأن التفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين . وقال : « أنا إلى الله رافعون » (٥) فجعل الرغبة إلى الله وحده ، كما في قوله : « فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب » (٦) . وقد التفت إلى الله عليه وسلم لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » (٧) والقرآن يدل على مثل هذا في غير موضع .

فجعل العبادة والخشية والتقوى لله ، وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله ، كما في قول نوح عليه السلام : « ان أعبدوا الله واتقوه واطيعون » (٨) . وقوله : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » (٩) وأمثال ذلك .

فالرسل أمروا بعبادته وحده ، والرغبة إليه ، والتوكل عليه وطاعته ، والطاعة لهم ، فأضل الشيطان النصارى وأشباههم ، فأشركوا بالله وعصوا الرسول ، فاتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، فجعلوا يرغبون إليهم ويتوكلون عليهم ، ويألفونهم مع معصيتهم لأمرهم ، ومخالفتهم لستهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين ، أهل الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه ، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، فأخلصوا دينهم لله ، وأسلموا وجوههم لله وآنابوا إلى ربهم ، وأحبوه ورجوه ، وخافوه وسألوه ،

(٢) الانفال : ٦٤

(٤) التوبة : ٥٩

(١) آل عمران : ١٧٣

(٣) الزمر : ٣٦

(٥) الشرح : ٧ ، ٨

(٦) رواه أحمد ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وهو

(٧) نوح : ٢

حسن لغيره .

(٨) النور : ٥٢

ورغبوا اليه وقوضوا أمرهم اليه : وتوكلوا عليه : وأطاعوا رساله ،
وعزروهم ، ووقروهم ، وأحبوهم ، وأنوهم : واتبعوهم واتقوا آثارهم ،
واهتدوا بمنارهم •

وذلك هو دين الاسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من
الرسال ، وهو الدين الذي لا يتقبل الله من أحد دينا الا اياه ، وحر حقيقة
العبادة لرب العالمين •

فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ، ويكمله لنا ويميتنا عليه : وسائر
اخواتنا المسلمين •

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

* * *

وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخلوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمكم ، حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين . يا ايها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الله على المؤمنين امرة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » (١) .

وقال تعالى : « هنالك الولاية لله الحق ، هو خير ثوابا وخير عقبا » (٢) .

وذكر اولياء الشيطان فقال تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » (٣) .

وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطغافوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا » (٤) .

وقال تعالى : « واذا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ، الفتخلوه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو ، بشس للظالين بدلا » (٥) .

وقال تعالى : « ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » (٦) . وقال تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس

(١) المائدة : ٥١ - ٥٦
(٢) النحل : ٩٨ - ١٠٠
(٣) الكهف : ٤٤
(٤) النساء : ٧٦
(٥) الكهف : ٥٠
(٦) النساء : ١١٩

قد جمعوا فآخشواهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون أن كنتم مؤمنين (١) .

وقال تعالى : « أنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون . وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجعلنا عليها آياتنا (٢) » إلى قوله : « أنهم اتخلوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (٣) » وقال تعالى : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم (٤) » .

وقال الخليل عليه السلام : « يا أبت أتى لأخاف أن يمكك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً (٥) » . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقىون إليهم بالسودة (٦) » .
الآيات إلى قوله : « أنك أنت العزيز الحكيم (٧) » .

* * *

فصل

وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فرق الله ورسوله بينهما ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى : « إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون (٨) » .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد آذنته (٩) » بالمحاربة — أو فقد آذنته

(١) آل عمران : ١٧٣ — ١٧٥ (٢) الأعراف : ٢٧ ، ٢٨

(٣) الأعراف : ٣٠ (٤) الأنعام : ١٢١

(٥) مريم : ٤٥ (٦) المتحنة : ١

(٧) المتحنة : ٥ (٨) يونس : ٦٢ ، ٦٣

(٩) لفظ : « المبارزة » لم يرد في صحيح البخاري ، وإنما هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة ، والحديث في البخاري مروي في كتاب « الرقائق باب التواضع » ولفظه : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » . وقد تكلم الحافظ ابن رجب الحنبلي عن هذا الحديث في « جامع العلوم والحكم » . فليراجع .

بالحرب — وما تقرب الى عبدى بدليل أداء ما اقترفت عليه . . . لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت مسيرته في الخير . . . يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » . ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكسره الموت وأكره مساءته . . . ولا بد له منه » وهذا أصح حديث يروى في الأولياء ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من عادى وليا لله فقد ائز الله في المحاربة .

وفي حديث آخر : « (و) انى لأتأثر لأوليائي كما يتأثر الليث بالحرب » أى : آخذ تأثرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب تأثره ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، كما فى الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرقى عرى الايمان : الحب فى الله والبغض فى الله » (١) . وفى حديث آخر رواه أبو داود قال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان » (٢) .

والولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والتقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد . وقد قيل : ان الولى سعى وليا من موالاته للطاعات ، أى متابعتها لها ، والأول أصح . والولى : القريب ، يقال : هذا يلى هذا ، أى : يقرب منه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلاولى رجل ذكر » (٣) أى لأقرب رجل الى الميت ووكله بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص

(١) حديث حسن أخرجه أحمد فى « المسند » من البراء والطبرانى فى « الكبير » عن ابن عباس وفى « الصغير » عن ابن مسعود .

(٢) رواه أبو داود بسند حسن .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .

بالذكور ، ولا يشترك فيه الذكور والاثلاث ، كما قال في الزكاة :
« فابن لبون ذكر » (١) .

فاذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه
ويسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادى لوليه معاديا له ، كما قال
تعالى : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء لهم بالوعدة » (٢) .
فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلماذا قال :
« ومن عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة » .

وأفضل أولياء الله هم أنبياءه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ،
وأفضل المرسلين أولوا العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
صلى الله عليهم وسلم قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه » (٣) . وقال تعالى : « واذا اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا
عندهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم ، واعبد للكافرين
هذا باب اليمين » (٤) .

وأفضل أولى العزم : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
وامام المتقين ، وسيد ولد آدم ، وامام الأنبياء اذا اجتمعوا ، وخطيبهم
اذا وفدوا ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ،
وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم
القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة ، الذي بعثه الله بأفضل كتبه ،
وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ،
وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر
الأمم خلقا ، وأول الأمم بعثا ، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا

(١) هذا اللفظ جاء في رواية أبي داود عن أبي بكر ونصه : « فيما
خون خمس وعشرين من الأبل والغنم ، كل خمس ذود شاة ، فاذا بلغت
خمسا وعشرون ففيها بنت مخاض الى أن تبلغ خمسا وللاثنين ، فان لم يكن
فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر » ورواه النساء البخاري بمعنى .

(٢) الشورى : ١٣

(٣) المتحنة : ١

(٤) الاحزاب : ٧ ، ٨

الكتاب من قبلنا . وأوتينا من بعدهم : فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه
— يعنى يوم الجمعة — فهدانا الله له : الناس لنا تبع فيه : غدا لليهود ،
وبعد غد للنصارى « (١) » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من تنشق عنه الأرض » (٢) .
وقال صلى الله عليه وسلم : « أتى باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن :
من أنت : فأقول : أنا محمد . فيقول : بك أمرت أن لا افتح لأحد
قبلك » (٣) .

وفضائله صلى الله عليه وسلم وفضائل أمته كثيرة . ومن حين
بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون وليا لله الا من
آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطنا وظاهرا : ومن ادعى محبة الله
وولايته وهو لم يتبعه ، فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من
امداء لله وأولياء الشيطان . قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحبك الله » (٤) .

قال الحسن البصرى رحمه الله : ادعى قوم أنهم يحبون الله ،
فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها ، ان من اتبع الرسول
فان الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول صلى الله عليه
وسلم ، فليس من أولياء الله ، وان كان كثير من الناس يظنون فى
أنفسهم ، أو غيرهم ، أنهم من أولياء الله ، ولا يكونون من أولياء
الله ، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله (وأنه لا يدخل الجنة
الا من كان منهم ، بل يلصقون أنهم أبناءه) وأجباؤه ، قال تعالى :
« قل قلم يعذبكم بذنوبكم ، بل انتم بشر ممن خلق » (٥) . وقال تعالى :
« وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك امانيهم »
الى قوله : « ولا هم يحزنون » (٦) .

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله، لسكنائهم مكة ومجاورتهم

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى وأبو داود ومسلم بمعناه .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه . عن أنس .

(٤) آل عمران : ٣١ (٥) المائدة : ١٨

(٦) البقرة : ١١١ : ١١٢

البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم ، كما قال تعالى : « لقد كانت آياتي تنزل عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون • مستكبرين به سامرا تهجرون » (١) . وقال تعالى : « واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك » (٢) الى قوله : « وهم يصعدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ، ان أولياؤه الا المتقون » (٣) . فبين سبحانه ان المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، انما أولياؤه المتقون •

وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا من غير سر : « ان آل فلان ليسوا لي بأولياء — يعني طائفة من أقاربه — انما وليي الله وصالح المؤمنين » (٤) . وهذا موافق لقوله تعالى : « فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » (٥) . وصالح المؤمنين : هو من كان صالحا من المؤمنين • وهم المؤمنون المتقون أولياء الله ، ودخل في ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكلهم في الجنة ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » (٦) • ومثل هذا الحديث الآخر : « ان أوليائي المتقون أيا كانوا وحيث كانوا » (٧) •

كما أن من الكفار من يدعى أنه ولي الله ، وليس وليا لله ، بل عدو له فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ، يقرون في الظاهر بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأنه مرسل الى جميع الانس ،

(١) المؤمنون : ٦٦ ، ٦٧ (٢) الانفال : ٣٠

(٣) الانفال : ٣٤

(٤) أخرجه البخاري في كتاب « الادب » باب (يبل الرحم ببلالها) . وأخرجه مسلم في « كتاب الايمان » باب (موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم) عن عمرو بن العاص •

(٥) التحريم : ٤

(٦) أخرجه مسلم بلفظ : « لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة — أحد — الذين بايعوا تحتها » وأبو داود والترمذي عن جابر •

(٧) روى الحاكم في « المستدرک » مرفوعا : « ان أوليائي منكم المتقون » ، وفي سنده اسماعيل بن عبيد وهو مجهول . ولفظ : « ايا كانوا » وحيث كانوا » انما هو من كلام مجاهد •

بل الى الثقلين : الانس والجن ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك ، مثل ان لا يقرؤا في الباطن بأنه رسول الله ، وانما كان ملكا مطاعا ، ساس الناس برأيه ، من جنس غيره من الملوك ، أو يقولون : انه رسول الله الى الاميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، أو أنه مرسل الى عامة الخلق ، وأن لله أولياء خاصة ، لم يرسل إليهم ، ولا يحتاجون اليه ، بل لهم طريق الى الله من غير جهة ، كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون اليه وينتعمون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهي موافقون له فيها . وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو هم أعرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : ان أهل الصفة كانوا متعفين عنه ، ولم يرسل اليهم ، ومنهم من يقول : ان الله أوحى الى أهل الصفة في الباطن ما أوحى اليه ليلة المعراج . فصار أهل الصفة بمنزلة ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يعلمون أن الاسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » (١) .

وأن الصفة لم تكن الا بالمدينة ، وكانت صفة في شمالي مسجده صلى الله عليه وسلم ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصطحاب ينزلون عندهم ، فان المؤمنين كانوا يهاجرون الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ، ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد ، الى أن يتيسر له مكان ينتقل اليه .

وام يكن أهل الصفة ناسا بأعيانهم يلزمون الصفة ، بل كانوا يقولون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زمانا ، ثم ينتقل منسأ ، والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الاسلام وقتله النبي صلى الله عليه وسلم ، كالعربيين الذين اجتروا المدينة — أي : استوخموها — ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلفاح — أي ابل لها لبن — وأمروهم أن يشربوا من أبوالها ، فلما صحوا ، قتلوا الراعى ، واستاقوا الأزد ،

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأتى بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمرت أعينهم ، وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون .

وحديثهم في الصحيحين^(١) من حديث أنس ، وفيه أنهم أنزلوا الصفة ، فكان ينزلها مثل هؤلاء ، ونزلها من خيار المسلمين سعد ابن أبي وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصفة ، ثم انتقل عنها ، ونزلها أبو هريرة ، وغيره ، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من نزل الصفة .

وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفة ، وكذلك أكابر المهاجرين — كآبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبي عبيدة (ابن الجراح) وغيرهم — لم يكونوا من أهل الصفة .

وقد روى أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذا واحد من السبعة » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم ، وإن كان قد رواه أبو نعيم في « الحلية » وكذا كل حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة الأولياء ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، والأقطاب ، مثل أربعة ، أو سبعة ، أو اثني عشرة ، أو أربعين ، أو سبعين ، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والقطب الواحد . فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال .

وروى فيهم حديث أنهم أربعين رجلا ، وأنهم بالشام ، وهو في

(١) أخرجه البخاري في « كتاب الحدود » باب (لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا) ونصه : « قدم رهط من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في الصفة فاجتووا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله .. ابننا رسلا ، فقال : ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بابل برسول الله . فأتوها فشرها من البائها وأبوالها حتى صبحوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الدود ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم الصريح ، فبعث الطلب في آثارهم ، فمسا ترجل النهار حتى أتى بهم ، فأمر بمسامير فاحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم ، وما حسمهم ، ثم القوا في الحرة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا »

« المسند »^(١) من حديث على كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر على .

وقد أخرجنا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أشد منشد :

قد لست حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راقى
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقتي وترياقى

وأن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه ، فانه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مزق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه ، فعلقها على العرش ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان ، وكنت بينهما كالزفجى ، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا ، أنه فيمن يقر برسالة العامة في الظاهر ومن يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك ، فيكون منافقا ، وهو يدعى في نفسه

(١) قال الشيخ أحمد في تعليقه على « المسند » ، أسناده ضعيف . لانقطاعه ، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك عليا ، بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاء من الصحابة .

وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما عنادا ، وأما جهلا ، كما أن كثيرا من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله ، وأن محمدا رسول الله ، لكن يقولون : إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب ، وأنه لا يجب علينا اتباعه ، لأنه أرسل إلينا رسلا قبله ، فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طاعتهم أنهم أولياء الله ، وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله : « إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » (١) .

ولا بد في الإيمان من أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر . ويؤمن بكل رسول أرسله الله ، وكل كتاب أنزله الله : كما قال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء وما آتى موسى وعيسى وما آتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم نحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنا هم في شقاق ، فسيكفركم الله ، وهو السميع العليم » (٢) . وقال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (٣) . وقال في أول السورة : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (٤) .

فلا بد في الإيمان من أن تؤمن أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين : الجن والانس . فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس يؤمن ، فلهذا من أن

(٢) البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧

(٤) البقرة : ١ - ٥

(١) يونس : ٦٢ ، ٦٣

(٣) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

يكون من أولياء الله المتقين . ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال الله تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم ، اولئك سوف يؤتيهم اجرهم ، وكان الله غفورا رحيما » (١) .

ومن الايمان : الايمان : بأنه هو الرابطة بين الله وبين خلقه في تبليغ امره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وحلاله وحرامه . فالحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقا الى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر من أولياء الشيطان .

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورزقه اياهم ، واجابته لدعائهم ، وهدايته لقلوبهم ، ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده ، ويفعله بما يشاء من الأبواب ، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فليس بمؤمن ، ولا ولي لله تعالى ، كالأخبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم . وكذلك المنتسبون الى العلم والعبادة من المشركين ، مشركى العرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمنا بجميع ما جاء به محمد ، فهو كافر عذوه . وأن شئ طائفة أنه ولي لله ، كما كان حكماء النصارى من المجوس كتمارا مجوسا ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو : أمثاله ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام ثلاثمائة سنة ، وكان وزيرا لالاسكندر بن فليس المقدوني ، وهو الذى يدرخ له تواريخ الروم واليونان ، وتؤرخ به اليهود

والنصارى . وليس هذا هو ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه ، كما يظن بعض الناس ان أرسطو كان وزيرا لذى القرنين لما رأوا أنه ذلك اسمه الاسكندر ، وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذاك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه .

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرک — الذى قد كان أرسطو وزيره — متأخر عن ذاك ، ولم يبن هذا السور ، ولا وصل الى بلاد يأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذى كان أرسطو من وزراءه ، يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفى أصناف المشرکين ، من مشركى العرب ، ومشركى الهند ، والترك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهد فى العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسل ، ولا مؤمن بما جاءوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء الله ، وهؤلاء تقترب بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس بعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : « هل أتيتكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل آفك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » (١) .

وهؤلاء جميعهم ينتسبون الى المكاشفات وخوارق المعادات اذا لم يكونوا متبعين للرسل ، فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون فى أعمالهم ما هو اثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع فى العبادة .

ولهذا تنزل عليهم الشياطين واقتربت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . قال الله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (٢) .

وذكر الرحمن هو الذكر الذى بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القرآن فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه ، فيقيض له الشيطان فيقترب به . قال تعالى :

« وهذا ذكر مبارك أنزلناه » (١) . وقال تعالى : « ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لما حسرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٢) . فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التى أنزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد ، وعبدته مجتهدا فى عبادته ، ولم يكن متبعا لذكره الذى أنزله — وهو القرآن — كان من أولياء الشيطان ، ولو دار فى الهواء ، أو مشى على الماء فإن الشيطان يحمله فى الهواء ، وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع .

* * *

فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من تفاق . كما جاء فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعى : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر » .

وفى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإيمان بضع وستون — أو بضع وسبعون — شعبة ، أعلاها قول : لا اله الا الله ، وأدناها إمالة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من التفاق حتى يدعى .

وقد ثبت فى الصحيحين أنه قال لأبى ذر وهو من خيار المؤمنين : « انك امرؤ فيك جاهلية » ، فقال : يا رسول الله .. أعلى كبر سننى ؟ قال : « نعم » .

وثبت فى الصحيح عنه أنه قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية : النخر فى الأحساب ، والطنن فى الأنساب ، والنياسة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم » (٣) .

(٢) طه : ١٢٤ — ١٢٦

(١) الانبياء : ٥٠

(٣) أخرجه مسلم فى (كتاب الجنائز) عن أبى مالك الأشعرى .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » .

وفى صحيح مسلم : « وإن صام وصلن وزعم أنه مسلم » .

وذكر البخارى عن ابن أبى مليكة أنه قال : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) كانوا يخاف النفاق على نفسه . وقد قال الله تعالى : « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم تعالوا فقاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لبعنناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان » (١) .

فقد جعل هؤلاء الى الكفر ، أقرب منهم للإيمان ، فعلم أنهم مغلطون ، وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مغلطا وإيمانه أقوى .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقين ، فيحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالتاس متفاضلون فى ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاضلهم فى الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون فى عداوة الله ، بحسب تفاضلهم فى الكفر والنفاق ، قال الله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أياكم زادته هدىة إيمانا ، وأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون » (٢) .

وقال تعالى : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » (٣) .

وقال تعالى : « والذين آمنوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » (٤) .

وقال تعالى فى المنافقين : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » (٥) فبين سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية الله ، بحسب إيمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب

(٢) التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥ :

(٤) محمد : ١٧

(١) آل عمران : ١٦٦ ، ١٦٧

(٣) التوبة : ٣٧

(٥) البقرة : ١٠

كفره ونفساقه . وقال تعالى : « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » (١) .
وقال تعالى : « تليذادوا إيمانا مع إيمانهم » (٢) .

* * *

فصل

وأولياء الله على طيقتين : سابقون مقربون ، وأستعاب : من
مقتصدون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول سورة
(الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الانسان) و (المطففين) ، وفي سورة
(فاطر) ، فانه سبحانه وتعالى ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى في
أولها ، وذكر القيامة الصغرى في آخرها ، فقال في أولها : « اذا وقعت
الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . اذا رجت الأرض رجا .
وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب
اليمين ما أصحاب اليمين . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال .
والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلة من
الأولين . وقليل من الآخرين » (٣) .

فهذا تقسيم الناس اذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها
الأولين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع ،
ثم قال تعالى في آخر السورة : « فلولا » - أي فهلا - : « اذا بلغت
الحقون . وانتم حينئذ تنظرون . ونحن اقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين .
فاما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . واما ان كان
من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . واما ان كان من
الكلبين الضالين . فتنزل من حميم . وتصلية جحيم . ان هذا ليهو حق
اليقين . فسبح باسم ربك العظيم » (٤) وقال تعالى في سورة الانسان :
« انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا . انا امتلأنا لكافرين سلاسل
وأفلاجا وسعيرا . ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا .
عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما

(٢) الفتح : ٤

(١) المدثر : ٣١

(٤) الواقعة : ٨٣ - ٩٦

(٣) الواقعة : ١ - ٤

كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا .
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا
يوما عبوسا قهظيرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسورا .
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١) وكذلك ذكر في سورة المطففين
نفسا : « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين . وما ادرك ما سجين .
كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين . الذين يكذبون بيوم الدين .
وما يكذب به الا كل معتد أثيم . اذا تتلى عليه آياتها قال اساطير
الاولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن
ربهم يومئذ لحجبون . ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون . كلا ان كتاب الابرار لفي عليين . وما ادراك ما عليون .
كتاب مرقوم . يشهده المقربون . ان الابرار لفي نعيم . على الارائك
ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم .
ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم .
عينا يشرب بها المقربون » (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من السلف ، قالوا : بمزج
لأصحاب اليمين مزجا ، ويشرب بها المقربون صرفا ، وهو كما قالوا
فانه تعالى قال : « يشرب بها » ولم يقل يشرب منها ، لانه ضمن قوله :
يشرب معنى يروى ، فان الشارب قد يشرب ولا يروى ، فاذا قيل : يشربون
منها ، لم يدل على الروى ، فاذا قيل : يشربون بها ، كان المعنى يروى
بها ، فالمقربون ، يروون بها فلا يحتاجون معها الى ما دونها ، فلهذا
يشربون منها صرفا ، بخلاف أصحاب اليمين فانها مزجت لهم مزجا ،
وهو كما قال تعالى في سورة الانسان : « كان مزاجها كافورا . عينا
يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » (٣) .

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لأن
الجزء من جنس العمل في الخير والشر ، كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة
من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا

(٢) المطففين : ٧ - ٢٨

(١) الانسان : ٣ - ١٢

(٣) الانسان : ٥ ، ٦

والآخرة ، ون ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة : والله نى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله . يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم . الا نزلت عليهم السكينة . وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه « رواه مسلم فى صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (١) قال الترمذى : حديث صحيح .

وفى الحديث الآخر الصحيح الذى فى السنن يقول الله تعالى : « أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » (٢) . وقال : « ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعته الله » (٣) ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين ، كما تقدم ، وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عمل القسمين فى حديث الأولياء فقال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ، وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » (٤) .

-
- (١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وقال : حديث صحيح .
(٢) أخرجه أبو داود والترمذى عن عبد الرحمن بن صوف ، قال : حسن صحيح . قال الحافظ المنذرى : وفى تصحيح الترمذى له نظر ، فان أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا .
(٣) رواه البخارى ومسلم بلفظ : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعته الله » .
(٤) رواه البخارى فى صحيحه ، وليس فيه لفظ : البارزة ، وإنما هو من رواية الطبرانى عن أبى امامة . وقد تقدم .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المقربون اليه بالفرائض ، يفعلون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، فلما تقربوا اليه بجميع ما يقدرون عليه من محوباتهم أحبهم الرب حبا تاما ، كما قال تعالى : « ولا يزال عبيدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه » (١) . يعنى الحب المطلق كقوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٢) . أى أنعم عليهم الانعام المطلق التمام المذكور فى قوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » (٣) .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات فى حقهم طاعات يتقربون بها الى الله عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشربوا صرفا ، كما عملوا صرفا ، والمقتصدون كان فى أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم ، فلا يعاقبون عليه ، ولا يثابون عليه ، فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه فى الدنيا .

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام الى عبد رسول ، ونبي ملك ، وقد خير الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا ، فاختار أن يكون عبدا رسولا ، فأنبى الملك ، مثل داود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسلام ، قال الله تعالى فى قصة سليمان الذى قال : « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينهى لأحد من عبادى ، لك آت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين فى الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب » (٤) : أى : امط من شئت ، واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، فالنبي الملك ، يفعل ما

(١) حديث قدسى برواه البخارى فى صحيحه من أبى هريرة .

(٢) النساء : ٦٩ .

(٣) الفاتحة : ٧ ، ٦ .

(٤) سورة ص : ٣٥ - ٣٩ .

فرض الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه ، ويتصرف في الولاية : **أما الله بما يحب ويختار ، من غير اثم عليه .**

وأما العبد الرسول ، فلا يعطى أحدا إلا بأمر ربه ، ولا يهتدى من يشاء ، ويحرم من يشاء ، إن يعطى من أمره ربه باعطاءه ، ويولى من أمره ربه بتوليته ، فأعماله كلها عبادات لله تعالى : كما غي « صحيح البخاري » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الله قال : « **أني والله لا أعطي أحدا ، ولا أمتنع أحدا : أنا أنا قاسم أضع حيث أمرت** » (١) ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية إلى الله والرسول ، كقوله تعالى : « **قل الأنفال لله والرسول** » (٢) وقوله تعالى : « **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول** » (٣) . وقوله تعالى : « **واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول** » (٤) . ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخمس : أنه يقسم على خمسة كقول الشافعي ، وأحمد في المعروف عنه ، وقيل : على ثلاثة ، كقول أبي حنيفة رحمه الله .

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبي المالك ، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام ، أفضل من يوسف ، وداود ، وسليمان عليهم الصلاة والسلام ، كما أن المقربين السابقين ، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين لبسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ما أوجب الله عليه ، وفعل من المباحات

(١) رواه البخاري بلفظ : « **ما أعطيك ولا امتعكم ، أنا قاسم ، أضع حيث أمرت** » وأخرجه أحمد بن حنبل في « مسنده » عن عبد الله ابن عمر بلفظ : قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثروا في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس . فقال قائل : يا رسول الله .. وما فتنة الأحلاس ؟ قال : « **هي فتنة السراء دخلها — أو دخنها — من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ، أنا وليي المتقون** » .

(٢) الأنفال : ٧

(٣) الأنفال : ١

(٤) الأنفال : ٤١

ما يحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان انما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ،
ويقصد أن يستعين بما أبيض له على ما أمره الله ، فهو من أولئك .

فصل

وقد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة
« فاطر » ، في قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله ، ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور
من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن ، ان ربنا لغفور شكور . الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمينا
فيها نصب ولا يمينا فيها لغوب » (١) .

لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية ، هم أمة محمد صلى
الله عليه وسلم خاصة ، كما قال تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » (١) .

وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد
الأمم المتقدمة ، وليس ذلك مختصا بحفاظ القرآن ، بل كل من آمن
بالقرآن فهو من هؤلاء ، وقسمهم الى ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق ،
بخلاف الآيات التي في « الواقعة » و « المطففين » و « الانقطار » (٢)
فانه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة ، كافرهم ومؤمنهم ، وهذا التقسيم
لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالظالم لنفسه : أصحاب الذنوب
المصرون عليها . والمقتصد : المؤدى للفرائض ، المجتنب للمحارم .
والسابق للخيرات : هو المؤدى للفرائض والنوافل ، كما في تلك
الآيات . ومن تاب من ذنبه ، أى ذنب كان ، توبة صحيحة ، لم يخرج
بذلك من السابقين والمقتصدين ، كما في قوله تعالى : « وسارعوا الي
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين

(١) فاطر : ٣٢ — ٣٥

(٢) الواقعة : ٧ — ١٠ ، المطففين : ٦ — ١٨ ، الانقطار : ٣ ، ١٤

ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والمصابين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا للنوبهم ومن يفسر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، ونعم اجر العاملين (١) . وقوله : « جنات عدن يدخلونها » (٢) .

مما يستدل به أهل السنة ، على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار ، فهذا مما تواترت به السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تواترت بخروجهم من النار ، وشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في أهل الكبائر وإخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وشفاعة غيره : فن قال : ان أهل الكبائر مخلصون في النار ، وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوله (من تأوله) من المعتزلة ، فهو مقابل بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار ، ويؤمنون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولاجماع سلف الأمة وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من كتابه ، وهو قوله تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٣) : فأن خبر تعالى أنه لا يغفر الشرك ، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء ، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة ، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب ، وما دون الشرك ، يغفره الله أيضا للتائب ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين ، قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » (٤) : فهذا عمم المغفرة واطلقها ، فان الله يغفر للعبد أي

(٢) الرعد : ٢٢

(٤) الزمر : ٥٣

(١) آل عمران : ١٢٣ - ١٣٦

(٣) النساء : ٤٨

ذنب. تاب منه ، فمن تاب من الشرك غفر الله له ، ومن تاب من الكبائر غفر الله له . وأى ذنب تاب العبد منه غفر الله له .

ففى آية التوبة ، عمم وأطلق ، وفى تلك الآية خصص وعاق ، فخص الشرك بأنه لا يغفره ، وعلق ما سواه على المشيئة ، ومن الشرك التعطيل للحالتين ، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب ، ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه ، كتعطيل الخالق ، أو يجوز أن لا يعذب بذنب ، فانه لو كان كذلك ، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض ، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفورا له ، بلا توبة ولا حسنات ماحية ، لم يعلق ذلك بالمشيئة . وقوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) ، دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض ، فبطل النفى والعفو العام .

* * *

فصل

واذا كان أولياء الله عز وجل ، هم المؤمنون المتقين ، والناس يتفاضلون فى الايمان والتقوى ، فهم متفاضلون فى ولاية الله بحسب ذلك ، كما أنهم لما كانوا متفاضلين فى الكفر والنفاق ، كانوا متفاضلين فى عداوة الله بحسب ذلك .

وأصل الايمان والتقوى : الايمان برسول الله ، وجماع ذلك : الايمان بخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، فالإيمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسوله . وأصل الكفر والنفاق ، هو الكفر بالرسول ، وبما جاءوا به ، فان هذا هو الكفر الذى يستحق صاحبه المذاب فى الآخرة ، فان الله تعالى أخبر فى كتابه ، أنه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة . قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (٢) وقال تعالى : « اذا اوحينا إليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط عيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتيناهم داود زبوراً . ورسلاً

قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (١) .

وقال الله تعالى من اهل النار : « كلما اتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان اتسم الا في ضلال كبير (٢) » ، فاخبر انه كلما اتى في النار فوج أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ، فدل ذلك على انه لا يلقى فيها فوج الا من كذب النذير . وقال تعالى فى خطاب لابلis : « لاملان جهنم منك ومن قومك منهم اجمعين (٣) » ، فاخبر انه يملؤها بابلis ومن اتبعه ، فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم انه لا يدخل النار الا من اتبع الشيطان ، وهذا يدل على انه لا يدخلها من لا رب له ، فانه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً ، وما تقدم يدل على انه لا يدخلها الا من قامت عليه الحجة بالرسل .



فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل ايمانا (عاما) مجبلا ، وأما الذين المنفصل ، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك ، فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ، ولو بلغه لآمن به ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل ايمانا مجبلا ، فهذا اذا فصل بما علم أن الله أمره به مع ايمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعالى ، له من ولاية الله بحسب ايمانه وتقواه . وما لم تقم عليه الحجة به ، فإن الله تعالى لم يكلفه معرفته ، والايمان المنفصل به فلا يعذبه على تركه ، لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب ما فاته من ذلك : فمن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به ايمانا مفصلا ، وعمل به ، فهو أكمل ايمانا وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلا ، ولم يعمل به ، وكلاهما ولى الله تعالى . والجنة درجات متفاضلة تفاضلا عظيما ، وأولياء الله المؤمنون المتقون فى تلك الدرجات بحسب ايمانهم وتقواهم . قال الله تبارك وتعالى : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء

(٢) الملك : ٨ ، ٩

(١) النساء : ١٦٣ - ١٦٥

(٣) سورة ص : ٨٥

إن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً منحورا . ومن أراد الآخرة
وسمى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد
هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض ، والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » (١) .

فبين الله سبحانه وتعالى ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد
الآخرة من عطاءه ، وأن عطاءه ما كان محظورا من بر ولا فاجر ، ثم
قال تعالى : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، والآخرة أكبر
درجات وأكبر تفضيلا » (١) . فبين الله سبحانه ، أن أهل الآخرة
يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر
من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل
سائر عباده المؤمنين ، فقال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم
البيينات وأبناؤه بروح القدس » (٢) . وقال تعالى : « ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض ، وآتينا داوود زبوراً » (٣) .

وفى « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من
المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ،
ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا
وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان »

وفى « الصحيحين » عن أبي هريرة ، وعمر بن العاص رضى الله
عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم
فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى :
« لا يستوى منكم من اتفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة
من الذين اتفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » (٤) . وقال
تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضر والمجاهدون
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم
على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين

(٢) البقرة : ٢٥٣

(٤) الحديد : ١٠

(١) الإسراء : ٨ — ٢١

(٣) الإسراء : ٥٥

على القامدين أجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله عفورا رحيمسا (١) . وقال تعالى : « اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم » (٢) . وقال تعالى : « أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب » (٣) . وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير » (٤) .

* * *

فصل

وإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا : لقوله تعالى : « إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » (٥) .

وفي « صحيح البخاري » الحديث المشهور ، وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه : « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » . ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض ، فيكون من الأبرار أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل ، حتى يكون من السابقين المقربين ، فمعلوم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله ، وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وإن قدر أنه لا اثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تبلغه الدعوة ، وإن قيل : أنهم لا يعذبون . حتى يرسل إليهم ، فلا يكونون من أولياء الله ، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين ، فمن (لم) يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات . ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله ، وكذلك المجانين والأطفال ،

(٢) التوبة : ١٩ — ٢٢

(٤) المجادلة : ١١

(١) النساء : ٩٥ ، ٩٦

(٣) الزمر : ٩

(٥) يونس : ٦٢ ، ٦٣

فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يرفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ » (١) .

وهذا الحديث تد رواه أهل « السنن » من حديث علي وعائشة رضى الله عنهما ، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول ، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء ، واما المجنون الذى رفع عنه القلم ، فلا يصح شئ من عباداته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه ايمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمر الدنيا كالتجارة والصناعة ، فلا يصلح أن يكون بزازا ولا عطارا ولا حدادا ولا نجارا ، ولا تصح عقود باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا اقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعى ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبي المميز فان له أقوالا معتبرة فى مواضع بالنص والاجماع ، وفى مواضع فيها نزاع .

واذا كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى ، ولا التقرب الى الله بالفرائض والتوافل ، وامتنع أن يكون وليا لله ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله ، لا سيما أن تكون حجته على ذلك ، اما مكاشفة سمعها منه ، أو نوع من تصرف ، مثل أن يراه قد أشار الى واحد ، فمات أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف اذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، بل يعتقد أنه تسع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا الى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : ان الأنبياء

(١) رواه أحمد فى « المسند » وأبو داود والحاكم . وقال الحافظ ابن حجر بعد ما أورد له طرق عديدة بالفاظ متقاربة : هذه طرق يقوى بعضها بعضها . وصححه أحمد شاكر فى « المسند » .

ضيقوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ، دون الخاصة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعى الولاية ، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان ، فضلا عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن ائمتهم من خرق عادة على ولايتهم ، كان أشل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون ، فان كونه مجنونا ، يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ، ومن كان يجن أحيانا ويفيق أحيانا ، اذا كان في حال افاقته مؤمنا بالله ورسوله ، ويزدى الفرائض ، ويجتنب المحارم ، فهذا اذا جن ، لم يكن جنونه مانعا من أن يشييه الله على ايمانه وتقواه الذي أتى به في حال افاقته ، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه جنون بعد ايمانه وتقواه ، فان الله يشييه ويأجره على ما تقدم من ايمانه وتقواه ، ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلى به من غير ذنب فعاه ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه .

فعلى هذا فمن أنكر الولاية وهو لا يزدى الفرائض ، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي الله ، فان هذا ان لم يكن مجنونا ، بل كان متولها من غير جنون ، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ، ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر ، وان كان مجنونا باطنا وظاهرا قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وان لم يكن معاقبا عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقا لما يستحقه أهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي الله ، ولكن ان كان له حالة في افاقته كان فيما مؤمنا بالله متقيا ، كان له من ولاية الله بحسب ذلك ، وان كان له حال افاقته فيه كفر أو شقاق ، أو كان كافرا أو منافقا ، ثم طرأ عليه الجنون فهذا فيه من الكفر والشقاق ما يعاقب عليه ، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال افاقته من كفر أو شقاق .

* * *

فصل

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور. المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا ، ولا يحلق شعر أو تقصيره أو ظفره ، إذا كان مباحا ، كما قيل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عباء ، بل يوجد في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجار والصناع والزراع .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقراوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى وآخسرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقراوا ما تيسر منه » (١) .

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : « القراء » فيدخل فيهم العلماء والنسك ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء ، واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح .

وقد قيل : انه نسبة إلى صفة الفقهاء ، وقيل : إلى صفة (بن مر) بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفون بالنسك ، وقيل : إلى أهل الصفة . وقيل : إلى (أهل) الصفاء ، وقيل : إلى الصفة ، وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى ، وهذه أقوال ضعيفة ، فانه لو كان كذلك ل قيل : صفى ، أو صفائي ، أو صفوى ، أو صفى ، ولم يتل صوفى ، وصار اسم الفقراء ، يعنى به أهل السلوك ، وهذا عرف حادث قد تنازع الناس : أيهما أفضل : مسمى الصوفى ، أو مسمى الفقير ؟ ويتنازعون أيضا أيهما أفضل : العنى الشاكر ، أو الفقير الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الجنيد وبين أبى العباس .

ابن عطاء ، وقد روى عن أحمد بن حنبل فيها روايتان : والصواب في هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى ، وحيث قال : « يا أيها الناس اتقوا الله خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعويا وقبالل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (١) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه سئل : أى الناس أفضل لا قال : « اتقاهم » ، قيل له : ليس عن هذا نسألك ، فقال : « يوسف نبي الله . ابن يعقوب نبي الله ، ابن اسحق نبي الله ، ابن ابراهيم خليل الله » . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، اذا فقهوا » (٢) .

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله اتقاهم .

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أبيض ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ، كلکم لآدم وادم من تراب » (٣) .

وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى أذهب عنكم غيبة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، الناس رجالان : مؤمن بتي ، وفاجر شقي » (٤) .

فمن كان من هذه الأصناف اتقى الله ، فهو أكرم عند الله ، واذا استويا في التقوى ، استويا في الدرجة .

ولفظ الفقر في الشرع ، يراد به الفقر من المال ، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه ، كما قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » (٥) وقال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا الله انتم الفقراء الى الله » (٦) .

(١) الحجرات : ١٣

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه أحمد في « المسند » عن أبي نضرة ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٦) فاطر : ١٥

(٥) التوبة : ٦٠

وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات ، وأهل التقى .

فقال في الصنف الأول : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون حرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الخفا » (١) .

وقال في الصنف الثاني ، وهم أفضل الصنفين : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » (٢) .

وهذه سمة المهاجرين الذين هجروا السينات ، وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن من آمنه الناس على دينهم وأموالهم » (٣) و « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (٤) و « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله » (٥) .

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم ، أنه قال في غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » فلا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله (٦) ، و جهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان . قال الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً » (٧) . وقال تعالى :

(١) البقرة : ٢٧٣ (٢) الحشر : ٨

(٣) رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن . ورواه ابن ماجه ، ورجاله ثقات .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه الترمذي ، وأحمد ، والطبراني . قال العلاني : حديث حسن

(٦) قال الحافظ العراقي : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر .

وقال الحافظ ابن حجر : هو من كلام إبراهيم بن عيلة .

(٧) النساء : ٩٥

« اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، لا يستترون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً ، إن الله عنده أجر عظيم » (١) .

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : ما أبالي إلا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج ، وقال آخر : ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال علي بن أبي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . قال : حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

وفي الصحيحين أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال : « لا تستطيعه — أو لا تطيقه — » قال : فأخبرني به ، قال : « هل تستطيع إذا خرجت مجاهداً أن تصوم ولا تفطر ، وتقوم ولا تنقر » ؟

وفي السنن عن معاذ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يا معاذ .. اتق الله حيثما

كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن » (١) .
 وقال : « يا معاذ انى لأحبك ، فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة : اللهم
 أعنى على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » (٢) ، وقال له وهو رديفه :
 « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على عباده » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .
 قال : « حقه عليهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . أتدرى ما حق
 العباد على الله اذا فعلوا ذلك » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال :
 « حقهم عليه الا يذهبهم » (٣) .

وقال أيضا لمعاذ : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ،
 وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » وقال : « يا معاذ .. ألا أخبرك
 بأبواب البر ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء
 الماء النار ، وقيام الرجل فى جوف الليل » ثم قرأ : « تتجافى جنوبهم
 عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم
 نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٤) .

ثم قال : « يا معاذ .. ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك » ؟
 فقال : « أمك عليك لسانك هذا » فأخذ بلسانه ، قال : يا رسول الله ..
 وأنا لمؤاخذون بما تتكلم به ؟ فقال : « تكلمت أمك يا معاذ ، وهل يكب
 الناس فى النار على مناخرهم الا حصائدهم » (٥) .

وتفسير هذا ما ثبت فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه
 قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »
 فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه ، والصمت عن الشر خير من
 التكلم به ، فأما الصمت الدائم فبدعة منهى عنها ، وكذلك الامتناع عن
 أكل الخبز واللحم وشرب الماء ، فذلك من البدع المذمومة أيضا ،
 كما ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى
 صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما فى الشمس ، فقال : « ما هذا » ؟
 فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ، ولا يستظل ولا يتكلم ،

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن . وهو كما قال .

(٢) رواه أبو داود ، والنسائى ، وسنده صحيح .

(٣) رواه الشيخان . (٤) السجدة : ١٦ ، ١٧ .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وقد تكلم عليه

الحافظ ابن رجب الحنبلى فى « جامع العلوم والحكم » ، فليراجع .

« يصوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مروءة فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه » .

وثبت في الصحيحين عن أنس أن رجلا سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنهم تقالوها . فقالوا : وأينا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال لآخر : أما أنا فلا أكل اللحم^(١) ، وقال الآخر : أما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال رجال يقول أحدهم : كذا وكذا ، ولكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأكل اللحم ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » ، أي سلك غيرها ظانا أن غيرها خير منها . فمن كان كذلك فهو برئ من الله ورسوله ، قال تعالى : « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه »^(٢) .

بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، كما ثبت عنه في الصحيح^(٣) أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة .

* * *

فصل

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور ما أمر الله به وما نهى الله عنه ، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى ، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ، ولا يعترف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ،

(١) جملة : « أكل اللحم » هي من رواية مسلم ، وليست في البخاري .

(٢) البقرة : ١٣٠ .

(٣) أي « صحيح مسلم » . ولفظه : « أما بعد » ، فإن خير الحديث

كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد « صلى الله عليه وسلم » .

نُقال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حدثته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (١) .

وقد ثبت في الصحيح (٢) أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال « قد فعلت » .

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية : « وان تبسؤوا ما في أنفسكم أو تخطئوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شيء قدير » (٣) .

قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » قال فالتقى الله الإيمان في قلوبهم ، فانزل الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » إلى قوله : « أو أخطأنا » .

قال الله : « قد فعلت » « ربنا لا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا » قال : « قد فعلت » « ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (٤) . قال : « قد فعلت » وقد قال تعالى : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم » (٥) .

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وعمر بن العاص رضي الله عنهما ، مرفوعا أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » . فلم يؤثم المجتهد المخطئ . بل جعل له أجرا على اجتهدده ، وجعل خطاه مغفورا له ، ولكن المجتهد المصيب له أجران ، فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان

(١) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) أي « صحيح مسلم »

(٣) البقرة : ٢٨٤ (٤) البقرة : ٢٨٦

(٥) الاحزاب : ٥

ولى الله يجوز ان يعتد به . لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يذويه .
من هو ولى الله ، الا ان يكون نبيا . بل ولا يجوز ولى الله ان يعتد به
على ما ينهى به في قلبه : الا ان يكون موافقا ، وعلى ما يقع له مما يراه
الهاما ومحاذيا وخطابا من الحق . بل يجب عليه ان يعرض ذلك جميعه
على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فان وافقه قلبه . وان مخالفه
لم يقبله ، وان لم يعلم اموافق موافقا أم مخالف . توقف فيه .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط . فمنهم من
اذا اعتقد في شخصي أنه ولى الله . وافقه في كل ما يقطن أنه حدثه به
قلبه عن ربه ، وسلم اليه جميع ما يفعله ، ومنهم من اذا رآه قد قال
أو فعل ما ليس بموافق للشرع ، أخرجه عن ولاية الله بالكليّة وان كان
مجتهدا مخطئا ، وخيار الأمور أوساها . وممن أن لا يجعل معصوما
ولا مأثوما اذا كان مجتهدا ، فلا يتبع في كل ما يقوله . ولا يحكم
عليه بالكفر والفسق مع اجتهداده .

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله : وأما اذا خالف
قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين . لم يكن لأحد أن يلزمه بقول
المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي أحد فممنهم » .
وروى الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو لم
أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » (١) .

وفي حديث آخر : « ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه » (٢)
وفيه : « لو كان نبي بعدي لكان عمر » (٣) وكان على بن أبي طالب

(١) ليس هو في الترمذي ، وإنما أخرجه ابن عدي ، وفي مسنده زكريا
ابن يحيى الوزار . قال ابن عدي : يضع الحديث ، وللحديث شواهد كلها
ضعيفة والذي جاء في الترمذي : « لو كان نبي بعدي لكان عمر » . وهو
حديث حسن .

(٢) رواه الترمذي بلفظ : « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » .
وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٣) رواه الترمذي ، وهو حديث حسن .

رضى الله عنه يقول : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر .
ثبت هذا عنه عن رواية البيهقي^(١) . وقال ابن عمر : ما كان عمر يقول
في شيء : انى لاراه كذا ، الا كان كما يقول . وعن قيس بن طارق
قال : كنا نتحدث ان عمر ينطق على لسانه ملك ، وكان عمر يقول :
اقتربوا من أفواه المطيعين . واسمعوا منهم ما يقولون ، فانه تتجلى
لهم أمور صادقة .

وهذه الأمور الصادقة التى أخبر بها عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ، انها تتجلى للمطيعين ، هى الأمور التى يكشفها الله عز وجل لهم ،
فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء فى هذه
الأمة بعد أبى بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فان خير هذه الأمة
بعد نبيها أبو بكر ثم عمر^(٢) .

وقد ثبت فى الصحيحين تعيين عمر ، بأنه محدث فى هذه الأمة ،
فأى محدث ومخاطب فرض فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فعمر
أفضل منه ، ومع هذا كان عمر رضى الله عنه يفعل ما هو الواجب
عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ،
فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته
غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك ، كما رجع يوم الحديبية
لما كان قد رأى محاربة المشركين ، والحديث معروف فى البخارى
وغیره ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قد اعتمر سنة ست من الهجرة ،
ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة ، وهم الذين يابعوه تحت الشجرة ،
وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم ، على ان يرجع
فى ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط لهم شروطا فيها نوع

(١) رواه البيهقي فى « دلائل النبوة » .

(٢) أخرج البخارى من ابن عمر . قال : كنا نخيب الناس فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم فتخير أبى بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان
رضى الله عنهم . وأخرج البخارى وأبو داود من محمد بن الحنفية . قال :
قلت لأبى رضى الله عنه : يا أباى أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر . وخشيت أن أقول :
ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ، قال : ما أنا إلا رجل من
المسلمين .

غضاضة على المسلمين في الظاهر . نشق ذلك على كثير من المسلمين .
وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة ، وكان عمر
فيمن كره ذلك حتى قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ..
السنا على الحق وعسدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » قال : أفليس
قتلانا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال : « بلى » قال : فعلام نعطي
الدية في ديننا ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اني رسول
الله وهو ناصري ، ولست أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا ذاتي
البيت ونطوف به . قال : « بلى » ، قال : أقلت لك : « انك تأتيه العام ؟
قال : لا . قال : « انك آتية ومطوف به » .

فذهب عمر الى أبي بكر رضي الله عنهما فقال له مثل ما قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي صلى الله
عليه وسلم ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي صلى الله عليه وسلم .
فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة الله وللنبي صلى الله عليه وسلم
من عمر ، وعمر رضي الله عنه رجس عن ذلك ، وقال : فعلت لذلك
أعمالا (١) .

وكذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، أنكر عمر موته
أولا ، فلما قال أبو بكر : انه مات . رجع عمر عن ذلك (٢) .

(١) رواه البخاري في « باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل
الحرب » (ج ٣ / ٢٣٩) .

(٢) روى البخاري عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسبخ قال اسماعيل :
(هو شيخ البخاري) يعني بالعالية ، فقام عمر يقول : والله ما مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسى الا
ذلك ، وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله فقال : بأبي أنت وأمي .. طبت
حيا وميتا ، والذي نفسى بيده لا يديقك الله الموتين أبدا . ثم خرج فقال :
أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر
وأثنى عليه وقال : الا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا
قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وقال : « انك ميت
وآلهم ميتون » (الزمر : ٢٠) وقال « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الارسل ، افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه =

وكذلك في قتال مانعى الزكاة قال عمر لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألم يقل : « إلا بحقها » فإن الزكاة من حقها . والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق (١) .

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر . مع أن عمر رضى الله عنه محدث ، فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث ، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم ، فيحتاج أن يعوضه على ما جاء به النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يشاور الصحابة رضى الله عنهم ، وينظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور ، وينازعونه في أشياء فيحتاج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقرهم على منازعته ، ولا يقول لهم : أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي أن تقبلوا منى ولا تعارضوني فأى أحد ادعى ، أو ادعى له أصحابه أنه ولى الله ، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، فهو وهم مخطئون ، ومثل هذا أضل الناس ، فعمربن الخطاب رضى الله عنه أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ، وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقوله ، وهو وهم على الكتاب والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم ، فإن الأنبياء صلوات الله

== فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » (آل عمران : ٤٤) أخرجه البخارى عقب باب « قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا » . في المناقب (٦/٥) .

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة . وفي مسلم بلفظ : لو منعوني عقالا ، بدل : عناقا .

عليهم وسلامه . يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل ،
ونجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء ، فانهم لا تجب طاعتهم
في كنى ما يأمرون به ، ولا الايمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض
أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة وجب
قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا ، وان كان صاحبه من
أولياء الله ، وكان مجتهدا معذورا فيما قاله ، له أجر على اجتهداده ،
ولكنه اذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا ، وكان من الخطأ المغرر
اذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ، فان الله تعالى يقول :
« فاتقوا الله ما استطعتم » (١) . وهذا تفسير قوله تعالى : « يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » (٢) .

قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن
يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . أى بحسب استطاعتكم ، فان
الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها ، كما قال تعالى : « لا يكلف الله
نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٣) . وقال تعالى :
« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا شيئا الا وسعها أولئك
أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون » (٤) . وقال تعالى : « وأوفوا بالعقود
واليزان بالقسط ، لا تكلف نفسا الا وسعها » (٥) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الايمان بما جاءت به الأنبياء في غير
موضع ، كقوله تعالى : « قسولوا امنا بالله وما أنزل البنا وما أنزل إلى
أبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ولا سباط وما أوتى موسى وعيسى
وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له
مسلمون » (٦) . وقال تعالى : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون ،
أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (٧) . وقال تعالى :
« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق المفسرب ولكن البر من آمن

(٢) آل عمران : ١٠٢

(٤) الامراف : ٤٢

(٦) البقرة : ١٣٦

(١) التباين : ١٦

(٣) البقرة : ٢٨٦

(٥) الانعام : ١٥٢

(٧) البقرة : ١ — ٥

بالله واليوم الآخر واللائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه
ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب
واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين
فى الباس والفراء وحين الباس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم
المتقون (١) .

وهذا الذى ذكرته ، من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب
والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع فى
قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ،
ومن خالف فى هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم ،
بل إما أن يكون كافرا ، وإما أن يكون مفرطا فى الجهل .

وهذا كثير فى كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبى سليمان الدارانى
أنه ليقع فى قلبى النكته من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين :
الكتاب والسنة .

وقال أبو القاسم الجنيد رحمه الله عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب
والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ، لا يصلح له أن يتكلم
فى علمنا ، أو قال : — لا يقتدى به — .

وقال أبو عثمان النيسابورى : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلًا ،
نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلًا ، نطق بالبدعة ،
لأن الله تعالى يقول فى كلامه القديم : « وان تطيعوه تهتكموا » (٢) .

وقال أبو عمر بن نجيد : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة
فهو باطل .

وكثير من الناس يغلط فى هذا الموضع ، فيظن فى شخص أنه ولى
الله ، ويظن أن ولى الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يقوله
ويسلم إليه كل ما يفعله ، وإن خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك
الشخص له ، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذى فرض الله على جميع
الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، وجعله الفارق بين أوليائه
وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء والأشقياء ، فمن
اتبعه كان من أولياء الله المتقين ، وجنده المفلحين ، وعباده الصالحين ،

ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين . فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولا الى البدعة والضلال . وآخرا الى الكفر والنفاق ، ويكون له نصيب من قوله تعالى : « يوم يعطى الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خلولا » (١) . وقوله تعالى : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » (٢) . وقوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وإن الله شديد العذاب . إذ نبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا ، كذلك يرهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار » (٣) . وهؤلاء مشابهُون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم : « اتخذوا آحادهم ورهبانهم أربابا من دون الله . والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (٤) .

وفى المسند وصححه (٥) الترمذى عن عدى بن حاتم فى تفسيره هذه الآية ، لما سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ما عبدوهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أحلوا لهم الحرام ، وحرّموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم » ولهذا قيل فى مثل هؤلاء : إنما حرّموا الوصول بتنضيع الأصول ، فإن أصل الأصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد من الايمان بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق انهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، علمائهم وعبادهم ، ملوكهم ومسوقتهم ، وأنه لا طريق الى الله عز وجل لأحد من الخلق الا بتأبته باطنا وظاهرا حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه ،

(١) الفرقان : ٢٧ — ٢٩ (٢) الاحزاب : ٦٦ — ٦٨

(٣) البقرة : ١٦٥ — ١٦٧ (٤) التوبة : ٣١

(٥) الترمذى لم يصححه وإنما حسنه فقط وهو الصواب .

كما قال تعالى : « واذ اخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري ، قالوا اقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فاولئك هي الفاسقون » (١) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقد قال تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . واذ قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا . اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظيهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا . وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يمنكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلدوا تسليما » (٢) . وكل من خالف شيئا مما جاء به الرسول ، مقلدا فى ذلك لمن يظن أنه ولى الله ، فانه بنى أمره على أنه ولى الله ، وأن ولى الله لا يخالف فى شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة ، فكيف اذا لم يكن كذلك ؟ وتجد كثيرا من هؤلاء ، عمدتهم فى اعتقاد كونه وليا لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة فى بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة للمعادة ، مثل أن يشير الى شخص فيموت ، أو يطير فى الهواء الى مكة أو غيرها ، أو يمشى على الماء أحيانا ، أو يملأ ابريقا من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يختفى أحيانا عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فراه قد جاءه ففضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس فى شيء من هذه الأمور

ما يدل على أن صاحبها ولي الله ، بل قد اتفق أولياء الله ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يمتز به حتى ينظر متابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للمادة . وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله ، فقد يكون عدواً لله ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنية وشرائع الإسلام الظاهرة .

مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها ، قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابسا لنجاسات ، معاشرا للكلاب ، يأوى إلى النجاسات ، والقمامات والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ولا كلب » (١) . وقال عن هذه الأخلية : « إن هذه الجشوش محتضرة » (٢) أي يحضرها الشيطان ، وقال : « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » (٣) .

(١) أخرجه أبو داود والنسائي عن علي ، ورجاله ثقات ، إلا أن نحر . — وهو أحد الرواة — لم يوثقه سوى المعلى ، والحديث في « الصحيحين » دون قوله : « ولا جنب » وروى أبو داود في سننه « ثلاثة لا تقرب الملائكة : جفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق ، والجنب إلا أن يتوضأ ، وهو حديث حسن لطيفه .

(٢) أخرجه أبو داود من زيد بن أرقم ، ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم بلفظ : « من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » ورواه البخاري بلفظ : « من أكل بصلا أو ثوماً فليعتزل — أو ليعتزلنا — مسجدنا » ولفظة الخبيثتين وردت من قول عمر ، كما في « صحيح مسلم » .
(٣٠ — مجموعة التوحيد)

وقال : « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا »^(١) ، وقال : « ان الله
نظيف يحب النظافة »^(٢) ، وقال : « خمس من الفواسق يقتلن في الحل
والحرم : الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور »^(٣)

وفي رواية : « الحية والعقرب » وأمر صلوات الله وسلامه عليه
بقتل الكلاب^(٤) وقال : « من اقتنى كلبا لا يغنى عنه زرعاً ولا ضرعاً ،
يقص من عمله كل يوم قيراط »^(٥) ، وقال : « لا تصحب الملائكة
رفقة معهم كلب »^(٦) وقال : « اذا ولغ الكلب لآلهة أحدكم فليغسله
سبع مرات ، احداهن بالتراب »^(٧) .

وقال تعالى : « ورحمتى وسعت كل شيء » ، فسأكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي
الامى الذى يجتونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمروهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم
أصـرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »^(٨) .

فاذا كان الشخص مباشراً للتجاسات والخبائث التى يجلبها
الشیطان ، أو يأوى الى الحمامات والحشوش ، التى تحضرها الشياطين ،

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذى بلفظ : « ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف
يحب النظافة » ، وهو حسن .

(٣) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ، والبخارى بلفظ : « خمس من الدواب
كلهن فاسق يقتلن فى الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ،
والكلب العقور » .

(٤) ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب ، ثم نهى عن ذلك
واستثنى من النهى الكلب العقور ، والاسود البهيم .

(٥) رواه مسلم ، وأبو داود والترمذى وأحمد ، عن أبي هريرة .

(٦) رواه مسلم بلفظ : « أولاهن » ولفظة احداهن وردت عنيد

الدارقطنى ، وإسنادهما ضعيف .

(٨) الإعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

أو يأكل الحيات والعقارب والزناير ، وأذان الكلاب انتهى هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ، ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلبس الكلاب أو النيران أو يأوى إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوى إلى المقابر ، ولا سيما إلى مقابر الكفار ، من اليهود والنصارى . أو المشركين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم على سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : لو ظهرت قابوس لما شبعنا من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر ينبت الايمان فى القلب ، كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق فى القلب ، كما ينبت الماء البقل .

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الايمان الباطنة ، فارقا بين الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف الله فى قلبه من نوره كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم » (١) . وقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدى به من ناسنا من عبادنا » (٢) .

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذى رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » . قال الترمذى : حديث حسن (٣) .

(١) الحديد : ٢٨ (٢) الشورى : ٥٢

(٣) وهو حديث حسن لغيره ، كما قال الهيثمى وغيره .

قال تعالى : « وان لم يستقلوا على الطريقة لاستقناهم ملائكتنا »
 لغتتهم فيه ، ومن يعرف عن ذكر ربه يستلكنه عذابا صعبا (١)
 فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر ، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه ،
 والغاية المقصودة هي حقيقة الدين ، وهي عبادة الله وحده لا شريك
 له وهي حقيقة دين الاسلام ، وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين
 لا يستسلم لقوة ، فمن استسلم لقوته كان مشركا . والله « لا يفسد أن
 يشرك به » (٢) . ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته ، كان
 ممن قال الله فيه : « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
 داخرين » (٣) .

ودين الاسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين .
 وقوله تعالى : « ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه » (٤) .
 عام في كل زمان ومكان . فنوح وإبراهيم ويعقوب والاسباط وموسى
 وعيسى والحواريون ، كلهم دينهم الاسلام ، الذي هو عبادة الله وحده
 لا شريك له . قال الله تعالى : « يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى
 بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم » الى قوله : « وامرت أن
 اكون من المسلمين » (٥) . وقال تعالى : « ومن يرغب عن ملة إبراهيم
 الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وانه في الآخرة ان
 الصالحين » الا قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين . ووصى
 بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
 الا وانتم مسلمون (٦) . وقال تعالى : « وقال موسى يا قوم
 ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (٧) . وقال السحرة :
 « ربنا افرغ علينا صنبرا وتوفنا مسلمين » (٨) . وقال يوسف عليه
 السلام : « توفنى مسلما والتقنى بالصالحين » (٩) . وقالت بلقيس :
 « واسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (١٠) . وقال تعالى : « يحكم

(١) الجن : ١٦ ، ١٧	(٢) النساء : ٤٨
(٣) غافر : ٦٠	(٤) آل عمران : ٨٥
(٥) يونس : ٧١ ، ٧٢	(٦) البقرة : ١٣٠ - ١٣٢
(٧) يونس : ٨٤	(٨) الأعراف : ١٢٦
(٩) يوسف : ١٠١	(١٠) النمل : ٢٤

بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربطيون والأخبار (١) .
وقال الحواريون : « آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون (٢) » .

فدين الأنبياء واحد ، وإن تنوعت شرائعهم ، كما في « الصحيحين »
عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « أنا معشر الأنبياء ديننا واحد » .

وقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه (٣) » . وقال تعالى : « يا أيها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، إني بما تعملون عليم . وإن
هذه أمتكم واحدة وأنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم ذبرا
كل حزب بما لديهم فرحون (٤) » .

* * *

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أولياء الله تعالى : على
أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده
السعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعالى : « ومن يطع الله والرسول
فلأنك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا (٥) » .

وفي الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين
والمرسلين أفضل من أبي بكر » وأفضل الأمم أمة محمد صلى الله
عليه وسلم . قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس (٦) » .
وقال تعالى : « ثم أوتينا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (٧) » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في « المسند » :

(١) المائدة : ٤٤	(٢) آل عمران : ٥٢
(٣) الشورى : ١٣	(٤) المؤمنون : ٥١ - ٥٣
(٥) النساء : ٦٩	(٦) آل عمران : ١٠
(٧) فاطر : ٣٢	

وأتم توفون سبعين أمة ، أتم خيرها وأكرمها على الله « وأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم القرن الأول .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير وجه أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعث فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، وهذا ثابت في « الصحيحين » من غير وجه .

وفي « الصحيحين » أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، والذي نفس محمد بيده : لو أثنى أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، أفضل من سائر الصحابة . وقال تعالى : « لا يستوي منكم من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » (١) . وقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٢) .

والسابقون الأولون : الذين أوقفوا من قبل الفتح وقاتلوا : والمراد بالفتح : صلح الحديبية . فإنه كان أول فتح مكة ، وفيه أنزل الله تعالى : « أنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (٣) . فقالوا : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال : « نعم » .

وأفضل السابقين الأولين ، الخلفاء الأربعة ، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الأمة وجماهيرها ، وقد دلت على ذلك دلائل ، بسطناها في « منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية » .

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة ، على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة . وأفضل أولياء الله تعالى ، أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول وأتباعه له ، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه وأتباعه ، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعمل به ، فهو

(٢) التوبة : ١٠٠

(١) الحديد : ١٠

(٣) الفتح : ١ : ٢

أفضل أولياء الله ، اذ كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم ، وأفضلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه .

وقد ظن طائفة غالطة ، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء ، قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء ، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذى ، فانه صنف مصنفا غلط فيه فى مؤاضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ، ومنهم من يدعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ، وإن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته ، كما زعم ذلك ابن عربى صاحب كتاب « الفتوحات المكية » وكتاب « الفصوص » فخالف الشرع والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما يقال لمن قال : فخر عليهم السقف من تحتهم : لا عقل ولا قرآن .

وذلك أن الأنبياء أفضل من الزمان من أولياء هذه الأمة ، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف الأنبياء كلهم ؟ والأولياء انما يستفيدون معرفة الله ممن يأتى بعدهم ، ويدعى أنه خاتم الأولياء وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم ، فإن فضل محمد صلى الله عليه وسلم ثبت بالنصوص الدالة على ذلك . كقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وقوله : « أتى باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ، أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وليلة المراج ، رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم ، فكان أحقهم بقوله تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » (١) .

الى غير ذلك من الدلائل ، كل منهم يأتى الوحي من الله ، لا سيما محمد صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فى نبوته محتاجا الى غيره ، فلم تحتاج شريعته الى سابق ، ولا الى لاحق ، بخلاف المسيح ، أحاطهم فى أكثر الشريعة على التوراة ، وجاء المسيح فأكملها ، ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوات المتقدمة على المسيح ، فالتوراة والزبور ، وتمام

الأربع وعشرين نبوة ، وكان الأمم قبلنا محتاجين الى محدثين : بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن الله أغناهم به ، فلم يبتجروا ، الى نبي ، ولا الى محدث ، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الأنبياء ، فكان ما فضله الله به بما أنزله اليه ، وأرسله اليه لا بتوسط بشر .

وهذا بخلاف الأولياء ، فإن كل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يكون وليا لله الا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق ، هو بتوسط محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك من بلغه رسالة رسول الله ، لا يكون وليا لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل اليه .

ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمد ، فهذا كافر ملتحد ، وإذا قال : أنا محتاج الى محمد في علم الظاهر ، دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : ان محمدا رسول الى الأمين دون أهل الكتاب ، فإن أولئك آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فكانوا كفارا بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول : ان محمدا بعث بعلم الظاهر ، دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض ، فهو كافر ، وهو أكفر من أولئك ، لأن علم الباطن ، الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الإيمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة .

فإذا ادعى المدعى ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، إنما علم هذه الأمور الظاهرة ، دون حقائق الإيمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ، دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أؤمن ببعض ، وأكفر ببعض ولا يدعى أن هذا البعض الذي آمن به ، أدنى القسمين .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ، ويلبسون على الناس ، فيقولون : ولايته أفضل من نبوته ، وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي

ويقولون : نحن شاركناء في ولايته التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فإن ولاية محمد لم يمثله فيها أحد ، لا إبراهيم ولا موسى ، فضلا عن إيمان ثلة فيها هؤلاء الملحدون .

وكل رسول نبي ولي ، فالرسول نبي ولي ، ورسالته متضمنة لنبوته ، ونبوته متضمنة لولايته ، وإذا قدرنا مجرد انباء الله آياه بدون ولايته لله ، فهذا تقدير ممتنع ، فانه حال انبائه آياه ، ممتنع أن يكون الا وليا لله ، ولا تكون مجردة عن ولايته ، ولو قدرت مجردة ، لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته .

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب « الفصوص » ابن عربي : أنهم يأخذون من المعلن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول ، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة ، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا : ان الافلاك قديمة أزلية ، لها علة تشبه بها ، كما يقوله أرسطو وأتباعه : أولها موجب بذاته ، كما يقوله متأخروهم ، كابن سينا ، وأمثاله ، ولا يقولون : انها لرب خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الأنبياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل اما أن ينكروا علمه مطلقا ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : انما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقيقة هذا القول ، انكار علمه بها ، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الافلاك ، كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ، فمن لم يعلم الا الكليات ، لم يعلم شيئا من الموجودات ، والكليات انما توجد كلييات في الأذهان ، لا في الأعيان .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر ، في رد تعارض العقل والنقل وغيره ، فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومشركي العرب ، فإن جميع هؤلاء يقولون : ان الله خلق السموات والأرض ، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته .

وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان ، كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، وهم يعرفون الملائكة والأنبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وانما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية .

وأما الأمور الإلهية ، فكل منهم فيها قليل الدواب . كثير الخطأ ،
واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيات منهم بكثير .
ولكن متأخروهم كابن سينا وغيره أرادوا أن يلقوا بين كلام أولئك
وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا أشياء من أصل الجهمية والمعتزلة ،
وركبوا مذهباً قد يعتزى إليه متفلسفة أهل الملل . وفيه الفساد والتناقض
ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع .

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل . كوسى وعيسى ومحمد عليهم
الصلاة والسلام قد بهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذي بعث به
محمد صلى الله عليه وسلم ، أعظم ناموس طرقت العالم . ووجدوا
الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك ، وبين
أقوال سلفهم اليونان ، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة ، يسمونها :
المجردات ، والمفارقات .

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن : وسموا تلى المفارقات ،
لمفارقتها المادة ، وتجردها عنها . وأثبتوا الأفلاك ، لكل فلك قصا . وأكثرهم
جعلوها أعراضاً ، وبعضهم جواهر .

وهذه المجردات التي أثبتوها ، ترجع عند التحقيق إلى أمور
موجودة في الأذهان لا في الأعيان (كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعداداً
مجردة ، و) كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية المجردة ،
أثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ، ومدة وخلاء مجردين ، وقد اعترف
حذاقهم ، بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان ، لا في الأعيان ، فلما أراد
هؤلاء المتأخرون منهم ، كابن سينا ، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم
الفاسدة ، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة ، من اتصف بها فهو نبي :
١ — أن تكون له قوة علمية ، يسمونها القوة القدسية ، ينال بها
العلم بلا تعلم .

٢ — وأن يكون له قوة تخيلية ، تخيل له ما يعقل في نفسه ،
بحيث يرى في نفسه صوراً ، أو يسمع في نفسه أصواتاً ، كما يراه النائم
توهمه ، ولا يكون لها وجود في الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هي
ملائكة الله ، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى .

٣ — وأن يكون له قوة فعالة ، يؤثر بها في هوى العالم وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، وخوارق السحرة ، هي (من) قوى الأتفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم ، من قلب العصا حية ، دون انشقاق القمر ونحو ذلك ، فانهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع ، وبيننا أن كلامهم هذا أفسد الكلام وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي تحصل ، ما هو أعظم منه لاحاد العامة ، ولاتباع الأنبياء ، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل ، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله ، وهم كثيرون ، كما قال تعالى : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » (١) .

وليسوا عشرة ، وليسوا أعراضا ، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو العقل الأول ، وعنه صدر كل ما دونه ، والعقل الفعال العاشر ، رب كل ما تحت فلك القمر .

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله ، وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور في حديث يروي : « أن أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتي ما خلقت خلقا أكرم على منك ، فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه أيضا القلم لما روى « أن أول ما خلق الله القلم » الحديث رواه الترمذي (٢) .

والحديث الذي ذكره في العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي ، والدارقطني ، وابن الجوزي ، وغيرهم . وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ، ومع هذا فلفظه لو كان ثابتا حجة عليهم ، فإن لفظه : « أول ما خلق الله تعالى العقل » قال — ويروي — : « لما خلق الله العقل قال له .. » (٣) ،

(١) المدثر : ٣١

(٢) هو حديث صحيح أخرجه أحمد ، والترمذي وصححه .

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في « زوائد المسند » قال : حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن برفعه : « لما خلق الله تعالى العقل قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر قال : ما خلقت خلقا أحب الي منك ، بك آخذ وبك أعطي » وهو مرسل . =

فمعنى الحديث : أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، وليس معناه أنه أول المخلوقات (وأول) منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر (لما) وتام الحديث : « ما خلقت خلقا أكرم على منك » فهذا يقتضى أنه خلق قبل غيره ، ثم قال : « فبك آخذ ، وبك أعطى ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض . وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوى والسفلى صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان ، فإن العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلًا ، كما في القرآن : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » (١) . « أن في ذلك آيات لقوم يعقلون » (٢) « أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » (٣) .

ويراد بالعقل الفريضة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها .

وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعقل ، وليس هذا مطابقا للغة الرسل والقرآن ، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الأجسام : العقل والنفوس ، فيصحبها عالم الأمر ، وقد يسمى (العقل) عالم الجبروت (والنفوس) عالم الملكوت ، و (الأجسام) عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك .

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبسا كثيرا كاطلاقهم أن الفلك

= وهو في « معجم الطبراني الأوسط » موصول من حديث أبي امامة وأبي هريرة بأسنادين ضعيفين . ومما يحسن التنبيه عليه أن كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصح منها شيء وهي تدور بين الضعف والوضع وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » عن داود بن الحبر بضعا وثلاثين حديثا في فضل العقل . قال الحافظ ابن حجر كلها موضوعة وقال ابن القيم في المنار : أحاديث العقل كلها كذب .

(٢) الرعد : ٤

(١) الملك : ١٠

(٣) الحج : ٤٦

محدث ، أى معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون الا مسبوقاً بالعدم ، ليس فى لغة العرب ولا فى لغة أحد أنه يسمى القديم الأزل ، محدثاً ، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء . وكل مخلوق فهو محدث وكل محدث كائن بعد أن لم يكن ، لكن نأظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما خبر به الرسول ، ولا أحكموا فيها قضايا العقول ، فلا للإسلام نصروا ، ولا للأعداء كسروا ، وشاركوا أولئك فى بعض قضاياهم الفاسدة ، ونازعوهم فى بعض المقولات الصحيحة ، فصار قصور هؤلاء فى العلوم السمية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك ، كما قد بسط فى غير هذا الموضع .

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذى يتشكل فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله ، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله ، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ، كابن عربى صاحب « الفتوحات » و « القصص » . فقال : انه يأخذ من المعدن الذى أخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل ، والملك هو الخيال ، والخيال تابع للعقل ، وهو يزعمه يأخذ عن الذى هو أصل الخيال ، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبى ، ولو كان خاصة النبى ما ذكروه ، ولم يكن هو من جنسه ، فضلاً عن أن يكون فوقه ، فكيف وما ذكروه يحصل لأحاد المؤمنين ؟ ! والنبوة أمر وراء ذلك ، فان ابن عربى وأمثاله وان ادعوا أنهم من الصوفية ، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ، ليسوا من صوفية أهل العلم ، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة ، كالفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبى سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيدي بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين ، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة فى كتابه بصفات ثابته قول هؤلاء ، كقوله تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولنا سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون الا أن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم انى اله من

دونه فلذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين (١) وقال تعالى :
 « وكم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن
 الله لمن يشاء ويرضى » (٢) . وقال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم
 من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم
 فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن
 أذن له » (٣) . وقال تعالى : « وله من في السموات والأرض ، ومن
 عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحصرون . يسبحون الليل والنهار
 لا يفترون » (٤) .

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر ،
 وأن الملك تمثل لمريم بشرا سويا وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي
 صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي ، وفي صورة أعرابي ،
 وإبراهيم الناس كذلك . وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه
 ذو قوة : « عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين » (٥) . وإن محمدا
 صلى الله عليه وسلم « رآه بالآفاق المبين » (٦) . ووصفه بأنه :
 « شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالآفاق الأعلى . ثم دنا فتدلى .
 فكان قاب قوسين أو أدنى . فأنشأ إلى عبده ما أوحى . ما كذب .
 الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند
 سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يفشى السدرة ما يفشى .
 ما زاغ البصر وما طفى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (٧) .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير
 مرتين ، يعني المرة الأولى بالآفاق الأعلى ، والنزلة الأخرى عند سدرة
 المنتهى ، ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين ،
 وأنه روح القدس ، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم
 مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٩
 (٢) سبأ : ٢٢ ، ٢٣
 (٣) التكوين : ٢٠ ، ٢١
 (٤) النجم : ٥ — ١٨
 (٥) النجم : ٢٦
 (٦) الأنبياء : ٩ ، ٢٠
 (٧) التكوين : ٢٣

خيالا في نفس النبي ، كما زعم هؤلاء الملاحدة المنفلسة ، والمدعون بولاية الله وأنهم أعلم من الأنبياء .

وغاية حقيقة هؤلاء انكار أصول الايمان ، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فإن الموجودات تشترك في مسمى الوجود ، كما تشترك الأناسي في مسمى الانسان ، والحيوانات في مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركا كليا الا في الذهن ، والا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذي عطل الصانع ، فانه لم يكن منكرا هذا الموجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضل منه ، وان كان قوله هذا هو أظهر فسادا منهم ، ولهذا جعلوا عباد الأصنام ما عبدوا الا الله ، وقالوا : لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف — وان جاز في العرف التاموس لذلك قال : أنا ربكم الأعلى — أي وان كان الكل أربابا بنسبة ما ، فأنا الأعلى منكم بما أعطيت في الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له بذلك وقالوا : « فاقض ما أنت قاض ، انما تلقى هذه الحياة العنينا » (١) . قالوا : فصح قول فرعون : « أنا ربكم الأعلى » (٢) .

وكان فرعون عين الحق ، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر ، فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر ، وبملائكته وكتبه ورسله ، مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وأنهم أفضل من الأنبياء وأن الأنبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم .

وليس هذا موضع بسط الحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام نى أولياء الله ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله . وهم أنظم الناس ولاية للشيطان نبهنا على ذلك ، ولهذا عامة كلامهم ، إنما هو فى الحالات الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب « الفتوحات » (باب أرض الحقيقة) ويقولون :
هى أرض الخيال .

فتعرف بأن الحقيقة التى يتكلم فيها هى الخيال ، ومحمل تصرف الشيطان ، فإن الشيطان يخيّل للإنسان الأمور بخلاف ما هى .

قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإذ هم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون (١) . وقال تعالى : « ان الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضللاً بعيداً » (٢) . الى قوله : « يصدّهم ويمنّهم ، وما يصدّهم الشيطان إلا غروراً » (٣) . وقال تعالى : « وقال الشيطان لما قضى الأمر أن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، أنى كُفرت بما أشركتمون من قبل ، ان النّالين لهم عذاب اليم » (٤) . وقال تعالى : « ولذّ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وأنى جاد لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى يرى منكم أنى ارى ما لا ترون انى اخاف الله ، والله شديد العقاب » (٥) .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح :
أنه رأى جبريل يزعم الملائكة (٦) ، والشياطين اذا رأت ملائكة لله

(١) الزخرف : ٣٦ — ٣٩ (٢) النساء : ١١٦

(٣) النساء : ١٢٠ (٤) إبراهيم : ٢٢

(٥) الأنفال : ٤٨

(٦) فى « موطأ مالك » باب جامع الحج ، عن طلحة بن عبيد الله ابن كريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رأى الشيطان يوماً هو فيه أصفر ولا أحمر ولا أخضر ولا أبيض منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلا = (٣١ — مجموعة التوحيد)

التي يؤيد بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته قال تعالى : « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا » (١) . وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحنا وجنودنا لم تروها » (٢) . وقال تعالى : « اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها » (٣) . وقال تعالى : « اذ تقول للمؤمنين ان يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (٤) .

وهؤلاء تأتيهم ارواح تغاطبهم وتتمثل لهم ، وهى جن وشياطين ، فيظنونها ملائكة ، كالأرواح التى تغاطب من يعبد الكواكب والأصنام .

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء فى الاسلام : المختار بن أبى عبيد الذى أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى « صحيحه » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيكون فى ثقيف كذاب ومبير » (٥) وكان الكذاب : المختار بن أبى عبيد والمبير : الحجاج بن يوسف فقيلا لابن عمر وابن عباس ان المختار يزعم انه ينزل اليه ، فقالا : صدق ، قال الله تعالى : « هل البكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افكاه أثيم » (٦) .

وقال الآخر : وقيل له : ان المختار يزعم أنه يوحى اليه ، فقال : قال الله تعالى : « وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم » (٧) . وهذه الأرواح الشيطانية ، هى الروح الذى يزعم صاحب « الفتوحات » أنه ألقى اليه ذلك الكتاب ، ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات

= لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله . قال : « اما انه قد رأى جبريل يزعم الملائكة » أي يصيغهم للقتال وهو حديث مرسل .

(١) الأنفال : ١٢ (٢) الأحزاب : ٩

(٣) التوبه : ٤٠ (٤) آل عمران : ١٢٤ ، ١٢٥

(٥) رواه مسلم بلفظ : « ان فى ثقيف كذابا ومبيرا » والمبير : المهلكة .

(٦) الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢ (٧) الأنفال : ١٢٩

بطعام معين ، وشئ معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالا بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء ، وإنما هو من الأحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عددا . ومنهم من كان يحمل في الهواء الى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يوثى بمال تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات يجعل يحصل له من الناس أو لسطاء يمتطونه اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ، كانوا مناقضين للرسائل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و « الفصوص » وأشباه ذلك يمدح الكفار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن مسدد ، وسهل بن عبد الله التستري وأمثالهما . ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه ، كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الجنيد — قدس الله روحه — كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال : التوحيد لفرد الحدوث عن القدم . فبين أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث ، وبين الخالق والمخلوق .

وصاحب « الفصوص » أنكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : يا جنيد .. هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله : افراد الحدوث عن القدم ، لأن قوله هو : ان وجود المحدث هو عين وجود القديم ، كما قاله في « فصوصه » ومن أسمائه الحمى : « العلى » على من ؟ وما ثم الا هو . وعن ماذا ؟ وما هو الا هو ، فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات ، فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست الا هو .. الى أن قال :

هو عين ما بطن ، وهو عين ما ظهر ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من ينطق عنه سواء ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، وغير ذلك من الأسماء المحدثات .

فيقال لهذا الملحد : من شرط المميز بين الشيتين بالمسلم والقبول أن يكون ثالثا غيرهما ، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره ، وليس هو ثالثا ، فالعبد يعرفه أنه عبد ، ويميز بين نفسه وخالقه ،

والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم ، وأنهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا .

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم ، وهو أحذقهم في اتحادهم — لما قرئ عليه « القصص » ف قيل له : القرآن يخالف « قصوصكم » فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد من كلامنا . ف قيل له : فإذا كان الوجود واحدا ، فلم كانت الزوجة حلالا والأخت حراما ؟ فقال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام . فقلنا : حرام عليكم .

وهذا مع كسره العظيم متناقض ظاهرا ، فإن الوجود إذا كان واحدا ، فمن المحجوب ومن الحاجب ؟ ولهذا قال أحد شيوخهم لمريده : من قال لك أن في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له مريده : فمن هو الذي يكذب ؟ وقالوا لآخر : هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر غير المظاهر ، أم هي ؟ فإن كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة ، وإن كانت أيها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ، وينا حقيقة قول كل واحد منهم ، وأن صاحب « القصص » يقول : المعلوم شيء ، ووجود الحق قاض عليهما ، فيفرق بين الوجود والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : المعلوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه ، فإن أولئك قالوا : أن الرب خلق لهذا الأشياء الثابتة في العدم وجودا ليس هو وجود الرب ، وهذا زعم أن عين وجود الرب قاض عليهما ، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق ، وصاحبه المصدر القنوي يفرق بين المطلق والمعين ، لأنه كان أقرب إلى الفلسفة فلم يقر بأن المعلوم شيء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق ، وصنف « مفتاح غيب الجمع والوجود » .

وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه ، فإن المطلق بشرط الإطلاق ، وهو الكلي العقلي ، لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان ، والمطلق لا بشرط ، وهو الكلي الطبيعي . وإن قيل : أنه موجود في الخارج ، فلا يوجد في الخارج إلا معينا ، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج ، فيلزم أن يكون وجود الرب ، أما منتفيا في

الخارج ، وأما أن يكون جزءا من وجود المخلوقات ، وأما أن يكون عين وجود المخلوقات . وهل يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه ؟ أم العدم يخلق الوجود ؟ أو يكون بعض الشيء خالقا لجميعه ؟

وهؤلاء يفرون من لفظ الحول لأنه يقتضى حالا ومثالا ، ومن لفظ الاتحاد ، لأنه يقتضى شيئين اتحد أحدهما بالآخر ، وهذا من البرزخ واحد ويقولون : التصاري كنروا لما خصتموها المسيح بأنه هو الله ، ولو عموا لما كفروا .

وكذلك يقولون نبي عباد الأصنام : أنا أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض ، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم . والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام .

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ، ففيه ما يلزمهم دائما من التناقض ، لأنه يقال لهم : فمن المخطيء ؟ لكنهم يقولون : ان الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق ، ويقولون : ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ، ويقولون ما قاله صاحب « القصص » : فالعلى لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النوعات الوجودية والنسب المدمية ، سواء آكانت محمودة عرفا أو عقلا أو شرعا ، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا ، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة .

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض ، فانه معلوم بالحق والعقل أن هذا ليس هو ذاك ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلسافي أنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل يقولون : من أراد التحقيق — يعني تحقيقهم — فليترك العقل والشرع .

وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم ، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم ، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بقولهم أنه مستنع ، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول ، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول ، ويمتنع أن يتعارض دليان قطعيان ، سواء آكانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا ، فكيف بمن ادعى كشفا يناقض صريح الشرع والعقل ؟ !

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تليسات الشياطين •

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة يقدمون الأولياء على الأنبياء ، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع ، كما يذكر عن ابن سبعم وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة : يقولون : العبد يشهد أولا طاعة ومصيبة ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لا طاعة ولا معصية ، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر ، كما أن بعض هؤلاء يقول : أنا كافر برب يعصى ، وهذا يزعم أن المعصية : مخالفة الإرادة التي هي المشيئة ، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة ويقول شاعرهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره منى ففعلنى كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه فان المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب ، مخالفة أمر الله ورسوله ، كما قال تعالى : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم • ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » (١) •

وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية ، والأمر الكوني والديني •

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية ، فبينها الجنيد رحمه الله لهم ، فمن اتبع الجنيد فيها كان على السداد ، ومن خالفه ضل ، لأنهم تكلفوا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود هذا التوحيد ، وهذا يسمونه الجمع الأول ، فبين لهم الجنيد أنه لا بد من شهود الفرق الثاني ، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقها ، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه ، ويفرق بين أوليائه وأعدائه ، كما قال تعالى : « افنجد المسلمين كالجرمين • ما لكم كيف

تَحْكُمُونَ» (١) . وقال تعالى : « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْفُسِقِينَ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » (٢) . وقال تعالى : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (٣) . وقال تعالى : « وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا السَّيِّئُ ، قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ » (٤) .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا رب غيره . وهو مع ذلك أمر بالطاعة ، ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى عادة الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، وإن كانت واقعة بمشيئته ، فهو لا يحبها ، ولا يرضاها ، بل ييغضها ويذم أهلها ويعاقبهم .

وأما المرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا معصية . فإنه يرى أن الوجود واحد ، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله . وهو في الحقيقة غاية الالتحاد في أسماء الله وآياته ، وغاية العداوة لله . فإن صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء . وقد قال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ » (٥) . ولا يتبرا من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله تعالى : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ . إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِهِمْ مِنْكُمْ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . كُفِّرْنَا بَكُمْ وَبَيْنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِنْكُمْ تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ » (٦) . وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَانْهُمْ عَسَوْا لِي إِلَّا رَبَّ الْمَالِكِينَ » (٧) . وقال تعالى : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ » (٨) .

(٢) سورة ص : ٢٨

(٤) غافر : ٥٨

(٦) المتنحة : ٤

(٨) المجادلة : ٢٢

(١) القلم : ٣٥ ، ٣٦

(٣) الجاثية : ٢١

(٥) المائدة : ٥١

(٧) الشعراء : ٧٥ - ٧٧

وهؤلاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل فصيحة ابن الفارض المسماة بـ « نظم السلوك » يقول فيها :

لها صلواتي في المقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الي حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلي سوى ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة
الي أنه قال :

وما زلت أياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلت
الي رسولاً كنت مني مرسلاً وذاني بآياتي على استدلت
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن منادي أجابت من دعائي ولبت
الي أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :

إن كان منزلتي في الحب عندهم أمنية ظفرت نفسي بها زمت
ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي واليوم أحسبها أضغاث أحلام
فإن كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه بين بطلان ما كان يظنه ، وقال الله تعالى : « سبح لله ما في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (١) .

فجميع ما في السموات والأرض يسبح لله ، ليس هو الله ، ثم قال تعالى : « له ملك السموات والأرض ، يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم » (٢) .

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر » .

ثم قال : « هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير » (١) .

فلذكر ان السموات والأرض ، وفى موضع آخر : « وما بينهما » (٢) مخلوق مسبح له وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء . وأما قوله : « وهو معكم » فلفظ « مع » لا تقتضى فى لغة العرب ان يكون احد الشيئين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٣) . وقوله تعالى : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار » (٤) . وقوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » (٥) . ولفظ « مع » جاءت فى القرآن عامة وخاصة ، فالمامة فى هذه الآية وفى آية المجادلة : « ألم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شيء عليم » (٦) .

فافتتح الكلام بالعلم ، وختمه بالعلم : ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه .

وأما المعية الخاصة ، ففى قوله تعالى : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٧) . وقوله تعالى لموسى : « اتى معكما اسمع وأرى » (٨) . وقال تعالى : « اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » (٩) ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه ، فهو مع موسى وهارون ودون فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبى جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين .

فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان ، تناقض الخبر الخاص.

(٢) التوبة : ١١٩
(٤) الأنفال : ٧٥
(٦) النحل : ١٢٨
(٨) التوبة : ٤٠

(١) الحديد : ٤
(٣) الفتح : ٢٩
(٥) المجادلة : ٧
(٧) طه : ٤٦

والخير العام ، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأيدته دون أولئك ، وقوله تعالى : « وهو الذى فى السموات والارض الله » (١) ، أى هو الله من فى السموات والارض من فى الأرض كما قال تعالى : « وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (٢) . وكذلك قوله تعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض » (٣) .

كما فسرهُ آئنة العلم ، كالامام أحمد وغيره أنه المعبود فى السموات والأرض .

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثله شيء ، ولا كقسوله ، فى شيء من صفات الكمال ، كما قال الله تعالى : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » (٤) .

قال ابن عباس : الصمد العليم الذى كمل فى علمه ، العظيم الذى كمل فى عظمته ، القدير الكامل فى قدرته ، الحكيم الكامل فى حكمته ، السيد الكامل فى سؤدده .

وقال ابن مسعود وغيره هو : الذى لا جوف له ، والأحد : الذى لا نظير له . فاسمه « الصمد » يتضمن اتصافه بصفات الكمال ، ونفى النقائص عنه ، واسمه « الأحد » يتضمن اتصافه أنه لا مثيل له .

وقد بسطنا الكلام على تفسير ذلك فى هذه السورة وفى كونها تعدل بثلاث القرآن .

* * *

فصل

وكثير من الناس تشبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الايمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية ، فإن الله سبحانه وتعالى له الخلق

(٢) الروم : ٢٧
(٤) سورة الاخلاص .

(١) الزخرف : ٨٤
(٣) الانعام : ٣

والأمر . كما قال تعالى : « ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يفتي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » (١) .

فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه ، لا خالق غيره . ولا رب سواه . ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن ، فكل ما فى الوجود من حركة وسكون : فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقته ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسله ، أمر بالتوحيد والاخلاص ، ونهى عن الاشرار بالله ، فأعظم الحسنات التوحيد . وأعظم السيئات الشرك . قال الله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) .

وقال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » (٣) .

وفى « الصحيحين » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت : ثم أى . قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك » . فأنزل الله تصديق ذلك : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق الأذى . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما » (٤) .

وأمر سبحانه بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . وأخبر أنه يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب المقسطين ، ويحب التوايين ، ويحب المتطهرين ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، وهو يكره ما نهى عنه ، كما قال فى سورة « سبحان » : « كل ذلك سيئه عند ربك مكروها » (٥) .

(٢) النساء : ١١٦
(٤) الفرقان : ٦٨ — ٧٠

(١) الاعراف : ٥٤
(٣) البقرة : ١٦٥
(٥) الاسراء : ٢٨

وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذى القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقدير ، وأن يجلس يده مغلوطة الى عنقه ، وأن يسطها كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير الحق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم الا بالتي هي أحسن الى أن قال : « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » (١) . وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد مأمور أن يتوب الى الله تعالى دائما قال الله تعالى : « وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون » (٢) .

وفى « صحيح البخارى » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ايها الناس .. توبوا الى ربكم ، فوالذى نفسى بيده انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » .

وفى « صحيح » مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنه ليغان عن قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » .

وفى « السنن » عن ابن عمر قال : « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لى وتب على انك أفت التواب الرحيم » .. مائة مرة » (٣) . أو قال : « أكثر من مائة مرة » .

وقد أمر الله سبحانه أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثا ويقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » (٤) .

كما ثبت فى الحديث الصحيح عنه . وقد قال الله تعالى : « والمستغفرين بالأسحار » (٥) . فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفرون بالأسحار . وكذلك ختم سورة « المزمل » وهى سورة قيام الليل بقوله

(١) الاسراء : ٣٨ (٢) النور : ٣١

(٣) رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(٤) أخرجه مسلم من توبان (٥) آل عمران : ١٧

تعالى : « واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (١) . وكذلك قال في سورة البقرة : « فاذا انقضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله ان الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (٢) . بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهي آخر غزواته : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانتصار الدين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظننوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتسبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » (٣) . وهي من آخر ما نزل من القرآن . وقد قيل : ان آخر سورة نزلت قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح . وراى الناس يدخلون في دين الله افواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا » (٤) . فامر الله تعالى ان يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفى « الصحيحين » عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى » — يتأول القرآن .

وفى « الصحيحين » عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم اغفر لى خطيئتى ، وجهلى ، واسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى هزلى وجدى ، وخطيئى ، وعمدى ، وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت . لا اله الا أنت » .

وفى « الصحيحين » أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا رسول الله .. علمنى دعاء أدعوه فى صلاتى ، قال : قال : « اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم » .

(١) البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩ (٢) التوبة : ١١٧ ، ١١٨

(٣) سورة النصر .

وفى « السنن » عن أبى بكر رضى الله عنه قال : يا رسول الله .. علمنى دعاء أدعو به اذا أصبحت واذا أمسيت ، فقال : « قل : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءا ، أو أجره الى مسلم : اذا أصبحت واذا أمسيت ، واذا أخذت مضجعتك » (١) .

فليس لأحد أن يظن استغناؤه عن التوبة الى الله والاستغفار من الذنوب ، بل كل أحد محتاج الى ذلك دائما قال الله تبارك وتعالى : « وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتسوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما » (٢) .

فالإنسان ظالم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر الله تعالى فى كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

وثبت فى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا الا أن يتغمدى الله برحمة منه وفضل » (٣) . وهذا لا ينافى قوله : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » (٤) . فان الرسول صلى الله عليه وسلم تقي بآء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت بآء السبب .

وقول من قال : اذا أحب الله عبدا لم تضره الذنوب ، مغناه أنه اذا أحب عبدا ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب ، ومن يظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها ، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة ، واجماع السلف والأئمة ، بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وانما عباده المملوحون هم المذكورون فى قوله : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت

(١) رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣ (٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) الحاقة : ٢٤

للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين من الناس ، والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا للنوبهم ومن يفسر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١) . ومن ظن انه القدر حجة لاهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم : « سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء » (٢) .

قال الله تعالى ردا عليهم : « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرسون . قل فله الحجة البالغة فلو نساء لهذاكم جميعين » (٣) .

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذب الله المكذبين للرسل ، كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات ، وقوم فرعون ، ولم يأمر بأقامة الحدود على المعتدين ، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذم والعقاب ، فعليه أن لا يذم أحدا ولا يعاقبه اذا اعتدى عليه ، بل يستوى عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم ، فلا يفرق بين من يعمل معه خيرا ولا بين من يفعل معه شرا ، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً . وقد قال تعالى : « ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار » (٤) . وقال تعالى : « افنجعل المسلمين كالجrimين » (٥) . وقال تعالى : « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » (٦) وقال تعالى : « افحسب انما خلقناكم عبثا وانكم اليانا لا ترجعون » (٧) وقال تعالى : « ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٨) . اي مهمل لا يؤمر ولا ينهى .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

(١) آل عمران ١٣٣ — ١٣٥	(٢) الانعام : ١٤٨
(٣) الانعام : ١٤٨ ، ١٤٩	(٤) سورة ص : ٢٨
(٥) القلم : ٣٥	(٦) الجاثية : ٢
(٧) المؤمنون : ١١٥	(٨) القيامة : ٣٦

قال : « احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم .. أنت أبو البشر ، خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده ، فيكم وجدت مكتوبا على قبل أن أخلق » (وعصى آدم ربه فغوى) (١) . قال : بأربعين سنة . قال : فلم تلومنى على أمر قدره الله على قبيل أن أخلق بأربعين سنة ؟ نال : فحج آدم موسى « أى غلبه بالحجة » .

وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان : طائفة كذبت به لما ظنوا أنه يقتضى رفع الذم والمقاب عن عصى الله لأجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون : القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه ، أو الذين لا يرون أن لهم فعلا ، ومن الناس من قال : إنما حج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قد تاب ، أو لأن الذنب كان فى شريعة واللوم فى أخرى ، أو لأن هذا يكون فى الدنيا دون الأخرى ، وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه الا لأجل المصيبة التى لحقتهم من أجل أكله من الشجرة ، فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنبا وتاب منه ، فان موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام ، وهو قد تاب منه أيضا ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نفسر لنا ونرحمنا لتكونن من الغاسرين » (٢) . والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ، قال الله تعالى : « فاصبر أن وعد الله حق واستغفر للذنب » (٣) . فأمره بالصبر على المصائب . والاستغفار من المعائب . وقال تعالى : « ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه » (٤) . قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

فالمؤمنون اذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل ، صبروا لحكم الله ، وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ، كمن أثق أبوه ، انه فى

(٢) الاعراف : ٢٣

(٤) التغابن : ١١

(١) طه : ١٢١

(٢) غافر : ٥٥

المعاصي فافتقر أولاده لذلك ، فعليهم ان يصبروا لما أصابهم ، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر .

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله ، والرضا قد قيل : انه واجب . وقيل : هو مستحب ، وهو الصحيح ، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من أنعام الله عليه بها ، حيث جعلها سببا لتكفير خطاياهم ، ورفع درجاته ، واثابته الى الله وتضرعه اليه ، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين .

وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر اذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم ، ويضيفون الحسنات الى أنفسهم اذا أنعم عليهم بها ، كما قال أحد السلفاء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصية جبرى ، أى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

وأهل الهدى والرشد اذا فعلوا حسنة ، شهدوا أنعام الله عليهم بها ، وأنه هو الذى أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة الا به ، فزال عنهم بشهود القدر العجب والمن والأذى ، واذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا اليه منها .

ففى « صحيح البخارى » عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت : أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت . من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة » .

وفى الحديث الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالى ، فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم . يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهديكم . يا عبادى انكم

(٢٢ - مجموعة التوحيد)

لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص البحر اذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة . يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » (١) .

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد من خير وأنه اذا وجد شرا فلا يلومن الا نفسه .

وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيته ، وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبه ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقا لما أمر الله به على السن رسله ، وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذى بعث الله به رسوله ، فان هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه الا كافر ، وبين الشرع الذى هو حكم الحاكم ، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ ، هذا اذا كان عالما عادلا ، والا ففى « السنن » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة ، رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو فى النار » (٢) .

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد ثبت فى الصحيحين أنه قال : « انكم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، وانما أقضى بنحو مما

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير فى بعض الفاظه .

(٢) رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه .

أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه . فإنما أقطع
له قطعة من النار » .

فقد أخبر سيد الخلق أنه اذا قضى بشيء مما سمعه وكان في
الباطن بخلاف ذلك ، لم يجر للمقضى له أن يأخذ ما قضى به له . وانه انما
يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة اذا حكم الحاكم
بما ظنه حجة شرعية كالبينة والاقرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر ،
لم يجر للمقضى له أن يأخذ ما قضى به له بالاتفاق . وان حكم في العقود
والفسوخ بمثل ذلك ، فأكثر العلماء يقول : ان الأمر كذلك ، وهو مذهب
مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وغسرق أبو حنيفة رضى الله عنه بين
النوعين .

فلفظ الشرع والشرعة اذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد
من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه ، ومن ظن أن لأحد من أولياء
الله طريقا الى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم باننا وظاهرا
فلم يتابعه باطنا وظاهرا فهو كافر .

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر ، كان غالطا من وجين :
أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ، ولا كان على
الخضر اتباعه ، فان موسى كان مبعوثا الى بني اسرائيل . وأما محمد
صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجن ، والانس ،
ولو أدركه من هو أفضل من الخضر ، كإبراهيم وموسى وعيسى وجب
عليهم اتباعه ، فكيف بالخضر سواء أكان نبيا أو وليا ؟ ولهذا قال الخضر
لموسى : « أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم
من علم الله علمكه الله لا أعلمه » (١) وليس لأحد من الثقلين الذين
بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول مثل هذا .

الثاني : أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشرعة موسى عليه
السلام ، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك ، فلما بينها له
واقفه على ذلك ، فان خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوقا من

(١) أخرجه الشيخان والترمذي .

الظالم أن يأخذها ، احسان اليهم ، وذلك جائز ، وقتل الصائل جائز
وان كان صغيرا ، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع الا بقتله
بجاز قتله .

قال ابن عباس رضى الله عنهما لنجدة الحرورى لما سألته عن قتل
الغلمان ، قال له : « ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام
فاقتلهم ، والا فلا تقتلهم » رواه البخارى .

وأما الاحسان الى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع ، فهذا من
عالمح الأعمال ، فلم يكن فى ذلك شيء مخالفا لشرع الله .

وأما اذا أريد بالشرع حكم الحاكم ، فقد يكون ظلما ، وقد يكون
عادلا ، وقد يكون صوابا ، وقد يكون خطأ ، وقد يراد بالشرع قول أئمة
الفقه ، كأبى حنيفة والثورى ومالك بن أنس والأوزاعى والليث
وبن سعد والشافعى وأحمد وإسحاق ، وداوود وغيرهم ، فهؤلاء أقوالهم
يحتج بها بالكتاب والسنة ، واذا قلده غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزا ،
أى ليس اتباع أحدهم واجبا على جميع الأمة ، كاتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم
بغير علم .

وأما ان أضاف أحد الى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة ،
أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل ،
فيجب الفرق بين الشرع المنزل ، والشرع المؤول ، والشرع المبديل ،
كما يفرق بين الحقيقة الكونية الدينية الأمرية ، وبين ما يستدل عليها
بالكتاب والسنة ، وبين ما يكتفى فيها بذوق صاحبها ووجده .

* * *

فصل

وقد ذكر الله فى كتابه الفرق بين الارادة والأمر والقضاء والاذن
والتحريم ، والبعث والارسال والكلام والجعل ، وبين الكونى الذى خلقه
وقدره وقضاه ، وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يشيب أصحابه ،
ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين الدينى الذى أمر به وشرعه
وأثاب فاعليه وأكرههم ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين
وجنده الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التى يفرق بها بين أولياء

الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ، ومات على ذلك ، كان من أوليائه ، ومن كان عليه فيما ينفضه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه ، وجميع المخلوقات داخله في مشيئته وارادته الكونية ، والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبه ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعا ودينا . وهذه مختصة بالايان والعمل الصالح ، قال الله تعالى : « فمن يرد الله أن يضلعه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » (١) . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » (٢) .

وقال نوح عليه السلام لقومه : « ولا ينفقكم نصحي أن أردت أن أنصح لكم أن كان الله يريد أن يفويكم » (٣) وقال تعالى : « وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » (٤) .

وقال تعالى في الثانية : « ومن كان مريضا أو على سفر فصد عنه من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٥) . وقال في آية الطهارة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (٦) .

ولما ذكر ما أحله وما حرمه من النكاح قال : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا » (٧) . وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبی صلى الله عليه وسلم وما نهاهن عنه : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٨) .

والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، فمن أطاع أمره كان مطهرا قد أذهب عنه الرجس ، بخلاف من عصاه .

وأما الأمر ، فقال في الأمر الكوني : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه

(٢) هود : ٣٤
(٤) البقرة : ١٨٥
(٦) النساء : ٢٦ — ٢٨

(١) الأنعام : ١٢٥
(٣) الرعد : ١١
(٥) المائدة : ٦

ان نقول له كن فيكون» (١) وقال تعالى : « وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (٢) . وقال تعالى : « انما امرنا ليلا او نهارا فجهنما حصيدا كان لم تنف بالامس » (٣) .

واما الامر الدينى فقال تعالى :

« ان الله يامر بالمعدل والاحسان وايتساء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » (٤) . وقال تعالى : « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالمعدل ، ان الله نعمما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (٥) . واما الاذن ، فقال فى الكونى لما ذكر السحر : « وما هم بضارين به من احد الا باذن الله » (٦) اى بمشيئته وقدرته ، والا فالسحر لم يبحه الله عز وجل .

وقال فى الاذن الدينى : « ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله » (٧) . وقال تعالى : « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه » (٨) وقال تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله » (٩) . وقال تعالى : « ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله » (١٠) .

واما الفضاء فقال فى الكونى : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » (١١) . وقال سبحانه : « واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون » (١٢) .

وقال فى الدينى : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه » (١٣) .
اى امر ، وليس المراد به : قدر ذلك ، فانه قد عبد غيره ، كما اخبر

(١) النحل : ٤٠	(٢) القمر : ٥٠
(٣) يونس : ٢٤	(٤) النحل : ٩٠
(٥) النساء : ٥٨	(٦) البقرة : ١٠٢
(٧) الشورى : ٢١	(٨) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦
(٩) النساء : ٦٤	(١٠) الحشر : ٥
(١١) فصلت : ١٢	(١٢) البقرة : ١١٧
(١٣) الاسراء : ٢٣	

في غير موضع ، كقوله تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (١) .

وقال الخليل عليه السلام لقومه : « افرايتم ما كنتم تعبدون . انتم واباؤكم الاقدمون . فانهم عند لي الا رب العالمين » (٢) .
وقال تعالى : « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبما بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لا استغفرن لك وما املك لك من الله من شيء » (٣) .

وقال تعالى : « قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا اتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا اقيم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين » (٤) . وهذه كلمة تقتضي براءة من دينهم ، ولا تقتضي رضاه بذلك ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : « وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون » (٥) . ومن ظن من الملاحدة ان هذا رضى منه بدين الكفار ، فهو من اكذب الناس واكفرهم : كمن ظن ان قوله : « وقفى ربك » (٦) . بمعنى قدر ، وان الله سبحانه ما قضى بشيء الا وقع ، وجعل عباد الاصنام ما عبدوا الا الله ، فان هذا من اعظم الناس كفرا بالكتب .

واما لفظ البعث ، فقال تعالى في البعث الكوني : « فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادنا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا » (٧) .

وقال في البعث الديني : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٨) . وقال تعالى :

(٢) الشعراء : ٧٥ — ٧٧
(٤) سورة الكافرون .
(٦) الاسراء : ٢٣
(٨) الجمعة : ٢

(١) يونس : ١٨
(٣) المتحنة : ٤
(٥) يونس : ٤١
(٧) الاسراء : ٥

« ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا المظالم » (١) .

وأما لفظ الإرسال فقال في الإرسال الكوني : « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أذا » (٢) . وقال تعالى : « وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته » (٣) .

وقال في الديني : « أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (٤) . وقال تعالى : « أنا أرسلنا نوحا إلى قومه » (٥) . وقال تعالى : « أنا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا » (٦) . وقال تعالى : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (٧) .

وأما لفظ الجمل ، فقال في الكوني : « وجعلناهم أئمة يمشون إلى النار » (٨) .

وقال في الديني : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٩) . وقال تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » (١٠) .

وأما لفظ التحريم ، فقال في الكوني : « وحرمنا عليه المراضع من قبل » (١١) . وقال تعالى : « فأنها محرمة عليهم أربعين سنة ، يتيهون في الأرض » (١٢) .

وقال في الديني : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به » (١٣) .

وقال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » (١٤) .

وأما لفظ الكلمات ، فقال في الكلمات الكونية : « وصددت بكلمات ربها وكتبه » (١٥) .

(١) النحل : ٣٦	(٢) مريم : ٨٣
(٣) الفرقان : ٤٨	(٤) الأحزاب : ٤٥
(٥) نوح : ٦	(٦) الزمل : ١٥
(٧) الحج : ٧٥	(٨) القصص : ٤٢
(٩) المائدة : ٤٨	(١٠) المائدة : ١٠٣
(١١) القصص : ٢	(١٢) المائدة : ٢٦
(١٣) المائدة : ٣	(١٤) النساء : ٢٣
(١٥) التحريم : ١٢	

وثبت في « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول :
« أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق - ومن غضبه وعقابه
وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » (١) وقال صلى الله
عليه وسلم : « من نزل منزلا فقال : « أعوذ بكلمات الله التامات من
شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » (٢) . وكان
يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ،
ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل
والنهار ، ومن شر كل طارق ، الا طارقا يطرق بخير يا رحمن » (٣) .

وكلمات الله التامات لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، هي التي كون
بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيته وقدرته ،
وأما كلماته الدينية ، وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه ، فأطاعتها
الأنبياء ، وعصاها الفجار .

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية . وجعله الديني ،
واذنه الديني ، وارادته الدينية .

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر ، فانه يدخل
تحتها جميع الخلق ، حتى ابليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من

(١) ليس في الصحيح بهذا اللفظ وانما رواه مالك في « الموطأ » عن
يحيى بن سعيد قال : بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أتى أروغ في منامي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات
الشياطين وأن يحضرون » .

(٢) أخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم قالت : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من نزل منزلا ... » الحديث .

(٣) روى الطبراني عن خالد بن الوليد أنه شكك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : أتى أجد فرما في الليل فقال : « الا أملك كلمات
علمنيهن جبريل عليه السلام وزعم أن عفريتاً من الليل يكيدني فقال : أعوذ
بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء
وما يخرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن
الليل وفتن النهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير
يا رحمن » ورواه مالك بنحوه .

يدخل النار ، فالخلق وان اجتمعوا فى شمول الخلق والمشيئة والقدره .
والقدر لهم ، فقد افترقوا فى الأمر والنهى والمحبة والرضا والغضب .
وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور ، وتركوا المحظور ،
وصبروا على المقدور ، فأحبهم وأحبه ، ورضى عنهم ورضوا عنه .
وأعداؤه أولياء الشياطين ، وان كانوا تحت قدرته فهو يفضهم ،
ويغضب عليهم ويلعنهم ويماديهم .

وبسط هذه الجمل له موضع آخر ، وانما كتبت هنا تنبيها على
مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما
اعتبارهم بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو الذى فرق
الله تعالى به بين أوليائه السعداء ، وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه
أهل الجنة وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ،
وبين أعدائه أهل البنى والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان ،
وأوليائه الذين كتب فى قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروح منه ، قال تعالى :
« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله » (١) . وقال تعالى : « اذ يوحى ربك الى الملائكة اتيكم
فثبتوا الذين آمنوا ، ساقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق
الاعناق واضربوا منهم كل بنان » (٢) . وقال فى امداه : « وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم » (٣) . وقال : « وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول
غورا » (٤) . وقال : « هل اتاكم على من تنزل الشياطين . تنزل على
كل افكاه ائيم . يلقون السمع واكثرهم كاذبون . والشسمراء يتبعهم
الفاوون . ألم تر انهم فى كل واد يهيمون . وانهم يقولون مالا يفعلون .
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد
ما ظلموا ، وسيطلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » (٥) . وقال تعالى :
« فلا القسم بما تبصرون . ومالا تبصرون . انه لقول رسول كريم .
وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تدكرون ،
تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الاقاويل . لاخذنا منه

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) الانفال : ١٢

(٣) الانعام : ١٢١

(٤) الانعام : ١١٢

(٥) الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٧

باليقين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وأنه
لتذكرة للمتقين . وأنا لنعلم أن منكم مكذبين . وأنه لحسرة على الكافرين .
وأنه لحق اليقين . فسيح باسم ربك العظيم (١) . وقال تعالى :
« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » (٢) إلى قوله :
« أن كانوا صادقين » (٣) .

فنزله سبحانه وتعالى علينا محمدا صلى الله عليه وسلم عن نقتول
به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين ، وبين أن الذي جاءه
بالقرآن ملك كريم اصطفاه . قال الله تعالى : « الله يصطفى من الملائكة
رسلا ومن الناس » (٤) . وقال تعالى : « وأنه لتنزيل رب العالمين .
نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي
مبين » (٥) . وقال تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على
قلبك بأذن الله » (٦) . وقال تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستمع له
من الشيطان الرجيم » (٧) . إلى قوله : « وبشرى للمسلمين » (٨)
فسماء الروح الأمين ، وسماء روح القدس . وقال تعالى : « فلا أقسم
بالخنس . الجوار الكنس » (٩) . يعنى الكواكب التى تكون فى السماء
خائسة ، أى مخفية قبل طلوعها ، فإذا ظهرت رآها الناس جارية فى
السماء ، فإذا غربت ذهبت إلى كناسها الذى يحجبها « والليل إذا
عسعس » (١٠) أى إذا أدبر وأقبل الصبح « والصبح إذا تنفس » (١١) .
أى أقبل . « أنه لقول رسول كريم » (١٢) وهو جبريل عليه السلام .
« ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين » (١٣) . أى مطاع
فى السماء أمين ، ثم قال : « وما صاحبكم بمجنون » (١٤) . أى صاحبكم
بصحبكم اذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة . كما قال تعالى :
بصحبكم اذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة : كما قال تعالى :
« وقالوا لولا نزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم

(١) الحاقة : ٣٨ — ٥٢	(٢) الطور : ٢٩
(٣) الطور : ٣٤	(٤) الحج : ٧٥
(٥) الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥	(٦) البقرة : ٩٧
(٧) النحل : ٩٨	(٨) النحل : ١٠٢
(٩) التكوين : ١٥ ، ١٦	(١٠) التكوين : ١٧
(١١) التكوين : ١٨	(١٢) التكوين : ١٩
(١٣) التكوين : ٢٠ ، ٢١	(١٤) التكوين : ٢٢

لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا (١) . وقال تعالى :
 « ولقد رآه بالأفق المبين » (٢) . أى رأى جبريل عليه السلام .
 « وما هو على الغيب بقين » (٣) . أى بمتهم ، وفى القراءة الأخرى :
 « بفسين » (٤) أى ببخيل يكتم العلم ولا يبذله إلا بجمل ، كما يفعل
 من يكتم العلم إلا بالمعروض « وما هو بقول شيطان وجيم » (٥) .
 فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا ، كما نزه محمدا صلى
 الله عليه وسلم عن أن يكون شاعرا أو كاهنا .

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم ،
 فيعملون ما أمر به ، وينتهون عما عنه زجر ، ويقتدون به فيما بين لهم
 أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ، ويقذف الله فى قلوبهم
 من أنواره ، ولهم الكرامات التى يكرم الله بها أوليائه المتقين وخيار
 أولياء الله ، كراماتهم لحاجة فى الدين ، أو لحاجة بالمسلمين ، كما كانت
 معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم كذلك .

وكرامات أولياء الله انما حصلت بركة اتباع رسوله صلى الله
 عليه وسلم ، فهى فى الحقيقة تدخل فى معجزات الرسول صلى الله عليه
 وسلم مثل انشقاق القمر (٦) وتسبيح الحصا فى كفه (٧) ، واثيان الشجر
 اليه (٨) ، وحنين الجذع اليه (٩) ، واخباره ليلة المعراج بصفة بيت
 المقدس (١٠) واخباره بما كان وما يكون (١١) ، واثيانه بالكتاب العزيز ،
 وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما أشبع فى الخندق العسكر

(١) الأنعام : ٨ ، ٩ (٢) التكوير : ٢٣

(٣) التكوير : ٢٤

(٤) التكوير : ٢٤ وهى قراءة حفص .

(٥) التكوير : ٢٥

(٦) رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك .

(٧) رواه البزار والطبرانى من أبى زر .

(٨) رواه مسلم عن جابر . (٩) فى « الصحيحين » .

(١٠) فى « الصحيحين » والترمذى عن جابر . قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى
 بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » .

(١١) أخرجه مسلم من حديث له عن عمرو بن الخطاب « فأخبرنا ما كان
 وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » .

من قدر طعام وهو لم ينقص في حديث أم سليم المشهور^(١) ، وروى
المسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص . وملا أوعية المسكر
عام تبسوك من طعام قليل ولم ينقص ، وهم نحو ثلاثين ألفا وبيع
الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه ،
كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة - أو خمسمائة^(٢) ،
ورده لعين أبي قتادة حين سألت على خدح فرجعت أحسن عينيه^(٣) .
ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت
رجله فمسحها فبرأت^(٤) ، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلا كلا منهم
حز له قطعة ، وجعل منها قطعتين فاكلوا منها جميعهم ، ثم فضل
فضلة^(٥) . و (قضى) دين عبد الله أبي جابر لليهودى وهو ثلاثون
وسقاً^(٦) .

قال جابر : فأمر صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذى كان
له فلم يقبل ، فمشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال
لجابر : جد له ، فوفاه الثلاثين وسقاً ، وفضل سبعة عشر وسقاً ،
ومثل هذا كثير ، قد جمعت نحو ألف معجزة .

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً ،
مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل
الظلة فيها أمثال السرج ، وهى الملائكة نزلت لقراءته^(٧) وكانت الملائكة
تسلم على عمران بن حصين ، وكان سلمان وأبو الدرداء ياكلان فى

(١) فى الصحيحين عن جابر . (٢) فى الصحيحين عن جابر .
(٣) رواه الطبرانى وأبو يعلى . قال الهيثمى فى « المجمع » وفى اسناد
الطبرانى من لم أعرفهم ، وفى اسناد أبى يعلى : الحماني ، وهو ضعيف .
(٤) الذى فى البخارى أن الذى كسرت رجله فمسحها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبرأت هو عبد الله بن عتيك الذى بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقتل أبى رافع ، وأما محمد بن مسلمة فقد قتل كعباً ولم
تكسر رجله .

(٥) فى « الصحيحين » من عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .
(٦) أخرجه البخارى فى باب إذا قضى دون حقه أو حظه .
(٧) نزول الظلة والسرج كان عند قراءة سورة البقرة كما أخرجه
البخارى عن أسيد بن حضير إذ تبدت له عند قراءة الكهف فقد ورد بلفظ
« شدة » صحابة .

صحفة ، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها . وعباد بن بشر وأسيد
ابن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ،
فأضاء لهما نور مثل طرف السوط ، فلما افترقا ، افترق الضوء معهما ،
رواه البخارى وغيره .

وقصة الصديق في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه الى
بيته ، وجعل لا يأكل لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا وصارت
أكثر مما هي قبل ذلك . فنظر اليها أبو بكر وامراته ، فاذا هي أكثر
مما كانت ، فرفعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء اليه
أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا .

وخبيب بن عدى كان أسيرا عند المشركين بمكة — شرفها الله
تعالى — وكان يؤتى بمنب يأكله وليس بمكة غنية^(١) .

وعامر بن فهيرة قتل شهيدا ، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه ،
وكان لما كان قتل رفع ، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع . وقال عروة :
فيرون الملائكة رفعته .

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت
من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة ، سمعت حسا على
رأسها ، فرفعته فاذا دلو معلق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت
بقية عمرها .

ومفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بالله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى معه الأسد حتى أوصله
مقصده^(٢) .

والبراء بن مالك كان اذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه^(٣) ، وكان
الحرب اذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء . . أقسم

(١) رواه البخارى عن أبي هريرة .

(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ،
وهو كما قال .

(٣) رواه الترمذى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« رب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء
ابن مالك » .

على ربك ، فيقول : يا رب .. أقست عليك لما منحتنا أكتافهم ،
فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقست عليك يا رب
لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد . فنحوا أكتافهم وقتل البراء
شهيذا .

وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا ، فقالوا : لا سلم حتى ن شرب
السم ، فشربه فلم يضره .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة^(١) : ما دعا قط
الا استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى سارية ،
فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية .. الجبل ،
يا سارية .. الجبل ، الجبل . فقدم رسول الجيش فسأله ، فقال :
يا أمير المؤمنين .. لقينا عدوا فهزمونا فاذا بصائح : يا سارية الجبل ،
يا سارية الجبل ، فاستندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله^(٢) .

ولما عذبت الزيرة على الاسلام في الله ، فأبت الا الاسلام
وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى . قالت :
كلا والله فرد الله عليها بصرها^(٣) .

ودعا سعد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعشى بصرها لما كذبت
عليه ، فقال : اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ،
فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت^(٤) .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على البحرين ، وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حلیم يا على يا عظیم ،

(١) روى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم استجب
لسعد اذا دعاك » فكان لا يدمو الا استجيب له .
(٢) رواه البيهقي في « الدلائل » قال ابن حجر في « الإصابة » :
استناده حسن .
(٣) أخرج القصة عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في « الإصابة » .
(٤) القصة : انها ادعت عليه أرضا له .

فيستجاب له ، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عذبوا الماء والاسقاء لما بعدهم ، فأجيب ، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدرُوا على المرور بضيولهم ، فمسروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسده اذا مات ، فلم يجدوه فى اللحد ، وجرى مثل ذلك لأبى مسلم الخولانى الذى ألقى فى النار ، فانه مثنى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهى ترمى بالخشب من مدها ، ثم التفت الى أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال : اتبعنى ، فتبعه فوجدناها قد تعلقت بشيء فأخذها ، وطلبه الأسود العنسى لما ادعى النبوة ، فقال له : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقى فيها ، فوجدوه قائما يصلى ، وقد صارت عليه بردا وسلاما .

وقدم المدينة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأجلسه عمر بينه وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل إبراهيم خليل الله ، ووضعت له جاريته السم فى الطعام فلم يضره ، وخبيت امرأة عليه زوجته ، فدعا عليها فعميت وجاءت وقابت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها .

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفى درهم فى كفه ، وما يلقاه سائل فى طريقه الا أعطاه بغير عدد ، ثم يجرى الى بيته فلا يتنير عهدها ولا وزنها ، ومر بقافلة قد حبسهم الأسد ، فجاء حتى مس بشيابه الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه وقال : انما أنت كلب من كلاب الرحمن ، وانى أستحي من الله أن أخاف شيئا غيره ، ومرت القافلة ، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور فى الشتاء ، فكان يؤتى بالماء له بخار ، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو فى الصلاة ، فلم يقدر عليه .

وتغيب الحسن البصرى عن الحجاج ، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج - كان يؤذيهم - فضر ميتا .

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو ، فقال : اللهم لا تجعل

لمخلوق على منة • ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه ، فلما وصل الى بيته قال : يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية ، وأخذ سرجه فمات الفرس • وجاع مرة بالأهواز ، فدعا الله عز وجل واستطعمه ، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير ، فأكل التمر ، وبقي الثوب عند زوجته زمانا • وجاءه الأسد وهو يصلى في غيضة بالليل ، فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع ، فولى الأسد وله زئير •

وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره •

ورجل من النخع له حمار فمات في الطريق ، فقال له أصحابه : هلم توزع متاعك على رجالنا ، فقال لهم : أمهلوني هنيئة ، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه •

ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأنواب •

وكان عمرو بن عقبة بن فرق قد يصلى يوما في شدة الحر فأظلمت غمامة ، وكان السبع يحميه ، رثو يرعى ركاب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه في الفزو أنه يخدمهم •

وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه آتيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة ، فأضاء لهما طرف السوط •

ولما مات الأحنف بن قيس ، وفعت قلنسوة رجل في قبره ، فاهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسخ فيه مد البصر •

وكان ابراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا ، وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه فمر بسهولة حمراء فأخذ منها ، ثم رجع الى أهله ففتحها فاذا هي حنطة حمراء ، فكان اذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها الى فرعها حبا متراكبا •

وكان عتبة الغلام قد سأل ربه ثلاث خصال : صوت حسنا ، ودعما (٣٣ — مجموعة التوحيد)

غزيرا ، وطعاما من غير تكلف . فكان اذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه جارية دهره ، وكان يأوى الى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج ، فسأل ربه أن يطلق له أعضائه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده .

وهذا باب واسع ، (و) قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع .

وأما ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه في هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فإذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوى ايمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك ، لعلو درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة .

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد الله بن صياد^(١) الذي ظهر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال ، وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان . قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « قد خبأت لك خبا » قال : الدخ الدخ . وقد كان خبا له سورة الدخان ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أخا فلن تعدو قدرك » يعنى انما أنت من اخوان الكهان ، والكهان كان يكون لأحدهم القرن من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السم ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخارى وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة تنزل في المنام - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسرق الشياطين السم فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

(١) وحديثه في « الصحيحين » .

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :
بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى قصر من الأنصار اذ رمى بنجم
فاستثار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما كنتم تقولون لمثل
هذا فى الجاهلية اذا رأيتموه » ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد
عظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فانه لا يرمى بها لموت
أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا سبغ حلة
العرش ، ثم سبغ أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حتى
يلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حلة
العرش : ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ، ثم يستخير أهل كل سماء حتى
يلغ الخبر أهل السماء الدنيا . وتخطف الشياطين السمع فيرمون
فيقذفونه الى أوليائهم ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم
يزيدون » .

وفى رواية ، قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها فى الجاهلية ؟
قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم .
والأسود العنسى الذى ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره
ببعض الأمور المغيبة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين
أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعاطهم عليه امرأته لما تبين لها
كفره فقتلوه .

وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات
ويعينه على بعض الأمور .

وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقى الذى خرج بالشام
زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة ، وكانت الشياطين تخرج رجله
من القيد ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه ، وتسبغ الرخامة اذا مسحها
بيده ، وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل فى الهواء ويقول :
هى الملائكة ، وانما كانوا جنا ، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طمنه
الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : انك لم تسم الله .
فسمى الله فطمنه فقتله .

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم اذا ذكر
عندهم ما يطردها ، مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت فى الصحيح عن

النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي صلى الله عليه وسلم بمغفل زكاة الفطر ، فسرقت منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما فعل أسيرك البارحة » ؟ فيقول : زعم أنه لا يعود ، فيقول : « كذبتك وأنه سيعود » فلما كان في المرة الثالثة ، قال : دعني حتى أعلمك ما ينفعك . . إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي : « **الله لا اله الا هو الحي القيوم** » (١) إلى آخرها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صدقت وهو كذوب » وأخبره أنه شيطان (٢) .

ولهذا إذا قرأها الانسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها ، مثل من يدخل النار بحال شيطاني ، أو يحضر سماع المكاء والتصدية . فتتزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاما لا يعلم ، وربما لا يفقه . وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه ، وربما تكلم بالسنة مختلفة ، كما يتكلم الجنى على لسان المصروع . والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه ، فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال .

ولهذا قد يضرب المصروع (ضربا كثيرا حتى قد يقتل مثله الانسى أو يمرضه لو كان هو المضروب وذلك) الضرب لا يؤثر في الانسى ، ويخبر اذا أفاق أنه لم يشعر بشيء ، لأن الضرب كان على الجنى الذي لبسه .

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجنى الى مكة ، أو بيت المقدس أو غيرها ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يعيده من ليلته ، فلا يحج حجا شرعيا ، بل يذهب بشيابه ، ولا يحرم اذا حاذى الميقات ، ولا يلبي ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ولا يسمى بين الصفا والمروة ، ولا يرمى الجمار ، بل يقف بعرفة بشيابه ، ثم يرجع من ليلته ، هذا ليس بحج (مشروع باتفاق المسلمين ، بل هو كمن يأتي الجمعة صلى بنى وضوء وإلى غير القبلة ، ومن هؤلاء

المحولين ، من حصل مرة الى عرفات ورجع فرأى فى النوم ملائكة يكتبون الحجاج (فقال : ألا تكتبونى ؟ فقالوا : لست من الحجاج ، معنى لم تحج حجا شرعيا .

وبين كرامات الأولياء ، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة : منها أن كرامات الأولياء سببها الايمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية ، سببها ما نهى الله عنه ورسوله . وقال الله تعالى : « قل إنما حرم ربه الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (١) .

فالتقول على الله بغير علم ، والشرك والظلم والفواحش ، قد حرما الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها ، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن . بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأموال التى فيها شرك ، كالاستغاثة بالمخلوقات ، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش ، فهى من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية .

ومن هؤلاء من اذا حضر سماع المكاء والتصديعة ينزل عليه شيطانه حتى يحملة فى الهواء ، ويخرجه من تلك الدار ، فاذا حضر رجل من أولياء الله تعالى ، طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى هذا لغير واحد .

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق ، اما حى أو ميت ، سواء أكان ذلك المخلوق مسلما أو نصرانيا أو مشركا ، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ، ويقضى بعض حاجسة ذلك المستغيث ، فيظن أنه ذلك الشخص ، أو هو ملك تصور على صورته ، وانما هو شيطان أضله لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل فى الأصنام وتكلم المشركين . ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له : أنا الخضر ، وربما أخبره ببعض الأمور . وأعانه على بعض مطالبه ، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى ، وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت ، فيأتى الشيطان بعد موته على صورته ،

وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضى الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت ويدخل الى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كفار الهند ، فيظنون أنه عاش بعد موته ، ومن هؤلاء شسيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال : إذا أنا مت فلا تدع أحدا يفضلني ، فأنا أجيء وأغسل نفسي ، فلما مات رأى خادمه شخصا في صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غسله ، أى غسل الميت ، غاب ، وكان ذلك شيطانا ، وكان قد أضل الميت ، وقال : انك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك ، فلما مات جاء أيضا في صورته لينقوى الأحياء ، كما أغوى الميت قبل ذلك .

ومنهم من يرى عرشا في الهواء ، وفوقه نور ، ويسمع من يخاطبه ويقول : أنا ربك ، فإن كان من أهل المعرفة ، علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه ، فيزول .

ومنهم من يرى أشخاصا في اليقظة يدعى أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد (وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره ، فيرى القمر قد انشق وخرج اليه صورة ، فيعتقدها الميت . وإنما هو جنى تصور بتلك الصورة . ومنهم من يرى فارسا قد خرج من قبره ، أو دخل في قبره ، ويكون ذلك شيطانا ، وكل من قال : أنه رأى نبيا بعين رأسه فما رأى الا خيالا) .

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر ، اما الصديق رضى الله عنه أو غيره قد قص شعره ، أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته ، أو ثوبه ، فيصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره معلوق ، أو مقصر ، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه ، وهذه الأمور الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة ، وهم درجات ، والجن الذين يقرنون بهم من جنسهم وعلى مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطيء ، فإن كان الأنسى كافرا أو فاسقا أو جاهلا ، دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر ، مثل الاقسام عليهم بأسماء ن يعظمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة ، أو يقلب فاتحة الكتاب ، أو سورة الاخلاص ، أو آية الكرسي ، أو غيرهن ، ويكتبهن بنجاسة فيعمرون له الماء ، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد

يأتونه بمن يهواه من امرأة أو صبي ، أما في الهواء ، وأما مدفوعا ملجأ إليه . الى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها ، والإيمان بها إيمان بالجبوت والطاغوت ، والجبوت : السحر . والطاغوت : الشياطين والأصنام . وإن كان الرجل مطيعا لله ورسوله باطنا وظاهرا ، لم يمكنهم الدخول معه في ذلك ، أو مسالته .

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيوت الله ، كان عمار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية ، وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو يدعون به أو يستقدون أن الدعاء عنده مستجاب ، أقرب الى الأحوال الشيطانية ، فإنه ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وثبت في « صحيح مسلم » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال : « ان أمن الناس على في صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت ، إلا خوخة أبي بكر ، ان من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أناكم عن ذلك » .

وفي « الصحيحين » عنه أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة ، وذكروا من حسناتها وتصاوير فيها ، فقال : « ان أولئك اذا مات فيهم الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيها تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وفي « المسند » و « صحيح أبي حاتم »^(١) عنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين اتخذوا القبور مساجد » .

وفي « الصحيح » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » .

وفي « الموطأ » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم لا تجعل

(١) وهو معروف ب « صحيح ابن حبان » .

قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وفي « السنن » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا على حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله وكل بقبري ملائكة يلمنونني عن أمتي السلام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا : يا رسول الله .. كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ — يقولون : بليت — فقال : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء » (٢) . وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام : « وقالوا لا تدننا آلهم ، ولا تدنونا ولا سواها ولا يفوتهم ويغيبون » (٣) .

قال ابن عباس وغيره من السلف : هؤلاء كانوا صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم فعبدهم ، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان .

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها (٤) وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون في الصلاة حينئذ مشابة لصلاة المشركين ، فسد هذا الباب . والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ويسمون ذلك

(١) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووي .

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووي .

(٣) نوح : ٢٣ .

(٤) قال صلى الله عليه وسلم : « لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس .

ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان » أخرجه مسلم .

روحانية الكواكب : وهو شيطان . والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده ، فإنه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبة من أطاعه إلى شر ، إلا أن يتوب الله عليه .

وكذلك عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين : وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : « إذا أعيتكم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور » . وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين ، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد ، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه . يفعل الشيطان هذا ليضلهم ، وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا ، فإن التوحيد يطرد الشيطان . ولهذا حمل بعضهم في الهراء فقال : « لا إله إلا الله » فسقط ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان . وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع .

ولما كان هذا الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله ، صارت الشياطين كثيراً ما تأوى المغارات والجبال مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون ، وجبل لبنان الذي بساحل الشام ، وجبل الفتحة بأسوان بمصر ، وجبال بالروم وخراسان وجبال بالجزيرة ، وغير ذلك ، وجبل اللكام ، وجبل الأحيش ، وجبل سولان قرب أردبيل ، وجبل شهنك عند تبريز ، وجبل ماشكو عند أقتوان ، وجبل نهاوند ، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس ، ويسمونهم : رجال الغيب ، وإنما هناك رجال من الجن ، فالجن رجال ، كما أن الإنس رجال : قال تعالى : « وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فسرادوقهم وهلكوا » (١) .

(١) الجن : ٦

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعرائى ، جلده يشبه جلده الماعز ، فيظن من لا يعرفه أنه انسى ، وإنما هو جنى . ويقال : بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال ، كما يعرف ذلك بطرق متعددة .

وهذا باب لا يتسع الموضع لبسطه ، وذكر ما نعرفه من ذلك ، فإنا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه فى هذا المختصر الذى كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به كل ذلك .

والناس فى خوارق العادات على ثلاثة أقسام : قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء ، وربما صدق به مجملًا ، وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس ، لكونه عنده ليس من الأولياء ، ومنهم من يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان وليا لله وكلا الأمرين خطأ ، ولهذا نجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله . وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة ، والصواب القول الثالث ، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم . لا من أولياء الله عز وجل ، كما قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منكم » (١)

وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة ، تقرن بهم الشياطين ، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله ، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضًا ، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ، ولا بد أن يكون فى أحدهم من الكذب جهلا أو عمدا ، ومن الائم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين ، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين . قال الله تعالى : « هل أتيتكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفكك أليم » (٢) . والآفة : الكذاب . والائيم : الفاجر .

ومن أعظم ما يقوى الأحوال الشيطانية ، سماع الفناء والملاهى

وهو سماع الشركين ، قال الله تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » (١) .

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف ، التصديقة : التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصمير . فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على استماع غناء قط لا بكف ، ولا بدف ، ولا تواجد ، ولا سقطت برده . بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ ، والباقيون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون . ومروا النبي صلى الله عليه وسلم بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له : « مررت بك البارحة وأنت تقرأ ، فجعلت أسمع لفراءك » فقال : لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحييرا (٢) أي لحسنته لك تحسينا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « الله أشد أذنا - أي استمعا - إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود : « اقرأ على القرآن » فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « اني أحب أن أسمع من غيري » فقرأت عليه سورة (النساء) حتى انتهيت إلى هذه الآية : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » (٥) . وقال : « حبك » فإذا عيناه تذرفان من البكاء .

(٢) متفق عليه .

(١) الانفال : ٢٥

(٣) رواه أبو داود ، والدارمي ، والحاكم ، وسنده صحيح .

(٤) أخرجه ابن ماجه وابن حبان ، والحاكم . قال في « الروائد » :

(٥) النساء : ٤١

إسناده حسن .

ومثل هذا السماع ، هو سماع النبيين وأتباعهم ، كما ذكر الله ذلك في القرآن فقال : « أولئك الذين اتبعهم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » (١) . وقال في أهل المعرفة : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » (٢) .

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان ، واقتسار الجلد ودمع العين ، فقال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » (٣) وقال تعالى : « أما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (٤) .

وأما السماع المحدث ، سماع الكف والدف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين ، يجعلون هذا طريقا إلى الله تبارك وتعالى ، ولا يعدونه من القرب والطاعات ، بل يعدونه من البدع المذمومة ، حتى قال الشافعي : خلفت بفخداد شيئا أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغيير ، يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبا وفرا . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم .

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله ، كان نصيب الشيطان فيه أكثر ، وهو بمنزلة الخمر ، (بل هو) يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ، ولهذا إذا قويت سكرة أهله ، نزلت عليهم الشياطين ، وتكلمت على السنة بعضهم ، وحملت بعضهم في الهواء ، وقد تحصل عداوة بينهم ، كما تحصل بين شراب الخمر ، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلوه . ويظن الجاهل أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هذا مبعث لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال

(٢) المائدة : ٨٣

(١) مريم : ٥٨

(٤) الانفال : ٢ — ٤

(٣) الزمر : ٢٣

الشياطين ، فإن قتل المسلم لا يحل بما أحله الله ، فكيف يكون تسلي المعصوم مما يكرم الله به أوليائه ؟ وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة . فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويريد ما يقربه إليه ، ويرفع به درجته .

وذلك أن الخوارق منها ما هو جنس النعم ، كالمكاشفات ، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للمعادن ، ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر ، من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى .

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور ، أن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ، ويقربه إليه ، ويرفع درجته ، وأمره الله به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقربا إلى الله ورسوله ، وعلت درجته . وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك ، والظلم ، والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب ، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية ، والا كان كأمثاله من المذنبين ، ولهذا كثيرا ما يعاقب أصحاب الخوارق ، تارة بسلبها ، كما يعزل الملك عن ملكه ، ويسلب العالم علمه ، وتارة بسلب التطوعات ، فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة ، وتارة ينزل إلى درجة الفساق ، وتارة يرتد عن الإسلام ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية ، فإن كثيرا من هؤلاء يرتد عن الإسلام ، وكثيرا منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أولياء الله ، ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل ، إذا أعطى عبدا خرق عادة لم يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبدا ملكا ومالا وتصرفا ، لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمور بها ولا منهي عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم الأبرار المقتصدون ، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء ، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيرا ما ينقص بها درجة الرجل ، كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى ، كما يتوب من الذنوب ، كالزنا ، والسرقه ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ، وكانهم يأمر المرید السالك أن لا يقف عندها ، ولا يجربها همته ، ولا يتجسس بها ، معظمتهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من

الشياطين تفويهم بها ؟ ! فاني أعرف من مخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وانما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر ، وتقول : هنيئا لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتخاطبه المصافير وغيرها ، وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل في الانس ، ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح ، وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تراه أهوارا ، وتحضر عنده من يطلبه ، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ، ذهب ذلك كله .

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ، ويعلمه بأنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء ، فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يسينا وشمالا ، ذهب حيث أراد ، واذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي ، أو فومه ، أو ذهابه ، حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر ، وتحمله الى مكة ، وتأتي به ، وتأنيبه بأشخاص في صورة جميلة ، وتقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك ، فيقول في نفسه : كيف تصوروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجلبهم بلحي ، ويقول له : علامة أنك أمت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة ، فتنبت ويراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع ، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج الى مجلد كبير . وقد قال تعالى : « فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرم من . واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهقن » (١) .

قال الله تبارك وتعالى : « كلا » يلفظ « كلا » فيها زجر وتنبيه ، زجر عن مثل هذا القول ، وتنبيه على ما يخبر به ، ويؤمر به بعده ، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة ، يكون الله عز وجل مكرما له بها ، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهينا له بذلك ،

بل هو سبحانه يتلى عبده بالسراء والضراء : فقد يملأ النعم الدنيوية لمن لا يحبه ، ولا هو كريم عنده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحصى منها من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيا كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى ، وما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو من حواري أعداء الله لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة ، والقراءة ، والذكر وقيام الليل ، والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، والغائب ، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات ، كالحيات ، والزناير ، والخنافس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل الفناء ، والرقص ، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرقص ليلاً طويلاً ، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن ، وينفر عنه ، ويشكك فيه ، ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويجب سماع المكاء والتصديع ويجد عنده مواجيد ، فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » (١) . فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » (٢) . بمعنى تركت العمل بها .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

* * *

فصل

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الانس والجن ، فلم يبق انسى ولا جنى الا وجب عليه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه ، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر . ومن قامت عليه الحجة برسائته فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء أكان انسيا أو جنيا .

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمتعت الجن القرآن ، وولوا الى قومهم منذرين لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه يظن فخله لما رجع من الطائف ، واخبره الله بذلك في القرآن بقوله : « واذا صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين » (١) .

وانزل الله تعالى بعد ذلك : « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي الى الرشاد فأمننا به ، ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وأنه كان يقول سفيها على الله شططا . وانا ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » (٢) . أي السفيه منا في أظهر قول العلماء .

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الانس اذا نزل بالوادي قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الانس بالجن ، ازدادت الجن طغيانا وكفرا ، كما قال تعالى : « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا . وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا . وانا لسنا السهاء فوجئنا ما ملئت حرسا شديدا وشها » (٣) .

(٢) الجن : ١ - ٦

(١) الاحقاف : ٢٩ - ٣٢

(٢) الجن : ٦ - ٨

وكانت الشياطين ترمى بالشهب قبل أن ينزل القرآن . لكن كانوا أحيانا يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب الى إحداهم ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ملئت السماء حرما شديدا وشهبا ، وصارت الشهب مرصدة إيم قبل أن يسموا ، كما قالوا : « وانا كنا نقاعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » (١) . وقال تعالى : في الآية الأخرى : « وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون » (٢) . وقالوا : « واليا لا ندرى اشر اريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا . وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قلدا » (٣) . أى على مذاهب شتى ، كما قال العلماء : منهم المسلم والمشرک واليهودى والنصرانى ، والسنى والبدعى . « وانا ظننا ان لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا » (٤) . اخبروا أنهم لا يعجزونه ، لا ان أقاموا فى الأرض ولا ان هربوا منه .

« وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا . وانا منا المسلمون ومنا القاسطون » (٥) . أى الظالمون . يقال : قسط اذا جاز وظلم : « فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا . وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . وانه لما قام عبد الله بمعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربى ولا أشرك به أحدا . قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا . قل انى لن يغيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا » (٦) . أى ملجأ ومعاذا . « الا بلاغا من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فان له اجر جهنم خالدين فيها أبدا . حتى اذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا » (٧) . ثم لما سمعت الجن القرآن اتوا الى النبی صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، وهم جن نصيبين ، كما ثبت ذلك فى « الصحيح

(٢) الشعراء : ٢١٠ — ٢١٢

(٤) الجن : ١٢

(٦) الجن : ١٤ — ٢٢

(١) الجن : ٩

(٣) الجن : ١٠ ، ١١

(٥) الجن : ١٣ ، ١٤

(٧) الجن : ٢٣ ، ٢٤

من حديث ابن مسعود * وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن * وكان إذا قال : « فبأي آلاء ربكما تكبران » (١) . قالوا : ولا بشيء من الآلاء ربنا فكذب ، فلك الحمد (٢) .

ولما اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم سألوه الزاد لهم ولدوا بهم ، فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما ، وكل بكرة علف لدوابكم » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فلا تستنجوا بها فاهما زاد اخوانكم من الجن » (٣) . وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة ، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك ، وقالوا : فإذا منع الاستنجاء بما للجن ولدوا بهم ، فما أعد للانس ولدوا بهم من الطعام والعلف أولى وأحرى .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل الى جميع الانس والجن ، وهذا أعظم قدرا عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام ، فاهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله ، لأنه عبد الله ورسوله ، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك .

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والاجماع ، وأما مؤمنوهم ، فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل من الانس ، ولم يبعث من الجن رسول ، لكن منهم النذر ، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر .

والمقصود هنا أن الجن مع الانس على أحوال : فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ، ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفوايه ، ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له : وهذا كان يأمرهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرم عليهم ، ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

(١) الرحمن : ١٣

(٢) أخرجه ابن جرير ، ورجال اسناده ثقات .

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود .

هذا اذا قدر أنه من أولياء الله تعالى ، فغايتة أن يكون في عموم أولياء الله تعالى ، مثل النبي الملك مع العبد الرسول ، كسليمان ويوسف ، مع ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ومن كان يستعمل الجن فيما نهى الله عنه ورسوله ، اما في الشرك ، واما في قتل معصوم الدم ، أو في العدوان عليهم بغير القتل : كتريضه والنساء العلم ، وغير ذلك ، واما في فاحشة ، كجلب من يطالب فيه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وان استعان بهم على المعاصي فهو عاص : اما فاسق . واما مذهب غير فاسق .

وان لم يكن تام العلم بالشرمة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ، ومثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يظنوا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه الى عرفات ، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة الى مدينة ، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به .

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التليسات الشيطانية ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فان كان مشركا يسجد الكواكب والأوثان ، أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح ، وتكون مبادئه في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون » (١) .

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها ، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون مسجودهم له ، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون ، فان كان نصرانيا واستغاث بجرجس أو غيره ، جاء الشيطان في صورة جرجس

أو من يستغيث به • وإن كان منتسبا إلى الإسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين ، جاء في صورة ذلك الشيخ • وإن كان من مشركى الهند ، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك •

ثم إن الشيخ المستغاث به ، إن كان ممن له خبرة بالشرعة ، لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به ، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له ، أخبره بأقوالهم ، ونقل أقوالهم له ، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم ، وإنما هو يتوسط الشيطان •

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال : يرنى الجن شيئا براقا مثل الماء والزجاج ، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الأخبار به ، قال : فأخبر الناس به ، ويوصلون إلى كلام من استغاث به من أصحابي فأجيبه ، فيوصلون جوابي إليه •

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق — إذا كذب بها من لم يعرفها وقال : انكم تفعلون هذا بطريق الحيلة ، كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارج ، ودهن الشفاسع ، وغير ذلك من الحيل الطبيعية — يتعجب هؤلاء المشايخ ويقولون : نحن والله لا نعرف شيئا من هذه الدليل • فلما ذكر لهم الخير : انكم لصادقون في ذلك ، ولكن هذه الأحوال شيطانية ، أقرؤا بذلك ، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق ، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان ، ورأوا أنها من الشياطين ، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله ، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية ، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه •

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه • صلاة وسلاما نستوجب بهما شفاعته • آمين •

الرسالة السادسة عشرة :

الحزب المقبول من أحاديث الرسول

تأليف

الفاضل الأجل أبي سعيد محمد بن الفياض الأنصاري

المقدمة وفيها ثلاثة فصول

الفصل الأول

في فضل الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

« الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : « وقال ربكم ادعوني استجب

لكم » (١) .

« الدعاء مخ العبادة » (٢) .

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » (٣) .

« لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر الا البر » (٤) .

« ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله

بالدعاء » (٥) .

« ما من أحد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل ، أو كف عنه من

السوء ، ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم » (٦) .

« ومن لم يسأل الله يغضب عليه » (٧) .

(١) غافر : ٦٠ — والحديث رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

(٢) رواه الترمذي بسند ضعيف .

(٣) رواه أحمد ، والترمذي وقال : غريب ، والحاكم وقال : صحيح

الاستناد ، وأقره الذهبي .

(٤) رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، وفيه أبو مودود فضة : لنا

الحافظ في « التقريب » ورواه ابن حبان في « صحيحه » والحاكم وقال :

صحيح الاسناد .

(٥) رواه الترمذي ، والحاكم وصححه ، وتعقبه الذهبي بأن فيه

عبد الرحمن أي : المليك ، ولينه الحافظ ابن حجر .

(٦) رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم ، وفي سنده ابن لهيعة ،

والحديث شواهد من طريق أبي سعيد وعبادة بن الصامت .

(٧) رواه الترمذي وابن ماجه ، وفي سنده أبو صالح الخوذي ، ضعفه

ابن معين . وقال أبو زرعة : لا بأس به .

« من فتح له منكم باب الدعاء ، فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئا — يعنى أحب اليه — من أن يسئل العافية » (١) .
 « ان ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا » (٢) .
 « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم ، الا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : اما أن يجعله دعوته ، واما أن يدخرها له فى الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا : اذن نكثر ؟ قال : « الله أكثر » (٣) .

الفصل الثانى

فى آداب الدعاء

« اذا سألت الله فاسأله بيطون أكفكم ولا تسأله بظهورها » (٤) .
 « (وكان) اذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطها حتى يمسح بهما وجهه » (٥) .
 « (وكان) يرفع يديه فى الدعاء حتى يرى بياض إبطيه » (٦) .
 قال : كان يجعل أصبعيه حذاء منكبيه ويدعو .
 قال : ان رفعكم أيديكم بدعة ، ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا ، يعنى الى الصدر .
 اذ دخل رجل فصلى ، فقال اللهم اغفر لى وارحمنى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجلت أيها المصلى ! اذا صليت فقمعدت ، فاحمد الله بما هو أهله ، وصل على ، ثم ادعه » (٧) .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، لا نعرفه الا من حديث الهى بكر نالليكى ، وهو ضعيف فى الحديث .
 (٢) رواه أحمد ، وأبو داود والترمذى وقال : حسن غريب . قال ابن حجر العسقلانى : سنده جيد .
 (٣) قال المنذرى : رواه أحمد ، والبراز ، وأبو يعلى بإسناد جيدة ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
 (٤) قال أبو داود : روى هذا الحديث من غير وجه من محمد بن كعب القرظى كلها وأهبة ، وهذا الطريق أمثلها ، وهو ضعيف أيضا .
 (٥) رواه الترمذى وقال : غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن هبسى فرد به وهو قليل الحديث ، وقد حدث منه الناس . وضعفه العراقى .
 (٦) رواه مسلم .
 (٧) رواه أبو داود ، والترمذى والنسائى ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك : فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أيها المصلي .. ادع تعجب » . فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى : ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم دعوت لنفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سل تعطه ، سل تعطه » (١) .

« ان الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصل على نبيك » (٢) .

كان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك (٣) .
« لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم » (٤) .
« اذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي ان شئت : ارحمني ان شئت ، ارزقني ان شئت ، وليعزم مسألته ، انه يفعل ما يشاء لا مكره له » (٥) .

« يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل » .
قيل : يا رسول الله .. ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » (٦) .
« دعوة الرجل المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » (٧) .

« ان أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » (٨) .
« أشركنا يا أخى في دعائك ولا تنسنا » فقال كلمة ما يسرنى أن لي بها الدنيا (٩) .

-
- (١) رواه النسائي بسند صحيح .
(٢) رواه الترمذي موقوفاً على عمر بن الخطاب .
(٣) رواه أبو داود في الصلاة ، والحاكم في الدعاء من عائشة : قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبي ، وجود أسناده النووي في « الأذكار » و « الرياض » .
(٤) رواه مسلم من جابر .
(٥) رواه أحمد في « المسند » والبخاري ومسلم في الدعوات عن أنس .
(٦) رواه مسلم من أبي هريرة . (٧) رواه مسلم من أبي الدرداء .
(٨) رواه أبو داود ، والترمذي ، والطبراني عن عبد الله بن عمرو .
وقد ضعفه الترمذي .
(٩) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع » (١) .

وفى رواية عن ثابت البناني مرسلًا : « حتى يسأله الملح ، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع » (٢) .

« إذا ذكر أحدًا فدعا له ، يدعو بنفسه » (٣) .

« من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد ، فليكثر الدعاء في الرخاء » (٤) .

« ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » (٥) .

« يا غلام .. احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (٦) .

« إذا قال العبد : يا رب ! يا رب ! قال الله : لبيك عبي ، مل تعط » (٧) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أوجب أن ختم » فقال رجل من القوم : بأي شيء يختم ؟ قال : بـ « آمين » (٨) .

(١) رواه الترمذي وابن حبان من أنس .

(٢) رواه الترمذي عن ثابت البناني مرسلًا ، ورواه البزار من أنس مرفوعًا : « ليسأل أحدكم ربه حاجته أو حوائجه كلها ، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع ، وحتى يسأله الملح » قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن قريب صحيح .

(٤) رواه الترمذي ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي .

(٥) رواه الترمذي عن عبد الله بن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من عائشة ، وهو ضعيف ، لكن له شاهد عند البزار .

(٨) رواه أبو داود عن أبي زهير النميري .

الفصل الثالث

في اوقات قبولية الدعاء

أى الدعاء أوسع ؟ قال : « جوف الليل أخضر . ودبر الصلوات المكتوبات » (١) .

« لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة » (٢) .

« أن فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه إياه » (٣) .

« هى ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة » (٤) .

« التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم الجمعة بعد العصر الى غيوبة الشمس » (٥) .

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد : فأكثروا الدعاء » (٦)

وفى رواية عن ابن عباس : « وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء ، فقمى أن يستجاب لكم » (٧) .

« اذا دخلت على مريض فمره يدعوك ، فان دعاه كدعاء الملائكة » (٨) .

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » (٩) .

(١) رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال : حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود والترمذى ، والنسائى ، وابن خزيمة وابن حبان فى « صحيحهما » .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود . قال أحمد : أكثر الأحاديث فى الساعة التى ترجى فيها اجابة الدعوة انها بعد صلاة العصر . ومن شاء التفصيل فليراجع « فتح البارى » (٢ / ٣٥١) .

(٥) رواه الترمذى من حديث أنس ، وقال : حديث غريب ، وقد روى من أنس من غير وجه ، وله شواهد ، وفى الباب عن جابر عند أبى داود وغيره ، وصححه الحاكم والذهبى والنووى .

(٦) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، عن أبى هريرة .

(٧) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى .

(٨) رواه ابن ماجه : قال المنذرى : رواه ثقات ، لكن ميمون بن مهران لم يسمع من عمر .

(٩) رواه أحمد فى « المسند » والترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة . وفيه مقال ، تكلم فيه الحافظ ابن حجر وغيره .

« ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم » (١) .
 « ان في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة » (٢) .
 « اثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا » (٣) .
 وفي رواية : « وتحت المطر » (٤) .
 « كنا نؤمر بالدعاء عند أذان المغرب » .

باب الدعاء عند القيام من النوم

« الحمد لله الذي أحيا ما أماتنا واليه النشور » (٥) .
 « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، رب اغفر لي » (٦) .
 « لا اله الا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك .. اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب » (٧) .

-
- (١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود ، كلهم من حديث أبي جعفر المدني ، قال المناوي وغيره : لا يعرف . وقال ابن العربي في « المعارضة » : الحديث مجهول ، وربما شهدت له الأصول .
 (٢) رواه أحمد ومسلم من جابر رضي الله عنه .
 (٣) رواه أبو داود ، والدارمي ، وهو حديث صحيح .
 (٤) رواها الحاكم ثم قال : تفرد به يعقوب الزمعي ، قال عنه الحافظ في « التقريب » : صدوق سيء الحفظ .
 (٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
 (٦) رواه البخاري والترمذي وأبو داود ، وهو بتمامه : « من تضرع من الليل فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : رب اغفر لي ، أو دعا ، استجيب له ، فان تضرعا وصلى قبلت صلاته » وتعار : أي استيقظ .
 (٧) أخرجه أبو داود والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال : « لا اله الا انت .. » وفي سنده عبد الله بن الوليد ، وهو المصري ، وهو لين الحديث كما في « التقريب » .

« اللهم انى أسألك خيرا » .

« الله أكبر » — عشرا — « الحمد لله » — عشرا — « سبحان الله وبحمده » — عشرا — « سبحان الملك القدوس » — عشرا — « أستغفر الله » — عشرا — « لا اله الا الله » — عشرا — « اللهم انى أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة » — عشرا^(١) .

« سبحان رب العالمين » .

« سبحان الله وبحمده » .

« اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق . وقولك حق ، والجنة حق . والنار حق ، والنيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق : اللهم لك أسلمت . وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصست واليك حاكمت . فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت . وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك »^(٢) .

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الأبصار .. »^(٣) الى ختم السورة .

باب الدعاء عند افتتاح صلاة الليل

« اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »^(٤) .

(١) رواه أبو داود ، وفى سنده شريق الهوزنى ، لا يعرف ، وفيه بقية ابن الوليد وهو مدلس ، ولكن رواه أحمد ، وابن أبى شيبه ، وأبو داود بلفظ : كان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة ، وأسناده صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والدارمى .

(٣) سورة آل عمران : ١٩٠ — ٢٠٠ ، روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت عند اخالتى ميمونة ، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر ، قعد فنظر الى السماء فقال : « ان فى خلق السموات والأرض ... » الآيات الحديث ..

(٤) رواه مسلم عن عائشة .

« سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا اله غيرك » (١) .
 « الله أكبر كبيرا » (٢) .
 « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » (٣) .
 « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » (٤) .

باب القنوت في الوتر

« اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ ، أَنَّهُ لَا يَذُلُّ مِنْ وَالِيَّتِ ، تَبَارَكَ رَبُّنَا وَتَعَالَيْتَ » (٥) .
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 « اللهم اِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ وَلَا نَكْفُرُكَ ، وَنُخْلَعُ وَنَتْرَكَ مِنْ يَفْجُرُكَ » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 « اللهم اِيَاكَ نَعْبُدُ ، وَلَكَ نَصْلِي وَنَسْجِدُ ، وَإِلَيْكَ نَسْعِي وَنُخْفِدُ ، وَنُخْشِي عَذَابَكَ الْجَدِّ ، وَنَرْجُو رَحْمَتَكَ ، اِنْ عَذَابَكَ الْجَدِّ بِالْكَفَّارِ مُلْحَقٌ » .
 « اللهم اِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمَعَا فَاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَفْتُ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » (٦) .

-
- (١) رواه أبو داود والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وقد روى من غير وجه بأسانيد جيدة .
 (٢) رواه مسلم ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » استفتح به رجل فقال : « الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا » فقال صلى الله عليه وسلم : « عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء » .
 (٣) رواه أبو داود ، والترمذي بسند حسن ، والهمز : المؤنة ، نوع من الجنون ، والنفخ : الكبر . والنفث : الشعر ، والمراد به الشعر الملموم .
 (٤) رواه أبو داود بسند صحيح .
 (٥) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن ، وأحمد والطبراني ، قال الترمذي : ولا نعرف من النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت شيئا أحسن من هذا . ورواه ابن أبي شيبة ، وابن عساكر بسند صحيح .
 (٦) رواه مسلم وأصحاب « السنن » عن عائشة .

« سبحان الملك القدوس » (١) . ثلاثا .

باب أجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان

« اذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر ، فقال احدكم الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : أشهد أن لا اله الا الله قال : أشهد أن لا اله الا الله ، ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، قال : حي على الصلاة ، قال : لا حول ولا قوة الا بالله . ثم قال : حي على الفلاح ، قال : لا حول ولا قوة الا بالله . ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، قال : الله أكبر الله أكبر . ثم قال : لا اله الا الله قال : لا اله الا الله » (٢) .

« أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا ، وبالإسلام ديننا » (٣) .
« اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته » (٤) .
« اللهم هذا اقبال ليلتك ، وادبار نهارك ، وأصوات دعائك فاغفر لي » (٥) .

باب الدعاء بعد ركعتي الفجر

« اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي بصري نورا ، وفي سمعي نورا ، وعن يميني نورا ، وعن يساري نورا ، وفوقي نورا وتحتي نورا ،

(١) روى أبو داود والنسائي بإسناد صحيح عن أبي بن كعب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الوتر قال : « سبحان الملك القدوس » وفي رواية النسائي وابن السنن : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات .

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قال المؤذن . . » وقال في آخره : « ثم قال : لا اله الا الله . قال : لا اله الا الله من قلبه دخل الجنة » .

(٣) رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : حين يسمع المؤذن : أشهد . . . وفي آخره : « غفر له ذنبه » .

(٤) رواه البخاري ، وأبو داود وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم . . . وفي آخره : « حلت له شفاعتي يوم القيامة » .

(٥) رواه أبو داود ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » وإسناده =

وأمامي نورا ، وخلقني نورا ، واجعل لي نورا ، وفي لساني نورا ، وعصبي نورا ، ولحمي نورا ، ودمي نورا ، وشعري نورا ، وبشري نورا ، واجعل في نفسي نورا ، وأعظم لي نورا ، اللهم أعطني نورا « (١) » .

باب الدعاء عند الخروج من البيت

« بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم انا نعوذ بك من أن نذل أو نضل أو نظلم أو نظلم (٢) أو نجعل أو يجعل علينا » (٣) .
« بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله » (٤) .
« اللهم اني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجعل أو يجعل علي » (٥) .

باب الدعاء عند دخول المسجد

« أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم » (٦) .
« بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله » (٧) .

== ضعيف فيه أبو كثير ، وهو مجهول ، كما قال النووي وغيره .
وفي باب ما يقول اذا سمع الإقامة ، جاء في سنن أبي داود :
« حدثنا سليمان بن داود التكي ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثني رجل من أهل الشام ، من شهر بن حوشب ، عن أبي امامة ، أو عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن بلالا أخذ بالإقامة فلما أن قال : قد قامت الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أقامها الله وأدامها » .

(١) رواه مسلم وابن أبي شيبة .
(٢) نظلم : الأولى بفتح النون والثانية بضمها .
(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
(٤) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي من حديث أنس ، والحديث بتمامه : من أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : — يعني اذا خرج من بيته — بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ولنحنى منه الشيطان » .

(٥) رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي وقال الترمذي : وهو حديث صحيح .

— أضل أو أضل : الأولى بكسر الضاد والثانية بفتحها ، أظلم أو أظلم : الأولى بفتح الالف والثانية بضمها .

(٦) قال النووي في « الأذكار » : حديث حسن ، ورواه أبو داود بسند جيد .

(٧) قال النووي في « الأذكار » : روينا في كتاب ابن السني عن أنس =

« رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك »^(١) .

باب الدعاء والذكر بعد صلاة الصبح والمغرب

« لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد . بيده الخير وهو على كل شيء قدير »^(٢) .

« اللهم أجرنى من النار » — سبع مرات — .

« اللهم اني أسألك علما نافعا ، وعملا متقبلا ، ورزقا طيبا »^(٣) .

باب الدعاء والذكر عند الصبح والمساء

« بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم »^(٤) — ثلاث مرات — .

« اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا اله الا أنت »^(٥) — ثلاث مرات — .

« رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا »^(٦) ثلاث مرات .

« أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أئمتنا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين »^(٧) .

== رضي الله عنه . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال : « بسم الله .. اللهم صل على محمد » .

(١) رواه ابن السنن بلفظ : « اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك » .

(٢) رواه الطبراني من رواية يحيى بن عبد الله الباقلي ، وهو ضعيف .

كما في « التقريب » .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وابن السنن عن أم سلمة .

(٤) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي ، وقال :

حديث حسن قريب صحيح .

(٥) رواه أبو داود .

(٦) رواه الترمذي عن ثوبان بلفظ : « من قال حين يمسى : رضيت

بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا » دون ذكر ثلاث مرات . وفي إسناده سعد بن المزبان ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي عنه :

حديث حسن صحيح قريب من هذا الوجه ، ولعله صح عنده من طريق آخر ، ورواه أبو داود والنسائي . قال النووي : بأسانيد جيدة .

(٧) حديث صحيح أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد « المسند »

من عبد الرحمن بن أبيزى ، وأخرجه أحمد ، والدارمي ، وابن السنن في

« اليوم والليلة » .

- « أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ، والكبرياء والعظمة لله ،
والخلق والأمر ، والليل والنهار ، وما سكن فيها الله » (١) .
- « اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً ، وأوسطه نجاة ، وآخره
فلاحاً يا أرحم الراحمين ، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين » .
- « اللهم انى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته
وهده ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده » (٢) — فى الصباح .
- « أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين » .
- « اللهم انى أسألك خير هذه الليلة ، فتحها ونصرها ونورها
وبركتها وعداها ، وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما بعدها » — فى المساء .
- « اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك
لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » — فى الصباح .
- « اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك
لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » — فى المساء .
- « اللهم أنى أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك
وجميع خلقك أنك أنت الله ، لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن
محمدًا عبدك ورسولك » — فى الصباح .
- « اللهم انى أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع
خلقك أنك أنت الله ، لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا
عبدك ورسولك » — فى المساء .
- « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، حسبى الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » — (سبع مرات) .
- « انعم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على
هدىك وعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك
بضعفت ، أبى ، وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت » (٣) .
- « اللهم انى أسألك العاقبة فى الدنيا والآخرة » .
- « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى » .
- « اللهم استر عوراتى ، وأمن روثاتى » .

١١ ذكره النووي فى « الأذكار » برواية ابن السنى .

١٢ رواه أبو داود عن أبى مالك الأشعرى .

١٣ رواه البخارى عن شداد بن أوس .

« اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتى » (١) .

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (٢) .

« فسيبحران الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون . يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون » (٣) .
« اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه » (٤) .

« اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير » (٥) — فى الصباح .

« اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور » (٦) — فى المساء .

« أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما فى هذه الليلة . وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل ، ومن سوء الكبر والكفر ، رب أعوذ من عذاب فى النار وعذاب فى القبر » (٧) — فى المساء .

(١) أخرجه النسائي ، وابن ماجه ، وصححه الحاكم .

(٢) أخرجه مسلم فى « صحيحه » عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله . لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد . . »

(٣) الروم : ١٧ — ١٩ .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه أبو داود ، والترمذى .

(٦) رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن .

(٧) رواه مسلم دون لفظة « والكفر » من عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

« أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خيراً ما في هذا اليوم وخيراً ما بعده ، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر والكفر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر »^(١) — في الصباح •

« هم • تنزيل الكتاب من الله العزيز العظيم • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير »^(٢) •

« الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ومسح عرسيه السموات والأرض ، ولا يئوده حفظهما ، وهو العلي العظيم »^(٣) •

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » (ثلاث مرات) •

* * *

(١) رواه مسلم أيضاً دون لفظه « والكفر » من ابن مسعود .
(٢) غافر : ١ - ٣ (٣) البقرة : ٢٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارى المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد » (٢) (ثلاث مرات) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قل اعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد اذا حسد » (٣) . (ثلاث مرات) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قل اعوذ برب الناس . ملك الناس . الله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس » (٤) (ثلاث مرات) .

« اللهم بك أحاول ، وبك أصاول ، وبك أقاتل » .
« يس . والقرآن الحكيم . انك ابن المرسلين » الى آخر السورة .

باب الدعاء عند الخروج من المسجد

« اللهم انى أسألك من فضلك » (٦) « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله » (٧) . « رب اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك » (٨) .

-
(١) الحشر : ٢٢ — ٢٤	(٢) سورة الاخلاص .
(٣) سورة الفلق .	(٤) سورة الناس .
(٥) يس : ١ — ٣	
(٦) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى وابن ماجه .	
(٧) رواه ابن السنى بلفظ : بسم الله اللهم صل على محمد .	
(٨) رواه ابن السنى اذا دخل المسجد قال : اللهم اغفر لى ،	
واذا خرج : اللهم افتح لى أبواب فضلك .	

باب الدعاء عند دخول البيت

« اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا » (١) .

باب الدعاء عند لاكل والشرب

« بسم الله ، وعلى بركة الله » .
 « الحمد لله الذي أثبتنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل » .
 « بسم الله أوله وآخره » (٢) .
 « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ، ربنا » (٣) .
 « الحمد لله الذى أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين » (٤) .
 « الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه ، وجعل له مخرجا » (٥) .
 « اللهم بارك لنا فيه وأطعنا خيرا منه » .
 « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » (٦) .

باب الدعاء عند دخول الخلاء وخروجه

« اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث » (٧) .
 « أعوذ بالله من الخبث والخبائث بسم الله — عند الدخول —
 غفرانك ، الحمد لله الذى أذهب عني الأذى وعافاني » — بعد الخروج (٨) .

باب الدعاء قبل الوضوء وبعده

« بسم الله الرحمن الرحيم . أشهد أن لا اله الا الله وحده

(١) رواه أبو داود من أبي مالك الأشعري .
 (٢) رواه أبو داود ، والترمذي من مائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اكل احدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فان نسي ان يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره » قال الترمذي : حسن صحيح .
 (٣) رواه البخاري من أبي امامة .
 (٤) رواه أبو داود ، والترمذي من أبي سعيد الخدري .
 (٥) رواه أبو داود ، والنسائي بسند صحيح .
 (٦) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن بشر .
 (٧) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك .
 (٨) روى أبو داود ، والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « غفرانك » وروى النسائي ، وابن ماجه باقية .

لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين «^(١) — بعد الوضوء .

باب الدعاء عند التكبيرة الأولى

« اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم تقنى من الخطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد »^(٢) .
« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين ، ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

« اللهم أنت الملك لا اله الا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسى ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لى ذنوبى جميعا ، أله لا يغفر الذنوب الا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها الا أنت ، واصرف عنى سيئها ، لا يصرف عنى سيئها الا أنت ، لييك وسعديك والخير كله فى يديك ، والشر ليس اليك ، وأنا بك واليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب اليك »^(٣) « الله أكبر كبيرا (ثلاثا) والحمد لله كثيرا »^(٤) (ثلاثا) .

« وسبحان الله بكرة وأصيلا »^(٥) (ثلاثا) « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من تقعه وتقته وهمه »^(٦) .

باب الدعاء فى الركوع وبعده وفى السجود وبين السجدين

« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى »^(٧) .

(١) روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ » ثم قال : « أشهد أن لا اله الا الله وحده .. » وزاد الترمذى : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » وسندها صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن حبان ، وأحمد ، والشافعى ، والطبرانى .

(٤) رواه أبو داود ، والطحاوى بسند حسن .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والدارقطنى ، والحاكم وصححه هو وابن حبان ، والذهبي .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

« سبحو قدوس رب الملائكة والروح » (١) .

« سمع الله لمن حمده » (٢) .

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد » .
« اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، سبحان ربى العظيم — ثلاثا — سبحان ربى الأعلى — ثلاثا — سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد » .

« اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذى خلقه ، وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » .
« اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه ، وجله ، وأوله ، وآخره ، وعلايته ، وسره » .

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك ، من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .
« اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني ، رب اغفر لي » .

باب التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والنعاء

« التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، انك حميد مجيد » .

« اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات » .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

« اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمغرم » .
« اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت
فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم » .
« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،
وما أسرفت وما أنت اعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر ،
لا اله الا أنت » .

« اللهم انى أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد ،
وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا
صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك
لما تعلم ، يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » .

باب الدعاء والذكر بعد الصلاة

« الله أكبر ، استغفر الله — ثلاثا — اللهم أنت السلام ومنك
السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، رب أعنى على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك . لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
وهو على كل شىء قدير » .

« اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع
ذا الجدمك الجدم . لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شىء قدير . لا حول ولا قوة الا بالله . لا اله الا الله ،
ولا نعبد الا اياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن . لا اله الا الله
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

« اللهم انى أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من البخل ، وأعوذ
بك من أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر . سبحان
الله — ثلاث وثلاثون — والحمد لله — ثلاث وثلاثون — والله أكبر
— اربع وثلاثون — « الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة
ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده
الا باذنه ، يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه
الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حملهما ،
وهو العلى العظيم » (١) « قل أعوذ برب الفلق » الى آخرها ،
« قل أعوذ برب الناس » — الى آخرها .

باب الدعاء عند عيادة المريض

« اذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما . لا بأس طهور إن شاء الله تعالى . »
 « قل أعوذ برب الناس » — إلى آخر السورة — بسم الله تربة أرضنا ، برقة بعضنا ، ليشفي سقيمنا بأذن ربنا . بسم الله (ثلاثا) أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد واحاذر (سبعا) . بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أريقك . أعيدك بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك . بسم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ، ومن شر حر النار . ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء ، فأجل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع . »

« اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشی لك إلى جنازة » .
 « اللهم أحيى ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لي » .

باب الدعاء والذكر عند من حضره الموت

« لا اله الا الله ، انا الله وانا اليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي ، واخلف لي خيرا منها » .
 « اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه ، لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . » (يس . والقرآن الحكيم) (١) ، (السورة) .

باب الدعاء في صلاة الجنازة ودفنها

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين ... » (٢) السورة .

« اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، وثقه من الخطايا كما نقيت

الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجة ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار .

اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده .

اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك ، وحمل جوارك ، فقه من فتنة القبر وعذاب القبر ، وأنت أهل الوفاء والحق .

اللهم اغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم .

اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت هديتها إلى الإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلايتها ، جننا شفعا فاغفر له .

اللهم اجعله لنا سلفا و فرطاً وذخرا وأجرا .

اللهم عبدك وابن عبدك ، كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به مني ، أن كان محسناً فزد في إحسانه ، وأن كان مسيئاً فاغفر له ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ... » إلى قوله : « ولولئك هم الفلاحون » (١) منذ راسه : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » (٢) ... إلى آخر السورة عند رجليه .

باب الدعاء عند زيارة القبور

« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون . نسأل الله لنا ولكم العافية .

السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أتم سلفنا ونحن بالآثر .

السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأناكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون .

اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد ، السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » .

باب دعاء الاستخارة

« اللهم انى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمري - أو قال : عاجل أمري وآجله - فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمري - أو قال : فى عاجل أمري وآجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به » .

باب دعاء الحاجة

« لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » .
أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنباً الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضى الا قضيتها يا أرحم الراحمين » .

باب خطبة الحاجة ، كالنكاح وغيره وما يتعلق به

« ان الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضله فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) (١) . « يا أيها النسياس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ... » الى قوله : « واتقوا الله الذى تسالون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً » (٢) . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » (٣) .

بارك الله لك وبارك عليكما ، وجمع بينكما فى خير .

اللهم انى أسألك من خيرها ، وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » .

باب الدعاء عند دخول السوق

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى

(٢) النسيام : ١

(١) آل عمران : ١٠٢

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

ويميت وهو حي لا يموت ، يبيد الخير وهو على كل شيء قدير . بسم الله ، اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها .

اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها صفقة خاسرة . »

باب النجاء عند الكرب والغضب

« اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا . »

اللهم رحمتك أرجو . فلا تكلني الى نفسي طرفة عين . وأصلح

لى شأنى كله ، لا اله الا أنت .

اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امك وفى قبضتك ، فاصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاائك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، وأنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى مكنون الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء همى وغمى . يا حي يا قيوم ، برحمتك أستغيث . لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . »

باب النجاء عند صياح النيك ونهيق الحمام

« اللهم انى أسألك من فضلك ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . »

باب النجاء فى السفر ومشايمة المسافرين

« الله أكبر — ثلاثا . »

« سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وانا لى ربنا

لنقلبون » (١) .

اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى . ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده . اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل . اللهم انى أعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المال والأهل ، آيئون تأيئون عابدون لربنا حامدون . »

« اللهم انى أعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحصور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر فى الأهل والمال . »
« أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، سمع سامع بحمد الله

ونعمته ، وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا حافظنا وأفضل علينا عائذاً
بالله من النار ، الله أكبر — ثلاثاً — لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون ، ساجدون ،
لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .
اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اللهم اهزم الأحزاب ، اللهم
اهزمهم وزلزلهم ، اللهم أنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من
شرورهم .

« اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل ،
بسم الله ، الحمد لله » سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .
وإنا إلى ربنا لنقلبون .

« الحمد لله (ثلاثاً) والله أكبر (ثلاثاً) سبحانك اني ظلمت نفسي
فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، يا أرض .. ربى وربك الله ،
أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب
عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن شر
ساكن البلد ومن والد وما ولد » .

« استودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك . استودع الله دينكم
وأمانتكم وخواتيم أعمالكم . زدك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ويسر
لك الخير حيثما كنت » .

« اللهم اطو له البعد ، وهون عليه السفر » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل يا ايها الكافرون ... » الى آخر السورة .

« اذا جاء نصر الله والفتح ... » السورة .

« قل هو الله احد ... » السورة .

« قل اعوذ برب الفلق ... » السورة .

« قل اعوذ برب الناس ... » السورة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم رب السموات السبع وما أظللن ،
ورب الأرضين السبع وما أظللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب
الرياح وما ذرين ، فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، ونعوذ
بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .

اللهم بارك لنا فيها (ثلاثاً) .

اللهم ارزقنا جناها وحبينا الى أهلها وحب صلحى أهلها إلينا » .

باب دعاء الاحرام والتلبية

« ليك اللهم ليك ، لا شريك لك ليك ، ان الحمد والنعمة لك ،
والملك ، لا شريك لك » .
« ليك اللهم ليك وسعديك ، والخير في يديك ليك والرغبات
اليك والعمل » .
« اللهم اني أسألك رضاك والجنة ، وأسألك العفو برحمتك من
النار » .

باب دعاء الطواف والقام والصفة والروية

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول
ولا قوة الا بالله .
اللهم اني أسألك العفو والمغفرة في الدنيا والآخرة . ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .
اللهم قنني بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة
لي بخير ، « وانخلوا من مقام إبراهيم صلى » (١)
اللهم انك تعلم سرى وعلايتي ، فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي ،
فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي .
اللهم اني أسألك ايما فائضا يبارك قلبي ، ويقيننا صادقا حتى أعلم انه
لا يصيبني الا ما كتبت لي ، ورضني بما قسمت لي يا أرحم الراحمين .
« ان الصفا والروية من شعائر الله » (٢) .
أبدأ بما بدأ الله به : لا اله الا الله وحده ، الله أكبر ، لا اله الا الله
وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .
لا اله الا الله وحده ، أبجز وعنده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .
اللهم انك قلت « ادعوني استجب لكم » (٣) ، وانك لا تخلف الميعاد ،
واني أسألك كما هديتني للاسلام أن لا تنزع مني حتى توفاني ، وأنا
مسلم ، رب اغفر وارحم أنت الأعز الأكرم .

باب دعاء عرفة بعرفة

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير .
اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما تقول .

(٢) البقرة : ١٥٨

(١) البقرة : ١٢٥

(٣) غافر : ٦٠

اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك ما بى ، ولك
 ربي ترائي .
 اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسواس الصدر ،
 وشتات الأمر .
 اللهم انى أسألك من خير ما تجيء به الريح ، وأعوذ بك من شر
 ما تجيء به الريح ، لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد
 يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .
 اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ،
 وفى قلبى نورا .
 اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأعوذ بك من وساوس
 الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر .
 اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ،
 وشر ما يهب به الريح ، وشر بوائق الدهر .
 لييك اللهم لييك ، انما الخير خير الآخرة ، الله أكبر ، والله الحمد ،
 الله أكبر والله الحمد ، الله أكبر والله الحمد . لا اله الا الله ، وحده
 لا شريك له ، له الملك وله الحمد .
 اللهم اجعله حبا مبرورا ، وذنباً مغفورا .
 اللهم احفظنا بالهدى ، وزينا بالتقوى ، واغفر لنا فى الآخرة
 والأولى .
 اللهم انى أسألك رزقا حلالا طيبا مباركا .
 اللهم انك أمرتنى بالسعاء ولك الاجابة ، وانك لا تخلف الميعاد ،
 ولا تنكث عهدك .
 اللهم ما أحببت من خير فصبه الينا بيسرنا لنا ، وما كرهت من
 شر فكره الينا وجنبنا ، ولا تترع منا الاسلام بعد اذ هديتنا
 « ربنا آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (١) .
 اللهم انى أسألك من خير ما سألناك به نبيك صلى الله عليه
 وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ به نبيك صلى الله عليه وسلم .
 « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
 الخاسرين » (٢) . « اب اجعلنى مكيم الصلاة ومن لويتى ، ربنا وتقبل

دعاء . ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (١) .
 « رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٢) . « ربنا اغفر لنا ولاخواننا
 الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا
 انك رؤوف رحيم » (٣) « ربنا تقبل منا ، انك انت السميع العليم » (٤)
 « وتب علينا ، انك انت التواب الرحيم » (٥) .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .
 اللهم انك تعلم وترى مكاني وتسبح كلامي ، وتعلم سري
 وعلايتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري . وأنا البائس الفقير المستغيث
 المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبي : أسألك مسألة المسكين ،
 وأبتهل اليك ابتهاج المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من
 خضعت لك رقبتك ، وفاضت لك عيناه ، ونحل لك جسده . ورغم
 لك أنه .

اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا ، وكن لي رؤوفا رحيم ، يا خير
 المستولين ، يا خير المعطين ، يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب
 العالمين .. آمين .

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل
 شيء قدير (مائة مرة) « قل هو الله احد ... » السورة (مائة مرة)
 اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
 آل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، وعلينا معهم » (مائة مرة) .

باب الدعاء عند رؤية الهلال

« اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، رب
 وربك الله ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد .
 آمنت بالذي خلقك — ثلاث مرات — الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء
 بشهر كذا ، وأعوذ بالله من شر هذا » .
 « اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان » .

باب دعاء الإفطار

« اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ ، وابتلت
 العزوق ، وثبت الأنجر ان شاء الله » .

(٢) الاسراء : ٢٤

(٤) البقرة : ١٢٧

(١) ابراهيم : ٤٠ ، ٤١

(٣) الحشر : ١٠

(٥) البقرة : ١٢٨

« اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر ذنوبى » •

باب الدعاء فى ليلة القدر

« اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » •

باب الدعاء عند لبس الثوب الجديد

« اللهم لك الحمد كما كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ، الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول ولا قوة ، الحمد لله الذى رزقنى من اللباس ما أتجمل به فى الناس ، وأوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى • الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى » •

باب دعاء كفارة المجلس

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله الا أنت ، استغفرك وأتوب اليك » •

باب دعاء حفظ القرآن

« اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعيننى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عني •
اللهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، والعزة التى لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ، فانه لا يعيننى على الحق هيزك ، ولا يؤتيه الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله تعالى العظيم » •

باب الدعاء اذا رأى مبتلى

« الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا » •

باب دعاء قضاء الدين

« اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من البخل والجبن ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » •
« اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عن سواك » •

باب دعاء الاستسقاء

« اللهم اسق عبادك وبهيمنتك ، وانشر رحمتك ، وأحيى بلدك الميت . »

اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا نافعا غير ضار ، عاجلا غير آجل . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . لا اله الا الله يفعل ما يريد .

اللهم أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين . »

باب دعاء الرياح والرعد والمطر

« اللهم انى أسألك خيرا وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شر هذه الرياح وشر ما فيها وشر ما أمرت به . »

اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا . اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا .

اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك . سبحانه الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

اللهم انى أعوذ بك من شر ما فيه .

اللهم سقيا نافعا . اللهم صيبا نافعا . »

باب دعاء التوبة

« اللهم انى أتوب اليك منها لا أرجع اليها أبدا . »

اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرحم من عندي من عظمي . »

باب صلاة التسبيح

« سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . »

باب الدعاء عند رؤية الثمار الجديدة

« اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى

صاغنا ، وبارك لنا فى مدنا . »

اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره . »

باب الدعاء عند رؤية المرأة

« اللهم أنت حسنت خلقي ، فحسن خلقي . »

« اللهم كما حسنت خلقي فأحسن خلقي ، وحرم وجهي على

النار . الحمد لله الذى سوى خلقي وأحسن صورتي وزان منى ما شان

من غيري . الحمد لله الذى سوى خلقي فعدله ، وصور صورة وجهي

فأحسنها وجعلني من المسلمين . »

باب اسم الله الأعظم

« اللهم انى أسألك بأنك أنت الله لا اله الا أنت ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .
اللهم انى أسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت الحنان المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم أسألك ، والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . الم . الله لا اله الا هو الحي القيوم . لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » .

باب أسماء الله تعالى

« هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري » .
المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصى ، المبدى ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المسافع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

باب الاستعاذة

اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء » .
« اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال » .
« اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم ، وعذاب القبر » .

« اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها . أنت وليها ومولاها » .

« اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .

« اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك » .

« اللهم انى أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل » .
« اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت » .

« اللهم انى أعوذ بعزتك ، لا اله الا أنت ، أن تضلنى أنت الحي الذى لا يموت ، والجن والانس يسوتون » .

« اللهم انى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » .

« اللهم انى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق » .
« اللهم انى أعوذ بك من الجوع ، فانه بش الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » .

« اللهم انى أعوذ بك من البرص ، والجذام ، والجنون ، ومن سبى الأسقام » .

« اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والاهواء » .
« اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ، وشر لسانى وشر قلبى وشر منى » .

« اللهم انى أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من التردى ، ومن الفرق والحرق والهرم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا ، وأعوذ بك من أن أموت لدينا » .

« اللهم انى أعوذ بك من طبع يهذى الى طمع » .
« اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى » .
« اللهم انى أسألك الجنة » — ثلاث مرات .
« اللهم انى استجيرك من النار » — ثلاث مرات .
« أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شئ أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت » .

منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرا وبراً ، وأعوذ بالله من الكفر
والدين » •

باب جامع الدعاء

« اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرفي في أمري ، وما أنت
أعلم به مني » •

« اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي » •
« اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،
وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء
قدير » •

« اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي
تلتني فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة
زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » •
« اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم اهديني
وسددي » •

« اللهم اغفر لي وارحمني ، واحدني وعافني وارزقني » •
« اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار • رب أعني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا
تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصرني على من بغى علي • رب
اجعلني لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك راهباً ، لك مطوعاً ، لك مخبئاً ،
ثليك أوامراً منياً ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ،
وثبت حجتي ، وسدد لساني ، واهد قلبي ، واسلل سخيمة صدري » •
« اللهم اني أسألك العفو والعافية • رب اني أسألك العافية والمعافة
في الدنيا والآخرة » •

« اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك » •
« اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب » •
« اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب » •
« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا ومعاصبك ،
ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات
الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث
لنا ، واجعل ثارنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا • ولا تجعل

مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » .

« اللهم انفعني ما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علما ، الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار » .

« اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » .

« اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك . والعمل الذي ينفعني حبك » .

« اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي ومالي وأهلي ، ومن الماء البارد » .

« اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة لي خيرا لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي » .

« اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » .

« اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهدين » .

« اللهم اجعلني أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك ، وأتبع نصحتك ، وأحفظ وصيتك » .

« اللهم اني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق : والرضى بالقدر » .

« اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعلمي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور » .

« اللهم اجعل سريري خيرا من علانيتي ، واجعل علانيتي سالحة » .

« اللهم اني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من الأهل والمال والولد غير الفضال ولا المفضل » .

باب الدعاء عند المناسم

« اللهم باسمك أموت وأحيا ، باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسي فارحمها ، وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

« اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت » .
« الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى » .

« سبحان الله » — ثلاثا وثلاثين .

« الحمد لله » — ثلاثا وثلاثين .

« الله أكبر » — أربعاً وثلاثين .

« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ، فائق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته . أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء : اقض عني الدين ، واغنني من الفقر ، بسم الله وضعت جنبى لله » .

« اللهم اغفر ذنبي ، وأخسى شيطاني ، وفك رهاني ، واجعلني في الندى الأعلى » .

« الحمد لله الذي كفاني وآوانى وأطعمنى وسقانى ، والذي من على فأفضل ، والذي اعطانى فأجزل . الحمد لله على كل حال » .
« اللهم رب كل شيء ومليكه ، واله كل شيء ، أعوذ بك من النار » .
« اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك كهلم جميعا أن يفرط على أحد منهم ، وأن يغنى ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا اله غيرك ، لا اله الا انت » .

« اللهم قنى عذابك يوم تبث عبادك » — ثلاث مرات .

« اللهم انى أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات ، من شر ما أبت آخذ بناصيته » .

« اللهم أنت تكشف المغرم والمائم » .

« اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعذك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانك وبحمدك . أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وآتوب اليه » — ثلاث مرات .

« لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين

أيهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلي العظيم (١) .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنها واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢) » .

« قل هو الله أحد . . » — السورة .

« قل أعوذ برب الفلق . . » — السورة .

« قل أعوذ برب الناس . . » — السورة .

« حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منذرين (٣) » — السورة .

« الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٤) » .

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير (٥) » .

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد (٦) » — السورة .

« قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين (٧) » .

« أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار (٨) » — إلى آخر السورة .

(٢) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٤) السجدة : ١ ، ٢

(٦) سورة الكافرون .

(٨) آل عمران : ١٩٠ — ٢٠٠

(١) البقرة : ٢٥٥

(٣) الدخان : ١ — ٣

(٥) الملك : ١

(٧) سورة الاخلاص .

الخاتمة وفيها خمسة فصول :

الفصل الأول

في ذكر الله عز وجل

- « لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة » .
- ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .
- « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ، مثل الحي والميت » .
- « ان الله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون اهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم » . قال : فيحرفونهم بأجنتهم الى السماء الدنيا » .. الحديث .
- « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من ائتاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى ، قال : « ذكر الله » .
- « طوبى لمن طال عمره ، وحسن عمله » .
- قال : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله » .
- « من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ، ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة » .
- « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان عليهم حسرة » .
- « كل كلام ابن آدم عليه لا له ، الا أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله » .
- « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وان أبعد الناس من الله القلب القاسى » .
- أى المال تتخذ ؟ قال : « لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه » . لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » .
- أى للعباد أفضل وارفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : والذاكرون الله كثيرا والذاكرات » .. الحديث .
- « الشيطان جائم على قلب ابن آدم ، فاذا ذكر الله خنس ، واذا غفل وسوس » .

- « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين » .. الحديث •
- « ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » •
- « ان الله تعالى يقول : أنا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت به . شغناه » •
- « لكل شيء صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله » .. الحديث •



الفصل الثاني

في فضل تلاوة القرآن وفوائده

- « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » •
- « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران » •
- « لا حمد الا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار • ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار » •
- « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويمسك به كالترجعة ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويمسك به كالتمرّة » •
- « ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين » •
- « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ان الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة » •
- « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » •
- « اقرأوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان — أو غيابتان ، أو فرقان — من طير صواف تصاجان عن أصحابهما » •
- « اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » •
- « يا أبا المنذر : ائدري أي آية من كتاب الله معك أعظم » ؟ قلت :
- « الله لا اله الا هو الحي القيوم » ؟
- قال : فضرب صدري وقال : « ليهنك العلم يا أبا المنذر » •
- « ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته » •

- « من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال » .
- « انى احب هذه السورة : « قل هو الله احد » .
- قال : « ان حبك اياها ادخلك الجنة » .
- « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : « قل أعوذ برب
- «العلق» . « قل أعوذ برب الناس » .
- « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارقق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » .
- « ان الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » .
- « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفصل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .
- « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .
- « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا » ؟
- « من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله ، وحرم حرامه ، أدخله الله الجنة ، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار » .
- « ان لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن (يس) ، ومن قرأ (يس) : كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » (١) .
- « تبارك الذى بيده الملك » ، « اذا أنزلت » تعدل نصف القرآن ، و « قل هو الله احد » . تعدل لك القرآن ، و « قل يا أيها الكافرون » . تعدل ربع القرآن .
- « من قرأ كل يوم مائتى مرة : « قل هو الله احد » . مى عنه ثلثون خمسين سنة ، الا أن يكون عليه دين » .
- (كان) يتعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « قل أعوذ برب
- «العلق» و « قل أعوذ برب الناس » . ويقول يا عقبة اتموذ بهما »
- « فما تموذ متموذ بمثلهما » .
- « قراءة القرآن فى الصلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير الصلاة وقراءة القرآن فى غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير » .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث شريف .

« قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضعف على ذلك الى ألفي درجة » .
 « ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد اذا أسابه الماء » .
 قيل : يا رسول الله .. وما جلاؤها ؟ قال : « كثرة ذكر الموت . وتلاوة القرآن » .

« في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » .
 « من قرأ سورة (آل عمران) يوم الجمعة صلت عليه الملائكة الى الليل » .

« اقرأوا سورة (هود) يوم الجمعة » .
 « من قرأ سورة (الكهف) في يوم الجمعة ، أضاء له النور ما بين الجمعتين » .
 « من قرأ (يس) ابتغاء وجه الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه . فاقراوها عند موتاكم » .

« ان لكل سناما ، وأن سنام القرآن سورة (البقرة) » .
 « وان لكل شيء لبابا ، وان لباب القرآن المفصل » .
 « لكل شيء عروس ، وعروس القرآن (الرحمن) » .
 « كان يحب هذه السورة : « سبح اسم ربك الأعلى » .
 « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم » ؟ قالوا :
 ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ قال : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ « الهالك التكاثر » ؟ » .

« من قرأ : « قل هو الله أحد » عشر مرات ، بنى له قصر في الجنة . ومن قرأ عشرين مرة بنى له قصران في الجنة ، ومن قرأ ثلاثين مرة بنى له بها ثلاثة قصور في الجنة » . فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله .. اذن لنكثرن قصورنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أوسع من ذلك » .
 « اذا أحب أحدكم أن يحلث ربه فليقرأ القرآن » .

* * *

الفصل الثالث

في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

« أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

- « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب (الى) مما طلعت عليه الشمس » .
- « من قال : سبحان الله وبحمده .. في يوم مائة مرة حطت خطاياہ وان كانت مثل زبد البحر » .
- « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .
- « يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة » .
- سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الكلام أفضل ؟ قال : « ما اصطفى الله للملائكة : سبحان الله وبحمده » .
- « لقد قلت بعدك أربع كلمات — ثلاث مرات — لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » .
- « من قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يومه مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » .
- « من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة » .
- « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » .
- « أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة العامدون ، الذين يحمدون الله في السراء والضراء » .
- « قال موسى : يا رب .. علمني شيئا أذكرك به — أو أدعوك به — فقال : يا موسى .. قل : لا اله الا الله . فقال : يا رب .. كل عبادك يقولون هذا ، انما أريد شيئا تخصني به . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع وضمن فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله » .
- « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها حجاب دون الله تخلص اليه » .

« ما قال عبد : لا اله الا الله مخلصا قط الا فتحت له أبواب السماء ،
 نحتى يفضى الى العرش ما اجتبى الكبار » .
 « ان الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وانها قيعان ، وان غراسها
 سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » .
 « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديد ، واعتقدن بالأنامل ، فانهن
 مسؤولات مستنطقات ، ولا تغفلن فتنين الرحمة » .
 « قل : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا ، والحمد
 لله كثيرا ، وسبحان رب العالمين ، لا حول ولا قوة الا بالله العزيز
 الحكيم » . قال : هؤلاء لربى فما لى ؟ فقال : « قل : اللهم اغفر لى
 وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى » .
 « ان الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، تساقط
 ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة » .
 « أكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، فانها من كنز الجنة » .
 قال مكحول : فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله ولا منجى من الله
 الا اليه ، كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر .
 « لا حول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أسرها لهم »
 « سبحان الله هى صلاة الخلائق ، والحمد لله كلمة الشكر ، ولا
 اله الا الله كلمة الاخلاص . والله أكبر تملأ ما بين السموات والأرض ،
 واذا قال العبد : لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الله تعالى : أسلم
 واستسلم » .



الفصل الرابع

فى فصل الاستغفار والتوبة

« والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين
 مرة » .
 « يا أيها الناس توبوا الى الله ، فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة »
 « ان الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسط يده بالنهار
 ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .
 « ان العبد اذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه » .
 « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه » .
 « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان (على)

راحلتها بأرض فلاة ، فافلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ،
فأنى شجرة فاضطجع فى ظلها أيس من راحلتها ، فبينما هو كذلك ، اذ
هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت
عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح .

« ان عبدا أذنب فقال : رب .. أذنبت ذنبا فاغفره . فقال ربه :
علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى » الحديث .
« قال الله تعالى : يا ابن آدم .. انك (ان) دعوتنى ورجوتنى ،
غفرت لك ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم .. انك لو لقيتنى بقراب
الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة . »
« قال الله تعالى : من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت
له ولا أبالى ، ما لم يشرك بى شيئا . »

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل
هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب . »

« ما أصر من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة . »

« كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون . »

« ان المؤمن اذا أذنب كانت نكته سوداء فى قلبه ، فان تاب واستغفر
صقل قلبه ، وان زاد زادت حتى تملو قلبه ، فذلكم الران الذى ذكره
الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (١) .

« ان الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ » .

« ان الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت
أرواحهم فى أجسادهم . فقال الرب عز وجل : وعزتى وجلالى وارتفاعى
(فى) مكانى ، لا زال أغفر لهم ما استغفرونى : « قل يا عبادى الذين
اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب
جميعا » (٢) ولا يسألى . »

« يقول : رب أغفر لى . وتب على ، انك أنت التواب الغفور . »

مائة مرة .

« من قال : استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب

اليه ، غفر له وان كان قد فر من الزحف . »

« ان الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة ، فيقول :

يا رب .. أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك . »

« ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ، ينتظر دعوة تلتحقه من

أب أو أم أو أخ أو صديق ، فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها ،

وان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال .
وان هدية الأحياء الى الأموات الاستغفار لهم » .
« طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثيرا » .
« اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا ، واذا أساءوا
استغفروا » .
« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

الفصل الخامس

فصل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

« من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرين » .
« من صلى على صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ،
وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » .
« أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .
« ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام » .
« ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام »
اني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال :
« ما شئت » . قلت : الربع ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك »
قلت : النصف ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك » قلت :
فالثلثين ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك » قلت : أجعل لك
صلاتي كلها ؟ قال : « اذن تكفي همك ، ويكفر لك ذنبك » .
« البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل على » .
« من صلى على عند قبري سمعته ، ومن صلى على غائبا أبلاغته » .
« من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم واحدة صلى الله عليه
وملائكته سبعين صلاة » .
« ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم
الا كان عليهم ترة ، فان شاء عذبهم ، وان شاء غفر لهم » .
« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فانه مشهود تشهده الملائكة ،
وما من أحد يصلي على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » .
« من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم أنزله المقعد
المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين » .